

الروضُ الألف

في تفسیر السيرة النبوية لابن هشام

للفقيه المحدث أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله
ابن أحمد بن أبي الحسن الخنصلي
السميلى

٥٠٨ - ٥٨١

١١١٤ - ١١٨٥

٥٥٥٥

ومع 4

السيرة النبوية

للامام أبي محمد عبد الملك بن هشام الماعفرى

المتوفى سنة ٢١٣ هـ

قدم له وعلق عليه وضبطه

طه عبد الرؤوف سعد

الجزء الثانى

يطلب من

مطبوعات

مكتبة ومطبعة

عباس عبد السلام شقر وون

شارع بيبس بالهند

طبعة جديدة

مضبوطة - منقحة

روجعت على عدد من الطباعات القديمة

وعلى نسخة قدوة الأمراء وحجة

العلماء مولانا : عبد الحفيظ

سلطان المغرب الأقصى سابقا

مؤسسة نبع الفكر العربي للطباعة

٧ - بوم درويشيان

أول شارع الجيش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه

(سيرة)

قال ابن إسحاق : ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة ، وتحدث به . ثم إن الله - عز وجل - أمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يبادى الناس بأمره ، وأن يدعو إليه ، وكان بين ما أخفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمره ، واستتر به ، إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغنى - من مبعثه ، ثم قال الله تعالى له : « فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين » . وقال تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين » . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، وقل إني أنا النذير المبين .

معنى : إصدع بما تؤمر : قال ابن هشام : فاصدع : افرق بين الحق والباطل . قال أبو ذؤيب الهزلي ، واسمه : خويلد بن خالد ، يصف أتن وحش وفلها :

وكانهن ربابة ، وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

أى : يفرق على القداح ويبين أنصاءها . وهذا البيت في قصيدة له . وقال رؤبة بن العجاج :

أنت الحليم ، والامير المنتقم تصدع بالحق ، وتنقى من ظلم

وهذان البيتان في أرجوزة له .

خروج الرسول (ص) بأصحابه للصلاة في الشعاب : قال ابن إسحاق : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ صلوا ، ذهبوا في الشعاب ، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في شعب من شعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين - وهم يضلون - فناكروهم ، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوه ، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير ، فشججه ، فكان أول دم هريق في الإسلام .

عداوة قومه ، ومساندة أبي طالب : قال ابن إسحاق : فبادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه - فيما بلغنى - حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما

فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خلافه وعداوته ، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام ، وهم قليل مستخفون ، وحذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم - على أمر الله ، مظهر آلامه ، لا يرده عنه شيء . فلما رأت قريش ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه : من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حذب عليه وقام دونه ، فلم يسلبه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب : عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب . وأبوسفیان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

قال ابن هشام : واسم أبي سفيان : صخر .

قال ابن إسحاق : وأبو البختری ، واسمه : العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

قال ابن هشام : أبو البختری : العاص بن هاشم .

قال ابن إسحاق : والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى . وأبو جهل - واسمه عمرو ، وكان يكنى أبا الحكم - ابن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى . والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى . ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ، والعاص بن وائل .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى .

وفد قريش يعاتب أبا طالب : قال ابن إسحاق : أو من مشى منهم . فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخل بيننا وبينه ، فإنك على مثل مانحن عليه من خلافه ، فنكفيك . فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً ، وردهم رداً جميلاً ، فأنصرفوا عنه .

الرسول (ص) يستمر في دعوة : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه ، يظهر دين الله ، ويدعو إليه ، ثم شرى الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال ، وتضاعفوا ، وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم - بيننا ، فتذامروا فيه ، وحض بعضهم بعضاً عليه .

رجعهم إلى أبي طالب مرة ثانية : ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى ، فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومنزلةً فينا ، وإنا قد استهينناك من ابن أخيك فلم تنه عنا ، وإنا والله لانتصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو تنازله وإياك في ذلك ، حتى يهلك أحد الفريقين ،

أو كما قالوا له . ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لهم ولا خذلانه .

مادار بين الرسول (ص) وأبي طالب : قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث : أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له : يا ابن أخي ، إن قريشاً قد جاءوني ، فقالوا لي كذا وكذا ، للذي كانوا قالوا له ، فأبى علي ، وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر مالا أطيح ؛ فظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قد بدا لعمه فيه أنه خاذله ومسله ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ، ما تركته قال : ثم استعبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبكى ثم قام ، فلما ولي ناداه أبو طالب ، فقال أقبل يا ابن أخي ، قال فأقبل عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : اذهب يا ابن أخي ؛ فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلك لشيء أبداً .

قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبي طالب : قال ابن إسحاق : ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم ، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له - فيما بلغني : يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد ، أنهد فتى في قريش وأجمله ، نخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولداً فهو لك ، وآسلم إلينا ابن أخيك هذا ؛ الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أحلامهم ، فنقتله فإنما هو رجل برجل ، فقال : والله لبئس ما تسوموني ! أعطوني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكُم ابني تقتلونه ؟ ! هذا والله مالا يكون أبداً . قال . فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصي : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً . فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفوني ، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم على ، فاصنع ما بدا لك أو كما قال . قال : فحجب الأمر ، وحجيت الحرب ، وتنابد القوم ، وبادى بعضهم بعضاً .

مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه

(روض)

تفسير : اصدع بما تؤمر والفرق في عود الضمير على ما والذى : ذكر قول الله سبحانه ، فاصدع بما تؤمر ، والمعنى : اصدع بالذى تؤمر به ، ولكنه لما عدى الفعل إلى الهاء حسن حذفها ، وكان الحذف ههنا أحسن من ذكرها ؛ لأن ما فيها من الإبهام أكثر مما تقتضيه اللى ، وقولهم : (ما) مع الفعل بتأويل المصدر ، راجع إلى معنى الذى إذا تأملته ، وذلك أن (الذى) تصلح في كل موضع تصلح فيه (ما) التى يسمونها المصدرية نحو قول الشاعر :

ن يوماً كالذى كانوا

عسى الأيام أن يرجع

أى : كما كانوا ، فقول الله عز وجل إذا : « فاصدع بما تؤمر ، إما أن يكون معناه : بالذى تؤمر به من التبليغ ونحوه ، وإما أن يكون معناه . اصدع بالامر الذى تؤمره ، كما تقول : عجبت من الضرب الذى تضربه ، فتسكون ما ههنا عبارة عن الامر الذى هو أمر الله تعالى ، ولا يكون للبلاء فيه دخول ، ولا تقدير ، وعلى الوجه الاول تكون ما مع صلتها عبارة عما هو فعل للنبي صلى الله عليه وسلم - والاطهر أنها مع صلتها عبارة عن الامر الذى هو قول الله ووحيه ، بدليل حذف الهاء الراجعة إلى : ما ، وإن كانت بمعنى الذى فى الوجهين جميعا ، إلا أنك إذا أردت معنى الامر لم تحذف إلا الهاء وحدها ، وإذا أردت معنى المأمور به . حذف باء وهاء ، وحذف واحد أيسر من حذفين مع أن صدعه وبيانه إذا علقت به بأمر الله ووحيه ، كان حقيقة ، وإذا علقت به بالفعل الذى أمر به كان مجازا ، وإذا صرحت بلفظ الذى ، لم يكن حذفها بذلك الحسن ، وتأمله فى القرآن تجده كذلك نحو قوله تعالى : « وأعلم ما تبدون ، وما كنتم تكتمون ، ويعلم ما تسرون وما تعلنون » ، لما خلقت بيدي ، و « لأعبد ما تعبدون ، ولم يقل : خلقت ، وحذف الهاء فى ذلك كله ، وقال فى الذى . « الذين آتيناهم الكتاب » الذى جعلناه للناس سواء ، وما أشبه ذلك ، وإنما كان الحذف مع ما أحسن لما قدمناه من إيهامها ، فالذى فيها من الإيهام قربها من (ما) التى هى شرط لفظا ومعنى ، ألا ترى أن (ما) إذا كانت شرطا تقول فيها ، ما تصنع أصنع مثله ، ولا تقول ، ما تصنعه ، لأن الفعل قد عمل فيها ، فلما ضارعتها هذه التى هى موصولة وهى بمعنى الذى أجريت فى حذف الهاء مجراها فى أكثر الكلام ، وهذه تفرقة فى عود الضمير على (ما) ، وعلى (الذى) يشهد لها التنزيل ، والقياس الذى ذكرناه من الإيهام ، ومع هذا لم نر أحدا نبه على هذه التفرقة ، ولا أشار إليها ، وقارىء القرآن محتاج إلى هذه التفرقة . وقد يحسن حذف الضمير العائد على الذى ، لأنه أوجز ، ولكنه ليس كحسنة مع من وما ، ففى التنزيل ، « والنور الذى أنزلنا ، فإن كان الفعل متعديا إلى اثنين كان إبراز الضمير أحسن من حذفه ، لئلا يتوهم أن الفعل واقع على المفعول الواحد ، وأنه مقتصر عليه ، كقوله تعالى : « والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء ، « الذين آتيناهم الكتاب » .

وشرح ابن هشام معنى قوله ، اصدع شرحا صحيحا ، وتمتته أنه صدع على جهة البيان وتشبيهه لظلمة الشك والجهل بظلمة الليل . والقرآن نور ، فصدع به تلك الظلمة ، ومنه سمي الفجر : صديعا ، لأنه يصدع ظلمة الليل ، وقال الشماخ :

ترى السرحان مفترشا يديه كان يياض لبته صديع
على هذا تأوله أكثر أهل المعانى ، وقال قاسم بن ثابت : الصديع فى هذا البيت : ثوب أسود تلبسه النواحة
تحت ثوب أبيض ، وتصدع الاسود عند صدرها فيبدو الأبيض ، وأنشد :
كانهن إذ وردن ليعا (١) نواحة محتابة صديعا

معنى الحذب : ذكر في الحديث : أن أبا طالب حذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقام دونه .
أصل الحذب : انحناء في الظهر ، ثم استعير فيمن عطف على غيره ، ورق له كما قال النابغة

حذبت على بطون ضبة كلها إن ظالما فيهم ، وإن مظلوما

ومثل ذلك الصلاة ، أصلها : انحناء وانعطاف من الصلوتين وهما : عرقان في الظهر إلى الفخذين ، ثم قالوا : صلى عليه ، أى : انحنى عليه ، ثم سموا الرحمة حنوا وصلاة ، إذا أرادوا المبالغة فيها ، فقولك . صلى الله على محمد ، هو أرق وأبلغ من قولك : رحم الله محمدا في الحنو والعطف . والصلاة أصلها في المحسوسات عبر بها عن هذا المعنى مبالغة وتأكيذاً كما قال الشاعر :

فما زلت في ليني له وتعطفى عليه ، كما تحنو على الولد الأم

ومنه قيل : صليت على الميت أى : دعوت له دعاء من يحنو عليه ويتعطف عليه ، ولذلك لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الإطلاق : لا تقول ، صليت على العدو ، أى . دعوت عليه . وإنما يقال : صليت عليه في معنى الحنو والرحمة والعطف ، لأنها في الأصل انعطاف ، ومن أجل ذلك عدت في اللفظ بعلى ، فتقول . صليت عليه ، أى : حنوت عليه ، ولا تقول في الدعاء إلا ، دعوت له ، فتعدى الفعل باللام ، إلا أن تريد الشر والدعاء على العدو ، فهذا فرق ما بين الصلاة والدعاء ، وأهل اللغة لم يفرقوا ، ولكن قالوا : الصلاة بمعنى الدعاء إطلاقاً ، ولم يفرقوا بين حال وحال ، ولاذكروا التعدى باللام ولا بعلى ، ولا بد من تقييد العبارة ، لما ذكرناه . وقد يكون الحذب أيضاً مستعملاً في معنى المخالفة إذا قرن بالقعس كقول الشاعر :

وإن حذبوا ، فاقعس ، وإن هم تقاعسوا لينزعوا ما خلف ظهرك فاحذب

وكقول الآخر :

ولن ينهنه قوما أنت خائفهم كشل وقك جهالا بجهال

فاقعس إذا حذبوا ، واحذب إذا قعسوا ووازن الشر مثقالا بمثقال

أنشده الجاحظ في كتاب الحيوان له .

أبو البختري واسمه : فصل ، وذكر بجىء النفر من قریش إلى أبي طالب في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر أنسابهم ، وذكر فيهم أبا البختري بن هشام ، قال ، واسمه ، العاصي بن هشام ، وقال ابن هشام ، هو العاصي ابن هاشم ، والذي قاله ابن إسحاق هو قول ابن السكبي ، والذي قال ابن هشام هو قول الزبير بن أبي بكر وقول مصعب وهكذا وجدت في حاشية كتاب الشيخ أبي بجر ، سفيان بن العاصي .

لو وضعوا الشمس في يميني : وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في شمالي على أن أدع هذا الذي جئت به ما تركته ، أو كما قال . خص الشمس باليمين ، لأنها الآية المبصرة ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية الممحوة وقد قال عمر - رحمه الله - لرجل ، قال له ، إنني رأيت في المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ، ومع كل واحد منهما نجوم ، فقال عمر ، مع أيهما كنت ؟ فقال ، مع القمر ، قال ، كنت مع الآية الممحوة ، اذهب ، فلا تعمل لى عملا ، وكان عاملا له ، فعزله ، فقتل الرجل في صفين مع معاوية ، واسمه ، حابس بن سعد ، وخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النيرين حين ضرب المثل بهما ، لأن نورهما محسوس ، والنور الذي جاء به من عند الله - وهو الذي أرادوه على تركه - هو لا محالة أشرف من النور المخلوق ، قال الله سبحانه : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره » ، فاقضت بلاغة النبوة لما أرادوه على ترك النور الأعلى - أن يقابله بالنور الأدنى ، وأن يخص أعلى النيرين ، وهي الآية المبصرة بأشرف اليمين ، وهي اليمنى بلاغة لا مثيلا ، وحكمة لا يحجل اللبيب فضلها .

الرأى والبداء : وقول ابن إسحاق ، ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن قد بدا لعمه بداء ، أى ، ظهر له رأى ، فسمى الرأى بداء ، لأنه شئ يبدو بعد ما خفى ، والمصدر البدء والبدو ، والاسم ، البداء ، لا يقال في المصدر ، بدا له بدو ، كما لا يقال ظهر له ظهور بالرفع ، لأن الذي يظهر ، ويبدو هاهنا هو الاسم ، نحو البداء وأنشد أبو علي :

لعلك والموعود حق وفأؤه بدا لك في تلك القلوص بداء

ومن أجل أن البدو هو الظهور ، كان البداء في وصف الباري - سبحانه - محالا ، لأنه لا يبدو له شئ كان غائبا عنه ، والنسخ للحكم ليس ببداء كما توهمت الجهمية من الرافضة واليهود ، إنما هو تبديل حكم بحكم بقدر قدره ، وعلم عليه ، وقد يجوز أن يقال ، بدا له أن يفعل كذا ، ويكون معناه ، أراد ، وهذا من المجاز الذي لا سبيل إلى إطلافة إلا بإذن من صاحب الشرع ، وقد صح في ذلك ما خرجه البخارى في حديث الثلاثة ، الأعمى والأفقر والأبرص ، وأنه عليه السلام قال : بدا لله أن يبتليهم ، فبدا هنا بمعنى ، أراد ، وذكرنا الرافضة ، لأن ابن أعين ، ومن اتبعه منهم ، يميزون البداء على الله تعالى ، ويجعلونه والنسخ شيئا واحداً ، واليهود لا تجيز النسخ يحسبونه بداء ، ومنهم من أجاز البداء كالرافضة ، ويروى أن عليا - رحمه الله - صلى يوم ، ثم ضحك فسئل عن ضحكه فقال ، تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة ، ورآني أصلي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنخلة فقال ، ما هذا الفعل الذي أرى ، فلما أخبرناه ، قال ، هذا حسن ، لكن لا أفعله أبدا ، لأحب أن تعلقوني اسقى فتذكرت الآن قوله ، فضحك .

قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبي طالب : وذكر قول الملا من قريش لأبي طالب : هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش ، وأجمله ، ففذه مكان ابن أخيك .

أنهد . أى : أقوى وأجلد ، ويقال : فرس نهى : للذى يتقدم الخيل ، وأصل هذه الكلمة : التقدم ، ومنه يقال : نهى ندى الجارية ، أى : برز قدماً ، وعماراة بن الوليد هذا المذكور هو : الذى أرسلته قريش مع عمرو ابن العاص إلى أرض الحبشة فسحر هناك وجن ، وسنريد في خبره شيئاً بعد هذا إن شاء الله .

(روض)

شعر أبي طالب في المطعم ومن خذله: فقال أبو طالب عند ذلك - يعرض بالمطعم بن عدى - ويعم من خذله من بني عبد مناف ، ومن عاداء من قبائل قريش ، ويذكر ما سأله : وما تباعد من أمرهم :

| | |
|--------------------------------|----------------------------------|
| ألا قل عمرو والوليد ومطعم | ألا ليت حظي من حياتكم بكر |
| من الخور حجاب كثير رغاؤه | يرش على الساقين من بوله قطر |
| تخلف خلف الورد ليس بلاحق | إذا ما علا الفياء قيل له وبر |
| أرى أخويننا من أيدينا وأمننا | إذا سئلا قالوا . إلى غيرنا الأمر |
| بلى لهما أمر ، ولكن ترجما | كما جرحمت من رأس ذي علق صخر |
| أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلا | هما نبذانا مثل ما ينبد الجمر |
| هما أغزنا للقوم في أخويهما | فقد أصبحا منهم أكفهم صفر |
| هما أشركا في المجد من لا أبأله | من الناس إلا أن يرسله ذكر |
| وتيم ومخزوم وزهرة منهم | وكانوا لنا مولى إذا بنى النصر |
| فوالله لا تنفك منا عداوة | ولا منهم ما كان من نسلنا شفر |
| فقد سفهت أحلامهم وعقولهم | وكان كجفر بئس ما صنعت جفر |

قال ابن هشام . تركنا بيتين أفدع فيهما .

قريش تظهر عداوتها للمسلمين : قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا تذا مروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - منهم بعه أبي طالب ، وقد قام أبو طالب ، حين رأى قريشا يصنعون في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه ، من منع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى مادعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي لهب ، عدو الله الملعون .

شعر أبي طالب في مدح قومه ، لنصرة : فلما رأى أبو طالب من قومه ماسره في جدهم معه ، وحدهم عليه ، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ، ويذكر فضل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيهم ومكانه منهم ، ليشد لهم رأيهم ، وليجدبوا معه على أمره ، فقال :

وذكروا أن أبا طالب قال لهم حين سأله أن يأخذ عمارة بدلا من محمد صلى الله عليه وسلم : أرايتم ناقة تحن إلى غير فصيلها وترأمة لا أعطيكم ابني تقتاونه أبدا ، وأخذ ابنكم أكفله ، وأغذوه ، وهو معنى ما ذكر ابن إسحاق . قال ابن إسحاق : فحقب الأمر عند ذلك ، يريد : اشتد ، وهو من قولك : حقب البعير إذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب ، وإذا عسر عليه البول أيضا لشد الحقب على ذلك الموضع ، فيقال منه : حقب البعير ، ثم يستعمل في الأمر إذا عسر ، وكذلك قوله : فشري الأمر عند ذلك ، أي انتشر الشر ، ومنه الشرى ، وهي قروح تنتشر على البدن ، يقال منه : شرى جلد الرجل ، يشرى شرى .

| | |
|--------------------------------|------------------------------|
| إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر | فبعد مناف سرها وصميمها |
| فإن حصلت أشراف عبد منافها | ففي هاشم أشرافها وقديمها |
| وإن فخرت يوما ، فإن محمدا | هو المصطفى من سرها وكريمها |
| تداعت قريش غثها وسمينها | علينا فلم نظفر وطاشت حلومها |
| وكنا قديما لا نفر ظلامه | إذا ماثنوا صعر الحدود نقيمها |
| ونعمى حماها كل يوم كريمة | ونضرب عن أحجارها من يرومها |
| بنا انتعش العود الدواء ، وإنما | بأ كفافنا تندى وتنمى أرومها |

شعر أبي طالب : فصل : وذكر شعر أبي طالب :

ألا قل لعمرى والوليد . إلى آخر الشعر

وفيه : ألا ليت حظى من حياطتكم بكر

أى : إن بكرا من الإبل أنفع لى منكم ، فليته لى بدلا من حياطتكم كما قال طرفة فى عمرو بن هند :

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوئا حول قبتنا تخور
وقوله : من الخور جحاب . الخور الضعاف ، والجحاب بالحاء : الصغير . وفى حاشية كتاب الشيخ أبى
بحر : ججباب بالجيم ، وفسره فقال : هو الكثير الهدر ، وفى الشعر :

إذا ما علا الفياء قيل له : وير

أى يشبه بالوبر لصفره، ويحتمل أن يكون أراد ، أن يصغر فى العين لعلو المكان وبعده ، والفياء فعلا ، ولولا
قولهم : الفيف ، لكان حمله على باب القصاض والجرجاء أولى ، ولكن سمع الفيف ، فعلم أن الألفين زائدتان
وأنه من باب قلق وسلس انذى ضوعفت فيه فاء الفعل دون عينه ، وهى ألقاظ يسيرة نحو قلق وسلس وثلث
وسدس ، وقد اعتدنا بجمعها من الكلام ، ولعل لها موصفا تذكر فيه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ،
ولا تكون ألف ففاء للإلحاق فيصرف ، لأنه ليس فى الكلام : فعلا ، فإن قيل : يكون موصفا بقصضا وبابه ،
قلنا ، قصضا ثنائى مضاعف ، فلا يلحق به الثلاثى ، كما لا يلحق الرباعى بالثلاثى ، ولا إلاكثر بالأقل ، وقد
حكى فيةا بالقصر وليست ألفها للتأنيث ، إذ لا يجمع بين علامتى تأنيث ، فهى إذا من أرطاة ونحوها ، كأنها
ملاحظة بسلبية . وفى الشعر :

كما جرحمت من رأس ذى علق صخر

وترك صرف علق ، إما لأنه جعله اسم بقة ، وإما لأنه اسم علم ، وترك صرف الاسم العلم سائغ فى الشعر ،
ولأن لم يكن هاتما ولا عجميا نحو قول عباس بن مرداس .

الوليد بن المغيرة كيدته للرسول وموقفه من القرآن

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش - وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش ، لانه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا ، فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً ، قالوا : فانت يا أبا عبد شمس ، فقل ، وأقم لنا رأياً نقول به ، قال : بل أنتم ، فقولوا اسمع ، قالوا : نقول كاهن ، قال لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما هو بزممة الكاهن ولا سبعة ، قالوا : فنقول : مجنون ، قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا المجنون وعرفناه ، فما هو بخنفة ، ولا تخالجه ، ولا وسوسته ، قالوا : فنقول : شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله : رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول : ساحر ، قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرم ، فما هو بنفهم ولا عقدهم . قالوا : فانقول

وما كان حصن ولا حائس يفوقان مرداس في الجمع

ونحو قول الآخر :

يامن جفائي ومللا نسيت أهلا وسهلا
ومات مرحب لما رأيت مالي قلا

فلم يصرف مرحبا ، وسأيتني في هذا الكتاب شواهد كثيرة على هذا ، ونشرح العلة فيه إن شاء الله تعالى ، ولو روى : من رأس ذي علق الصخر بحذف التنوين لالتقاء الساكن ، لكان حسنا ، كما قرئ ، قل هو الله أحد ، الله الصمد ، بحذف التنوين من أحد ، وهي رواية عن أبي عمرو العلاء ، وقال الشاعر :

حميد الذي أمج داره

وقال آخر :

ولا ذاكر الله إلا قليلا

وأتشد قول أبي طالب :

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصيما

قوله : سرها أي : وسطها ، وسر الوادي وسرارته : وسطه ، وقد تقدم متى يكون الوسط مدحا ، وأن ذلك في موضعين ، في وصف الشهود ، وفي نفسه ، وبيننا السر في ذلك .

وقال في القصيدة : ونضرب عن أحجارها من يروما ، أي نهدم حصونها ومعاقها ، وإن كانت الرواية أحجارها بتقديم الجيم فهو جمع جحر والحجر هنا مستعار ، وإنما يريد عن بيوتها وساكنها .

يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعندق ، وإن فرعه لجناة - قال ابن هشام : ويقال : لعندق - وما أتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد إلا حذروه لإياه ، وذكروا لهم أمره .

رد القرآن على الوليد : فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة ، وفي ذلك من قوله : « ذرني ومن خلقت وحيداً ، وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً ، ومهدت له تمهيداً ، ثم يطمع أن أزيد ، كلا إنه كان لآياتنا عنيداً ، إني خصيماً .

قال ابن هشام : عنيد : معاند مخالف . قال رؤية بن العجاج :

ونحن ضرابون رأس العند

وهذا البيت في أرجوزة له .

« سأرهقه صعوداً صعوداً : إنه فسكر وقدر : فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر : ثم

عبس وبسر » :

قال ابن هشام : بسر : كره وجهه . قال العجاج :

مضبر اللحين بسر منهسا

يصف كراهية وجهه . وهذا البيت في أرجوزة له :

« ثم أدبر واستكبر فقال : إن هذا إلا سحر يؤثر ، أن هذا إلا قول البشر » .

رد القرآن على صاحب الوليد : قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى في رسوله - صلى الله عليه وسلم - وفيما جاء به من الله تعالى ، وفي النفر الذين كانوا معه يصنفون القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به من الله تعالى : « كما أنزلنا على المقتسمين . الذين جعلوا القرآن عضين . فوربك لننسأنهم أجمعين . عما كانوا يعملون » .

قال ابن هشام : واحدة العضين : عضه ، يقول : عضوه : فرقوه . قال رؤية بن العجاج :

وليس دين الله بالمعضى

وهذا البيت في أرجوزة له

قال ابن إسحاق : فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمن لقوا من الناس ، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها .

شعر أبي طالب في معاداة خصومه

فلما خشي أبو طالب دهاء العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودد فيها أشراف قومه ، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولا تاركة لشيء أبداً حتى يهلك دونه ، فقال :

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| ولما رأيت القوم لاود فيهم | وقد قطوا كل العرى والوسائل |
| وقد صارحونا بالعداوة والأذى | وقد طاعوا أمر العدو المزائل |
| وقد حالفوا قوما علينا أظنة | يعضون غيظا خلفنا بالأنامل |
| صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة | وأبيض عضب من تراث المقاول |
| وأحضرت عند البيت رهطى وإخوتى | وأمسكت من أثوابه بالوصلات |
| قياما معا مستقبلين رتاجه | لدى حيث يقضى حلفه كل نافله |
| وحيث يذبح الأشعرون ركابهم | بمفضى السيول من إساف ونائل |
| موسمة الأعضاء أو قصراتها | خيسة بين السديس وبازل |
| ترى الودع فيها والرخام وزينة | بأعناقها معقودة كالعناكل |
| أعوذ برب الناس من كل طاعن | علينا بسوء أو ملح بباطل |
| ومن كاشح يسعى لنا بمعية | ومن ملحق فى الدين مالم نحاول |
| وثور ومن أرمى ثيبرا إمكانه | وراق ليرقى فى حراء ونازل |
| وبالبيت حق البيت من بطن مكة | وبالله إن الله ليس بغافل |
| وبالحجر المسود إذ يمسحونه | إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل |
| وموطىء إبراهيم فى الصخر رطبة | على قدميه حافياً غير ناعل |
| وأشواط بين المروتين إلى الصفا | وما فيهما من صورة وتمائل |
| ومن حج بيت الله من كل راكب | ومن كل ذى نذر ومن كل راجل |
| وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا له | إلال إلى مفضى الشراج القوابل |
| وتوقفهم فوق الجبال عشة | يقيمون بالأيدي صدور الرواحل |
| وليلة جمع والمنازل من منى | وهل فوقها من حرمة ومنازل |
| وجمع إذا ما المقربات أجزنه | سراعاً كما يخرجن من وقع وابل |

وبالجرة الكبرى إذا صمدوا لها
وكندة إذ هم بالحصاب عشية
حليفان شدا عقد ما احتلفا له
وحطمهم سمر الرماح وسرحه
فهل بعد هذا عن معاذ لعائد
يطاع بنا أمر العدا ود أننا
كذبتم وبيت الله نترك مكة
كذبتم - وبيت الله - نبزى بمحمدآ
ونسلبه حتى نصرع حوله
وينفض قوم في الحديد إليكم
وحق نرى ذا الضغن يركب ردعه
ولنا - لعمر الله - إن جد ما أرى
بكفى ففى مثل الشهاب سميدع
شهوراً وأياماً وحولاً محرماً
وسأترك قوم - لا أبالك سيداً
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
لعمري لقد أجرى أسيد وبكره
وعثمان لم يربع علينا وقنفذ
أطاعاً أيباً ، وابن عبد يغوثهم
كما قد لقينا من سبيع ونوفل
فإن يلفيا ، أو يمكن الله منهما
وذاك أبو عمرو أبى غير بغضنا
يناجى بنا فى كل مسمى ومصبح
ويولى لنا بالله ما إن يغشنا

يؤمنون قذفا رأسها بالجنادل
تجيز بهم حجاج بكر بن وائل
وردا عليه عاطفات الوسائل
وشبرقه وخذ الزعام الجوافل
وهل من معيذ يتقى الله عاذل
تسد بنا أبواب ترك وكابل
ونظعن إلا أمركم فى بلابل
ولما نطاعن دونه ونناضل
ونذهل عن أبنائنا والحلائل
نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
من الطعن فعل الانكسب المتحامل
لتلتبس أسيافنا بالأمائل
أخى ثقة حامى الحقيقة باسل
علينا وتأتى حجة بعد قابل
يحوط الذمار غير ذرب موا كل
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
فهم عنده فى رحمة وفواضل
إلى ، بغضنا وجزأنا لآ كل
ولكن أطاع أمر تلك القبائل
ولم يرقبا فينا مقالة قائل
وكل تولى معرضاً لم يحامل
نكل لها صاعاً بصاع المكايل
ليظعننا فى أهل شاء وجامل
فناج أبا عمرو بنا ثم خاتل
بلى قد تراء جهرة غير حائل

أضاق عليه بغضنا كل تامة
وسائل أبا الوليد ماذا جوتنا
وكنتم امرء آمن يعاش برأيه
فعتبة لاتسمع بنا قول كاشح
ومر أبو سفيان عني معرضاً
يفر إلى نجد وبرد مياهه
ويخبرنا فعل المناصح أنه
أمطعم لم أخذلك في يوم نجدة
ولا يوم خصم إذا أتوك ألدة
أمطعم إن القوم ساموك خطة
جزا الله عنا عبد شمس ونوفلا
بميزان قسط لا يخس شعيرة
لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم
وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا
فعبد مناف أنتم خير قومكم
لعمري لقد وهنتم وعجزتم
وكنتم حديثاً حطب قدر وأنتم الـ
لهيئني بني عبد مناف عقوقنا
فإن يك قوماً نتثر ما صنعتم
وسائط كانت في لؤي بن غالب
ورھط نفيل شر من وطىء الحصى
فأبلغ قصيا أن سينشر أمرنا
ولو طرقت ليلاً قصيا عظيمة
ولو صدقوا ضرباً خلال بيوتهم
فكل صديق وابن أخت نعد
سوى أن رھطاً من كلاب بن مرة
وهنا لهم حتى تبدد جهنم

من الأرض بين أخشب فمجادل
بسعيك فينا معرضاً كالخاتل
ورحمته فينا ولست بجاهل
حسود كذوب مبغض ذى دغاو
كما مر قيل من عظام المقاول
ويزعم أنى لست عنكم بغافل
شفيق، ويخفى عارمات الدواخل
ولامعظم عند الأمور الجلائل
أولى جدل من الخصوم المساجل
ولانى متى أوكل فلست بوائل
عقوبة شر عاجلا غير آجل
له شاهد من نفسه غير عائل
بنى خلف قيضاً بنا والغياطل
وآل قصي فى الخطوب الأوائل
علينا العدا من كل طمل وخامل
فلا تشاركوا فى أمركم كل واغل
وجنتم بأمر مخطىء البفاصل
آن خطاب أفدر ومراجل
وخذلانا ، وتركنا فى المعافل
وتحتلبوما لقحة غير باهل
نفاهم إلينا كل صقر حلاحل
والأم حاف من معد وناعل
وبشر قصيا بعدنا بالتخاذل
إذا ما لجأنا دونهم فى المداخل
لكنا أمى عند النساء المطافل
لعمري - وجدنا غبه غير طائل
براء إلينا من معقة خاذل
ويحسر عنا كل باغ وجاهل

ونحن الكدى من غالب والكواهل
كبيض السيوف بين أيدي الصياقل
ولاحالفوا إلا شرار القبائل
ضواري أسود فوق لحم خراذل
بنى جمع عبيد قيس بن عاقل
بهم نعى الأقوام عند البواطل
زهير حساما مفردا من حمائل
إلى حسب فى حومة المجد فاضل
ولأخوته دأب الحب الموصل
وزيناً لمن والاه رب المشا كل
إذا قاسه الحكام عند التفاضل
يوالى إلها ليس عنه بغافل
تجر على أشياخنا فى المحافل
من الدهر جدا غير قول التهازل
لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
تقصر عنه سورة المتناول
ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
وأظهر ديننا حقه غير باطل
إلى الخير آباء كرام المحاصل
فلا بد يوما مرة من تزايل

وكان لنا حوض السقاية فيهم
شباب من المطيين وهاشم
فما أدركوا ذحلا ولا سفكوا دما
بضرب ترى الفتيان فيه كأنهم
بنى أمة محبوبة هندكية
ولكننا نسل كرام لسادة
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب
أشم من الشم البهليل ينتمى
لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد
فلا زال فى الدنيا جمالا لأهلها
فمن مثله فى الناس أى مؤمل
حليم رشيد عادل غير طائش
فوالله لولا أن أجيء بسبة
لكننا اتبعناه على كل حالة
لقد علموا أن ابننا لا مكذب
فأصبح فينا أحد فى أرومة
حدبت بنفسى دونه وحميته
فأيده رب العباد بنصره
رجال كرام غير ميل نمام
فإن تك كعب من لوى صقيمة

قال ابن هشام : هذا ما صح لى من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم بالشعر يشكر أكثرها .

الرسول يستسقى لأهل المدينة ويود لى أن أبا طالب حى : قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به ، قال :
أفحط أهل المدينة ، فأتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فشكوا ذلك إليه ، فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
المنبر فاستسقى ، فما لبث أن جاء من المطر ما أناء أهل الضواحي يشكون منه الغرق ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « اللهم حوالينا ولا علينا ، فأنجاب السحاب عن المدينة ، فصار حوالينا كالإكليل ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم : لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره ، فقال له بعض أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال : أجل .

قال ابن هشام . وقوله « وشبرقه » عن غير ابن إسحاق .

معاني الأسماء التي في قصيدة أبي طالب : قال ابن إسحاق . والغياطل : من بني سهم بن عمرو بن هصيص . وأبو سفيان بن حرب بن أمية . ومطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف . وزهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وأمه : عاتكة بنت عبد المطلب . قال ابن إسحاق : وأسيد . وبكره : عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي . وعثمان بن عبيد الله ، أخو طلحة بن عبيد الله التيمي . وفتنذ بن عمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وأبو الوليد . عتبة بن ربيعة . وأبي : الأخنس بن شريق الثقفي ، حليف بني زهرة بن كلاب .

قال ابن هشام . وإنما سمي الأخنس ؛ لأنه خنس بالقوم يوم بدر ، إنما اسمه . أبي ؛ وهو من بني علاج ؛ وهو علاج بن أبي سلبية بن عوف بن أبي سلبية بن عوف بن عقبة . والأسود بن عبد يغوث بن وهب ابن عبد مناف بن كلاب . وسبيع بن خالد ، أخو بلحارث بن فهر . ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي ، وهو ابن العدوية . وكان من شياطين قريش ، وهو الذي قرن بين أبي بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما في جبل حين أسلما . فبذلك كانا يسميان ، القرينين : قتله علي بن أبي طالب - عليه السلام - يوم بدر . وأبو عمرو : قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . « وقوم عاتكة أظنة » بنو بكر بن عبد مناة ابن كنانة : فهؤلاء الذين عدد أبو طالب في شعره من العرب .

افتشار ذكر الرسول (ص) خارج مكة . فلما انتشر أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في العرب ، وبلغ البلدان ، ذكر بالمدينة ، ولم يكن حتى من العرب أعلم بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين ذكر ، وقبل أن يذكر من هذا الحي من الأوس والخزرج ، وذلك لما كانوا يسمعون من أخبار اليهود ، وكانوا لهم حلفاء ، ومعهم في بلادهم . فلما وقع ذكره بالمدينة ، وتحذثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال أبو قيس بن الأسلت . أخو بني واقف .

نسب ابن الأسلت : قال ابن هشام : نسب ابن إسحاق أبا قيس هذا هاهنا إلى بني واقف ، ونسبه في حديث الفيل إلى خطمة ، لأن العرب قد تنسب الرجل إلى أخى جده الذي هو أشهر منه .

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة أن الحكم بن عمرو الغفاري من ولد نعيمة أخى غفار ، وهو غفار بن مليل ، ونعيمة بن مليل بن ضمرة بن بكر بن منصور وسليم : ابن منصور .

قال ابن هشام : فأبو قيس بن الأسلت : من بني وائل ، ووائل ، وواقف وخطمة إخوة من الأوس .

• • • • •

شعر ابن الأسلت : قال ابن إسحاق : فقال أبو قيس بن الأسلت - وكان يحب قريشا ، وكان لهم صهرا ، كانت عنده أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى ، وكان يقيم عندهم السنين بامراته - قصيدة يعظم فيها الحرمه ، وينهى قريشا فيها عن الحرب ، ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ، ويذكر فضلهم وأحلامهم ، ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكرهم بلاء الله عندهم ، ودفعه عنهم الغيل وكيدهم عنهم ، فقال :

مغلغلة عنى لؤى بن غالب
على النأى محزون بذلك ناصب
فلم أفض منها حاجتى ومآربى
لها أزل من بين مذك وحاطب
وشر تباغيكم ودس العقارب
كوخز الأشافى وقمها حق صائب
وإحلال أحرام الظباء الشوارب
ذرو الحرب تذهب عنكم فى المراحب
هى الغول للأقصين أو الأثارب
وتبرى السديف من سنام وغارب
شليلا وأصداء ثياب المحارب
كأن قتييرها عيون الجنادب
وحوضاً وخيم الماء مر المشارب
بعاقبة إذا بينت ، إأم صاحب
ذوى العز منكم بالحتوف الصوائب
فتعتبروا أو كان فى حرب حاطب
طويل العماد ، ضيفه غير إخاب
وذى شيمة محض كريم المضارب
أذاعت به ريح الصبا والجنائب
بأيامها والعلم علم التجارب
حسابكم ، والله خير محاسب
عليكم رقيباً غير رب الشواقب

ياراكبا إما عرضت فبلغن
رسول امرئ قد راعه ذات بينكم
وقد كان عندى للهموم معرس
نبئتكم شرحين كل قبيلة
أعيدكم بالله من شر صنعكم
وإظهار أخلاق ، ونجوى سقيمة
فذكرهم بالله أول وهلة
وقل لهم - والله يحكم حكمه -
مق تبعثوها ، تبعثوها ذميمة
تقطع أرحاما ، وتهلك أمة
وتستبدلوا بالأتحمية بعدها
وبالمسك والكافور غربا سوابغا
فإياكم والحرب لاتعلقنكم
تزين للأقوام ، ثم يرونها
تحرق ، لاتشوى ضعيفا ، وتلتجى
ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس
وكم قد أصابت من شريف مسود
عظيم رماد النار يحمد أمره
وماء هريق فى الضلال كأنما
يخبركم عنها امرؤ حق عالم
فبيعوا الحراب لمحارب ، واذكروا
ولى امرئ ، فاختر دينا ، فلا يكن

لنا غاية قد يهتدى بالذوائب
تؤمون ، والأحلام غير عواذب
لكم سررة البطحاء شم الأرائب
مهذبة الانساب غير أشائب
عصائب هاسكي تهتدى بعصائب
على كل حال خير أهل الجبابب
وأقوله للحق وسط المواكب
باركان هذا البيت بين الأخشاب
غداة أبى يكسوم هادى الكتائب
على القاذفات فى رءوس المناقب
جنود المليك بين ساف وحاصب
إلى أهله م الحبش غير عصائب
يعاش بها ، قول امرئ غير كاذب

أقيموا لنا ديناً حنيفاً ، فأنتم
وأنتم لهذا الناس نور وعصمة
وأنتم - إذا ما حصل الناس - جوهر
تصنون أجساداً كراماً عتيقة
يرى طالب الحاجات نحو بيوتكم
لقد علم الأفوام أن سرانكم
وأفضله رأياً ، وأعلاه سنة
فقوموا ، فصلوا ربكم ، وتمسحوا
فعندكم منه بلاء ومصدق
كتيبته بالسمل تسمى ، ورجله
فلما أتاكم نصر ذى العرش ، ردهم
فولوا سراعا هاربين ، ولم يؤب
فإن تهلكوا ، نهلك وتهلك مواسم

قال ابن هشام : أنشدنى بيته : « وماء هريق » ، وبيته : « فبيعوا الخراب » وقوله : « ولى امرئ ، فاختر » ،
وقوله :

على القاذفات فى رءوس المناقب

أبو زيد الأنصارى وغيره .

حرب داحس والغبراء : قال ابن هشام : وأما قوله

ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس

فحدثنى أبو عبيدة النحوى : أن داحساً فارس كان لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحارث
ابن مازن بن قطيعة بن عيس بن بغيض بن ريث بن غطفان ، أجراء مع فارس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن زيد
ابن جوية بن لؤذان بن ثعلبة بن عدى بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، يقال لها : الغبراء .
فدس حذيفة قوماً وأمرهم أن يضربوا وجه داحس ، إن رأوه قد جاء سابقاً ، فجاء داحس سابقاً ، فضربوا
وجهه ، وجاءت الغبراء . فلما جاء فارس داحس أخبر قيساً الخبر ، فوثب أخوه مالك بن زهير ، فليطم وجه
الغبراء ، فقام حمل بن بدر ، فليطم مالكا . ثم إن أبا الجديب العيسى لقي عوف بن حذيفة فقتله ، ثم لقي رجلاً
من بنى فزارة مالكا فقتله فقال حمل بن بدر أخو حذيفة بن بدر :

فَمَلْنَا بِعُوفٍ مَالِكًا وَهُوَ ثَارِنَا فَإِنْ تَطَلَّبُوا مِنَّا سِوَى الْحَقِّ تَنَدَّمُوا
وهذا البيت في أبيات له . وقال الربيع بن زياد العبسي :
أَفْبَعِدَ مَقْتَلُ مَالِكِ بْنِ زَهِيرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
وهذا البيت في قصيدة له .

فوقعت الحرب بين عبس وفزارة ، فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر ، فقال قيس بن زهير بن جذيمة
برثى حذيفة ، وجزع عليه :

كَمْ فَارِسٌ يَدْعَى وَلَيْسَ بِفَارِسٍ وَعَلَى الْهَبَاءِ فَارِسٌ ذُو مَصْدَقٍ
فَابْكُوا حَذِيفَةَ إِنْ تَرْتَوْا مِثْلَهُ حَتَّى تَبِيدَ قِبَائِلُ لَمْ تَخْلُقِ
وهذان البيتان في أبيات له . وقال قيس بن زهير :

عَلَى أَنْ الْفَتَى حَمَلُ بْنُ بَدْرِ بَغَى ، وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخَيْمُ
وهذا البيت في أبيات له : وقال الحارث بن زهير أخو قيس بن زهير :

تَرَكْتُ عَلَى الْهَبَاءِ عَيْرَ فَخْرٍ حَذِيفَةَ عِنْدَهُ قَصْدُ الْوَالِي
وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن هشام : ويقال : أرسل قبس داحساً والذبراء ، وأرسل حذيفة الخطار والحنفاء ، والأول أصح
الحديثين . وهو حديث طويل من معنى من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حرب حاطب : قال ابن هشام : وأما قوله : « حرب حاطب » . فيعني حاطب بن الحارث بن قيس بن الحارث
ابن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، كان قتل يهودياً جاراً للخزرج ،
فخرج إليه يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحر بن حارث بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن
الخزرج -- وهو الذى يقال له : ابن وفسحيم ، فسحيم : أمه ، وهى امرأة من القين بن جهمر -- ليلاً فى نفر من بنى
الحارث بن الخزرج فقتلوه ، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فكان الظفر للخزرج
على الأوس ، وقتل يومئذ سويد بن صامت بن خالد بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك
ابن الأوس ، قتله المجذر بن زياد البلوى ، واسمه عبد الله ، حليف بنى عوف بن الخزرج . فلما كان يوم أحد
خرج المجذر بن زياد مع رسول الله -- صلى الله عليه وسلم -- وخرج معه الحارث بن سويد بن صامت ، فوجد
الحارث بن سويد غرة من المجذر فقتله بأبيه ، وسأذكر حديثه فى موضعه -- إن شاء الله تعالى -- ثم كانت بينهم
حروب من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت فى حديث حرب داحس .

شعر حكيم بن أمية فى نهى قومه عن عداوة الرسول : قال ابن إسحاق : وقال حكيم بن أمية بن حارثة

ابن الاوقص السلمي ، حليف لبني أمية وقد أسلم ، يورع قومه عما أجمعوا عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فيهم شريفاً مطاعاً :

هل قائل قولاً من الحق قاعد عليه ، وهل غضبان للرشد سامع
وهل سيد ترجو العشيرة نفعه لأقصى الموالى والأفارب جامع
تبرأت إلا وجهه من يملك الصبا وأهجركم ما دام مدل ونازع
وأسلم وجهي للإله ومنطقي ولو راعني من الصديق روائع

موقف الوليد من القرآن : وذكر خبر الوليد بن المغيرة وقوله : فيما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم من الوحى والقرآن : قد سمعنا الشعر فما هو بهزجه ، ولا رجزه والهزج من أعاريص الشعر معروف عند العروضيين ، ولا أعرف له اشتقاقاً إلا أن يكون من قولهم في وصف الذباب : هزج ، أى : مترنم ، وأما الرجز فيحتمل أن يكون من رجزت الحمل إذا عدلته بالرجازة ، وهو شيء يعدل به الحمل ، وكذلك الرجز في الشعر أشطار معدلة ، ويجوز أن يكون من رجزت الناقة إذا أصابها رعدة عند قيامها ، كما قال الشاعر : حتى تقوم تسكف الرجزاء فالمرتجز كأنه مرتعد عند إنشاده لقصر الأبيات .

وقوله : قد سمعنا السكهان ، فما هو بزمنة السكاهن ولا سجعته : الزمنة صوت ضعيف كنجو ما كانت الفرس تفعله عند شربها الماء ، ويقال أيضاً : زمزم الرعد ، وهو صوت له قبل الهدر ، وكذلك السكهان ، كانت لهم زمزمة الله أعلم بكيفيتها ، وأما زمزمة الفرس ، فسكانت من أنوفهم .

وقول الوليد : إن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة . استعارة من النخلة التي ثبت أصلها ، وقرى وطاب فرعها إذا جنى ، والنخلة هى : العذق بفتح العين ، ورواية ابن إسحاق أفصح من رواية ابن هشام ، لأنها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله ، ورواية ابن هشام : إن أصله لعنق ، وهو الماء الكثير ، ومنه يقال : غيدق الرجل إذا كثر بصاقه . وأحد أعمام النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يسمى : الغيداق لكثرة عطائه - والغيدق أيضاً ولد الضب ، وهو أكبر من الحسل قاله قطرب فى كتاب الأفعال والأسماء له .

ذرني ومن خلقت وحيداً : فصل : وذكر ابن إسحاق قول الله تعالى : « ذرني ومن خلقت وحيداً » الآيات التي نزلت في الوليد ، وفيها له تهديد ووعد شديد ، لأن معنى : « ذرني ومن خلقت » أى دعنى وإياه ، فسترى ما أصنع به ، كما قال : « فذرني ومن يكذب بهذا الحديث » وهى كلمة يقولها المغتاض إذا اشتد غيظه وغضبه ، وكره أن يشفع لمن اغتاض عليه ، فعنى الكلام : أى : لاشفاعة تنفع لهذا الكافر ، ولا استغفار يا محمد منك ، ولا من غيرك وقوله : « وبنين شهوداً » أى : مقيمين معه غير محتاجين إلى الأسفار والغيبة عنه ، لأن ماله كان ممدوداً والمال الممدود عندهم : اثنا عشر ألف دينار ، فصاعداً « ومهدت له تمهيداً » أى : هيأت له ، وقدمت له مقدمات استدراجاً له ، وقوله تعالى : « سأرهقه صعوداً » هى عقبة فى جهنم ، يقال لها : الصعود مسيرها سبعين سنة ، يكلف الكافر أن يصعد بها ، فإذا صعدها بعد عذاب طويل صب من أعلاها ، ولا يتنفس ، ثم لا يزال كذلك أبداً ، كذلك جاء فى التفسير .

وقوله سبحانه : « فقتل كيف قدر » أى : لعن كيفما كان تقديره فكيف ها هنا من حروف الشرط ، وقيل معنى قتل : أى هو : أهل أن يدعى عليه بالقتل ، وقد فسر ابن هشام : بسر والبسر أيضاً : القهر ، والبسر حمل الفحل على الناقاة قبل وقت الضراب . وفسر عضين ، وجعله من عضيت أى فرقت ، وفى الحديث : « لا تعضية فى ميراث إلا ما احتمله القسم » ومعنى هذا الحديث موافق لمذهب ابن القاسم ورأيه فى كل ما لا ينتقع به إذا قسم أو كان فيه ضرر على الشريكين ألا يقسم ، وهو خلاف رأى مالك ، وحجة مالك قول الله تعالى : « بما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً » وقد قيل فى عضين إنه جمع عضة ، وهى السحر وأنشدوا :

أعوذ بربى من النافثات فى عقد العاضه المعضه

ومنهم قولهم : ياللعضية ويا للأنفكة .

شرح قصيدة أبى طالب فى معاداة خصومه : وذكر قصيدة أبى طالب إلى آخرها ، وفيها : وأبيض عضب من تراث المقاول . قد شرحنا الأفعال والمقاول ، فيما تقدم ، وتراث أصله : وراث من ورث ، ولكن لا تبدل هذه الواو تاء إلا فى مواضع محفوظة ، وعلتها كثرة وجود التاء فى تصارييف الكلمة ، فالتراث مال قد تورث ، وتوارثه قوم عن قوم ، فالتاء مستعملة فى التوريث والتوارث ، وكذلك تجاه البيت ، التاء مستعملة فى التوجيه ونحوه ، فلما ألفوها فى تصارييف الكلمة لم ينكروا قلب الواو إليها ، كما فعلوا فى ربحان وهو من الروح لكثرة الياء فى تصارييف الكلمة ، كما قدمنا قبل ، وهى فى تراث وبابه أبعد ، لأن الياء المألوفة فى مادة الكلمة زائدة ، وياء ربحان ليست كذلك ، وكذلك التسكأة من توكت وتترى من التواتر ، والتولج من التولج والمتلج ، لأنهم يقولون : اتلج بالتشديد ، فتصير الواو تاء للإدغام ، حتى يقولوا : متلج فيجعلونها تاء دون الإدغام ، وهذا أشبه بقياس ربحان وبابه ، فإن التاء الأولى من متلج أصلية وهى فى متلج إذا ضعفت أصلية أيضاً ، فهى هى ، فقف على هذا الأصل ، فإنه سر الباب . وأراد بالمقاول : آباءه ، شبههم بالملوك ، ولم يكونوا ملوكا ، ولا كان فيهم من ملك بدليل حديث أبى سفيان حين قال له هرقل : هل كان فى آباءه من ملك ؟ فقال : لا . ويحتمل أن يكون هذا السيف الذى ذكر أبو طالب من هبات الملوك لأبيه ، فقد وهب ابن ذى يزن لعبد المطلب هبات جزلة حين وفد عليه مع قريش ، يهشونه بظفره بالحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعامين .

وقوله : موسمة الأعضاء أو فصراتها : يعنى معلة بسمه فى أعضادها ويقال لذلك الوسم السطاع والخباط فى الفخذ والرقعة أيضاً فى العضد ، ويقال للوسم فى الكشح : الكشاح ولما فى قصرة العنق : العلاء ، والمعلطان والشعب أيضاً فى العنق ، وهو كالحنجن ، وفى العنق وسم آخر أيضاً يقال له : قيد الفرس . قال الراجز :

كوم على أعناقها قيد الفرس تنجو إذا الليل تدانى والتبس

ولوسوم الإبل أسماء كثيرة وباب طويل ، ذكر أبو عبيد أكثره فى كتاب الإبل ، فمنها المشيطنة والمعفاة والقرمة وهى فى الأنف ، وكذلك الجرف والخطاف وهى فى العنق ، والدلو والماشط والفرتاج والثوثر والدماغ

في موضع الدمع ، والصداع في موضع الصدغ والجمام من الخد إلى العين ، يقال منه : بعير ملجوم ، والهلل والخراس وهو من الصدغ إلى الذقن .

وقوله : أو قصراتها جمع قصرة ، وهي أصل العنق ، وخفضها بالعطف على الأعضاء ، ولا يجوز أن تكون موضع نصب كما تقول : هو ضارب الرجل وزيداً في باب اسم الفاعل ، لأن قوله : موسمة الأعضاء من باب الصفة المشبهة وهي لا تعمل إلا مضمرة ، واسم الفاعل يضمّر إذا عطف على المخفوض ، وذلك أن الصفة لا تعمل بالمعنى ، وإنما تعمل بشبه لفظي بينها وبين اسم الفاعل ، فإذا زال اللفظ ، ورجح إلى الإضمار لم تعمل ، وتحالف اسم الفاعل أيضاً ، لأن معمولها لا يتقدم عليها ، كما يتقدم المفعول على اسم الفاعل ، وذلك أن منصوبها فاعل في المعنى ، والفاعل لا يتقدم ، والصفة لا يفصل بينها وبين منصوبها بالظرف ، ويجوز ذلك في اسم الفاعل ، والصفة لا تعمل إلا بمعنى الحال ، واسم الفاعل يعمل بمعنى الحال والاستقبال ، نعم ويعمل بمعنى الماضي إذا دخلت عليه الألف واللام ، ولو روى : موسمة الأعضاء بنصب الدال على معنى : موسمة الأعضاء بالتنوين ، وحذفه لالتقاء الساكنين ، لجاز كما روى في شعر حندج - [امرئ القيس]
كمبكر مقاناة البياض

بالنصب وبالرفع أيضاً ، أى : البياض منها على نية التنوين في مقاناة ، وحذفه لالتقاء الساكنين ، وأما خفض فلا خفاء نه ، وإذا كانت القصرات مخفوضة بالعطف على الأعضاء ، ففيه شاهد لمن قال : هو حسن وجهه كما روى سيديويه حين أنشد : [للشماخ بن ضرار] .

كميتا الأعلى جوتنا مصطلاهما

وفي حديث أم زرع : صفر رداؤها ، وملء كسائها مثل حسنة وجهها ، وفي الأماي من صفة النبي صلى الله عليه وسلم : شثن الكفين طويل أصابعه ، أعنى : مثل صفر رداؤها .

وقوله : ترى الودع فيه . الودع ، والودع بالسكون والفتح : خرزات تنظم ، ويتجلى بها النساء والصبيان كما قال :

والحلم حلم صبي يمرس الودعة

وقال الشاعر :

مثل الجمال عليها يحمل الودع
ولا الجمال بحمل الودع تنتفع

إن الرواة بلا فهم لما حفظوا
لا الودع ينفعه حمل الجمال له

ويقال : إن هذه الخرزات يقذفها البحر ، وأنها حيوان في جوف البحر ، فإذا قذفها مانت ، ولها بريق ولون

حسن ، وتصلب صلابة الحجر ، فثقب ، ويتخذ منها القلائد ، واسمها مشتق من ودعته أى : تركته ، لأن البحر ينصب عنها ويدعها ، فهى ودع مثل قبض ونفض ، وإذا قلت الودع بالسكون فهى من باب ماسمى بالمصدر .

وقوله : والرخام أى : ما قطع من الرخام ، فنظم وهو حجر أبيض ناضع : والعنا كل : أراد العناكيل ، خذف الياء ضرورة كما قال ابن مضاى : وفيها العصافر ، أراد : العصافير ، وفى أول القصيدة : وقد حالقوا قوماً علينا أظنة أى متهمين ، ولو كان بالاضاد مع قوله : علينا ، لعاد معناه مدحاً لهم ، كأنه قال : أشحه علينا ، كما أنشد عمرو بن بحر [الجاحظ] :

لو كنت فى قوم عليك أشحة
عليك إلا إن من طاح طائح
يودون لو خاطوا عليك جلودهم
وهل يدفع الموت النفوس الشحائح

وفيهـا :

وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه
وراق ليرقى فى حراء ونازل

ثور : جبل بمكة ، وثبير : جبل من جبالها ذكروا أن ثبيراً كان رجلاً من هذيل مات فى ذلك الجبل ، فعرف الجبل به ، كما عرف أبو قبيس بقبيس بن شالح رجل من جرهم ، كان قد وشى بين عمرو بن مضاى ، وبين ابنة عمه مية ، فنذرت ألا تكلمه ، وكان شديد الكف بها ، خلف ليقتلن قبيساً ، فهرب منه فى الجبل المعروف به ، وانقطع خبره فإما مات ، وإما تردى منه ، فسمى الجبل : أبا قبيس وهو خبر طويل ذكره ابن هشام فى غير هذا الكتاب .

وقوله : وراق ليرقى قد تقدم القول فيه ، وأصح الروايتين فيه : وراق لير فى حراء ونازل . قال البرقى . هكذا رواه ابن إسحاق وغيره ، وهو الصواب . قال المؤلف ، فالوهم فيه إذأ من ابن هشام ، أو من البكاى . والله أعلم .

وقوله : وبالحجر الأسود ، فيه زحاف يسمى : الكف ، وهو حذف النون من مفاعيلن وهو بعد الواو من الأسود ونحوه قول حندج [امرئ القيس]

ألا رب يوم لك منهن صالح

وموضع الزحاف بعد اللام من ذلك .

وقوله : إذا اكتشفوه بالضحى والأصائل . والأصائل : جمع أصيلة ، والأصل جمع أصيل ، وذلك أن فعائل جمع فعلية ، والأصيلة : لغة معروفة فى الأصل ، وظن بعضهم أن أصائل : جمع آصال على وزن أفعال ، وآصال : جمع أصل نحو أطناب وطنب ، وأصل : جمع أصيل مثل رغف : جمع رغيف ، فأصائل على قولها : جمع جمع الجمع ، وهذا خطأ بين من وجوه ، منها : أن جمع جمع الجمع لم يوجد قط فى الكلام ، فيكون هذا نظيره ، وعن جهة

القياس إذ كانوا لا يجمعون الجمع الذي ليس لأدنى العدد ، فأحرى ألا يجمعوا جمع الجمع ، وأبين خطأ في هذا القول غفلتهم عن الهمزة التي هي فاء الفعل التي في أصيل وأصل ، وكذلك هي فاء الفعل في أصائل ، لأنها فعائل ، وتوهموها زائدة كالتى في أفاويل ، ولو كانت كذلك كانت الصاد فاء الفعل ، وإنما هي عينه ، كما هي في أصيل وأصل ، فلو كانت أصائل جمع أصل ، مثل أقوال وأفاويل لاجتمعت همزة الجمع مع همزة الأصل ولقالوا فيه ، أو أصيل بتسهيل الهمزة الثانية ، ووجه آخر من الخطأ بين أيضاً ، وهو أن أفاعيل جمع أفعال ، لا بد من ياء قبل آخره ، كما قالوا في أفاويل ، فكان يكون أو أصيل ، وليس في أصائل حرف مدولين قبل آخره إنما هي همزة فعائل ، ومن الخطأ في قولهم أيضاً : أن جعلوا أصلاً جمعاً كثيراً مثل رغف ، ثم زعموا أن أصالاً جمع له ، فهم بمنزلة من قال في رغف جمع أرغاف ، فإن قيل : فجمع أى شيء هي أصال ؟ قلنا : جمع أصل الذى هو اسم مفردا في معنى الأصائل لا جمع أصل الذى هو جمع ، فإن قيل : فهل يقال أصل واحد ، كما يقال أصيل وحدا ؟ قلنا : قد قال بعض أرباب اللغة ذلك ، واستشهدوا بقول الأعشى :

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

أى : دنا الأصيل ، فإن صح أن الأصل بمعنى الأصيل ، وإلا فصالح جمع أصيل على حذف الياء الزائدة مثل طوى وأطواء ، ولا أعرف أحداً قال هذا القول أعنى جمع الجمع غير الزجاجى وابن عزيز .

وقوله : وموطئ إبراهيم فى الصخر رطبة . يعنى موضع قدميه حين غسلت كنته (زوج ابنه) رأسه ، وهو راكب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليغسل ، وكانت سارة قد أخذت عليه عهداً حين استأذنها فى أن يطالع تركته بمكة ، فخاف لها أنه لا ينزل عن دابته ، ولا يزيد على السلام ، واستطلاع الحال غير من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة أبى الله فيها أثر قدمه آية . قال الله سبحانه : « فيه آيات بينات مقام إبراهيم » أى : منها مقام إبراهيم ، ومن جعل مقاماً بدلاً من آيات ، قال : المقام جمع مقامة ، وقيل : بل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه .

وقوله : بين المروتين : وهو كمنحو ما تقدم فى بطن المكتتين والحميتين وعنيزتين ، بما ورد مثنى من أسماء المواضع ، وهو واحد فى الحقيقة ، وذكرنا بالعلة فى بحبثه مثنى ومجموعاً فى الشعر . وفيها قوله :

وبالمشعر الأفضى إذا قصدوا له إلالا . . . البيت .

فالمشعر الأفضى : عرفة ، وإلالا : جبل عرفة . قال النابغة :

يزرون إلالا سيرهن التدافع

وسمى : إلالا لأن الحجاج إذا رأوه ألوا فى السير أى : اجتهدوا فيه ؛ ليدركوا الموقف قال الراجز :

(م ٤ - الروض الأنف ، والسيرة . ج ٢)

مهر أبي الجحباب لا تشلى بارك فيه الله من ذى آل

والشراج : جمع شرج ؛ وهو مسيل الماء ؛ والقوابل : المتقابلة . وفيها قوله : وحطمهم سمر الصفاح : جمع صفح ؛ وهو سطح الجبل . والسمر يجوز أن يكون أراد به السمر . يقال فيه : سمر وسمر بضم الميم وسكونها ويجوز نقل ضمة الميم إلى ما قبلها إلى السين . كما قالوا في حسن : حسن . وكذا وقع في الأصل بضم السين ، غير أن هذا النقل إنما يقع غالباً فيما يراد به المدح أو الذم نحو حسن وقبح . كما قال : وحسن ذا أدبا . وجاز أن يراد بالسمر ههنا جمع أسمر وسمرء ويكون وصفاً للنبات ، والشجر يوصف بالدهمة إذا كان مخضراً ، وفي التنزيل « مداهمتان » . أى : خضراوان إلى السواد .

وقوله : وشبرقة . وهو نبات يقال لياسته : الحل ، والرطبة : الشبرق .

وقوله : نبذى محمداً أى نسلبه ونغلب عليه .

وقوله : نهوض الروايا . هى الإبل تحمل الماء واحدها : راوية ، والأسقية أيضاً يقال لها : روايا ، وأصل هذا الجمع : رواوى ثم يصير في القياس : روائى مثل حوائل جمع : حول ، ولكنهم قلبوا الكسرة فتحة بعد ما قدموا الياء قبلها ، وصار وزنه . فوالع ، وإنما قلبوه كراهية اجتماع واوين ، واو فواعل ، والواو التى هى عين الفعل ، ووجه آخر ، وهو أن الواو الثانية قياسها أن تنقلب همزة في الجمع لوقوع الألف بين واوين ، فلما انقلبت همزة قلبوها ياء ، كما فعلوا في خطايا وبابه ، وبما الهمزة فيه معترضة في الجمع ، والصلاصل . المزايدات لما صلاصلة بالماء .

وفيها قوله : غير ذرب مواكل . وهو مخفف من ذرب والذرب ، اللسان الفاحش المنطق ، والمواكل الذى لا جدد عنده فهو يكل أموره إلى غيره .

وفيها قوله : ثمال اليتامى ، أى : يشملهم ، ويقوم بهم ، يقال : هو ثمال مال أى يقوم به .

وفيها : قوله ليظعننا في أهل شاء وجامل . الشاء والشرى : اسم للجمع مثل الباقر والبقر ، ولا واحد لشاء والشوى من لفظه ، وإذا قالوا في الواحد : شاة ، فليس من هذا ، لأن لام الفعل في شاة هاء بدليل قولهم في التصغير : شوية ، وفي الجمع شياه ، والجامل اسم جمع بمنزلة الباقر .

وقوله : وكنتم زمانا حطب قدر : حطب اسم للجمع مثل ركب وليس بجمع ، لأنك تقول في تصغيره : حطيب وركيب .

وقوله : خطاب أقدر : هو جمع حاطب فلا يصغر ، إلا أن ترده إلى الواحد ، فتقول : حويطبون ، ومعنى البيت : أى كنتم متفقين لا تحطبون إلا لقدر واحدة ، فأنتم الآن بخلاف ذلك .

وفيها قوله : من الأرض بين أخشب ، فجادل . أراد الأخشاب ، وهى جبال مكة ، وجاء به على أخشب ، لأنه في معنى أجبل ، مع أن الاسم قد يجمع على حذف الزوائد كما يصغرونه كذلك ، والمجادل : جمع مجدل وهو ،

القصر ، كأنه يريد ما بين جبال مكة ، فقصور الشام أو العراق ، والفاء من قوله : فجادل تعطى الاتصال بخلاف الواو ، كقوله بين الدخول وخومل ، وتقول : مطرنا بين مكة فالمدينة إذا اتصل المطر من هذا إلى هذه ، ولو كانت الواو لم تعط هذا المعنى .

وقوله : أولى جدل من الخصوم المساجل يروى بالجيم وبالحاء فمن رواه بالجيم فهو من المساجلة في القول ، وأصله في استقاء الماء بالسجل ، وصبه فكانه جمع مساجل على تقدير حذف الألف الزائدة من مفاعل ، أو جمع مسجل بكسر الميم ، وهو من نعت الخصوم ، ومن رواه المساحل بالحاء ، فهو جمع مسحل وهو اللسان ، وليس بصفة للخصوم ، إنما هو مخفوض بالإضافة ، أى ، خصماء الألسنة . وقال ابن أحرر :

من خطيب إذا ما انحل مسحله

أى : لسانه وهو أيضا من السحل وهو الصب ، ومنه حديث أيوب حين فرج عنه ، فجاءت سحابة فسحلت في ييدره ذهباً ، وجاءت أخرى فسحلت في البيدر الآخر فضة .

فصل : وفيها :

لقد سفهت أحلام قوم تبادلوا بنى خلف قيضاً بنا والغياطل

قيضاً أى : معاوضة ، ومنه قول النبي عليه السلام لذى الجوشن ، إن شئت فايبضت بك به المختار من دروع بدر ، فقال : ما كنت لأقيضه اليوم بشيء يعنى ، فرساً له ، يقال له ، ابن القرهاء . وقال أبو الشيص :

لا تنكرى صدى ولا إعراضى ليس المقل عن الزمان براض

بدلت من برد الشباب ملأه خلقاً وبش مشوبة المقتاض

والغياطل : بنو سهم ، لأن أهمهم الغيطة ، وقد تقدم نسبها ، وقيل : إن بنى سهم سموها بالغياطل ، لأن رجلاً منهم قتل جانا طاف بالبيت سبعاً ، ثم خرج من المسجد فقتله ، فأظلمت مكة ، حتى فزعوا من شدة الظلمة إلى أصابتهم . والغيطة : الظلمة الشديدة ، والغيطة أيضاً : الشجر الملتف ، والغيطة : اختلاط الأصوات ، والغيطة : البقرة الوحشية ، والغيطة : غلبة النعاس ، وقوله : يخس شعيرة ، أى : ينقص ، والخسيس : الناقص من كل شيء . ويروى في غير السيرة : يحص بالصاد والحاء مهمة من حص الشعر : إذا أذهب . وقوله : من كل طمل وخامل : الطمل . اللص ، كذا وجدته في كتاب أبي بحر ، وفي العين . الطمل الرجل الفاحش ، والطمل والطملال . الفقير . والطمل . الذئب . وقوله : لقحة غير بأهل . الباهل . الناقة التى لا صرار على أخلافها ، فهى مباحة الحلب يقال . وناقصة مصرورة ، إذا كان على خلفها صرار يمنع الفصيل من أن يرضع ، وإيست المصراة بمعنى المصرورة ، وله التى جمع لبنها في ضرعها ، فهو من الماء الصرى ، وقد غلط أبو على في البارع ، فجعل المصراة بمعنى المصرورة ، وله وجه بعيد ، وذلك أن يحتج له بقلب إحدى الراءين ياء مثل ، قصيت أظفارى ، غير أنه بعيد في المعنى ، وقالت

امراة المغيرة تعاتب زوجها ، وتذكر أنها جاءته كالنافقة الباهلة التي لا صرار على أخلافها ، أطعمتك مأدوى وأبشئت مكثومي ، وجئت بك باهلا غير ذات صرار ، وفي الحديث ، لا تورد الإبل بهلا ، فإن الشياطين ترضعها ، أي ، لا أصرة عليها .

وفيها قوله : براء لإينا من معقة خاذل . يقل قوم براء وبراء بالفتح : وبراء بالسكسر ، فأما براء بالسكسر فجمع برى ، مثل كريم وكرام ، وأما براء فصدر ، مثل سلام والهمزة فيه وفي الذي قبله لام الفعل ، ويقال : رجل براء ورجلان براء ، وإذا كسرتها أو ضمتها لم يحذف الألف في الجمع ، وأما براء بضم الباء : فالأصل فيه براء مثل كرماء فاستثقلوا اجتماع الهمزتين ، فحذفوا الألف الأولى ، وكان وزنه فعلاء ، فلما حذفوا التي هي لام للفعل صار وزنه فعاء ، وأنصرف لأنه أشبه فعلا ، والنسب إليه إذا سميت به ، براوى ، والنسب إلى الآخرين برأى وبرأى ، [بفتح الباء وكسرها] وزعم بعضهم إلى أن براء بضم أوله من الجمع الذي جاء على فعال ، وهي ثمانية ألفاظ ، فبرير وفرار وعرن وعران ، ولم يصنع شيئا ، وقال النحاس : براء بضم الباء .

حديث الاستسقاء : وذكر حديث استسقاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة ، وهو حديث مروى من طرق كثيرة ، وبألفاظ مختلفة .

وقوله : حتى أتاه أهل الضواحي يشكون الغرق . الضواحي : جمع ضاحية ، وهي الأرض البراز التي ليس فيها ما يكن من المطر ، ولا منجاة من السيول ، وقيل : ضاحية كل بلد ، خارجه . وقوله عليه السلام ، اللهم حوالينا ، ولا علينا ، كقوله في حديث آخر ، اللهم منابت الشجر ، وبطون الأودية ، وظهور الآكام ، فلم يقل ، اللهم ارفعه عنا - هو من حسن الأدب في الدعاء ، لأنها رحمة الله ، ونعمته المطلوبة منه ، فكيف يطلب منه رفع نعمته ، وكشف رحمته ، وإنما يستل سبب حاجته كشف البلاء ، والمزيد من النعماء ، فتمه تعليم كيفية الاستسقاء . وقال اللهم منابت الشجر ، ولم يقل ، اصرفها إلى منابت الشجر ، لأن الرب تعالى أعلم بوجه اللطف ، وطريق المصلحة كان ذلك بمطر أو بندي أو طل ، أو كيف شاء ، وكذلك بطون الأودية ، والقدر الذي يحتاج إليه من ماءها .

فإن قيل : كيف قال أبو طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ولم يره قط استسقى ، وإنما كانت استسقاءاته عليه السلام بالمدينة في سفر وحضر ، وفيها شهود ما كان من صرعة لإجابة الله له .

فالجواب : أن أبا طالب قد شاهد من ذلك أيضاً في حياة عبد المطلب مادله على ما قال ، روى أبو سليمان حمد ابن محمد بن إبراهيم البستي النيسابوري ، أن رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم قالت : تتابعني على قریش سنو جدد قد أقحلت اللطف ، وأرقت العظم ، فبينما أنا رافدة اللهم ، أو مهدمة ، ومعنى صنوى إذ أنا بهاتف صيت يصرخ

يصوت صجل يقول : يامعشر قريش إن هذا النبي المبعوث منكم ، هذا إبان نجومه ، فحى هلا بالحيا والخصب ، ألا فانظروا منكم رجلا طوالا عظاماً أبيض فظاً ، أشم العرين ، له غر يكظم عليه . ألا فليخلص هو وولده ، وليدلف إليه من كل بطن رجل ، ألا فليشنوا من الماء ، وليمسوا من الطيب ، وليطوفوا بالبيت سبعاً ، ألا وفيهم الطيب ، الطاهر لذاته ، ألا فليدع الرجل ، وليؤمن القوم ، ألا فغشتم أبدأ ما عشتم . قالت : فأصبحت مذعورة قد قف جلدي ، ووله عقي ، فافتصصت رؤياي ، فوالحرمة والحرم إن بقي أبطحى إلا فال : هذا شية الحمد ، وتامت عنده قريش ، وانفض إليه الناس من كل بطن رجل ، فشئوا ومشوا واستلبوا واطوفوا ، ثم ارتقوا أبا قبيس ، وطفق القوم يدفون حوله ، ما إن يدرك سبعهم مهلة ، حتى قروا بذرورة الجبل ، واستكفوا جناييه ، فقام عبد المطلب ، فاعتضد ابن ابنه محمداً - صلى الله عليه وسلم - فرفعه على عاتقه ، وهو يومئذ غلام قد أيفع ، أو قد كرب ، ثم قال : اللهم ساد الخلة ، وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ، ومسئول غير مبخل ، وهذه عبداؤك وإماؤك بعذرات حرمك يشكون إليك سنتهم ، فاسمعن اللهم ، وأمطرن علينا غيثاً مريعاً مغدقاً ، فما راموا - والبيت - حتى انفجرت السماء بمثلها ، وكظ الوادى بشيجه . رواه أبو سليمان عن ابن الأعرابي . قال : حدثنا محمد بن علي بن البحترى ، حدثنا يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، حدثنا عبد العزيز بن عمران ، عن ابن حويصة ، قال يحدث مخزومة بن نفيل عن أمه رقيقة بنت أبي صفيى وذكر الحديث . ورواه بإسناد آخر إلى رقيقة ، وفيه : ألا فانظروا منكم رجلاً وسيطاً عظاماً جساماً أوطف الأهداب ، وأن عبد المطلب قام ومعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أيفع أو كرب ، وذكر القصة .

وذكر ابن هشام كل من سماه أبو طالب في قصيدته ، أو أشار إليه ، وعرف بهم تعريفاً مستغنياً عن المزيد .

ابن الألسل : وذكر قصيدة أبي قيس صفيى بن الألسل ، واسم الألسل : عامر ، والألسل : هو الشديد الفطس يقال : سلت الله أنفه ، ومن السلت حديث بشر بن عاصم حين أراد عمر أن يستعمله ، فلما كتب له عهده أبي أن يقبله ، وقال : لا حاجة لى به . لاني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : إن الولاة يحاء بهم يوم القيامة ، فيقفون على جسر جهنم ، فمن كان مطاوعاً لله تناوله يمينه حتى ينجيه ، ومن كان عاصياً لله انخرق به الجسر إلى واد من نار تلتبب التهاباً ، قال : فأرسل عمر إلى أبي ذر ، وإلى سليمان ، فقال لآبي ذر : أنت سمعت هذا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : نعم والله ، وبعد الوادى واد آخر من نار . قال : وسأل سليمان ، فكره أن يخبره بشيء ، فقال عمر : من يأخذها بما فيها ؟ فقال أبو ذر . من سلت الله أنفه وعينييه ، وأضرع خده إلى الأرض . ذكره ابن أبي شية .

قصيدته : وأول القصيدة : يارا كبا إما عرضت قبلغن . البيت . المغلغة : الداخلة إلى أقصى ما يراد يلوغه منها ، ومنه تغلغل في البلاد : إذا بالغ في الدخول فيها ، وأصله : تغلل ومغللة ، ولكن قلبوا لإحدى اللامين غيتاً ،

كما فعلوا في كثير من المضاعف ، وأصله من الغلال والغلالة ، فأما الغلل فماء يستره النبات والشجر ، وأما الغلالة فساترة لما تحتها .

وفيهما نبييتكم شرحين . أى : فريقين مختلفين ، ونبييتكم لفظ مشكل ، وفي حاشية الشيخ : نبييتكم شرحين ، وهو بين في المعنى ، وفيه زحاف خرم ، ولكن لا يعاب المعنى بذلك ، وأما لفظ التبيت في هذا البيت ، فبعيد من معناه ، والأزمل : الصوت ، والمذكى : الذى يوقد النار ، والحاطب : الذى يحطب لها ، ضرب هذا مثلاً لنار الحرب ، كما قال الآخر :

أرى خلل الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب أولها الكلام

وقوله : هى الغول للأدنى ، أى : هى الهلاك ، يقال : الغضب . غول الحلم ؛ أى يهلكه ، والغول بفتح الغين . وجع البطن ، قاله البخارى في تفسير قوله ، « لا فيها غول » . وقوله : وإحلال الطباء الشواذب أى ، إن بلد كم بلد حرام تأمن فيه الطباء الشواذب التى تأتية من بعد ، لتأمن فيه فهى شاذبة أى ، ضامرة من بعد المسافة ، وإذا لم تحلوا بالطباء فيه فأحرى ألا تحلوا بدمائكم ، وإحرام الطباء ، كونها فى الحرم ، يقال لمن دخل فى الشهر الحرام ، أو فى البلد الحرام ، محرم . والأتحمية . ثياب رفاق تصنع باتين ، والشليل . درع قصيرة ، والأصداء . جمع صدأ الحديد ، والقتير . حلق الدرع شبهها بعيون الجراد ، وأخذ هذا المعنى التثوخي فقال :

كأثواب الأراقم مزقتها فخاطتها بأعينها الجراد

وقوله في وصف الحرب .

تزين للأقوام ، ثم يرونها بعاقبة إذ بيتت أم صاحب
هو كقول عمرو بن معدى كرب :

الحرب أول ما تكون فتية تسعى بيزتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ولت عجوزا غير ذات خليل
شمطاه جزت رأسها ، فتشكرت مكروهة للشـم والتقبيل

فقوله . أم صاحب ، أى عجوزا كأم صاحب لك ، إذا لا يصحب الرجل إلا رجلاً فى سنه ، وفى جامع البخارى . كانوا إذا وقعت الحرب يأمرؤن بحفظ هذه الأبيات ، يعنى : أبيات عمرو المتقدمة .

وقوله : ألم تعلموا ما كان في حرب داحس . يذكر معنى داحس إذا ذكره ابن إسحاق بعد هذه القصيدة إن شاء الله تعالى .

وقوله فيها : ولي امرئ فاختار ديناً فإنما . أى : هو ولي امرئ اختار ديناً ، والفاء زائدة على أصل أبى الحسن ، قال في قولهم : زيدا فاضرب : الفاء معلقة أى : زائدة ، ومن لا يقول بهذا القول يجعل الفاء عاطفة على فعل مضمر ، كأنه قال : ولي امرئ تدين ، فاختار ديناً ، أو نحو هذا ، وقد تقدم شرح باقى القصيدة فى آخر قصة الحبشة .

وقال فيها : كريم المضارب ، وفى حاشية كتاب الشيخ : لعله الضرائب ، يريد : جمع ضريبة ، ولا يبعد أيضاً أن يكون قال : المضارب . يريد أن مضارب سيوفه غير مذمومة ، ولا راجعة عليه إلا بالثناء والحمد والوصف بالمكارم .

وفى قولها : وما هريق فى الضلال . وروى : فى الضلال جمع صلة ، وهى الأرض التى لا تمسك الماء . أى رب ماء هريق فى الضلال من أجل السراب ، لآية لا بهريق ماء من أجل السراب إلا ضال غير يميز بمواضع الماء ، وأذاعت به ، أى : بددته ، فلم يفتتح به ، وهذا مثل ضربه للنظر فى عواقب الأمور ، وروى : وما أهريق فى أمر ، ومعناه : والذى أهريق فى أمر الضلال ، فوصل ألف القطع ضرورة ، ويقال : أريق الماء ، وأهريق بالجمع بين الهمزة والهاء ، وهى أفليها ، ولتعليها موضع غير هذا .

وقوله فيها : بين ساف وحاصب : السافى : الذى يرمى بالتراب ، والحاصب الذى يقذف بالحصباء .

وفى ذكر الجباب ، وهى منازل منى . كذا قال ابن إسحاق ، وقال البرقي : هى حفر بمنى ، يجمع فيها دم البدن ، والهدايا ، والعرب تعظمها وتقهر بها ، وقيل : الجباب : الكروش . يقال : كرش : جبجة بفتح الجيم ، والذى تقدم واحده : جبجة بالضم .

حرب داحس والفرء : وذكر حديث حرب داحس مختصراً ، وداحس : اسم فرس كان لقيس بن أبى زهير ، ومعنى داحس : مدحوس كما قيل : ماء دافق ، أى : مدفوق ، والدخس : إدخال اليد بقوة فى ضيق ، كما روى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر بسلام يسأل شاة ، فأمره أن يتنحى ليريه ، ثم دحس عليه السلام بيده بين الجلد والحم ، حتى بلغ الإبط ثم صلى ، ولم يتوضأ فداحس : سمي بهذا الاسم ، لأن أمه كانت لرجل من بنى تميم ، ثم من بنى يربوع اسمه : قرواش بن عوف ، وكان اسم الفلّس : جلوى ، وكان ذو العقل فرساً عتيقاً لحوط بن جابر ، فخرجت به فتانان له ، لتسقياه ، فبصر بجلوى ، فأدلى حين رآها ، فضحك غلبة كانوا هناك ، فاستحييت الفتانان ، ونكستا رأسهما ، فأقلت ذو العقل حتى نزا على جلوى ، وفيل ذلك لحوط فأقبل مغضباً ، وهو يسعى حتى ضرب بيده فى التراب ، ثم دحسها فى رحم الفرس : فسطا عليها ، فأخرج ماء الفحل منها :

واشتملت الرحم على بقية الماء ، وحملت بمهر فسموه : داحساً ، وأظهر ما فيه أن يكون مثل . لابن وتامر ، وأن لا يكون فاعلاً بمعنى مفعول ، فهو داحس بن ذى العتال بن أعوج الذى تنسب إليه الخيل الأعوجية فى قول بعضهم ، وقد تقدم غير هذا القول — ابن سبل ، وكان لخن بن يعصر ، وفيه يقال :

إن الجواد بن الجواد بن سبل إن ديموا جاد وإن جاد وبيل
وفى ذى العقال يقول جرير :

تمسى جياذ الخيل حول ييوتنا من آل أعوج : أو لذى العقال
وأنشد :

أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الاطهار
وفيه إقواء : وهو حذف نصف سبب من القسم الأول ، وقد تكلمنا على معنى الإقواء قبل ،
وأما اختلاف القوافى فيسمى : اكتفاء ، وإقواء أيضاً لأنه من الكف ، فكانه جعل الرفع كفتاً
للخفض ، فسوى بينهما .
وفيه قوله :

ترجو النساء عواقب الاطهار

كقول الاخطل :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

فيقال : إن حرب داحس دامت أربعين سنة ، لم تحمل فيها أنثى ، لأنهم كانوا لا يقربون النساء ماداموا
محاربين ، وذكر الأصمعي أن حرب داحس كانت بعد يوم جيلة بأربعين سنة ، وقد تقدم يوم جيلة ، وأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولد فى تلك الايام وقال لبيد :

وغنيت حرساً قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود

وكان لبيد فى حرب جيلة ابن عشر سنين ، وقوله ، حرساً أى ، وقتاً من الدهر ، ويروى سبتاً والمعنى واحد
وكان لإجراء داحس والغبراء على ذات الإصناد = موضع فى بلاد فزارة - وكان آخر أيام حرب داحس بقلبي
من أرض قيس ، وهناك اصطاحت عبس ومنولة ، وهى أم بنى فزارة ، شخ وعدى ومازن ، فيقال لهذا الموضع :

ذكر مآلقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

سفهاء قريش يأذونه : قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذى أصابهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، سفهاءهم ، فكذبوه ، وأذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لأمر الله لا يستخفى به ، مباد لهم ما يكرهون من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم .

أشد ما أؤذى به الرسول : قال ابن إسحاق : فحدثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال ، قلت له ، ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما كانوا يظهرون من عداوته ؟ قال ، حضرتهم ، وقد اجتمع أشرافهم يوماً فى الحجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط : سفه أحلامنا ، وشتم آبائنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا : فبينما هم فى ذلك إذ طلع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ، قال : فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ، ثم قال : أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما الذى نفسى بيده ، لقد جئتكم بالذبح . قال : فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر وافع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفوه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنت جهولاً . قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادا لكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم فى ذلك طلع عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوثبوا إليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به ، يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ؟ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا الذى أقول ذلك ، قال : فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بجميع رذاته .

قلهى ، وأما قلهى فوضع بالحجاز ، وفيه اعتزل سعد بن أبي وقاص حين قتل عثمان ، وأمر ألا يحدث بشئ من أخبار الناس ، وألا يسمع منها شيئاً ، حتى يصطالحوا ، ويقال ، إن الحنفاء كانت فرس حذيفة ، وأنها أجريت مع الغبراء ذلك اليوم . قال الشاعر :

إذا كان غير الله للمرء عدة أتته الرزايا من وجوه الفوائد
فقد جرت الحنفاء حتف حذيفة وكان يراها عدة للشدائد

وأما حرب حاطب الذى ذكره ، فهى حرب كانت على يد حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الأوس ، فنسبت إليه وكانت بين الأوس والخزرج .

(م هـ - الروض الأنف ، والسيرة . ج ٢)

قال : فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه ، وهو يبكى ويقول : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً نالوا منه قط .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض آل أم كلثوم ابنة أبي بكر ، أنها قالت : رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه ، مما جبذوه بلحيته وكان رجلاً كثير الشعر .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم : أن أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ، لا حر ولا عبد ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله ، فتدثر من شدة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى عليه : « يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، » .

إسلام حمزة رضى الله عنه

سبب إسلامه : قال ابن إسحاق : حدثني رجل من أسلم ، كان واعية : أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، ومولاة لعبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة في مسكن لها تسمع ذلك ؛ ثم انصرف عنه ، فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة فجلس معهم ، فلم يلبث حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه أن أقبل متوشحاً قوسه ، راجعاً من قنص له ، وكان صاحب قنص يرميه ، ويخرج له ، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله ، حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف ، وسلم ، وتحدث معهم ، وكان أعز فتى في قريش ، وأشد شكيمة ، فلما مر بالمولاة ، وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته قالت له : يا أبا عمار ، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم بن هشام : وجده هاهنا جالساً ، فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ، ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم .

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ، ولم يقف على أحد ، معداً لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه ، رفع القوس فضربه بها ، فشججه شجة منكرة ، ثم قال : أتشتمه ، فأنا على دينه أقول ما يقول ؟ ! فرد ذلك على إن استطعت . فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة . لينصروا أبا جهل . فقال أبو جهل : دعوا أبا عمار . فإني والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحاً ، وتم حمزة رضى الله عنه على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه . فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع ، وأن حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا يتالون منه .

عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي ، قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيداً ، قال يوماً وهو جالس في نادى قريش ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في المسجد وحده ، يامعشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه ، وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ، فنعطيه أيها شاء ، ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يزيدون ويكثر ، فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم إليه ، فكلّمه ، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أثبت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم وسفّتهم به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال : فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليد ، أسمع ، قال : يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمرنا دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رزقاً رزاه لا نستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، أو كما قال له ، حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستمع منه ، قال : أفد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال فاسمع مني ، قال : أفعل ، فقال « بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً ، فأعرض أكثرهم ، فهم لا يسمعون ، وقالوا : قلوبنا في أكنة بما تدعوننا إليه » . ثم مضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما ، يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك .

رأى عتبة : فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نخلف بالله : لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورأيت أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة . يامعشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي ، واخلوا بين هذا الرجل ، وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب ، فملككم ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم .

قريش تفتن المسلمين : قال ابن إسحاق : ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال

والنساء ، وقريش تحبس من قدرت على حبسه ، وتمتن من استطاعت فتنته من المسلمين ، ثم إن أشراف قريش من كل قبيلة - كما حدثني بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير ، وعن عكرمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال :

زعماء قريش تفاوض الرسول (ص) : اجتمع عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبوسنيان بن حرب ، والنضر بن الحارث ، أخو بني عبد الدار ، وأبو البختری بن هشام ، والأسود بن المطلب بن أسد ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المفيرة ، وأبو جهل بن هشام - لعنه الله - وعبد الله بن أبي أمية ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان ، وأمیه بن خلف ، أو من اجتمع منهم . قال : اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فأتهم ، فجاءهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سريعا ، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء ، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ، ويعز عليه عنهم ، حتى جلس إليهم ، فقالوا له يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك ، لنكلمك ، وإنا والله مانع من رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفقت الأحلام ، وفرفت الجماعة ، فما بقى أمر قبيح إلا قد جشته فيما بيننا وبينك - أو كما قالوا له - فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا ، فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رؤيا تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن رؤيا - فرما كان ذلك ، بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيك ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بى ما تقولون ، ما جئت بما جئتمكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم . ولكن الله بعثنى إليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربي ، ونصحت لكم ، فإن تقبلوا منى ما جئتمكم به ، فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم ، أو كما قال - صلى الله عليه وسلم .

قالوا يا محمد ، فإن كنت غير قابل منا شيئا بما عرضناه عليك ، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلادا ، ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا ، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به ، فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليسكن فيمن يبعث لنا منهم : قضى بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق ، فنسألهم عما تقول : أحق هو أم باطل ، فإن صدقوك ، وصنعت ما سألتك ، صدقناك ، وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولا - كما تقول - فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه ما بهذا بعثت إليكم ، إنما جئتمكم من الله بما بعثنى به ، وقد بلغتكم ما أرسلت

.

إليكم، فإن تقبلوه، فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه على أصبر لأمير الله تعالى، حتى يحكم الله به بيني وبينكم .

قالوا : إذا لم تفعل هذا لنا، فخذ لنفسك، سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك وسله، فليجمل لك جنانا وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي، فانك تقوم بالأسواق كما تقوم، وتلتبس المعاش كما تلتسمه، حتى نعرف فضلك ومنزلك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً - أو كما قال - فإن تقبلوا ما جئتكم به . فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه على أصبر لأمير الله، حتى يحكم الله بيني وبينكم .

قالوا : فأسقط البلاء علينا كسفا كما زعمت أن ربك لو شاء فعل، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل، قال فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله، إن شاء أن يفعله بكم فعل، قالوا : يا محمد، أفأعلم ربك أنا سنجلس معك، ونسألك عما سألتك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك فيعيلك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا، إذا لم نقبل منك ما جئتنا به ! إنه قد بلغنا أنك إنما يعيلك هذا رجل باليامة يقال له : الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً، فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلك، أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله . وقال قائلهم : إن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً .

فلما قالوا ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قام عنهم، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم - وهو ابن عمته فهو لهاتكة بنت عبد المطلب - فقال له : محمد، عرص عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً، ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم، ومنزلتك من الله، فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب، فلم تفعل - أو كما قال له - فوالله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلباً، ثم ترق فيه، وأنا أنظر إليك حتى تأتينا، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول. وإيم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك، ثم انصرف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وانصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أهله حزيناً أسفا لما فاتته بما كان يطمع به من قومه حين دعوه، ولما رأى من مبادئهم إياه .

أبو جهل يتوعد الرسول (ص): فلما قام عنهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال أبو جهل ، يامعشر قريش ، إن محمداً قد أتى إلأ ما ترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وشتم آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله - أو كما قال - فاذا سجد في صلاته ، فضخعت به رأسه ، فاسلموني عند ذلك ، أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، قالوا : والله لانسلبك لشيء أبداً فامض لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينتظره ، وغدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما كان يغدو ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة وقبلته إلى الشام ، فكان إذا صلى صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام . فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي وقد غدت قريش ، فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل . فلما سجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقماً لونه مرعوباً قد يبست يده على حجره . حتى فذف الحجر من يده . وقامت إليه رجال قريش . فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قتلتُ إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لي دونه خل من الإبل ، والله ما رأيت مثل هامته ، ولا مثل قصرته ، ولا أنيابه لفحل قط . فهم بي أن يأكلني .

قال ابن إسحاق : فذكر لي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ذلك جبريل عليه السلام أو دنا لأخذه .

النضر بن الحارث ينصح قريشا : فلما قال لهم ذلك أبو جهل . قام النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي .

قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : فقال : يامعشر قريش . إنه والله قد نزل بكم أمر ما أنتم له بحيلة بعد . قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً ، أرضاكم فيكم . وأصدقكم حديثاً . وأعظمكم أمانة . حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به . قلتم : ساحر ، لا والله ما هو بساحر . لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم : كاهن . لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة ، وتخالجهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم : شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشعر ، وسمعنا أصنافه كلها : هزجه ورجزه ، وقلتم : مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون ، فاهو بخنفة ، ولا وسوسته ، ولا تخليطه ، يامعشر قريش فانظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم .

ما كان من أذى النضر للرسول (ص) : وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، ومن كان يؤذى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة ، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس ، وأحاديث رستم واسبنديار ، فكان إذا جلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مجلساً فذكر فيه بالله ، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نعمة الله ، خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشر قريش ، أحسن حديثاً منه ، فلم إلى ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار ، ثم يقول ، بماذا محمد أحسن حديثاً مني ؟

قال ابن هشام : وهو الذي قال فيما بلغني ، سأنزل مثل ما أنزل الله .

قال ابن إسحاق : وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول - فيما بلغني : نزل فيه ثمان آيات من القرآن ، قول الله عز وجل : « إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين » . وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن .

قريش ترسل رسولين إلى المدينة ليسألا أخبار اليهود في شأن محمد : فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعشوه وبعشوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أخبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سلام عن محمد ، وصفا لهم صفته ، وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أخبار يهود عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، ووصفا لهم أمره . وأخبراهم ببعض قوله . وقالوا لهم : لأنكم أهل التوراة . وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . فقالت لهما أخبار يهود ، ساوه عن ثلاث نأمركم بهن . فإن أخبركم بهن ، فهو نبي مرسل . وإن لم يفعل فالرجل متقول . فروا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجب ، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ، وسلوه عن الروح ما هي ؟ فإن أخبركم بذلك فاتبعوه ، فإنه نبي . وإن لم يفعل فهو رجل متقول ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم . فأقبل النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي حتى قدما مكة على قريش . فقالا : يا معشر ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد . قد أخبرنا أخبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها ، فإن أخبركم عنها فهو نبي ، وإن لم يفعل فالرجل متقول . فروا فيه رأيكم .

قريش تسأل أسئلة والرسول يجيب : فجاءوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب ، وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها . وأخبرنا عن الروح ما هي فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخبركم بما سألتهم عنه غداً ، ولم يستثن ، فانصرفوا عنه ، فمكث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في

ذلك وحياً ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً ، واليوم خمس عشرة ليلة . قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، وحتى أحزن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكث الوحي عنه . وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته لإياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف ، والروح .

الرد على قريش فيما سألوه : قال ابن إسحاق : فذكر لي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لجبريل حين جاءه : لقد احتبست عنى يا جبريل حتى سوت ظناً ، فقال له جبريل : « وما تنتزل إلا بأمر ربك ، له ما بين أيدينا وما خلفنا ، وما بين ذلك ، وما كان ربك نسيا » فافتتح السورة - تبارك وتعالى - بحمداء وذكر نبوة رسوله ، لما أنكره عليه من ذلك ، فقال : « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ، يعنى : محمدآ صلى الله عليه وسلم لأنك رسول منى : أى تحقيق لما سألوه عنه من نبوتك ، « ولم يجعل له عوجاً قيماً » أى : معتدلاً ، لا اختلاف فيه » لينذر بأساً شديداً من لدنه : « أى عاجل عقوبته فى الدنيا ، وعذاباً أليماً فى الآخرة من عند ربك الذى بعثك رسولا . » ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ما كثين فيه أبداً : « أى دار الخلد لا يموتون فيها الذين صدقوك به بما كذبك به غيرهم ، وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال . » وينذر الذين قالوا : اتخذ الله ولداً ، يعنى ، قريشاً فى قولهم ، « إنا نعبد الملائكة وهى بنات الله » ما لهم به من علم ولا آباءهم . الذين أعظموا فراقهم وعيب دينهم . « كبرت كلمة تخرج من أفواههم » أى : لقولهم . إن الملائكة بنات الله . « إن يقولون إلا كذباً ، فنعليك باخع نفسك » يا محمد « على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ، أى . لحزنه عليهم حين فاتته ما كان يرجو منهم ، أى : لا نفعل .

قال ابن هشام : باخع نفسك ، أى : مهلك نفسك ، فيما حدثنى أبو عبيدة قال ذو الرمة :

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه
لشيء نحتته عن يديه المقادر

وجمعه : باخعون . وهذا البيت فى قصيدة له . وتقول العرب ، قد بخت له نصحي ونفسي ، أى جهدت له . « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً » .

قال ابن إسحاق : أى ، أيهم أتبع لأمرى ، وأعمل بطاقتى . « وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزا » أى : الأرض ، وإن ما عليها لقان وزائل ، وإن المرجع إلى ، فأجزى كلا بعمله ، فلا تأس ، ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها .

قال ابن هشام : الصعيد : الأرض ، وجمعه : صعد . قال ذو الرمة يصف ظبياً صغيراً .

كأنه بالضحي ترمى الصعيد به
دبابة فى عظام الرأس خرطوم

وهذا البيت في قصيدة له . والصعيد أيضاً : الطريق . وقد جاء في الحديث : « لياكم والقعود على الصعدات » يريد الطرق . والجرز : الأرض التي لا تنبت شيئاً ، وجمعها : أجزاز . ويقال : سنة جرز ، وسنون أجزاز ، وهي التي لا يكون فيها مطر ، وتكون فيها جدوبة ويبس وشدة . قال ذو الرمة يصف إبلًا :

طوى النحر والأجزاز ما في بطونها

فما بقيت إلا الضلوع الجراشع

وهذا البيت في قصيدة له :

أهل الكهف : قال ابن إسحاق : ثم استقبل قصة الخبر فيما سأله عنه من شأن الفتية ، فقال : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجباً » أي : قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حججى ما هو أعجب من ذلك .

قال ابن هشام : والرقم : الكتاب الذي رقم فيه بخبرهم ، وجمعه : رقم . قال العجاج :

ومستقر المصحف المرقم

وهذا البيت في أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : « إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا : ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهي لنا من أمرنا رشداً ، فتحربنا على آذنه في الكهف سنين عدداً . ثم بعثناهم : لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبشوا أمداً » . ثم قال تعالى : « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » : أي : بصدق الخبر عنهم : « لأنهم فتية آمنوا بربهم ، وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا ، فقالوا : ربنا رب السموات والأرض إن ندعو من دونه إلهاً ، لقد قاتلنا إذا شططا » : أي لم يشركوا بى كما أشركتم بى ما ليس لكم به علم .

قال ابن هشام : والشطط : الغلو ومجاوزة الحق . قال أعشى بن قيس ابن ثعلبة :

لا يذهبون ، ولا ينهى ذوى شطط

كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وهذا البيت في قصيدة له .

« هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين » .

قال ابن إسحاق : أى بحجة بالغة .

« فن أظلم من افتري على الله كذبا . وإذا اعتزلتموه ، وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ، ينشر لكم

ربكم من رحمته ، ويهيئ لكم من أمركم مرفقا . وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ، وهم في فجوة منه . .

قال ابن هشام : تزاور : تميل ، وهو من الزور : وقال امرؤ القيس بن حجر :

ولم أني زعيم إن رجعت مملكا بسير ترى منه القرائق أزورا

وهذا البيت في قصيدة له . وقال أبو الزحف السكبي يصف بلداً :

جأب المندى عن هوانا أزور ينضى المطايا خمسة العشزور

وهذان البيتان في أرجوزة له . و « تقرضهم ذات الشمال » : تجاوزهم وتركهم عن شمالها . قال ذو الرمة :

إلى ظعن يقرضن أفواز مشرف شمالا وعن أيماهن الفوارس

وهذا البيت في قصيدة له . والفجوة : السعة ، وجمعها : الفجاء قال الشاعر :

ألبيت فومك مخزاة ومنقصة حتى أبيحوا ، وخلوا فجوة الدار

« ذلك من آيات الله » أى في الحجة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ، من أمر هؤلاء بمسألتك عنهم في صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم . « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضل فلن تجد له وليا مرشداً . وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ، ونقلبهم ذات اليمين ، وذات الشمال وكلهم باسط ذراعيه بالصيد » .

قال ابن هشام : الوصيد : الباب . قال العبسي ، واسمه : عميد بن وهب :

بأرض فلاة لا يسد وصيدها على ، ومعروفي بها غير منك

وهذا البيت في أبيات له . والوصيد أيضاً : الفناء ، وجمعه : وصائد ، ووصد ، ووصدان ، وأصد ، وأصدان .

« لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ، ولملت منهم رعباً » ... إلى قوله : « قال الذين غلبوا على أمرهم » أهل السلطان والملك منهم : « لتتخذن عليهم مسجداً سيقولون » يعنى : أحبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم : « ثلاثة رابعهم كلهم ويقولون خمسة سادسهم كلهم رجماً بالغيب » أى لا علم لهم « ويقولون سبعة وثامنهم كلهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل ، فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً أى : لا تكبرهم . « ولا تستفت فيهم منهم أحداً ، فإنهم

لاعلم لهم بهم . « ولا تقولن لشيء : إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ، واذكر ربك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشداً » أى : ولا تقولن لشيء سألوكم عنه كما قلت فى هذا : إني مخبركم غداً : واستثن مشيئة الله ، واذكر ربك إذا نسيت ، وقل : عسى أن يهدين ربى لخير مما سألتونى عنه رشداً ، فإنك لا تدري ما أنا صانع فى ذلك . « ولبشوا فى كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا » : أى : سيقولون ذلك . « قل الله أعلم بما لبشوا ، له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولى ، ولا يشرك فى حكمه أحداً » أى : لم يخف عليه شيء مما سألوكم عنه .

ذو القرنين : وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطواف : « ويسألونك عن ذى القرنين قل : سأتلو عليكم منه ذكراً . إنا مكنا له فى الأرض ، وآتيناه من كل شيء سبباً فاتبع سبباً » حتى انتهى إلى آخر قصة خبره .

وكان من خبر ذى القرنين أنه أوتى ما لم يؤت أحد غيره فدلت له الأسباب ، حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يبطأ أرضاً إلا ساط على أهلها ، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شيء من الخلق .

قال ابن إسحاق : حدثنى من يسوق الأحاديث عن الأعاجم ، فيما توارثوا من عليه : أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر ، واسمه : مرزبان بن مرذبة اليونانى ، من ولد يونان بن يافث بن نوح .

قال ابن هشام : واسمه : الإسكندر ، وهو الذى بنى الإسكندرية ، فنسبت إليه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعى وكان رجلاً قد أدرك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن ذى القرنين ، فقال : ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب .

وقال خالد : سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلاً يقول : يا ذا القرنين ، فقال عمر : اللهم غفرأ ، أما رضىتم أن تسموا بالأنبياء حتى تسميت بالملائكة ؟

قال ابن إسحاق : والله أعلم أى ذلك كان ، أقال ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، أم لا ؟ فإن كان قاله ، فالحق ما قال .

أمر الروح : وقال تعالى فيما سألوه عنه من أمر الروح : « ويسألونك عن الروح ، قل : الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » الإسراء : ٨٥ .

ما أوتيتم من العلم إلا قليلاً : قال ابن إسحاق : وحدث عن ابن عباس ، أنه قال : لما قدم رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - المدينة ، قالت أحبار يهود : يا محمد ، أرأيت قولك : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » إيانا تريد ، أم قومك ؟ قال : كلا ، قالوا فإنك تتلو فيما جاءك : أنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : إنها في علم الله قليل ، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أفضتموه . قال : فأنزل الله تعالى عليه فيما سأله عنه من ذلك : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ، والبحر ينحدر من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ، إن الله عزيز حكيم » : أى إن التوراة في هذا من علم الله قليل .

تيسير الجبال وبعث الموتى ، قال : وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه لأنفسهم من تيسير الجبال ، وتقطيع الأرض ، وبعث من مضى من آبائهم من الموتى : « ولو أن قرآننا سيرت به الجبال ، أو قطعت به الأرض ، أو كلم به الموتى ، بل لله الأمر جميعاً » أى : لا أصنع من ذلك إلا ما شئت .

خذ لنفسك : وأنزل عليه في قولهم : خذ لنفسك ، ما سأله أن يأخذ لنفسه ، أن يجعل له جنائناً وقصوراً وكنوزاً ، وبيعته معه ملكاً يصدقه بما يقول ، ويرد عنه : « وقالوا ، ما لهذا الرسول يأكل الطعام ، ويمشى في الأسواق ؟ لولا أنزل إلهه ملك فيكون معه نذيراً ، أو يلقى إلهه كنزاً ، أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً انظر : كيف ضربوا لك الأمثال ، فضلوها فلا يستطيعون سبيلاً ، تبارك الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك » : أى من أن تمشى في الأسواق وتلتبس المعاش « جنات تجري من تحتها الأنهار ، ويجعل لك قصوراً » .

وأنزل عليه في ذلك من قولهم : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق ، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ، أن تصبرون وكان ربك بصيراً » أى جعلت بعضكم لبعض بلاء ، ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلى فلا يخالفوا لفعلت .

الفرآن يرد على ابن أبي أمية : وأنزل الله عليه فيما قال عبد الله بن أبي أمية : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ، أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء . ولن نؤمن لرقيك ، حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه . قل : سبحان ربى ، هل كنت إلا بشراً رسولاً » .

قال ابن هشام : ينبوع ما ينبع من الماء من الأرض وغيرها . وجمعه ينابيع . قال ابن هرمة ، واسمه : إبراهيم بن عبد الله الفهرى :

وإذا هرقت بكل دار عبدة نرف الشئون ، ودمعك ينبوع

وهذا البيت في قصيدة له . والكسف القطع من العذاب . وواحدته : كسفة . مثل سدره وسدر . وهى أيضاً

واحدة الكسف والقبيل : يكون مقابلة ومعاينة . وهو كقوله تعالى : « أو يأتيهم العذاب قبلا » : أى : عيانا .
وأُنشدنى أبو عبيدة لأعشى بن قيس بن ثعلبة :

أصالحكم ، حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حبل يسترها قبيلها

يعنى : القابلة ، لأنها تقابلها ، وتقبل ولدها . وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال القبيل : جمعه قبل ، وهى الجماعات ، وفى كتاب الله تعالى : « وحشرنا عليهم كل شيء قبلا » . فقبيل : جمع قبيل ، مثل سبل : جمع سبيل ، وسرر : جمع سرير ، وقصص : جمع قصيص . والقبيل أيضاً : فى مثل من الأمثال وهو قولهم : ما يعرف قبيلنا من دبير : أى لا تعرف ما أقبل بما أدبر ، قال الحكيم بن زيد :

تفرقت الأمور بوجهتهم فما عرفوا الدبير من القبيل

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال : إنما أريد بهذا : القتل ، فما قتل إلى الذراع فهو القبيل ، وما قتل إلى أطراف الأصابع فهو الدبير ، وهو من الإقبال والإدبار الذى ذكرت . ويقال : قتل المغزل . فإذا قتل إلى الركبة فهو القبيل ، وإذا قتل إلى الورك فهو الدبير . والقبيل أيضاً : قوم الرجل . والمزخرف : الذهب . والمزخرف : المزين بالذهب . قال العجاج :

من طلل أمسى تخال المصحفا رسومه والمذهب المزخرفا

وهذان البيتان فى أرجوزة له ، ويقال أيضاً لكل مزين : مزخرف .

القرآن ينهى أن رجلاً من الإمامة يعلمه : قال ابن إسحاق : وأنزل عليه فى قولهم : إنا قد بلغنا أنك إنما يعلمك رجل بالإمامة . يقال له : الرحمن . وإن تؤمن به أبداً : « كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أئمة لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك . وهم يكفرون بالرحمن . قل : هو ربى . لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب » .

ما نزل فى أبى جهل : وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام - لعنه الله - وما هم به : « رأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى ، رأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ، رأيت إن كذب وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى ، كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناسية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية ، كلا لا تطعه واسجد واقترب » ،

قال ابن هشام : لنسفعا : لنجذب ، ولناخذن . قال الشاعر :

قوم إذا سمعوا الصراخ رأيتهم من بين ملجم مهره أو سافع

والنادى : المجلس الذى يجتمع فيه القوم ، ويقصون فيه أمورهم ، وفى كتاب الله تعالى : « وتأتون فى ناديك المنكر » وهو الندى . قال عبيد بن الأبرص :

اذهب إليك فإنى من بنى أسد
أهل الندى ، وأهل الجرد والنادى

وفى كتاب الله تعالى : « وأحسن نديا » وجمعه : أندية . يقول : فليدع أهل نادية . كما قال تعالى : « واسأل القرية » يريد أهل القرية . قال سلامة بن جندل ، أحد بنى سعد بن زيد مناة بن تميم :

يومان : يوم مقامات ، وأندية
ويوم سير إلى الأعداء تأويب

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الكميت بن زيد :

لا مهازير فى الندى مكاثير
ولا مصمتين بالأخام

وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال : النادى : الجلساء . والزبانية : الغلاظ الشداد ، وهم فى هذا الموضع : خزانة النار . والزبانية أيضاً فى الدنيا : أعوان الرجل الذين يخدمونه ويعينونه ، والواحد : زبنة ، قال ابن الزبير فى ذلك :

مطاعم فى المقرى ، مطاعين فى الوغى
زبانية غلب ، عظام حلومها

يقول : شداد . وهذا البيت فى أبيات له . وقال صخر بن عبد الله الهذلى ، وهو صخر الغنى :

ومن كبير نفر زبانية

وهذا البيت فى أبيات له .

ما ذكره القرآن فى شأن ما عرضه عليه من الأموال : قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى عليه فيما عرضوا عليه من أموالهم : « قل : ما سألتكم من أجر فهو لكم ، إن أجرى إلا على الله ، وهو على كل شىء شهيد » .

قريش تمتنع من الإيمان حسداً : فلما جاءهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صدقه فيما حدث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوهم عما سألوهم عنه ، حال الحسد منهم له بينهم

وبين اتباعه وتصديقه فعتوا على الله وتركوا أمره عيانا ، ولجوا فيما هم عليه من الكفر ، فقال قائلهم : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ، أى : اجعلوه لغوا وباطلا ، واتخذوه هزوا لعلكم تغلبونه بذلك ، فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوما غلبكم .

استهزاء أبى جهل بالرسول : فقال أبو جهل يوما . وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق : يا معشر قريش ، يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار ، ويحبسونكم فيها تسعة عشر ، وأنتم أكثر الناس عددا ، وكثرة ، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم ؟ فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قوله : « وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا » . إلى آخر القصة ، فلما قال ذلك بعضهم لبعض ، جعلوا إذا جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم - بالقرآن وهو يصلى ، يتفرقون عنه ، ويأبون أن يسمعوا له ، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن ، وهو يصلى ، استرق السمع دونهم فرقا منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم ، فلم يستمع ، وإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم - صوته ، فظن الذى يستمع أنهم لا يسمعون شيئا من قراءته ، وسمع هو شيئا دونهم أصاخ له يستمع منه .

ولا تجهر بصلاتك : قال ابن إسحاق : حدثني داود بن الحصين ، مولى عمرو بن عثمان ، أن عكرمة مولى ابن عباس حدثهم أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حدثهم : إنما أنزلت هذه الآية : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » من أجل أولئك النفر . يقول : لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ولا تخافت بها ، فلا يسمعها من يجب أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم ، لعله ينعوى إلى بعض ما يسمع ، فينتفع بها .

ابن مسعود يجهر بالقرآن وما أصابه من قومه : قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم - بمكة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعهموه ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا ، قالوا : إنا نخشاهم عليك لما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، قال : دعوني فإن الله سيمعني . قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى ، وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم » رافعا بها صوته « الرحمن علم القرآن » قال : ثم استقبلها يقرؤها . قال : فتأملوه فجعلوا يقولون . ماذا قال ابن أم عبد ؟ قال : ثم قالوا : ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثروا في وجهه ، فقالوا له : هذا الذى خشينا عليك فقال : ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم لا غادينهم بمثلها غدا ، قالوا : لا ، قد أسمعهم ما يكرهون .

مالقي رسول الله (ص) من قومه

فصل : فيما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه ، ذكر ابن إسحاق والواقدي والتميمي ، وابن عقبة وغيرهم في هذا الباب أموراً كثيرة تتقارب ألفاظها ومعانيها ، وبعضهم يزيد على بعض ، فمنها حشو سفهاهم التراب على رأسه ، ومنها أنهم كانوا ينضدون الفرث والأفث والدماء على بابه ، ويطرحون رحم الشاة في برمته ، ومنها : بصق أمية بن خلف في وجهه ، ومنها : وطء عقبة بن أبي معيط على رقبتة ، وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان ، ومنها أخذهم بمخنقه حين اجتمعوا له عند الحجر ، وقد ذكره ابن إسحاق ، وزاد غيره الخبر أنهم خنقوه خنقاً شديداً وقام أبو بكر دونه فجذبوا رأسه ولحيته حتى سقط أكثر شعره ، وأما السب والهجو والتلقيب وتعذيب أصحابه وأحبائه ، وهو ينظر ، فقد ذكر من ذلك ابن إسحاق في الكتاب ، وقد قال أبو جهل لسمية أم عمار بن ياسر : ما آمنت به محمد إلا لأنك عشقته لجمالته ، ثم طعنها بالحربة في قبلها حتى قتلها والآخر في هذا المعنى كثيرة .

سبب تلقيبه بالمدثر : وذكر ابن إسحاق قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « دثروني دثروني » فأمر الله تعالى : « يا أيها المدثر قم فأندثر » قال بعض أهل العلم : في تسميته إياه بالمدثر في هذا المقام ملاطفة وتأنيس ، ومن عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تسمى المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو فيها ، كقوله عليه السلام لحذيفة : قم يا نومان ، وقوله لعلي بن أبي طالب — وقد ترب جنبه : قم أبا تراب فلو ناداه سبحانه ، وهو في تلك الحال من الكرب باسمه ، أو بالأمر المجرد من هذه الملاطفة لهالة ذلك ، ولكن لما بدى ، بيايها المدثر أنس ، وعلم أن ربه راض عنه ، ألا تراه كيف قال عندما لقي من أهل الطائف من شدة البلاء والكرب ما لقي : رب إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي إلى آخر الدعاء ، فكان مطلوبه رضا ربه ، وبه كانت تهون عليه الشدائد .

تلقينه بالنذير العرياني : فإن قيل : كيف ينتظم بيايها المدثر مع قوله : قم فأندثر ، وما الرابطين المعنيين ، حتى يلتصقا في قانون البلاغة ، ويتشاكلا في حكم الفصاحة ؟ قلنا : من صفة عليه السلام ما وصف به نفسه حين قال : أنا النذير العرياني وهو مثل معروف عند العرب ، يقال لمن أندر بقرب العدو ، وبالع في الإنذار ، هو النذير العرياني ، وذلك أن النذير الجاد بمجرد ثوبه ، ويشير به إذا خاف أن يسبق العدو صوته ، وقد قيل : إن أصل المثل لرجل من خشم سلبه العدو ثوبه ، وقطعوا يده ، فانطلق إلى قومه نذيراً على تلك الحال ، فقوله عليه السلام : أنا النذير العرياني أي : مثلي مثل ذلك ، والتدثر بالثياب مضاد التعري ، فكان في قوله : (يا أيها المدثر) مع قوله : (قم فأندثر) والنذير الجاد يسمى : العرياني : تشاكل بين ، والشام بديع وسمافة في المعنى ، وجرالة في اللفظ .

تقديم المفعول على فعل الأمر :

وقوله بمد هذا : « وربك فكبر » أى : ربك كبر ، لا غيره ، لا يكبر عليك شيء من أمر الخلق ، وفى تقديم المفعول على فعل الأمر إخلاص ، ومثله قوله : إياك نعبد أى : لا نعبد غيرك ، ولم يقل : نعبدك ونستعينك وفى الحديث : إذا قال العبد : إياك نعبد ، وإياك نستعين ، يقول الله تعالى : أخلص لى عبدى العبادة ، واستعاننى عليها ، فهذه بينى وبين عبدى .

الرئى فى قول عتبة : فصل : وذكر قول عتبة : إن كان هذا رثياً تراه . ولغة بنى تميم : رثى بكسر الراء ، وكذلك يقولون فى كل فعيل عين الفعل منه همزة ، أو غيرها من حروف الخلق ، يكسرون أوله ، مثل : رحيم وشهيد والرثى : فعيل بمعنى مفعول ، ولا يكون إلا من الجن ، ولا يكون فعيل بمعنى مفعول فى غير الجن . إلا أن يؤثر فيه الفعل نحو : جريح وقتيل وذبيح وطحين ، ولا يقال من الشكر : شكير ، ولا ذكرته فهو ذكير ، ولا فيمن لطم : لطم إلا أن تغير منه اللطمة ، كما قالوا : لطم الشيطان : قال ابن الزبير حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق : ألا إن أباذبان قتل لطم الشيطان : « كذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون » وقالوا من الحمد : حميد ، ذهبوا به مذهب كريم ، وكذلك قالوا فى الجن : رثى ، وإن كانت الرؤيا لا تؤثر فى المرثى ؛ لأنهم ذهبوا به مذهب قرين ونجى .

إسلام حمزة : فصل : وذكر لإسلام حمزة ، وأمه : هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وأهيب : عم آمنة بنت وهب تزوجها عبد المطلب ، وتزوج ابنه عبد الله آمنة فى ساعة واحدة ، فولدت هالة لعبد المطلب حمزة وولدت آمنة لعبد الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم أرضعتها ثويبة كما تقدم ، وزاد غير ابن إسحاق فى إسلام حمزة أنه قال : لما احتملنى الغضب ، وقلت أنا على قوله ، أدركنى الندم على فراق دين آبائى وقومى ، وبت من الشك فى أمر عظيم لا أكتحل بنوم ، ثم أتيت الكعبة ، وتضرعت إلى الله سبحانه أن يشرح صدرى للحق ويذهب عنى الريب فما استتممت دعائى حتى زاح عنى الباطل ، وامتلأ قلبى يقيناً - أو كما قال - فغدوت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته بما كان من أمرى ، فدعألى بأن يثبتنى الله ، وقال حمزة بن عبد المطلب حين أسلم :

إلى الإسلام والدين الخفيف

خبير بالعباد بهم لطيف

تحدر دمع ذى اللب الخفيف

بآيات مينة الحروف

فلا تغشوه بالقول العنيف

حمدت الله حين هدى فؤادى

لدين جاء من رب عزيز

إذا تليت رسائله علينا

رسائل جاء أحمد من هداها

وأحمد مصطفى فينا مطاع

| | |
|-----------------------|---------------------------|
| فلا والله نسله لقوم | ولما نقض فيهم بالسيوف |
| ونترك منهم قتلى بقاع | عليها الطير كالورد العكوف |
| وقد خبرت ما صنعت ثقيف | به ، فجزى القبائل من ثقيف |
| إله الناس شر جزاء قوم | ولا أسقام صوب الخريف |

الآيات التي طلبتها قريش : فصل : وذكر ما سأله قومه من الآيات وإزالة الجبال عنهم ، وإنزال الملائكة عليه ، وغير ذلك ، جملا منهم بحكمة الله تعالى في امتحانه الخلق ، وتعبدهم بتصديق الرسل ، وأن يكون إيمانهم عن نظر وفكر في الأدلة ، فيقع الثواب على حسب ذلك ، لو كشف الغطاء ، وحصل لهم العلم الضروري ، بطلت الحكمة التي من أجلها يكون الثواب والعقاب ، إذ لا يؤجر الإنسان على ما ليس من كسبه ، كما لا يؤجر على ما خلق فيه من لون وشعر ونحو ذلك ، وإنما أعطاهم من الدليل ما يقتضى النظر فيه العلم الكسبي ، وذلك لا يحصل إلا بفعل من أفعال القلب ، وهو النظر في الدليل ، وفي وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول ، وإلا فقد كان قادرا سبحانه أن يأمرهم بكلام يسمعون ، ويغنيهم عن إرسال الرسل إليهم ، ولكنه سبحانه قسم الأمر بين الدارين ، فجعل الأمر يعلم في الدنيا بنظر واستدلال وتفكر واعتبار ، لأنها دار تعبد واختبار ، وجعل الأمر يعلم في الآخرة بمعاينة واضطرار ، لا يستحق به ثواب ولا جزاء ، وإنما يكون الجزاء فيها على ما سبق في الدار الأولى ، حكمة دبرها ، وقضية أحكمها ، وقد قال الله تعالى : « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون » يريد - فيما قال أهل التأويل - إن التكذيب بالآيات نحو ما سأله من إزالة الجبال عنهم وإنزال الملائكة يوجب في حكم الله ، ألا يلبث الكافرين بها ، وأن يعاجلهم بالنقمة ، كما فعل بقوم صالح وبآل فرعون ، فلو أعطيت قريش ما سأله من الآيات ، وجاءهم بما اقترحوا ثم كذبوا لم يلبثوا ، ولكن الله أكرم محمدا في الأمة التي أرسله إليهم ، إذ قد سبق في عليه أن يكذب به من يكذب ، ويصدق به من يصدق ، وابتعته رحمة للعالمين بر وفاجر ، أما البر فرحمته إليهم في الدنيا والآخرة ، وأما الفاجر ، فإنهم آمنوا من الحسف والغرق وإرسال حاصب عليهم من السماء . كذلك قال بعض أهل التفسير في قوله : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » مع أنهم لم يستلوا ما سألوا من الآيات إلا تعنتا واستهزاء ، لا على جهة الاسترشاد ، ودفع الشك ، فقد كانوا رأوا من دلائل النبوة ما فيه شفاء لمن أنصف ، قال الله سبحانه : « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب ، وفي هذا المعنى قيل :

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بداهته تنبيك بالخبر

وقد ذكر ابن اسحاق في غير هذا الرواية أنهم سألوا أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، فهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يدعو الله لهم ، فنزل جبريل ، فقال لهم : ما شئتم إن شئتم فعلت ما سألتم ، ثم لانبشكم إن كذبت بعد معاينة الآية ، فقالوا : لا حاجة لنا بها .

عبد الله بن أبي أمية : فصل : وذكر قول عبد الله بن أبي أمية له ، واسم أبي أمية : حذيفة . والله لا أومن بك حتى تتخذ سلماً إلى آخر الكلام ، وقد أسلم عبد الله بن أبي أمية قبل فتح مكة ، وسيأتي ذكر إسلامه .

أبو جهل وإلقاء الحجر : وذكر خبر أبي جهل ، وما هم به من إلقاء الحجر على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ساجد . وقد رواه النسوي بإسناد إلى أبي هريرة قال : قال أبو جهل ، وذكر الحديث إلى قوله : فنكص أبو جهل على عقبيه ، فقالوا : مالك ؟ فقال : إن بني وبينه لهندقاً من نار ، وهولا وأجنحة ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لودنا لاختطفته الملائكة عضوا عضوا ، وخرجه أيضاً مسلم وذكر النسوي أيضاً بإسناده إلى ابن عباس أن أبا جهل قال له : ألم أنكه ؟ فوالله ما بمكة ناد أعز من نادى ، فأنزل الله تعالى : « أرأيت الذي ينهى عبداً » إلى قوله : « فليدع ناديه ، سندع الزبانية » .

تفسير أرأيت ولنسفاً : قال محمد بن يزيد : في الكلام حذف ، تقديره : أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى ، أمصيب هو أو مخطيء ؟ وكذلك في قوله : « أرأيت إن كان على الهدى » كأنه قال : أليس من ينهاه بضال ؟ وقوله « لنسفاً بالناسية » أى لناخذن بها إلى النار ، وقيل معنى السفع ههنا : إذلاله وقهره ، والنادى والندى والمنسدى بمعنى واحد ، وهو : مجلس القوم الذين يتنادون إليه ، وقال أهل التفسير فيه أفوالاً متقاربة ، قال بعضهم : فليدع حيه ، وقال بعضهم : عشيرته ، وقال بعضهم : مجلسه ، وفي أرأيت معنى : أخبرني ، ولذلك قال سيبويه : لم يحز إلغاؤها ، كما تلفى : علقت ، إذا قلت : علقت أزيد عندك أم عمرو ، ولا يجوز هذا في : أرأيت ، ولا بد من النصب إذا قلت : أرأيت زيدا ، أبو من هو ؟ قال سيبويه : لأن دخول معنى أخبرني فيها لا يجعلها بمنزلة : أخبرني في جميع أحوالها ، قال المؤلف : وظاهر القرآن يقضى بخلاف ما قال سيبويه إلا بعد البيان ، وذلك أنها في القرآن ملغاة ، لأن الاستفهام هو مطلوبها ، وعليه وقعت في قوله : « أرأيت ، إن كذب وتولى ، ألم يعلم » فقوله : ألم يعلم : استفهام ، وعليه وقعت : أرأيت ، وكذلك : أرأيتم ، وأرأيتم في الأنعام ، فإن الاستفهام واقع بعدها نحو : « هل يهلك إلا القوم الظالمون » وهذا هو الذي منع سيبويه في : أرأيت وأرأيتمك أبو من أنت ؟ وأما البيان فالذي قاله سيبويه صحيح ، ولكن إذا ولي الاستفهام : أرأيت ، ولم يكن لها مفعول سوى الجملة ، وأما في هذه المواضع التي في التنزيل ، فليست الجملة المستفهم عنها هي مفعول : أرأيت ، وإنما مفعولها محذوف يدل عليه الشرط ، ولا بد من الشرط بعدها في هذه الصور ؛ لأن المعنى : أرأيتم صنيحكم إن كان كذا وكذا ، كما يقول القائل : أرأيت إن لقيت العدو أقتاله أم لا ؟ تقدير الكلام : أرأيت رأيك أو صنيحك إن لقيت العدو فحرف الشرط ، وهو : إن ، دال على ذلك المحذوف ، ومرتبطة به ، والجملة المستفهم عنها كلام مستأنف منقطع ، إلا أن فيه زيادة بيان لما يستفهم عنه ، ولوزال الشرط ، ووليها الاستفهام لتبجح كما قال سيبويه ، ويحسن في : علقت ، وهل علقت وهل رأيت ، وإنما فبحه مع أرأيت خاصة ، وهي التي دخلها معنى : أخبرني ، فتدبره .

حديث النضر بن الحارث وبعض أخبار الفرس: فصل : وذكر حديث النضر بن الحارث، وما نزل فيه من قول الله تعالى : (قالوا : أساطير الأولين) واحد الأساطير : أسطورة كأحدوثة وأحاديث، وهو ماسطره الأولون، وقيل : أساطير : جمع أسطار ، وأسطار جمع : سطر بفتح الطاء، وأما سطر بسكون الطاء ، فجمعه : أسطر، وجمع الجمع : أساطر بغير ياء ، وذكر أن النضر بن الحارث كان يحدث قريشا بأحاديث رستم وأسفندياذ ، وما نعلم في بلاد الفرس من أخبارهم ، وذكر ما أنزل الله في ذلك من قوله ، وقد قيل فيه نزلت : « ومن قال : سأنزل مثل ما أنزل الله ، .

وأما أحاديث رستم ، ففي تاريخ الطبري أن رستم بن ريسان كان يحارب كي يستاسب بن كي لهراسب ، بعد ما قتل أباه لهراسب ابن كي أجو . وكى في أوائل هذه الأسماء عبارة عن البهاء ، ويقال: عبارة عن إدراك الثأر ، ويقال لهؤلاء الملوك : السكينية من أجل هذا ، وكان رستم الذى يقال له : رستم سيد بنى ريسان من ملوك الترك ، وكان كي يستاسب قد غضب على ابنه ، فسجنه حسداً له على ما ظهر من وقائعته في الترك ، حتى صار الذكر له ، فعندها ظهرت الترك على بلاد فارس ، وسبوا بنتين : ليستاسب ، اسم لاحداهما : خنائة ، أو نحو هذا ، فلما رأى يستاسب ألا يدين له بقتالهم أطلق ابنه من السجن ، وهو اسفندياذ ، ورضى عنه وولاه أمر الجيوش ، فنهد إلى رستم ، وكانت بينهما ملاحم يطول ذكرها ، لكنه قتل رستم ، واستباح عساكره ، ودوخ في بلاد الترك ، واستخرج أخته من أيديهم ، ثم مات اسفندياذ قبل أبيه ، وكان ملك أبيه نحواً من مائة عام ، ثم عهد إلى بهمن ابن اسفندياذ ، فولاه الأمر بعد موته . وبهمن بلغتهم : الحسن النية ، ودام ملكه نيفاً على مائة عام ، وكان له ابنان : ساسان ودارا ، وقد أُملياً في أول الكتاب طرفاً من حديث ساسان وبنيه ، وهم الساسانية الذين قام عليهم الإسلام ، ورستم آخر مذكور أيضاً قبل هذا في أحاديث كي قباد ، وكان قبل عهد سليمان ، ثم كان رستم وزيراً بعد كي قباد لابنه كي فاووس ، وكانت الجن قد سخرت له . يقال إن سليمان أمرهم بذلك ، فبلغ ملكه من العجائب ما لا يكاد أن يصدق ذوو العقول لخروجها عن المعتاد لكن محمد بن جرير الطبري ذكر منها أخباراً عجيبة .

وذكر أنه هم بما هم به نمرود من الصعود إلى السماء ، فطرحته الريح ، وضعضعت أركانه ، وهدمت بنيانه . ثم ثاب إليه بعض جنوده ، فصار كسائر الملوك يغلب تارة ، ويغلب بخلاف ما كان قبل ذلك ، وسار بجنوده إلى اليمن فنهد إليه عمرو ذو الأذعار ، فهزمه عمرو ، وأخذ أسيراً ، وحبسه في محبس حتى جاء رستم ، وكان صاحب أمر ، فاستنقذه من عمرو ، لما بطوح ، ولما ياكراه ، وردّه إلى بلاد فارس . ولابنه شاوخش مع قراسيات ملك الترك خبر عجيب . وكان رستم هو القيم على شاوخش والكافل له في صغره ، وكان آخر أمر شاوخش بعد عجائب أن قتله قراسيات ، وقام ابنه كي خسرو يطلب بثأره . فدارت بينه وبين الترك وقائع لم يسمع بمثلاً ، وكان الظفر له ، فلما ظفروا رأى أمه في أعدائه ما ملأ عينه قرة ، وقلبه سروراً زهد في الدنيا ، وأراد السياحة

في الأرض ، فتعات به أبناء فارس ، وحذرت من شتات الشمل بعده ، وشماتة العدو ، فاستخلف عليهم : كي لهراسب ، بن كي اجو ، بن كي كيشة ، بن كي قاورس المتقدم ذكره ، ولا أدري : هل رستم الذي قتله أسفندياذ هو رستم صاحب كي قاووس ، أم غيره ، والظاهر أنه ليس به ، لأن مدة ما بين كي قاووس وكي يستاسب بعيدة جدا ، وأحسبه كما قدمنا أنه كان من الترك ، وهذا كله كان في مدة السكيذية ، وعند اشتغالهم بقتال الترك استعملوا بخت نصر البابلي على العراق ، فكان من أموره مع بني إسرائيل وإثخانهم فيهم ، وهدمه لبيت المقدس وإحراقه للتوراة وقتله لأولاد الأنبياء ، واسترقاقه للنساء ملوكهم ولذرائعهم مع عيشه في بلاد العرب حين جاس خلال ديارهم ، ما هو مشهور في كتب التفاسير ، ومعلوم عند أصحاب التواريخ .

فهذه جملة مختصرة تشرح لك ما وقع في كتاب ابن إسحاق من ذكر رستم واسفندياذ ، وكانت السكيذية مدة عيسى بن مريم ، أولهم في عهد أفريدون قبل موسى عليه السلام بمئتين من السنين ، وآخرهم في مدة الإسكندر ابن قليس والإسكندر هو الذي سلب ملكهم وقتل دارا بن دارا ، وهو آخرهم ، ثم كانت الأشغانية مع ملوك الطوائف أربعائة وثمانين عاماً ، وقيل : أقل من ذلك في قول الطبري ، وقول المسعودي : خمسائة وعشر سنين ، في خلال أمرهم بعث عيسى بن مريم ، ثم كانت السامانية نحواً من ثلاثين ملكاً حتى قام الإسلام ، ففرض خدمتهم . وخضد شوكتهم ، وهدم هياكلهم ، وأطفأ نيرانهم التي كانوا يعبدون ، وذلك في خلافة عمر .

سورة الكهف ترد على استفسارات اليهود : فصل : ذكر ابن إسحاق إرسال قريش النضر بن الحارث وعقبة ابن أبي معيط إلى يهود وما رجعوا به من عندهم من الفصل بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، فسألوه عن الأمور الثلاثة التي قالت اليهود : إن أخبركم بها فهو نبي وإلا فهو متقول ، فقال لهم : سأخبركم غدا ، ولم يقل : إن شاء الله ، فأبطأ عنه الوحي في قول ابن إسحاق خمسة عشر يوماً ، وفي سيرة التيمي وموسى بن عقبة أن الوحي إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف .

افتتاح الرب سبحانه بحمده نفسه : وذكر افتتاح الرب سبحانه بحمد نفسه ، وذكر نبوة نبيه حمده لنفسه تعالى خبر باطنه الأمر والتعليم لعبده كيف يحمده ، إذ لولا ذلك لاقتضت الحال الوقوف عن تسميته ، والعبارة عن جلالة ، لقصور كل عبارة عما هنالك من الجلال ، وأوصاف الكمال ، ولما كان الحمد واجباً على العبد قدم في هذه الآية ليقترن في اللفظ بالحمد الذي هو واجب عليه : وليستشعر العبد وجوب الحمد عليه ، وفي سورة الفرقان قال : « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده » وبدأ بذكر الفرقان الذي هو الكتاب المبارك . قال الله سبحانه : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك » فلما افتتح السورة بتبارك الذي ، بدأ بذكر الفرقان ، وهو الكتاب المبارك ، ثم قال : على عبده ، فانظر إلى تقديم ذكر عبده على الكتاب ، وتقديم ذكر الكتاب عليه في سورة

الفرقان ، وما في ذلك من تشاكل اللفظ والتتام الكلام نرى الإعجاز ظاهراً ، والحكمة باهرة ، والبرهان واضحاً .

شرح شعر ذى الرمة : وأنشد لذى الرمة :

كانه بالضحى ترمى الصعيد به
دبابة في عظام الرأس خرطوم

يصف ولد الظبية : والخرطوم : من أسماء الخنزير ، أى كأنه من نشاطه دبب الخنزير في رأسه . وأنشد له أيضاً :

طوى النحر والأجزاء البيت . والنحر النخس ، والنحاز داء يأخذ الإبل والنحيزة : الغريزة ، والنحيزة : نسيجة الخزام : والضلوع الجراشع . وهو جمع جرشع . قال صاحب العين . الجرشع : العظيم الصدر ، فعناه إذأ في البيت على هذا : الضلوع من الهزال قد نتأت ، وبرزت كالصدر البارز .

معنى الرقيم : فصل : وذكر الرقيم وفيه سوى ما قاله أقوال . روى عن أنس أنه قال : الرقيم : الكلب ، وعن كعب أنه قال : هو اسم القرية التي خرجوا منها ، وقيل : هو اسم الوادى وقيل : هو صخرة ، ويقال : لوح كتب فيه أسماءهم ودينهم وقصتهم ، وقال ابن عباس : كل القرآن أعلم إلا الرقيم والغسلين وحناناً والأواه ، وقد ذكرت أسماءهم على الاختلاف في بعض ألفاظها وهى : مليخا ، كسليما ، مرطوش ، ابن أنس ، اريطانس ، أيونس ، شاطيطوش . وقيل في اسم مدينتهم : أفوس ، واختلف في بقائهم إلى الآن ، فروى عن ابن عباس أنه أنكر أن يكون بقى شيء منهم ، بل صاروا تراباً قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال بعض أصحاب الأخبار غير هذا ، وأن الأرض لم تأكلهم ، ولم تغيرهم ، وأنهم على مقربة من القسطنطينية ، فأنه أعلم . روى أنهم سيحجون البيت إذا نزل عيسى بن مريم . ألفيت هذا الخبر في كتاب البدء لابن أبى خيثمة .

إعراب . نعلم أى الحزبين أحصى .. الآية : وذكر قول الله تعالى : ولنعلم أى الحزبين أحصى لما لبشوا أمدأ ، قد أملينا في إعراب هذه الآية نحواً من كراسة ، وذكرنا ماوهم فيه الزجاج من إعرابها ، حيث جعل أحصى اسماً في موضع رفع على خبر المبتدأ ، وأمدأ : تمييز وهذا لا يصح ، لأن التمييز هو الفاعل في المعنى ، فإذا قلت : أيهم أعلم أبا ، فالأب هو العالم ، وكذلك إذا قلت أيهم أفره عبداً ، فالعبد هو الفاره ، فيلزم على قوله إذا أن يكون الأمد فاعلاً بالإحصاء ، وهذا محال ، بل هو مفعول ، وأحصى : فعل ماض ، وهو الناصب له ، وذكرنا في الإملاء أن أيهم ، قد يجوز فيه النصب بما قبله إذا جعلته خبراً ، وذلك على شروط بينها هنالك لمن أراد الوقوف على حقيقتها ، أى : ومواضعها ، وكشفنا أسرارها .

أحوال أهل الكهف في نومهم وفائدة قصتهم : وقوله سبحانه : فضربنا على آذانهم ، أى : أنمناهم ،

ولما قيل في النائم : ضرب على أذنه ؛ لأن النائم ينشبه من جهة السمع ، والضرب هنا مستعار من ضرب القفل على الباب ، واذكر قوله تعالى : « تزاور عن كهفهم ذات اليمين » الآية . وقيل في تقرضهم : تحاذيهم وقيل : تتجاوزهم شيئاً شيئاً من القرص ، وهو القطع ، أى : تقطع ما هنالك من الأرض ، وهذا كله شرح اللفظ ، وأما فائدة المعنى ، فإنه بين أنهم في مقنوة من الأرض ، لا تدخل عليهم الشمس ، فتحرقهم ، وتبلى ثيابهم ، ويقلبون ذات اليمين وذات الشمال . لئلا تأكلهم الأرض ، والفائدة العظمى في هذه الصفة بيان كيفية حالهم في الكهف ، وحال كلهم ، وأين هو من الكهف ، وأنه بالوصيد منه ، وأن باب الكهف إلى جهة الشمال للحكمة التي تقدمت ، وإن هذا البيان لا يكاد يعرفه من رآهم ، فإن المطالع عليهم يملاً منهم رعباً ، فلا يمكنه تأمل هذه الدقائق من حالهم ، والنبي عليه السلام لم يرهم قط ، ولا سمع بهم ، ولا قرأ كتاباً فيه صفاتهم ؛ لأنه أسمى في أمة أمية ، وقد جاء كم بيان لا يأتي به من وصل إليهم حتى إن كلهم قد ذكر ، وذكر موضعه وبسطه ذراعيه بالوصيد ، وهم في الفجوة ، وفي هذا كله برهان عظيم على نبوته ، ودليل واضح على صدقه ، وأنه غير متقول ، كما زعموا ، فقف بقلبك على مضمون هذه الأوصاف ، والمراد بها تعصم إن شاء الله عما وقعت فيه الملاحظة من الاستخفاف بهذه الآية من كتاب الله ، وقولهم : أى فائدة في أن تكون الشمس تزاور عن كهفهم ، وهكذا هو كل بيت يكون في مقنوة ، أى : بابه لجهة الشمال ، فنبه أهل المعاني على الفائدة الأولى المنبئة عن لطف الله بهم ، حيث جعلهم في مقنوة تزاور عنهم الشمس فلا تؤذيهم ، فيقال : لمن اقتصر من أهل التأويل على هذا : فما في ذكر الكلب وبسط ذراعيه من الفائدة ، وما فيه من معنى اللطف بهم ؟ فالجواب : ما قدمناه من أن الله سبحانه لم يترك من بيان حالهم شيئاً ، حتى ذكر حال كلهم مع أن تأملهم متعذر على من اطلع عليهم من أجل الرعب ، فكيف من لم يرهم ، ولا سمع بهم ، لولا الوحي الذي جاءه من الله سبحانه بالبيان الواضح الشافي ، والبرهان الكافي ، والرعب الذي كان يلحق المطالع عليهم قيل : كان مما طالت شعورهم واظفارهم . ومن الآيات في هذه القصة قوله سبحانه : « في فجوة منه » أى : في فضاء ، ومع أنهم في فضاء منه ، فلا تصيبهم الشمس . قال ابن سلام : فهذه آية . قال : وكانوا يقلبون في السنة مرتين ، ومن فوائد الآية : أنه أخرج الكلب عن التقلب ، فقال : بأسط ذراعيه ، ومع أنه كان لا يقلب لم تأكله الأرض : لأن التقلب كان من فعل الملائكة بهم ، والملائكة أولياء المؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، والكلب خارج من هذه الآية . ألا تراه كيف قال : بالوصيد ، أى : بفناء الغار لا داخلا معهم ؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب فهذه فوائد جمعة قد اشتمل عليها هذا الكلام . قال ابن سلام : وإنما كانوا يقلبون في الرقعة الأولى قبل أن يعيشوا .

أهل الكهف : فصل : وذكر قول الله سبحانه : « قال الذين غلبوا على أمرهم لننتخذن عليهم مسجداً »

وقال : يعنى أصحاب السلطان ، فاستدل بعض أهل العلم على أنهم كانوا مسلمين بقوله : لنتخذن عليهم مسجدا . وذكر الطبرى أن أهل تلك المدينة تنسازعوا قبل مبعثهم فى الأجساد والأرواح : كيف تكون إعادتها يوم القيامة ، فقال قوم : تعاد الأجساد كما كانت بأرواحها ، كما يقوله أهل الإسلام ، وخالفهم آخرون ، وقالوا : تبعث الأرواح دون الأجساد ، كما يقوله النصارى ، وشرى بينهم الشر ، واشتد الخلاف ، واشتد على ملكهم ما نزل بقومه من ذلك ، فلبس المسوح ، وافترش الرماد ، واقبل على البكاء والتضرع إلى الله أن يريه الفصل فيما اختلفوا فيه ، فأحيا الله أصحاب الكهف عند ذلك ، فكان من حديثهم ما عرف وشهر ، فقال الملك لقومه : هذه آية أظهرها الله لكم لتتفقوا ، وتعلموا أن الله عزوجل كما أحيا هؤلاء ، وأعاد أرواحهم إلى أجسادهم ، فكذلك يعيد الخلق يوم القيامة كما بدأهم ، فرجع الكل إلى ما قاله الملك ، وعلموا أنه الحق .

واو الثمانية : وذكر قول الله سبحانه (ويقولون : سبعة وثامنهم كلبهم) قد أفردنا للكلام على هذه الواو التى يسميها بعض الناس : واو الثمانية بابا طويلا ، والذي يليق بهذا الموضع أن هذا الواو تدل على تصديق القائلين لأنها عاطفة على كلام مضمر ، تقديره : نعم ، وثامنهم كلبهم ، وذلك أن قائلا لو قال : إن زيدا شاعر ، فقلت له : وفقهه ، كنت قد صدقته ، كأنك قلت : نعم هو كذلك ، وفقهه أيضا ، وفى الحديث : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيتوضأ بما أفضلت الخمر ، فقال : وبما أفضلت السباع . يريد : نعم ، وبما أفضلت السباع . خرجه الدارقطنى . وفى التنزيل : « وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ، قال : ومن كفر » هو من هذا الباب . فكذلك ما أخرجه عنهم من قولهم : ويقولون سبعة ، فقال سبحانه : « وثامنهم كلبهم » وليس كذلك : سادسهم كلبهم ، ورابعهم كلبهم ، لأنه فى موضع النعت لما قبله ، فهو داخل تحت قوله سبحانه : « رجما بالغيب » ولم يقل ذلك فى آخر القصة .

إلا أن يشاء الله : فصل : وذكر قول الله تعالى (ولا تقولن لشيء) وفسره ، فقال : أى استثنى شيئا الله . الشبهة : مصدر شاء يشاء ، كما أن الخيفة مصدر خاف يخاف ، ولكن هذا التفسير ، وإن كان صحيح المعنى ، فلفظ الآية مشكل جدا ، لأن قوله : « لا تقولن لشيء لى فاعل ذلك غدا » نهى عن أن يقول هذا الكلام ، ولم ينهه عن أن يصله بالا أن يشاء الله ، فيكون العبد المنهى عن هذا القول منهيا أيضا عن أن يصله بقوله إلا أن يشاء الله . هذا محال : فقوله إذا : إلا أن يشاء الله استثناء من الله ، راجع إلى أول الكلام ، وهذا أيضا إذا تأملته نقض لعزيمة النهى ، وإبطال لحكمه ، فإن السيد إذا قال لعبده : لا تقم إلا أن يشاء الله أن تقوم ، فقد حل عقدة النهى ، لأن مشيئة الله للفعل لا تعلم إلا بالفعل ، فالعبد إذا أن يقوم ، ويقول : قد شاء الله أن تقوم ، فلا يكون للنهى معنى على هذا ، فإذا لم يكن رد حرف الاستثناء إلى النهى ، ولا هو من الكلام الذى نهى العبد عنه ، فقد تبين إشكاله ، والجواب : أن فى الكلام حذفاً وإضماراً تقديره : ولا تقولن : لى فاعل ذلك غداً إلا إذا كره إلا أن يشاء الله ،

أو ناطقاً بأن يشاء الله ، ومعناه : إلا ذا كراً شئمة الله ، كما قال ابن إسحاق ، لأن الشئمة مصدر ، وأن مع الفعل ، في تأويل المصدر ، وإعراب ذلك المصدر مفعول بالقول المضمر ، والعرب تحذف القول ، وتسكتني بالمقول . ففي التنزيل : « فأما الذين اسودت وجوههم أ كفرتم ، أى : يقال لهم : أ كفرتم ، لحذف القول ، وبقي الكلام المقول ، وكذلك قوله تعالى : « يدخلون عليهم من كل باب : سلام عليكم » أى يقولون سلام عليكم ، وهو كثير ، وكذلك إذا قوله « إلا أن يشاء الله » هى من كلام الناهى له سبحانه ، ثم أخبر القول ، وهو الذكر الذى قدمناه ، وبقي المقول ، وهو : أن يشاء الله ، وهذا القدر يكفى فى هذا المقام ، ولأن كان فى الآية من البسط والتفتيش ما هو أكثر من هذا .

ولبشوا فى كهفهم : فصل : وقد فسر قوله تعالى : (ولبشوا فى كهفهم) فقال : معناه أى سيقولون ذلك ، وهو أحد التأويلات فيها . وعلى هذا القول قراءة ابن مسعود : وقالوا ؛ لبشوا ، بزيادة قالوا . ثم قال ابن إسحاق : قل : ربي أعلم بما لبشوا ، وهم من المؤلف أو غيره ، وإنما التلاوة : (قل : الله أعلم بما لبشوا) وقد قيل : إنه لإخبار من الله تعالى عن مقدار لبشهم ، ولكن لما علم استبعاد قریش وغيرهم من الكفار لهذا المقدار ، وعلم أن فيه تنازعا بين الناس ، فن ثم قال : « قل : الله أعلم بما لبشوا » وقوله : « ثلاثمائة سنين ، وازدادوا تسعا » أى : لأنها ثلاثمائة بحساب العجم ، وإن حسبت الأهلة ، فقد زاد العدد تسعا ، لأن ثلاثمائة سنة بحساب الشمس تزيد تسع سنين بحساب القمر فإن قيل : فكيف قال ثلاثمائة سنين ، ولم يقل : سنة ، وهو قياس العدد فى العربية ، لأن المائة تضاف إلى لفظ الواحد ، فالجواب أن سنين فى الآية بدل مما قبله ، ليس على حد الإضافة ولا التمييز ، ولحكمة عظيمة عدل باللفظ عن الإضافة إلى للبدل ، وذلك أنه لو قال : ثلاثمائة سنة ، لكان الكلام كأنه جواب لطائفة واحدة من الناس ، والناس فيهم طائفتان : طائفة عرفوا طول لبشهم ، ولم يعلموا كمية السنين ، فعرفهم أنها ثلاثمائة وطائفة لم يعرفوا طول لبشهم ، ولا شيئاً من خبرهم ، فما قال : ثلاثمائة معرفاً للأولين بالكمية التى شكوا فيها ، مبيناً للآخرين أن هذه الثلاثمائة سنون ، ليست أياماً ولا شهوراً ، فانتظم البيان للطائفتين من ذكر العدد ، وجمع المعداد ، وتبين أنه بدل ؛ إذ البدل يراد به : تعيين ما قبله ، ألا ترى أن اليهود قد كانوا عرفوا أن لأصحاب الكهف نبأ عجيباً ، ولم يكن العجب إلا من طول لبشهم غير أنهم لم يكونوا على يقين من أنها ثلاثمائة أو أقل . فأخبر أن تلك السنين ثلاثمائة ، ثم لو وقف الكلام ههنا لقالت العرب ، ومن لم يسمع بخبرهم : ماهذه الثلاثمائة؟ فقال كالمبين لهم : سنين ، وقد روى معنى هذا التفسير عن الضحاك . ذكره النحاس .

الفرق بين السنة والعام : فصل : وقال : سنين ، ولم يقل أعواماً ، والسنة والعام ، وإن اتسعت العرب فيهما ، واستعملت كل واحد منهما مكان الآخر اتساعاً ، ولكن بينهما فى حكم البلاغة والعلم بتنزيل الكلام فرقاً ، فنحذه أولاً من الاشتقاق ، فإن السنة من سنا يسنو إذا دار حول البئر ، والدابة : هى السانية ، فكذلك السنة دوة من دورات الشمس ، وقد تسمى السنة : داراً ، فى الخبر : إن بين آدم ونوح ألف دار ، أى : ألف سنة ، (م ٨ - الروض الأنف ، والسيرة . ج ٢)

هذا أصل الاسم ، ومن ثم قالوا : أكلتهم السنة ، فسموا شدة القحط سنة ، قال الله سبحانه : « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين » ومن ثم قيل : أسنت القوم إذا أقحطوا ، وكان وزنه أفتتوا ، لا أفعلوا ، كذلك قال بعضهم ، وجعل سيموية التاء بدلا من الواو ، فهي عنده : أفعلوا ، لأن الجدوبة والخصب معتبر بالشتاء والصيف ، وحساب العجم وإنما هو بالسنين الشمسية بها يؤرخون ، وأصحاب الكهف من أمة عجمية ، والنصارى يعرفون حديثهم ، ويؤرخون به ، فجاء اللفظ في القرآن بذكر السنين الموافقة لحسابهم ، وتمم الفائدة بقوله : وازدادوا تسعا ليوافق حساب العرب ، فإن حسابهم بالشهور القمرية كالبحر وحرم وصفر ونحوهما وانظر بعد هذا إلى قوله : « تزرعون سبع سنين دأبا » ولم يقل أعواما ، ففيه شاهد لما تقدم ، غير أنه قال : « ثم يأتي من بعد ذلك عام » ، ولم يقل : سنة عدولا عن اللفظ المشترك ، فإن السنة قد يعبر بها عن القعدة والازمة كما تقدم ، فلو قال : سنة لذهب الوهم إليها لأن العام أقل أياما من السنة ، وإنما دلت الرؤيا على سبع سنين شداد ، وإذا انقضى العدد ، فليس بعد الشدة إلا رخاء ، وليس في الرؤيا ما يدل على مدة ذلك الرخاء ، ولا يمكن أن يكون أقل من عام ، وازيادة على العام مشكوك فيها ، لا تقتضيها الرؤيا ، فحكم بالآقل ، وترك ما يقع فيه الشك من ازيادة على العام ، فهاتان فائدتان في اللفظ بالعام في هذا الموطن ، وأما قوله : « وبلغ أربعين سنة » ، وإنما ذكر السنين ، وهى أطول من الأعوام ، لأنه خبر عن اكتهال الإنسان ، وتمام قوته واستوائه ، فلفظ السنين أولى بهذا الموطن ، لأنها أكمل من الأعوام وفائدة أخرى : أنه خبر عن السن ، والسن معتبر بالسنين ، لأن أصل السن في الحيوان لا يعتبر إلا بالسنة الشمسية ، لأن النتائج والحل يكون بالربيع والصيف ، حتى قيل ربعى للبكير وصيفى للمؤخر ، قال الراجز :

إن بنى صبيصة صيفيون أفاح من كان له ربعيون

فاستعمله في الآدميين ، فلما قيل في الفصيل ونحوه : ابن سنة وابن سنتين ، قيل ذلك في الآدميين ، وإن كان أصله في الماشية لما قدمنا ، وأما قوله : « وحمله وفصاله في عامين » ، فإنه قال سبحانه : « يستلونك عن الأهله » ، قل : هى موافقت للناس والحج ، البقرة : ١٨٩ فالرضاع من الأحكام الشرعية ، وقد قصرنا فيها على الحساب بالأهله ، وكذلك قوله : « يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً » ولم يقل : سنة ؛ لأنه يعنى شهر المحرم وربيع إلى آخر العام ، ولم يكونوا يحسبون بأيلول ولا بتشرين ولا بينير ، وهى الشهور الشمسية وقوله سبحانه : « فأما الله مائة عام » لإخبار منه لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وأمه وحسابهم بالأعوام والأهله كما وقت لهم سبحانه ، وقوله سبحانه في قصة نوح : « فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً » قيل : إنما ذكر أول السنين ، لأنه كان في شدائد مدته كلها إلا خمسين عاماً منذ جاء الفرج ، وأناه الغوث ، ويجوز أن يكون الله - سبحانه - علم أن عمره كان ألفا ، إلا أن الخمسين منها ، كانت أعواما ، فيكون عمره ألف سنة ، تنقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية في الخمسين خاصة ، لأن خمسين عاماً بحساب الأهله أقل من خمسين سنة شمسية بنحو عام ونصف ، فإن كان الله

سبحانه قد علم هذا من عمره ، فاللفظ موافق لهذا المعنى ، وإلا ففي القول الاول مقنع ، والله أعلم بما أراد ، فتأمل هذا ، فإن العلم بتزويل الكلام ، ووضع الالفاظ في مواضعها اللاتقة بها يفتح لك بابا من العلم بإعجاز القرآن ، وابن هذا الاصل تعرف المعنى في قوله تعالى : « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » . وقوله تعالى : « وإن يوماً عند ربك كألف سنة بما تعدون » ، وأنه كلام ورد في معرض التكميل والتفخيم ، لطول ذلك اليوم ، والسنة أطول من العام ، كما تقدم ، فلفظها أليق بهذا المقام .

قصة ذى القرنين : فصل : وذكر قصة الرجل الطواف ، والحديث الذى جاء فيه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه كان ملكا مسح الارض بالاسباب ، ولم يشرح معنى الاسباب ولاهل التفسير فيه أقوال متقاربة ، قالوا في قوله تعالى : « وآتيناه من كل شئ سبياً » : أى : علماً يتبعه ، وفي قوله تعالى : « فأتبع سبياً أى : طريقاً موصلة ، وقال ابن هشام في غير هذا الكتاب السبب : جبل من نور ، كان ملك يمشى به بين يديه ، فيتبعه ، وقد قيل في اسم ذلك الملك : زياقيل ، وهذا يقرب من قول من قال : سبياً أى : طريقاً ، ويقرب أن يكون تفسيراً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : مسح الارض بالاسباب ، واختلف في تسميته بذى القرنين ، كما اختلف في اسمه ، واسم أبيه ، فأصح ما جاء في ذلك ماروى عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال : سأل ابن السكواء على بن أبى طالب ، فقال : أرأيت ذا القرنين ، أنبيا كان أم ملكا ؟ فقال : لا نبياً كان ، ولا ملكا ، ولكن كان عبداً صالحاً دعاه قومه إلى عبادة الله ، فضربوه على قرني رأسه ضربتين ، وفيكم مثله - . يعنى : نفسه ، وقيل : كانت له ضفيريان من شعر والعرب تسمى الخصلة من الشعر : قرنا ، وقيل : لأنه رأى في المنام رؤيا طويلة أنه أخذ بقرني الشمس ، فكان التأويل أنه المشرق والمغرب ، وذكر هذا الخبر على بن أبى طالب القيروانى العابد في كتاب البستان له ، قال : وبهذا سمي ذا القرنين ، وأما اسمه ، فقال ابن هشام في هذا الكتاب : اسمه مرزبان بن مرزبة بذال مفتوحة في اسم أبيه ، وزاى في اسمه ، وقيل فيه : هرمس ، وقيل : هرديس . وقال ابن هشام في غير هذا الكتاب اسمه الصعب ابن ذى مرثد ، وهو أول التبابعة ، وهو الذى حكم لإبراهيم عليه السلام في بئر السبع حين حاكم إليه فيها ، وقيل : إنه أفريدون بن أثقيان الذى قتل الضحاك ، ويروى في خطبة قيس بن ساعدة التى خطبها بسوق عكاظ ، أنه قال فيها : يامعشر إباد ! أين الصعب ذو القرنين ، ملك الخافقين ، وأذل الثقليين ، وعمر ألفين ، ثم كان ذلك كالحظة عين ، وأنشد ابن هشام الأعشى :

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً

بالخنو في جدث أميم مقيم

وقوله بالخنو يريد : خنو قراقير الذى مات فيه ذو القرنين بالعراق ، وقرن ابن هشام في السيرة : لأنه من أهل مصر ، ولأنه الإسكندر الذى بنى الإسكندرية ، فعرفت به : قول بعيد مما تقدم ، ويحتمل أن يكون الإسكندر سمي ذا القرنين أيضاً تشبهاً له بالاول ، لأنه ملك ما بين المشرق والمغرب فسيما ذكروا أيضاً ، وأذل ملوك فارس ، وقتل دارا بن دارا ، وأذل ملوك الروم وغيرهم ، وقال الطبرى في الإسكندر : وهو اسكندروس بن قليقوس ، ويقال فيه : ابن قليس ، وكانت أمه زنجية ، وكانت أهديت لدارا الأكبر أو سبأها ، فوجد منها نكبة

استثقلها ، فعولجت بشقله ، يقال لها : اندروس ، فحملت منه بدارا الأصغر ، فلما وضعته ردها ، فتزوجها والد الإسكندر ، فحملت منه بالإسكندروس ، فاسمه عندهم مشتق من تلك البقلة التي طهرت أمه بها فيما ذكروا ، وذكر عن الزبير : أنه قال : ذو القرنين هو : عبد الله بن الضحاك بن معد وقال ابن حبيب في المحبر في ذكر ملوك الحيرة ، قال : الصعب بن قرين : هو ذو القرنين ، ويحتمل أن يكونوا ملوكا في أوقات متتى ، يسمى كل واحد منهم : ذا القرنين والله أعلم . والاول كان على عهد إبراهيم عليه السلام ، وهو صاحب الخضر حين طلب عين الحياة فوجدها الخضر ، ولم يجدها ذو القرنين . حالت بينه وبينها الظلمات التي وقع فيها هو وأجناده في خبر طويل مذكور في بعض التفاسير مشهور عند الأخباريين .

الترسمى بأسماء الأنبياء : وأما قول عمر لرجل سمعه يقول : يا ذا القرنين : لم يكفكم أن تتسموا بالأنبياء حتى تسميتهم بالملائكة ، إن كان عمر قاله بتوقيف من الرسول عليه السلام ، فهو ملك ، لا يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا الحق ؛ وإن كان قاله بتأويل تأوله فقد خالف عليا في الخبر المتقدم ، والله أعلم أى الخبرين أصح نقلا ؛ غير أن الرواية المتقدمة عن علي يقو بها ما نقله أهل الأخبار عن ذى القرنين والله أعلم . وكان من مذهب عمر رحمه الله كراهية التسمي بأسماء الأنبياء ؛ فقد أنكر على المغيرة تكنيته بأبي عيسى ، وأنكر على صبيب تكنيته بأبي يحيى ؛ فأخبر كل واحد منهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كناه بذلك ؛ فسكت . وكان عمر إنما كره من ذلك الإكثار ؛ وأن يظن أن السلسلين شرفا في الاسم إذا سمى باسم نبي أو أنه ينفعه ذلك في الآخرة ، فكأنه استشعر من رعيته هذا الغرض أو نحوه ، هو أعلم بما كره من ذلك . وإلا فقد سمى بمحمد طائفة من الصحابة منهم : أبو بكر وعلي وطلحة وأبو حذيفة وأبو جهم بن حذيفة ، وخاطب وخطاب ابنا الحارث ، كل هؤلاء المحمدين كانوا يسمون بأبي القاسم إلا محمد بن خطاب ، وسمى أبو موسى ابنا له بموسى ، فكان يكنى به ، وأسيد بن حضير سمى ابنه بيحيى ، وعلم به النبي عليه السلام فلم ينسكرك عليه ، وكان لطلحة عشرة من الولد ، كلهم يسمى باسم نبي ، منهم : موسى بن طلحة وعيسى ، وإسحاق ويعقوب وإبراهيم ، ومحمد ، وكان للزبير عشرة ، كلهم يسمى باسم شهيد : فقال له طلحة : أنا أسميهم بأسماء الأنبياء ، وأنت تسميهم بأسماء الشهداء ، فقال له الزبير : فإني أطمع أن يكون بنى شهداء ، ولا تظمع أنت أن يكون بنوك أنبياء ، ذكره بن أبي خيثمة . وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم - ابنه إبراهيم ، والآثار في هذا المعنى كثيرة . وفي السنن لأبي داود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : سموا بأسماء الأنبياء ، وهذا محمول على الإباحة ، لا على الوجوب ، وأما التسمي بمحمد ، ففي مسند الحارث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : من كان له ثلاثة من الولد ، ولم يسم أحدهم بمحمد فقد جلى ، وفي المعيط عن مالك أنه سئل عن أسمه محمد ، ويكنى أبا القاسم ، فلم ير به بأسا ، فقبل له أكتبت ابنك أبا القاسم ، واسمه محمد ؟ فقال : ما كنيته بها ولكن أهله يسمونه بها ، ولم أسمع في ذلك نهيا ، ولا أرى بذلك بأسا ، وهذا يدل على أن ما لم يبلغه ، أو لم يصح عنده حديث النهي عن ذلك ، وقد رواه أهل الصحيح فإله أعلم - ولعله بلغه حديث عائشة أنه عليه السلام - قال : مالذي أحل اسمي وحرمت كنيتي ، وهذا هو الناسخ لحديث

النهي ، والله أعلم ، وكان ابن سيرين يكره لكل أحد أن يتكلم بأبي القاسم ، كان اسمه محمداً ، أو لم يكن . وطائفة إنما يكرهونه لمن اسمه محمد ، وفي المعيطي أيضاً أنه سئل عن التسمية بمهدى فكرهه ، وقال : وما عليه بأنه مهدى ، وأباح التسمية بالهادي ، وقال : لأن الهادي هو الذي يهدي إلى الطريق وقد قدمنا كراهية مالك للتسمية بجبريل ، وقد ذكر ابن إسحاق كراهية عمر للتسمية بأسماء الملائكة ، وكره مالك التسمية بياسين .

ويسألنيك عن الروح : فصل : وذكر سؤا لهم عن الروح وما أنزل فيه من قوله تعالى : « ويسئلونك عن الروح » الآية . وروى عن ابن إسحاق من غير طريق البكائي أنه قال في هذا الخبر : فناداهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم : هو جبريل ، وهذه الرواية عن ابن إسحاق تدل على خلاف ما روى غيره أن يهود قالت لقريش : استلوه عن الروح ، فإن أخبركم به فلايس بنبي ، وإن لم يخبركم فهو نبي ، وقال ابن إسحاق فيما تقدم من الحديث : استلوه عن الرجل الطواف ، وعن الفتية ، وعن الروح ، فإن أخبركم وإلا فالرجل متقول ؛ فسوى في الخبر بين الروح وغيره .

من هو الروح ؟ واختلف أهل التأويل في الروح المستول عنه ، فقال بعضهم : هو جبريل ، لأنه الروح الأمين ، وروح القدس ، وعلى هذا رواية ابن إسحاق أن الرسول - صلى الله عليه وسلم قال لقريش حين سأله : هو جبريل ، وقالت طائفة : الروح خلق من الملائكة على صور بني آدم ، وقالت طائفة : الروح خلق يرون الملائكة ، ولا تراهم ، فهم الملائكة كالملائكة لبني آدم ، وروى عن علي أنه قال : الروح ملك له مائة ألف رأس لكل رأس مائة ألف وجه ، في كل وجه مائة ألف فم ، في كل فم مائة ألف لسان ، يسبح الله بلغات مختلفة ، وقالت طائفة : الروح الذي سألت عنه يهود هو : روح الإنسان ، ثم اختلف أصحاب هذا القول ، فمنهم من قال : لم يجبههم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن سؤا لهم ، لأنهم سأله تعنتاً واستهزاء ، فقال الله له قل الروح من أمر ربي ، ولم يأمره أن يبنيه لهم ، وقالت طائفة بل قد أخبرهم الله به ، وأجابهم عما سأله ، لأنه قال لنبيه : قل الروح من أمر ربي ، وأمر الرب هو الشرع ، والكتاب الذي جاء به فمن دخل في الشرع وتفقه في الكتاب والسنة عرف الروح ، فكان معنى الكلام : ادخلوا في الدين تعرفوا ما سألتكم عنه ، فإنه من أمر ربي ، أي : من الأمر الذي جئت به مبلغاً عن ربي ، وذلك أن الروح لا سبيل إلى معرفته من جهة الطبيعة ، ولا من جهة الفلسفة ولا من جهة الرأي والقياس ، وإنما يعرف من جهة الشرع ، فإذا نظرت إلى ما في الكتاب والسنة من ذكره نحو قوله سبحانه : « ثم سواء ونفخ فيه من روحه » أي من روح الحياة ، والحياة من صفات الله سبحانه ، والنفخ في الحقيقة مضاف إلى ملك ينفخ فيه بأمر ربه ، وتنتظر إلى ما أخبر به الرسول عليه السلام أن الأرواح جنود مجندة ، وأنها تتعارف وتمشام في الهواء ، وأنها تقبض من الأجساد بعد الموت ، وأنها تسئل في القبر ، فتفهم السؤا وتسمع وترى ، وتنعم وتعذب وتلد وتأل ، وهذه كلها من صفات الأجسام ، فتعرف أنها أجسام بهذه الدلائل ، ولكنها ليست كالأجساد في كثافتها وثقلها وإظلامها ، إذ الأجساد خلقت من ماء وطن وحمل مسنون ،

فهو أصلها ، والأرواح خلقت بما قال الله تعالى ، وهو النفخ المتقدم المضاف إلى الملك . والملائكة خلقت من نور كما جاء في الصحيح ، وإن كان قد أضاف النفخ إلى نفسه ، فكذلك أضاف قبض الأرواح إلى نفسه فقال : « الله يتوفى الأنفس حين موتها » وأضاف ذلك إلى الملك مجازاً ، وإلى الرب حقيقة ، فهو أيضاً جسم ، ولكنه من جنس الريح ، ولذلك سمي روحاً من لفظ الريح ، ونفخ الملك في معنى الريح غير أنه ضم أوله ، لأنه نوراني . والريح هواء متحرك . وإذا كان الشرع قد عرفنا من معاني الروح وصفاته بهذا القدر ، فقد عرف من جهة أمره كما قال سبحانه : « قل : الروح من أمر ربي » وقوله : من أمر ربي أيضاً . ولم يقل من أمر الله . ولا من أمر ربكم يدل على خصوص . وعلى ما قدمناه من أنه لا يعليه إلا من أخذ معناه من قول الله سبحانه . وقول رسوله بعد الإيمان بالله ورسوله واليقين الصادق والفقہ في الدين . فإن كان لم يخبر اليهود حين سألوه عنه . فقد أحالهم على موضع العلم به .

الروح والنفس والفرق بينهما : فصل : وما يتصل بمعنى الروح وحقيقته أن تعرف : هل هي النفس أو غيرها ، وقد كثرت في ذلك الأقوال ، واضطربت المذاهب ، فتعلق قوم بظواهر من الأحاديث لا نوجب القطع ، لأنها نقل آحاد ، وأيضاً فإن ألفاظها محتملة للتأويل ، ومجازات العرف واتساعاتها في الكلام كثيرة ، فما تعلقوا به في أن الروح النفس قول بلال : « أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك » مع قول النبي عليه السلام : إن الله قبض أرواحنا . وقوله - عز وجل - « الله يتوفى الأنفس » والمقبوضة هي الأرواح ، ولم يفرقوا بين القبض والتوفى ، ولا بين الأخذ في قول بلال : « أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك » وبين قول النبي عليه السلام : « قبض أرواحنا » ، وتنقيح الأقوال وترجيحها يطول .

وقد روى أبو عمر في التمهيد حديثاً يدل على خلاف مذهبه في أن النفس هي الروح ، لكن علله فيه أن الله خلق آدم ، وجعل فيه نفساً وروحاً ، فمن الروح : عفافه ، وفهمه وحليه وسخاؤه ووفاءه ، ومن النفس : شهوته وطيشه وسفه وغضبه ، ونحو هذا ، وهذا الحديث معناه صحيح إذا تؤمل ، صح نقله أو لم يصح ، وسبيلك أن تنظر في كتاب الله أولاً ، لا إلى الأحاديث التي تنقل مرة على اللفظ ، ومرة على المعنى ، وتختلف فيها ألفاظ المحدثين ، فنقول قال الله تعالى : « فإذا سويته ، ونفخت فيه من روحي » ولم يقل : من نفسى وكذلك قال : « ثم سواه ونفخ فيه من روحه » ولم يقل من نفسه ، ولا يجوز أيضاً أن يقال هذا ، ولا خفاء فيما بينهما من الفرق في الكلام ، وذلك يدل على أن بينهما فرقاً في المعنى ، وبعبس هذا قوله سبحانه : « تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك » ولم يقل : تعلم ما فى روحي ، ولا أعلم ما فى روحك ، ولا يحسن هذا القول أن يقوله غير عيسى ، ولو كانت النفس والروح اسمين لمعنى واحد ، كالليث والأسد لصح وقوع كل واحد منهما مكان صاحبه ، وكذلك قوله تعالى : « يقولون فى أنفسهم » ولا يحسن فى الكلام : يقولون فى أرواحهم ، وقال تعالى : « أن تقول نفس » ولم يقل : أن

تقول روح ، ولا يقوله أعرابي ، فأين إذاً كون النفس والروح بمعنى واحد لولا الغفلة عن تدبر كلام الله تعالى ؟ ! ولكن بقيت دقيقة يعرف منها السر والحقيقة ، ولا يكون بين القولين اختلاف متباين إن شاء الله ، فنقول وبالله التوفيق : الروح مشتق من الريح ، وهو جسم هوائى لطيف ، به تكون حياة الجسد عادة ، أجراها الله تعالى ، لأن العقل يوجب ألا يكون للجسم حياة ، حتى ينفخ فيه ذلك الروح الذى هو فى تجاويف الجسد ، كما قال ابن فورك وأبو المعالى وأبو بكر المرادى ، وسبقهم إلى نحو منه أبو الحسن الأشعرى ، ومعنى كلامهم واحد أو متقارب .

فإذا ثبت أن الروح سبب الحياة عادة ، أجراها الله تعالى ، فهو كالماء الجارى فى عروق الشجرة صعداً ، حتى تحيا به عادة ، فنسميه ماء باعتبار أوليته ، ونسمى أيضاً هذا روحاً باعتبار أوليته ، واعتبار النفخة التى هى روح فما دام الجنين فى بطن أمه حياً ، فهو ذو روح ، فإذا نشأ واكتسب ذلك الروح أخلاقاً وأوصافاً لم تكن فيه ، وأقبل على مصالح الجسم كلفاً به ، وعشق مصالح الجسد ولذاته ، ودفع المضار عنه سعى : نفساً ، كما يكتسب الماء الصاعد فى الشجرة من الشجرة أوصافاً لم تكن فيه ، فالماء فى العنب مثلاً هو : ماء باعتبار الأصل والبداءة ، ففيه من الماء الميوعة والرطوبة ، وفيه من العنب الحلاوة ، وأوصاف أخرى ، فتسميه مصطفاً إن شئت ، أو خيراً إن شئت ، أو غير ذلك مما أوجهه الاكتساب لهذه الأوصاف ، فمن قال : إن النفس هى الروح على الإطلاق من غير تقييد ، فلم يحسن العبارة ، وإنما فيها من الروح الأوصاف التى تقتضيها نفخة الملك ، والملك موصوف بكل خلق كريم ، ولذلك قال فى الحديث : فمن الروح عفافه وحله ووفائوه وفهمه ، ومن النفس شهوته وغضبه وطيشه ، وذلك أن الروح كما قدمنا مازج الجسد الذى فيه الدم ، ويسمى الدم : نفساً ، وهو مجرى الشيطان ، وقد حكمت الشريعة بنجاسة الدم لسر لعله أن يفهم مما نحن بسبيله ، فمن يعرف جوهر الكلام ، وينزل الألفاظ منازلها ، لا يسمى روحاً إلا ما وقع به الفرق بين الجماد والحى ، والذى كان سبباً للحياة ، كما فى الكتاب العزيز عند ذكر إحياء النطفة ، ونفخ الروح فيها ، ولا يقال : نفخ النفس فيها إلا عند الانساع فى الكلام ، وتسمية الشيء بما يؤول إليه ، ومن هاهنا سمي جبريل عليه السلام : روحاً ، والوحى : روحاً ، لأن به تكون حياة القلوب ، قال الله سبحانه وتعالى : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس » وقال الكفار : « أموات غير أحياء » . وقال فى النفس ما تقدم ، وقال : « إن النفس لأماراة بالسوء » ولم يقل إن الروح لأماراة : لأن الروح الذى هو سبب الحياة لا يأمر بسوء ، ولا يسمى أيضاً نفساً — كما قدمنا حتى يكتسب من الجسد الأوصاف المذكورة ، وما كان نحوها ، والماء النازل من السماء جنس واحد ، فإذا مازج أجساد الشجر كالنخاع والفرسك والحنظل والعشر ، وغير ذلك اختلفت أنواعه ، كذلك الروح الباطنة التى هى من عند الله ، هى جنس واحد ، وقد أضافها إلى نفسه تشریفاً لها حين قال : « ونفخ فيه من روحه » ، ثم يخاطب الأجساد التى خلقت من طين ، وقد كان فى ذلك الطين طيب وخبيث ، فينزع كل فرع إلى أصله ، وينزع ذلك الأصل إلى ما سبق فى أم الكتاب ، وإلى مادبره وأحكامه الحكيم الخبير . فعند ذلك تتناثر النفوس ، أو

تتقارب ، وتتحاب أو تتباغض على حسب التشا كل فى أصل الخلقة ، وهى معنى قول النبى - صلى الله عليه وسلم « فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » . وقد كتب بعض الحكماء إلى صديق له : إن نفسى غير مشكورة على الانقياد إليك بغير زمام ، فإنها صادفت عندك بعض جواهرها ، والشئ يتبع بعضه بعضاً .

فصل : وقد يعبر بالنفس عن جملة الإنسان روحه وجسده ، فنقول : عندى ثلاثة أنفس ، ولا نقول : عندى ثلاثة أرواح ، لا يعبر بالروح إلا عن المعنى المتقدم ذكره ، وإنما اتسع فى النفس ، وعبر بها عن الجملة لغلبة أوصاف الجسد على الروح ، حتى صار يسمى نفساً ، وطراً هذا الاسم بسبب الجسد ، كما يطرأ على الماء فى الشجر أسماء على حسب اختلاف أنواع الشجر من حلو وحامض ومر وحريف ، وغير ذلك . فتحصل من مضمون ما ذكرنا ألا يقال فى النفس : هى الروح على الإطلاق ، حتى تقيّد بما تقدم ، ولا يقال فى الروح : هو النفس إلا كما يقال فى المنى هو الإنسان ، أو كما يقال الماء المغذى للكرم هو : الخمر ، أو الخل ، على معنى أنه ستنضاف إليه أوصاف يسمى بها خمر أو خلا ، فتقيّد الألفاظ هو : معنى الكلام ، وتنزيل كل لفظ فى موضعه ، هو معنى البلاغة فافهمه

فصل : وإذا ثبت هذا فلم يبق إلا قول بلال : أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، فذكر النفس ، لأنه معتذر من ترك عمل أمر به ، والأعمال مضافة إلى النفس ، لأن الأعمال جسدانية ، وقول النبى - صلى الله عليه وسلم : إن الله قبض أرواحنا ، فذكر الروح الذى هو الأصل ، لأنه أنسهم عن فزعهم ، فأعلمهم أن خالق الأرواح يقبضها إذا شاء ، فلا تنبسط انبساطها فى اليقظة ، وروح النائم وإن وصف بالقبض ، فلا يدل لفظ القبض على انتزاعه بالكلية ، كما لا يدل قوله سبحانه فى الظل : « ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً » على إعدام الظل بالكلية ، وقوله تعالى : « الله يتوفى الأنفس » فلم يقل : الأرواح ، لأنه وعظ العباد الغافلين عنه ، فأخبر أنه يتوفى أنفسهم ، ثم يعيدها حتى يتوفاها ، فلا يعيدها إلى الخشر لتزدرج النفوس بهذه العظة عن سوء أعمالها ، إذ الآية مكية ، والخطاب للكفار ، وقد تنزلت الألفاظ منازلها فى الحديث والقرآن ، وذلك معنى الفصاحة وسر البلاغة .

ابن هرمة ونسبه : فصل : واستشهد ابن هشام بقول ابن هرمة ونسبه فقال : فهرى ، وإنما هو خليجى ، والخليج اسمه : قيس بن الحارث بن فهر ، واختلف فى تسمية بنى قيس بن الحارث الخليج ، فقيل : لأنهم اختلجوا من قرىش وسكان مكة ، وقيل : لأنهم نزلوا بموضع فيه خليج من ماء ، ونسبوا إليه ، وابن هرمة واسمه : إبراهيم بن على ابن هرمة ، وهو شاعر من شعراء الدولة العباسية ، وبيته :

وإذا هرقت بكل دار عبرة
نرف الشئون ودمعك الينبوع

والشئون : مجارى الدمع ، وهى أطباق الرأس ، وهى أربعة للرجل ، وثلاثة للبرأة ، كذلك ذكروا عن أهل التشريح ، وكذلك ذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل ، فانه أعلم .

بيت من زخرف : وكل ما شرح ابن هشام من الآيات التي تلاها ابن إسحاق ، فقد تقدم ما يحتاج بيانته ، وفي قوله سبحانه : « بيت من زخرف » دليل على أن البيت يراد به : القصر والمنزل ، وإن كان عظيما ، فإنه يسمى بيتا كما قدمنا في شرح بيت القصب في حديث خديجة .

أبو الأشد بن الجمحي : فصل : وذكر ابن إسحاق قول أبي جهل مستهزئا : يزعم محمد أن جنود ربه التي يخوفكم بها تسعة عشر ، وأنتم الناس ، إلى آخر القصة . وأهل التفسير يعزون هذه المقالة إلى أبي الأشد بن الجمحي ، واسمه : كلدة بن أسيد بن خلف ، وأبو دهل الشاعر هو ابن أخيه ، واسمه : وهب بن زمعة بن أسيد بن خلف ابن وهب بن حذافة بن جمح ، وكانت عند أبي دهل التوأمة التي يعرف بها صالح مولى التوأمة ، وهي أخت عبد الله بن صفوان بن أمية ، ولدت له عبد الرحمن ، قتل يوم الجمل ، وأنه قال : أكفوني منهم اثنين ، وأنا أكفيكم سبعة عشر إعجابا منه بنفسه ، وكان بلغ من شدته - فيما زعموا - أنه كان يقف على جلد البقرة ، ويجاذبه عشرة ، لينتزعه من تحت قدمه ، فيتمزق الجلد ، ولا يتزحزح عنه ، وقد دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المصارعة ، وقال : إن صرعتي آمنت بك ، فصرعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم مراراً ، فلم يؤمن ، وقد نسب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطالب ، وسيأتي في الكتاب - والله أعلم .

خزنة جهنم : وأما ما قال أهل التأويل في خزنة جهنم التسعة عشر ، فروى عن كعب أنه قال : بيد كل واحد منهم عمود له شعبتان ، وإنه ليدفع بالشعبة تسعين ألفا إلى النار ، وقد أُملينا في معنى أبواب الجنة وأبواب النار فائدة عددها وتسميتها ، وذكر الزبانية ، والحكمة في كونهم عددا قليلا مسئلة في قريب من جزء فلتنظر هناك .

الرجل الذي تزعم قريش أنه يعلمه : فصل : وذكر قول قريش : إنما يعلمه رجل باليمامة يقال له : الرحمن ، وإنما لا تؤمن بالرحمن ، فأنزل الله سبحانه : « وهم يكفرون بالرحمن قل : هو ربي » كان مسيلة بن حبيب الحنفي ، ثم أحد بني الدول قد تسمى : بالرحمن في الجاهلية ، وكان من المعمرين ، وذكر وثيمة بن موسى أن مسيلة تسمى بالرحمن قبل أن يولد عبد الله أو رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

كبير : وأنشد في تفسير الزبانية :

ومن كبير نفر زبانية

وجدت في حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت : كبير : حتى من هذيل قال المؤلف : وفي أسد أيضا : كبير بن غنم بن دودان بن أسد ، ومن ذريته : بنو جحش بن ريان بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير ولعل الراجز أن يكون أراد هؤلاء ، فإنهم أشهر ، والله أعلم ، وبنو كبير أيضا : بطن من بني غامد ، وهم من الأزد ، والذي تقدم ذكره من هذيل هو : كبير بن طابخة بن لحيان بن سعد بن هذيل .

(م ٩ - الروض الأنف ، والسيرة . ح ٢)

أشرف قريش يستمعون إلى قراءة النبي (ص)

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب ازهرى أنه حدث : أن أبا سفيان بن حرب ، وأباجهل ابن هشام ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة ، خرجوا ليلة ، ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا . فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلورآكم بعض سفهائكم لاوقعتم في أنفسه شيئاً ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : مثل ما فعلوا أول مرة ، ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا تبرح حتى تنتهائهم ألا تعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا .

الأخنس يستفهم من أبي سفيان وأبي جهل عما سمعه : فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ، فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها ، وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها ، قال الأخنس : وأنا والذي حلفت به .

قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أباجهل ، فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تحاذينا على الركب ، وكنا كفرسى رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فحق ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ، ولا نصدق . قال : فقام عنه الأخنس وتركه .

تعمت قريش عند سماعهم القرآن وما أنزل الله فيهم : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا تلا عليهم القرآن ، ودعاهم إلى الله ، قالوا يهزون به : « قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه » لانفقه ما تقول : « وفي آذاننا وقر » لانسمع ما تقول : « ومن بيننا وبينك حجاب » قد حال بيننا وبينك « فاعمل » بما أنت عليه « إننا عاملون » بما نحن عليه ، إننا لانفقه عنك شيئاً ، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قولهم : « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً » لك قوله : « وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً » أى : كيف فهموا توحيدك ربك إن كنت جعلت على قلوبهم أكنة ،

وفي آذانهم وقرأ ، وبينك وبينهم حجابا بزعمهم ، أى : إني لم أفعل ذلك . ونحن أعلم بما يستمعون به ، إذ يستمعون إليك : وإذ هم نجوى ، إذ يقول الظالمون : إن تتبعون إلّا رجلا مسحوراً ، أى : ذلك ماتوا صوا به من ترك ما بعثتك به إليهم . « انظر : كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ، أى : أخطئوا المثل الذى ضربوا لك ، فلا يصيبون به هدى ، ولا يعتدل لهم فيه قول » وقالوا : « إذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمبعوثون خلقاً جديداً » أى : قد جئت نخبرنا : أنا سنبعث بعد موتنا إذا كنا عظاما ورفاتا وذلك مالا يكون . « قل : كونوا حجارة أو حديداً ، أو خلقاً مما يكبر فى صدوركم ، فسيقولون : من يعيدنا ، قل الذى فطركم أول مرة » أى : الذى خلقكم مما تعرفون ، فليس خلقكم من تراب بأعز من ذلك عليه .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : سأله عن قول الله تعالى : « أو خلقا مما يكبر فى صدوركم » ما الذى أورد الله به؟ فقال : الموت .

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين من أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق : ثم إنهم عدوا على من أسلم ، واتبع رسول الله - صلى عليه وسلم - من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم ، يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذى يصيبه ، ومنهم من يهلب لهم ، ويعصمه الله منهم .

ما لقيه بلال من المشركين وتخليص أبى بكر له : وكان بلال مولى أبى بكر رضى الله عنهما ، لبعض بنى جمح ، مولدا من مولديهم ، وهو بلال بن رباح ، وكان اسم أمه : حمامة ، وكان صادق الإسلام طاهر القلب ، وكان أمية ابن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح يخرج به إذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت ، أو تسكتر بمحمد وتعبد اللات والعزى ؛ فيقول وهو فى ذلك البلاء : أحد أحد .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، قال كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك ، وهو يقول : أحد أحد ، فيقول : أحد ، أحد والله يا بلال ، ثم يقبل على أمية بن خلف ، ومن يصنع ذلك به من بنى جمح ، فيقول : أحلف بالله لئن قتلتهموه على هذا لاتخذنه حنانا ، حتى مر به أبو بكر الصديق بن أبى قحافة - رضى الله عنه - يوما ، وهم يصنعون ذلك به ، وكانت دار أبى بكر فى بنى جمح ، فقال لامية بن خلف : ألا تتقى الله

في هذا المسكين ؟ حتى متى ؟ قال : أنت الذي أفسدته ؟ فأنفذه مما ترى ، فقال أبو بكر : أفعل عندى غلام أسود أجلد منه وأفوى ، على دينك ، أعطيك به ، قال : قد قبلت فقال : هوك . فأعطاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه غلامه ذلك وأخذه فأعتقه .

من أعتقهم أبو بكر : ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب ، بلال سابعهم : عامر ابن فهيرة ، شهيد بدرأ وأحدآ ، وقتل يوم بئر معونة شهيدآ ، وأم شمس وزنيرة ، وأصيب بصرها حين أعتقها ، فقالت قریش : ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ؛ فقالت : كذبوا — وبیت الله — ما تضر اللات والعزى ، وما تنفعان ، فرد الله بصرها .

وأعتق التهذبية وبناتها ، وكانت امرأة من بنى عبد الدار ، فربهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها ، وهى تقول : والله لا أعتقكما أبداً ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : حلا يا أم فلان ، فقالت : حل ، أنت أفسدتكما فأعتقهما قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا ، قال : قد أخذتهما وهما حرتان ، أرجعا لئليها طحينها ، قالتا : أو نفرغ منه يا أبا بكر ، ثم إنرده لئليها ؟ قال : وذلك إن شئتما .

ومر بجارية بنى مؤمل ، حى بنى عدى بن كعب ، وكانت مسلمة ، وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام ، وهو يومئذ مشرك وهو يضربها ، حتى إذا مل قال : إني أعتذر إليك ، إني لم أتركك إلا ملالة ، فتقول : كذلك فعل الله بك ، فابتاعها أبو بكر ، فأعتقها .

ما دار بين أبى بكر وأبيه : قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق ، عن عامر بن عبد الله ابن الزبير ، عن بعض أهله ، قال :

قال أبو قحافة لأبى بكر : يابنى ، إني أراك تعسق رقاباً ضعافاً ، فلو أنك إدا فعلت ما فعلت أعتقت رجلاً جلدآ يمنعوك ، ويقومون دونك ؟ قال : فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا أبت ، إني إنما أريد ما أريد الله عز وجل ، قال : فيتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه ، وفيما قال له أبوه . « فأما من أعطى ، واتقى وصدق بالحسنى » لئله قوله تعالى : « وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى » .

آل ياسر وتعذيبهم : قال ابن إسحاق : وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر ، وبأبيه — وأمه — وكانوا أهل بيت إسلام — إذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول ، فيما بلغنى : صبرآ آل ياسر ، موعدكم الجنة . فأما أمه فقتلوها ، وهى تأبى إلا الإسلام .

وكان أبو جهل الفاسق الذى يغرى بهم في رجال من قریش ، إذا سمع بالرجل قد أسلم ، له شرف ومنعة

أنبه وأخزاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك : لنسفهن حلمك ولنفيان رأيك ، ولنضعن شرفك ، وإن كان تاجرآ ، قال : والله لنسكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك ، ، وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به .

فتنة قريش للمسلمين : قال ابن إسحاق : وحدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يحدرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم ، والله ، إن كانوا ليضربون أحدهم ، ويحجونه ، ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضر الذي نزل به ، حتى يعطيهم ما سألوهم من الفتنة ، حتى يقولوا له ، آلات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول نعم ، حتى إن الجعل ليربهم ، فيقولون له : أهذا الجعل لإلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتداء منهم عما يبلغون من جهده .

هشام يرفض تسليم الوليد إلى قريش : قال ابن إسحاق : وحدثني الزبير عن عكاشة بن عبد الله بن أبي أحمد أنه حدث أن رجالا من بني مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد ، حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد ، وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا ، منهم : سلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة . قال : فقالوا له — وخشوا شرهم — إنا قد أردنا أن نعاقب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذي أحدثوا ، فإننا نأمن بذلك في غيرهم . قال : هذا ، فعليكم به . فعاتبوه ولما كم ونفسه . وأنشأ يقول :

ألا لا يقتلن أخى عيش
فبيق بيننا أبداً تلاحى

احذروا على نفسه ، فأقسم بالله لئن قتلتموه ، لاقتلن أشرفكم رجلا . قال : فقالوا : اللهم العنه ! من يغر بهذا الحديث ، فو الله لو أصيب في أيدينا لقتل أشرفنا رجلا . قال : فتركوه ونزعوا عنه . قال : وكان ذلك مادفع الله به عنهم .

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : فلما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يصيب أصحابه من البلاء . وما هو فيه من العافية . بمكانه من الله ، ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء . قال لهم : لو خرج إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكا لا يظلم عند أحد . وهى أرض صدق ، يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه ، فخرج

عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أرض الحبشة ، مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بديهم . فكانت أول هجرة كانت في الإسلام .

من هاجروا الهجرة الأولى إلى الحبشة : وكان أول من خرج من المسلمين من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، معه امرأته : رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، معه امرأته : سهلة بنت سهيل بن عمرو ، أحد بنى عامر بن لؤى ، ولدت له بأرض الحبشة محمد ابن أبي حذيفة . ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد . ومن بنى عبد الدار ابن قصي : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة . ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : أبو سلفة بن الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، معه امرأته أم سلفة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . ومن بنى جمح بن عمر بن هصيص بن كعب : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح . ومن بنى عدى بن كعب : عامر بن ربيعة : حليف آل الخطاب ، من عنز بن وائل معه امرأته : ليلى بنت أبي حشمة ابن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب . ومن بنى عامر بن لؤى أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، ويقال : بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر . ويقال : هو أول من قدمها . ومن بنى الحارث بن فهر : سهيل بن بيضاء ، وهو : سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث . فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فيما بلغنى .

قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ، وتتابع المسلمون ، حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها ، منهم من خرج بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه .

المهاجرون من بنى هاشم : ومن بنى هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر : جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، معه امرأته : أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر ، رجل .

المهاجرون من بنى أمية : ومن بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن

أمية بن عبد شمس ، معه امرأته : رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ،
معه امرأته ، فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرز بن نخل بن شق بن رقة بن مخدج الكنانى ، وأخوه خالد بن
سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته : أميمة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعشم بن
سعد بن بليح من عمرو ، من خزاعة .

قال ابن هشام : ويقال : همينة بنت خلف .

قال ابن إسحاق : ولدت له بآرض الحبشة سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، فزوج أمة بعد ذلك الزبير بن
العوام ، فولدت له عمرو بن الزبير وخالد بن الزبير .

المهاجرون من بنى أسد . ومن حلفائهم ، من بنى أسد بن خزيمه : عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر
ابن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد ، وأخوه عبيد الله بن جحش ، معه امرأته : أم حبيبة
بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية ، وقيس بن عبد الله ، رجل من بنى خزيمه ، معه امرأته بركة بنت
يسار ، مولاة أبي سفيان بن حرب بن أمية ، ومعيقب بن أبي فاطمة ، وهؤلاء آل سعيد بن العاص
سبعة نفر .

قال ابن هشام : معيقب بن دوس :

المهاجرون من بنى عبد شمس : ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف ، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن
عبد شمس ، وأبو موسى الأشعري ، واسمه : عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة ، رجلان .

المهاجرون من بنى نوفل : ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب
ابن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان ، حليف لهم ، رجل .

المهاجرون من بنى أسد : ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ،
والأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد ، وبريد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد . وعمرو بن أمية
ابن الحارث بن أسد ، أربعة نفر .

المهاجرون من بنى عبد وعبد الدار بن قصي : ومن بنى عبد بن قصي : طليب بن عمير بن وهب بن كثير
ابن عبد بن قصي ، رجل .

ومن بنى عبد الدار بن قصي : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وسويط بن سعد ابن حرملة بن مالك بن عميصة بن السباق بن عبد الدار ، وجهم بن قيس بن عبد بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار ، معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن جذيمة بن أقيش بن عامر بن بياضة بن سليع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو ، من خزاعة ، وابناه : عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم ، وأبو الروم بن عمير ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف ابن عبد الدار ، خمسة نفر .

المهاجرون من بنى زهرة : ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، وعامر بن أبي وقاص ، وأبو وقاص : مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، والمطلب ابن أزهري بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، معه امرأته : رملة بنت أبي عوف بن ضيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب .

المهاجرون من بنى هذيل : ومن حلفائهم من هذيل : عبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمع بن مخزوم ابن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، وأخوه : عتبة بن مسعود .

المهاجرون من بهراء : ومن بهراء : المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير بن لؤي بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن أبي أهوز بن أبي فائس بن دريم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاة .

قال ابن هشام : ويقال هزل بن فاس بن ذر ، ودهير بن ثور .

قال ابن إسحاق : وكان يقال له : المقداد بن الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وذلك أنه تبناه في الجاهلية ، وحالفه ، ستة نفر .

المهاجرون من بنى تميم : ومن بنى تميم بن مرة : الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم ، معه امرأته ربيعة بنت الحارث بن جبلة بن عامر ابن كعب بن سعد بن تميم ، ولدت له بأرض الحبشة مومى بن الحارث ، وعائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وعمرو ابن عثمان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم ، رجلا .

المهاجرون من بنى مخزوم : ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : أبو سلبة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ومعه امرأته : أم سلبة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ولدت له

بأرض الحبشة زينب بنت أبي سلمة ، واسم أبي سلمة : عبد الله ، واسم أم سلمة : هندة . وشامس بن عثمان بن الشريد ابن سويد بن هرمي بن عامر بن مخزوم .

خبر الشماس : قال ابن هشام : واسم شماس : عثمان ، وإنما سمي شماساً ؛ لأن شماساً من الشامسة ، قدم مكة في الجاهلية ، وكان جميلاً فعجب الناس من جماله ، فقال عتبة بن ربيعة - وكان خال شماس : أنا آتيكم بشماس أحسن منه ، فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان ، فسمي : شماساً . فيما ذكر بن شهاب . وغيره .

وقال ابن إسحاق : وهبار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأخوه عبد الله ابن سفيان ، وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وسلمة بن هشام بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

المهاجرون من حلفاء بني مخزوم : ومن حلفائهم : معتب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب ابن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو ، من خزاعة ، وهو الذي يقال له : عيامة ، ثمانية نفر .

قال ابن هشام : ويقال : حبشية بن سلول وهو الذي يقال له معتب بن حمراء .

المهاجرون من بني جمح : ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب ابن حذافة بن جمح ، وابنه : السائب بن عثمان ، وأخوه : قدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون ، وحاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، معه امرأته : فاطمة بنت المجمل بن عبد الله بن أبي قيس ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، وابناه : محمد بن حاطب ، والحارث بن حاطب ، وهما لبنت المجمل ، وأخوه : حطاب بن الحارث ، معه امرأته فكيهة بنت يسار ، وسفيان بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، معه ابنه جابر بن سفيان ، وجنادة بن سفيان ، ومعه امرأته حسنة ، وهى أمهما ، وأخوهما من أمهما : شرحبيل بن حسنة ، أحد القوث .

قال ابن هشام : شرحبيل بن عبد الله أحد القوث بن مر ، أخى تميم بن مر .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح ، أحد عشر رجلاً .

المهاجرون من بني سهم : ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى ابن سعد بن سهم ، وعبد الله بن الحارث قيس بن عدى بن سعد بن سهل ، وهشام بن العاص بن وائل بن سعد بن سهم .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم .

قال ابن إسحاق : وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وعبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، والحارث بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، ومعمربن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وبشر بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وأخ له من أمه من بني تميم ، يقال له : سعيد بن عمرو ، وسعيد بن الحارث بن عدى بن سعد بن سهم ، والسائب بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وعمير بن رثاب بن حذيفة بن مهشم بن سعد بن سهم ومحمية بن الجزاء ، حليف لهم ، من بني زبيد ، أربعة عشر رجلا .

المهاجرون من بني عدى : ومن بني عدى بن كعب : معمر بن عبد الله بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان ابن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى ، وعروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى ، وعدى بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى ، وابنته النعمان بن عدى ، وعامر بن ربيعة ، حليف لآل الخطاب ، من عنز بن وائل ، معه امرأته : ليلى بنت أبي حشمة ابن هانم . خمسة نفر .

المهاجرون من بني عامر : ومن بني عامر بن لؤى : أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، معه امرأته : أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، وعبد الله بن مخزومة بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر وسليط بن عمرو بن شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، وأخوه : السكران بن عمرو ، معه امرأته : سرودة بنت زمعه بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، ومالك بن زمعه بن قيس بن شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، معه امرأته : عمرة بنت السعدى بن وقدان ابن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن مالك بن حسل بن عامر ، وسعد بن خولة ، حليف لهم . ثمانية نفر .

قال ابن هشام : سعد بن خولة من اليمن .

المهاجرون من بني الحارث : قال ابن إسحاق : ومن بني الحارث بن فهر : أبو عبيدة بن الجراح ، وهو : عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ، وسهيل بن بيضاء ، وهو : سهيل ابن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ، ولكن أمه غلبت على نسبه ، فهو ينسب إليها ، وهى : دعد بنت جحدم بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر ، وكانت تدعى : بيضاء ، وعمرو بن أبي مرثد بن ربيعة

ابن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ، وعياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة
ابن الحارث ، ويقال : بل ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث ، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي
شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث ، وعثمان بن عبد غنم بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة
ابن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث ، وسعد بن قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر ،
والحارث بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن ظرب بن الحارث بن فهر . ثمانية نفر .

عدد المهاجرين إلى الحبشة : فكان جميع من لحق بأرض الحبشة ، وهاجر إليها من المسلمين ، سوى أبنائهم
الذين خرجوا بهم معهم صفاراً وولدوا بها ، ثلاثة وثمانين رجلاً ، إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يشك فيه .

ما قيل من الشعر في هجرة الحبشة : وكان مما قيل الشعر في الحبشة ، أن عبد الله بن الحارث بن قيس بن
عدى بن سعد بن سهم ، حين أمّنوا بأرض الحبشة ، وحدوا جوار النجاشي ، وعبدوا الله ، لا يخافون على ذلك
أحدًا ، وقد أحسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به ، قال :

| | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| يا راكباً بلغنى عنى مغلفة | من كان يرجو بلاغ الله والدين |
| كل امرئ من عباد الله مضطهد | يطلب مكة مقهور ومفتون |
| أنا وجدنا بلاد الله واسعة | تنجى من الذل والخزاة والهون |
| فلا تقيموا على ذل الحياة، وخز | ى فى الملمات ، وعيب غير مأمون |
| إنا تبعنا رسول الله ، واطرحوا | قول النبی ، وعالوا فى الموازين |
| فاجعل عذابك بالقوم الذين يغفوا | وعائذا بك أن يعلوا فيطخوني |

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً ، يذكر نفي قريش إياهم من بلادهم ، ويعاتب بعض قومه فى ذلك :

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| أبت كبدي لا أكذبك فتاهم | على ، وتأباه على أناملى |
| وكيف قتالى معشراً أدبوكم | على الحق أن لاتأشبهوه بباطل |
| نفثهم عباد الجن من حر أرضهم | فأضحوا على أمر شديد البلال |
| فإن تك كانت فى عدى أمانة | عدى بن سعد عن تقى ، أو تواصل |
| فقد كنت أرجوان ذلك فيكم | بحمد الذى لا يطى بالجمال |
| وبدلت شبلا شبلى كل خبيثة | بذى فجر مأوى الضعاف الأراذل |

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً :

| | |
|-------------------------|-------------------------------|
| وتلك قريش تحمد الله حقه | كما جمحت عاد ومدين والحجر |
| فإن أنا أبرق فلا يسعنى | من الأرض بر ذو فضاء ولا بحر |
| بأرض بها عبد الإله محمد | أبين ما فى النفس إذ بلغ النقر |

فسمى عبد الله بن الحارث - رحمه الله - لييته الذي قال : المبرق .

وقال عثمان بن مظعون يعاتب أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، وهو ابن عمه ، وكان يؤذيه في إسلامه وكان أمية شريفاً في قومه في زمانه ذلك :

| | |
|----------------------------|-------------------------------|
| أتم بن عمرو للذي جاء بنضه | ومن دونه الشрман والبرك أ كشح |
| أأخرجتني من بطن مكة آمنأ | وأسكنتني في صرح بيضاء تقذع |
| تريش نبالا لا يواتيك ريشها | وتبرى نبالا ريشها لك أجمع |
| وحاربت أقواما كراماً أعزة | وأملكك أقواما بهم كنت تفرع |
| ستعلم إن نابتك يوما مله | وأسلمك الاوباش ما كنت تصنع |

وتيم بن عمرو ، الذي يدعو عثمان ، جمح ، كان اسمه : تيم .

بعض الحوادث التي وقعت بين رسول الله (ص) وبين قريش

فصل : ذكر استماع أبي جهل وأبي سفيان والآخرين إلى قول أبي جهل : فلما تحاذينا على الركب . وقع في الجهرة : الجاذي : المقعى على قدميه قال : وربما جعلوا الجاذي والجائي سواء .

وذكر قول الله سبحانه خبراً عنهم : « جعلنا بينك ، وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً » ، قال بعضهم : مستور بمعنى : ساتر كما قال : « وكان وعده مائياً ، أى : آتياً ، والصحيح أن مستوراً هنا على بابه ، لأنه حجاب على القلب ، فهو لا يرى .

وذكر حديث ابن عباس حين سئل عن قوله : « أو خلقاً عما يكبر في صدوركم » فقال : الموت ، وهو تفسير يحتاج إلى تفسير ، ورأيت لبعض المتأخرين فيه ، قال : أراد ابن عباس أن الموت سيفنى كما يفنى كل شيء . كما جاء أنه يذبح على الصراط ، فكان المعنى أن لو كنتم حجارة أو حديداً لأدرككم الفناء والموت ، ولو كنتم الموت الذي هو

كبير في صدوركم ، فلا بد لكم من الفناء - والله أعلم - بتأويل ذلك ، وقد بقي في نفسي من تأويل هذه الآية شيء حتى يكمل الله نعمته بفهمها إن شاء الله تعالى .

وقوله سبحانه : « ولوا على أدبارهم نفوراً » ، يجوز أن يكون : نفوراً : جمع نافر ، فيكون نصباً على الحال ، ويجوز أن يكون مصدرأ مؤكداً لولوا .

وبما أنزل الله في استماعهم : « ومنهم من يستمعون إليك ، أفأنت تسمع الصم » ألا ترى كيف جمع يستمعون والحل على اللفظ إذا قرب منه أحسن ، ألا ترى إلى قوله سبحانه : « ومن يسلم وجهه إلى الله » فأفرد ، حملاً على لفظ من ، وقال في آخر الآية : ولا خوف عليهم ، فجمع حملاً على المعنى ، لما بعد عن اللفظ ، وهكذا كان القياس في قوله : « ومنهم من يستمعون » ، ولكن لما كانوا جماعة ، ونزلت الآية فيهم بأعيانهم ، صار المعنى : ومنهم نفر يستمعون ، يعنى أولئك النفر ، وهم أبو جهل وأبو سفيان والأخنس بن شريق ، ألا ترى كيف قال بعد : « ومنهم من ينظر إليك » فأفرد حملاً على اللفظ لارتفاع السبب المتقدم ، والله أعلم .

بحث في الإكراه على الكفر ، وعلى المعصية : فصل : وذكر تعذيب من أسلم وطرحهم في الرمضاء ، وكانوا يلبسونهم أذراع الحديد ، حتى أعطوهم بالسنتهم ماسألوا من كلمة الكفر إلا بلالاً - رحمه الله - وأنزل الله فيهم : « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » ونزل في عمار وأبيه : « إلا أن تتقوا منهم تقاة » ولما كان الإيمان أصله في القلب ، رخص للمؤمن في حال الإكراه أن يقول بلسانه إذا خاف على نفسه حتى يأمن . قال ابن مسعود : مامن كلمة تدفع عن سوطين إلا قلها هذا في القول ، فأما الفعل ، فتنقسم فيه الحال : فنه مالا خلاف في جوازه كشراب الخمر ، إذا خاف على نفسه القتل ، وإن لم يخف إلا مادون القتل ، فالصبر له أفضل ، وإن لم يخف في ذلك إلا كسجن يوم ، أو طرف من الهوان خفيف ، فلا تحل له المعصية من أجل ذلك ، وأما الإكراه على القتل ، فلا خلاف في حظره ، لأنه إما رخص له فيما دون القتل ، ليدفع بذلك قتل نفس مؤمنة ، وهي نفسه ، فأما إذا دفع عن نفسه بنفس أخرى فلا رخصة ، واختلف في الإكراه على الزنى ، فذكر عن ابن الماسجشون أنه قال : لا رخصة فيه ، لأنه لا ينتشر له إلا عن إرادة في القلب أو شهوة ، وأفعال القلب لا تباح مع الإكراه ، وقال غيره : بل يرخص في ذلك لمن خاف القتل لأن انبعاث الشهوة عند المماساة بمنزلة انبعاث اللعاب عند مضغ الطعام ، وقد يجوز أكل الحرام إذا أكره عليه .

فصل : واختلف الأصوليون في مسألة من الإكراه ، وهي : هل المكروه على الفعل مخاطب بالفعل ، أم لا ؟ فقلت المعتزلة : لا يصح الأمر بالفعل مع الإكراه عليه ، وقالت الأشعرية : ذلك جائز ، لأن العزم إنما هو فعل القلب ، وقد يتصور عنه في ذلك الحين العزم والنية ، وهي القصد إلى امتثال أمر الله تعالى ، وإن كان ظاهره أنه يفعله خوفاً من الناس ، وذلك إذا أكره على فرض كالصلاة مثلاً ، إذا قيل ، صل وإلا قتلت ، وأما إذا قيل له : إن صليت

قلت ، فظن القاضى أن الخلاف بيننا ، وبين المعتزلة فى ذلك ، وغلطه بعض أصحابه ، وقالوا : لاخلاف فى هذه المسألة أنه مخاطب بالصلاة مأمور بها ، وإن رخص له فى تركها ، فإيس الترخيص مما يخرج عنه حكم الخطاب ، وإنما يرفع عنه الإكراه المأثم ، ولا يخرج عنه أن يكون مخاطباً بها ، وهذا الغلط المنسوب إلى القاضى فى هذه المسألة ليس بقول له ، وإنما حكاة فى كتاب التقريب والإرشاد عن طائفة من الفقهاء . قالوا ، لا يتصور القصد والإرادة للفعل مع الإكراه عليه . قال القاضى ، وهذا باطل ، لأنه يتصور انكفافه عنه مع الإكراه ، فكذلك يتصور منه القصد إلى الامتثال له ، وبه يتعلق التكليف ، فإنما غلط من نسب إليه من الأصوليين هذا القول الذى أبطله ، وبين بطلانه ، وإنما ذكرت ما قالوه قبل أن أرى كلامه فى المسألة ، وأقف على حقيقة مذهبه ، وهو برىء من الغلط فيها .

سمية وآل ياسر . فصل : وذكر فيمن عذب فى الله ، سمية أم عمار ، وقد ذكرنا قتل أبى جهل لها ، وهى أول شهيد فى الإسلام ، وروى أن عماراً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : صبراً أبا اليقظان ، ثم قال : اللهم لا تعذب أحداً من آل عمار بالنار ، وسمية أمه ، وهى بنت خياط ، كانت مولاة لآبى حذيفة بن المغيرة ، واسمه مهشم ، وهو عم أبى جهل ، وغلط ابن قتيبة فيها ، فزعم أن الأزرق مولى الحارث بن كلدة خلف عليها بعد ياسر ، فولدت له سلة بن الأزرق ، وقال أهل العلم بالنساء : إنما سمية أم سلة بن الأزرق سمية أخرى ، وهى أم زياد بن أبى سفيان ، لأم عمار ، وعمار والحويرث وعبود بنو ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن لوذين ، ويقال الودهم بن ثعلبة بن عوف بن عامر بن حارثة بن زيام بن عنس بن مالك بن زيد العنسى المذحجى حليف لبني مخزوم ، ومن ولد عمار : عبد الله بن سعد ابن الحسن بن عثمان بن الحسن بن عبد الله بن عمار بن ياسر ، وهو المقتول بالأندلس ، قتله عبد الرحمن بن معاوية .

زنبرة : فصل : وذكر زنبرة التى أعتقها أبو بكر ، وأول اسمها : زاي مكسورة بعدها نون مكسورة مشددة على وزن فعيلة ، هكذا صحت الرواية فى الكتاب ، والزنبرة : واحدة الزنابير ، وهى الحماة الضفار ، قاله أبو عبيدة ، وبعضهم يقول فيها : زنبرة بفتح الزاى وسكون النون وباء بعدها ، ولا تعرف زنبرة فى النساء ، وأما فى الرجال فنبرة بن زبير بن مخزوم بن ضاهلة بن كاهل بن الحارث ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ، وابنه : خالد بن زنبرة ، وهو الغرق قاله الدارقطنى .

أم عميس : فصل : وذكر أم عميس ، وكانت لبني تميم بن مرة أعتقها أبو بكر ، وذكر غير ابن إسحاق هؤلاء الذين عذبوا فى الله لما أعطوا بالسنتهم ماسئلاً من الكفر ، جاءت قبيلة كل رجل منهم بأنطاع الادم فيها الماء ، فوضعوهم فيها وأخذوهم بأطراف الأنطاع ، واحتماوهم إلا بلالا .

بلال : وقول ورقة بن نوفل : إن قتله موء يعنى : بلالا ، وهو على هذا الحال لا يجدته حنا . أى : لا تخنن

قبره منسكاً ومسترحاً - والحنان : الرحمة ، وكان بلال رحمه الله يكنى : أبا عبد الكريم ، وقيل : أنا عبد الله ، وأخته غفرة ، وقد تقدم في أول الكتاب ذكر عمر مولى غفرة ، وهى هذه ، والغفرة : الأثني من أولاد الأراوى ، والذكر : غفر .

الهجرة إلى أرض الحبشة

وقد ذكرنا نسب الحبشة في أول الكتاب ، وأما النجاشي فاسم لكل ملك إلى الحبشة ، كما أن كسرى اسم لمن ملك الفرس ، وخابان اسم لملك الترك كائنا من كان ، وبطليموس : اسم لمن ملك يونان ، وقد ذكرنا هذا المعنى قبل ، واسم هذا النجاشي : أصحمة بن أبجر وتفسيره : عطية . وذكر في أول من خرج إلى الحبشة : عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان حين تزوجها يغنيهما النساء :

أحسن شخصين رأى لإنسان رقية وبعلمها عثمان

ولدت رقية لعثمان ابنه عبد الله ، وبه كان يكنى ، ومات وهو ابن ست سنين ، وكان سبب موته أن ديكاً نقره في عينه ، فتورم وجهه ففرض ، فمات . وذلك في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة ، ثم كنى بعد ذلك أبا عمرو ، وهذا هو عبد الله الأصغر . وعبد الله الأكبر هو ابنه من فاختة بنت غزوان ، وأكبر بنيه بعد هذين عمرو ، ومن بنيه عمر وخالد وسعيد والوليد والمغيرة وعبد الملك وأبان ، وفي السيرة من غير هذه الرواية أن رقية كانت من أحسن البشر ، وأن رجلاً من الحبشة رأوها بأرضهم ، فكانوا يدر كلون (١) إذا رأوها إعجاباً منهم بحسنها ، فكانت تأذى بذلك ، وكانوا لا يستطيعون لغربتهم أن يقولوا لهم شيئاً ، حتى خرج أولئك نفر مع النجاشي إلى عدوه الذى كان ثار عليه ، فقتلوا جميعاً ، فاستراحت منهم ، وظهر النجاشي على عدوه ، وروى الزبير في حديث أسنده أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث رجلاً بلطف إلى عثمان ورقية ، فاحتبس عليه الرسول ، فقال له عليه السلام : إن شئت أخبرتك ما حبسك ، قال : نعم ، قال : وقفت تنظر إلى عثمان ورقية تعجب من حسنهما .

وذكر ابن إسحاق تسميه المهاجرين إلى أرض الحبشة ، وقد تقدم التعريف ببعضهم ، وذكرنا سبب إسلام عمرو بن سعيد بن العاصي ، وأنه رأى نوراً خرج من زمزم أضاءت له منه نخيل المدينة ، حتى رأوا البشر فيها ، فقص رؤياه ، فقيل له : هذه بشر بنى عبد المطلب ، وهذا النور فيهم يكون ، فكان سبباً لبداره للإسلام .

رؤيا خالد بن العاصي : وقد ذكرنا فيما تقدم أن هذه الرؤيا إنما كانت لأخيه ، وأن عمرأ هو الذى عبرها له ، وهذا هو الصحيح فيها ، والله أعلم ، وأما أخوه خالد بن سعيد ، فكان يرى - قبل أن يسلم - نفسه قد أشفى على نار تأجج ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أخذ بحجزته ، يصرفه عنها ، فلما استيقظ علم أن نجاته

من النار على يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما أظهر إيمانه ضربه أبوه بمقرعة ، حتى كسرها على رأسه ، وحلف ألا ينفق عليه ، وأغرى به إخوته ، فطردوه وآذوه ، فانقطع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى هاجر إلى أرض الحبشة - كما ذكر ابن إسحاق - وأبوه سعيد بن العاصي أبو أحيحة الذي يقول فيه القائل :

أبو أحيحة من يعتم عمته
يضرب وإن كان ذا مال وذاعدد

أبو أحيحة وعمامة : وكان إذا اعتم لم يعتم قرشي إعظاماً له ، وقد قيل في عمته أيضاً ما أنشده عمرو ابن بحر الجاحظ :

وكان أبو أحيحة قد علمتم
إذا شد العصاة ذات يوم
لقد حرمت على من كان يمشي
بمكة غير مهتضم ذميم
وقام إلى المجالس والخصوم
بمكة غير محتقر لثيم

مات أحيحة الذي كان يكنى به في حرب الفجار ، وأسلم من بنيه أربعة أبان وخالد وعمرو والحكم الذي سماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عبد الله . ومات أحيحة بن سعيد وغيرهما من بني علي الكفر ، قتل العاصي منهم يوم بدر كافراً .

أمة بنت خالد : وذكر أمة بنت خالد بن سعيد التي ولدت بأرض الحبشة ، قال : وتزوجها الزبير بن العوام ، وهي التي كساها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي صغيرة ، وجعل يقول : سناه ، سناه ، يأم خالد !! أي : حسن حسن بلغة الحبشة ، وكانت قد تعلمت لسان الحبشة ، لأنها ولدت بأرضهم ، وولدت للزبير عمراً وخالداً ، يقال : إن أباه خالد بن سعيد أول من كتب . بسم الله الرحمن الرحيم ، مات بأجنادين شهيداً ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد استعمله على صنعاء واليمن ، فلما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أراد أبو بكر أن يستعمله ، فقال : لا أعمل لأحد بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبداً ، ويروى أن أباه سعيد بن العاص مرض ، فقال : إن رفعتني الله من مرضي لا يعبد الله ابن أبي كبشة بمكة أبداً ، فقال ابنه خالد : اللهم لا ترفعه فهلك مكانه ، فمؤلاً بنو سعيد بن العاصي بن أمية .

عبد شمس أو عبشمس : وعثمان : هو ابن عفان بن أمية بن عبد شمس ، ولا يختلف في عبد شمس أنه بالدال ، وأما عبشمس بن سعيد بن زيد مناة بن تميم ، فقال فيه أبو عبيد القتي : عبد شمس كما في الأول . وقال أكثر الناس فيه : عبشمس ، ثم اختلفوا في معناه ، فقيل ، معناه : عبد شمس ، لكن أدغمت الدال ، وقيل : بل عبشمس وعب الشمس هو ضوءها أو صفاؤها ، وقيل في المثل : هو أبرد من عقر أي : البرد ، وبعضهم يقول : وهو المبرد . من عب قر أي : بياض قر ، ومن حب قر أيضاً . وفيه قول ثالث : أعني : عبشمس . وهو مروى عن ابن عمر . وقال معناه : عب شمس بالهمز . ثم حذفت الهمزة تسهيلاً . وعب الشمس . وعبوها مثله .

هل هاجر عمار إلى الحبشة : وشك ابن إسحاق في عمار بن ياسر : هل هاجر إلى أرض الحبشة ، أم لا ؟ والأصح عند أهل السير كالوافدي وابن عقبة . وغيرهما أنه لم يكن فيهم .

استدراك على ابن إسحاق في مهاجرة الحبشة : وذكر ابن إسحاق من بني الحارث بن قيس من هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يذكر فيهم تميم بن الحارث ، وذكره الواقدي وغيره . والحارث ابن قيس كان أبوه من المستهزين الذين أنزل الله فيهم : « إنا كفيناك المستهزين » .

وذكر من بني زهرة من هاجر إلى أرض الحبشة ، وهم ستة نفر ، ولم يذكر السابع ، وهو : عبد الله بن شهاب جد محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، وكان اسمه : عبد الجان ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله مات بمكة بعد الفتح وأخوه عبد الله الأصغر شهد أحداً مع المشركين ، ثم أسلم .

وذكر المطلب بن عبد عوف ولم يذكر أخاه طليبا ، وكلاهما هاجر إلى أرض الحبشة ، ومات بها ، وهما أخوا أزهر بن عبد عوف .

ذكر لبعض المسائل اللغوية التي ذكرت في شعر الهجرة الحبشية : فصل : وأنشد لعبد الله بن الحارث ما قاله في أرض الحبشة ، وفيه قوله :

الحق عذابك بالقوم الذين طغوا وعائذا بك أن يعلو فيطنوني

أنشده سيبويه فيما ينتصب على الفعل المتروك إظهاره ، وذلك لحكمة ، وهي أن الفعل لو ظهر لم يخل أن يكون ماضياً أو مستقبلاً ، فالماضي يوم الانقطاع ، والمتكلم إنما يريد أنه في مقام العائد ، وفي حال عود ، والفعل المستقبلي أيضاً يؤذن بالانتظار ، وفعل الحال مشترك مع المستقبل في لفظ واحد ، وذلك يوم أنه غير عائد ، فكان يجيء بلفظ الاسم المنسوب على الحال أدل على ما يريد ، فإن عائداً كقائم وقاعد ، وهو الذي يسمى عند الكوفيين : الدائم ، فالقائل : عائداً بك يارب ، إنما يريد : أنا في حال عياد بك ، والعامل في هذه الحال : تكلمه ونداؤه ، أي : أقول قولي هذا عائداً ، وليس تقديره : عذت ولا أعوذ ، إنما يريد أن يسمعه ربه ، أو يراه عائداً به .

وقوله : أن يعلو يجوز أن تكون أن مع ما بعدها في موضع نصب ، وفي موضع خفض عند النحويين ، أما النصب فعلى إضمار الفعل ، لأنه قال : عائداً ، فأعلم أنه خائف ، فكأنه قال : أخاف أن يعلو فيطنوني ، وأما خفضه فعلى إضمار حرف الجر ، فكأنه قال : من أن يعلو ، وهو مذهب الخليل وسيبويه في أن المخفضة وأن المشددة نحو قوله تعالى : « إن هذه أمتكم أمة واحدة » ، تقديره : لأن هذه ، وجاز إضمار حرف الجر في هذين الموضعين ، وإن كانت حروف الجر لا تضمير ؛ لأنهما موصولتان بما بعدهما ، فطال الاسم بالصلة ، فجاء حذف الجر تخفيفاً .

والقائل أن يقول : هذه دعوى ادعيت أن (أن) وما بعدها اسم مخفوض ، وهو لا يظهر فيه الخفض ، ثم بنيت التعليل على غير أصل ، لأن الخفض لم يثبت بعد ، فنقول : إنما علمنا أنه في موضع خفض لوقوعه في موضع لا يقع فيه إلا المخفض بحرف الجر نحو قوله سبحانه : « وأجدر ألا يعلوا حدود ما أنزل الله » ، ونحو قوله تعالى : « أحق أن تقوم فيه » ، ونحو قوله : « أن تضل إحداهما » ، فقوله تعالى : « أجدر ألا يعلوا » ، معناه : بأن لا يعلوا ،

فلو كان قبل أن فعل لقلنا : حذف حرف الجر ، فتعدى الفعل ، فنصب ، ولكن أجدر وأحق اسمان لا يعملان ، فمن هاهنا عرف النحويون أنه في موضع خفض ، إذ لا ناضب له ، وأما ما اعتلوا به من طول الاسم بالصلة ، وأن ذلك هو الذي سوغ لهم إضمار حرف الجر ، فتعليل مدخول ، يقتضض عليهم بالاسماء الموصولة كالذي ومن وما ، فإنها قد طالت بالصلة ، ومع ذلك لا يجوز إضمار حرف الجر فيها ، لا نقول : خرجت ماعنك ، ولا هربت الذي عندك ، أى : من الذي عندك ، ونقول : خرجت أن يراني زيد ، وفررت أن يراني عمرو ، أى : من أن يراني ، ولأن يراني بدل ، على أن العلة غير ما قالوا ، وهى أن (أن) مع الفعل ليس باسم محض ، وإنما هو في تأويل اسم ، والاسم المحض مادل عليه حرف الجر ، فلا بد إذاً من إظهار حرف الجر إذا جئت به ، لأنه اسم قابل للدخول الخوافض عليه ، وأما أن لحرف محض لا يصح دخول حرف جر عليه ، ولا على الفعل المتصل به فلا نقول : هو اهم مخفوض ، إنما هو في تأويل اسم مخفوض ، فمن هاهنا فرقت العرب بينه ، وبين غيره من الاسماء ، فإذا أدخلت عليه حرف الجر مظهرآ جاز ، لأنه في تأويل اسم ، وإذا أضمرت حرف الجر جاز أيضاً التفاتاً إلى أن الحرف الجار لا يدخل على الحرف ، ولا على الفعل ، فحسن إسقاطه مراعاة لفظ أن ، ولللفظ الفعل ، وقلنا : هو في موضع خفض على معنى أن الكلام يشول إلى الاسم المخفوض ، لا أنه يظهر فيه خفض ، أو يقدر تقدير المبنى الذي منه البناء من ظهور الخفض فيه . حتى يشبه أن . فنقول : هو اسم مبنى على السكون ، لابل نقول : هى حرف ، والحرف لا يدخل عليه حرف الجر ، لا مضمرآ ولا مظهرآ ، وإنما هو تقدير في المعنى ، لا في اللفظ ، فافهمه .

فصل : واعلم أن (أن) التى في تأويل المصدر لا يضاف إليها اسم . نقول : هذا موضع أن تقعد ويوم خروجك ، ولا نقول : يوم أن تخرج ، لأنها ليست باسم كما قدمناه ، وإنما تضاف إلى الاسماء المحضة ، لا إلى التأويل ، ولا يضاف إليها أيضاً اسم الفاعل ، لا بمعنى المضى ولا بمعنى الاستقبال ، ولا المصدر إلا على وجه واحد نحو : مخافة أن تقوم ، وذلك إذا أردت معنى المفعول بأن وما بعدها ، وأما على نحو إضافة المصدر إلى الفاعل ، فلا يجوز ذلك : وإنما تكون فاعلة مع الفعل إذا ذكرته قبلها نحو : يسرنى أن تقوم ، وأما مع المصدر مضافاً إليها فلا ، وتكون مفعولة مع المصدر ومع الفعل معاً ، وكل هذا الأسرار بدبعة موضعها غير هذا .

لكننى أقول ههنا قولاً لا نقا بهذا الموضع ، فإننى لم أذكر الخفض بإضمار حرف الجر ، فى أن وإن إلا مساعدة لمن تقدم ، فعليه بنيت التعليل والتأصيل ، وإذا أبيت من التقليد فلا إضمار لحروف الجر فيها ، إنما هو النصب بفعل مضمر أو مظهر ، أما قوله تعالى : د أحق أن تقوم فيه ، فإنما لما قال أحق علم أنه يوجب عليه أن يقوم فيه ، وكذلك أجدر ألا يعملوا ، ومعنى أجدر : أخق وأقرب ، ولما ثبت لهم هذه الصفة اقتضى ذلك ألا يعملوا ؛ فصار منصوباً فى المعنى ، ولو جئت بالمصدر الذى هو اسم محض نحو : القيام والعلم لم يصح إضمار هذا الفعل ، لأن أجدر وأحق ونحوهما اسمان يضافان إلى ما بعدهما ، فلو جئت بالقيام بعد قولك أحق ، فقلت : أحق قيامك ، لانقلب المعنى . ولو نصبته بإضمار الفعل الذى أضمرت مع أن لم يكن دليل عليه ، لأن الاسم يطلب الإضافة فيمنع من الإضمار والنصب ، وإذا وقعت بعده لم يطلب الإضافة ، لما قدمناه من امتناع إضافة الاسماء إليها .

ولإنما اخترنا هذا المذهب ، وآثرناه على ما تقدم من إضمار الخافض ، لانا قد نجد لها في مواضع مجرورة ، ولا يجوز إضمار حرف الجر ، كقولك : سر إلى أن تطلع الشمس ، ولا يجوز إضمار إلى ههنا ، وكذلك نقول : هذا خير من أن تفعل كذا ، ولا يجوز أيضاً إضمار من ، ولو كان حرف الجر معها للعلتين المتقدمتين لا طرد جواز ذلك فيها على الإطلاق ، وإنما هي أبداً إذا لم يكن معها حرف الجر ظاهراً مفعولة بفعل مضمر ، وقد تكون فاعلة ، ولكن بفعل ظاهر نحو : يعجبني أن تقوم ، وأما خرجت أن أرى زيدا فعلى إضمار الإرادة والقصد ، كأنك أردت : أن أراه ، أو أن لا أراه ، لأن كل من فعل فعلاً ، فقد أراد به أمراً ، لكنك إن جعلت مكانها المصدر لم يجز الإضمار أو قبح ، لأن المصدر تعمل فيه الأفعال الظاهرة إذا كانت متعدية . وتصل إليه بحرف جر إذا لم تكن متعدية ، وأن مع الفعل لا تعمل فيها الحواس ولا أفعال الجوارح الظاهرة ، تقول : رأيت قيام زيد ، ولا تقول : أن يقوم ، وسمعت كلامك ، ولا تقول : سمعت أن تنسكلم ، وإنما يتعلق بها ، وتعمل فيها الأفعال الباطنة نحو : خفت واشتيت وكرهت ، وما كان في معنى هذا أو قريباً منه فإذا سمع المخاطب أن مع الفعل لم يذهب وهمه بحكم العادة إلا إلى هذه المعاني ، فإن كانت ظاهرة فذاك ، وإلا اعتقدنا أنها مضمرة ، وأن الفعل الظاهر دال عليها ، وغيرها من الأسماء ليس كذلك ، إذا وقع قبلها فعل من أفعال الجوارح الظاهرة ، وقع عليها إن كان متعدياً أو وصل بحرف ، إن كان غير متعد ، ومنع من الإضمار أنه لفظي ، والإضمار معنوي ، إلا في باب المفعول من أجله ، وقد قدمنا فيه سرّاً بديعاً فيما سبق من هذا الكتاب .

فصل : وأنشد لعبد الله بن الحارث شعراً فيه :

كما جحدت عاد ومدين والحجر

أما عاد فقد تقدم نسبها ، وأما الحجر فليست بأمة ، ولكنها ديار ثمود . أراد : أهل الحجر ، وأما مدين فأمة شعيب ، وهم بنو مديان بن إبراهيم عليه السلام ، وأهمهم : قطورا بنت يقطان الكنعانية ، ولدت له ثمانية من الولد تناسلت منهم أمم ، وقد سميناهم في كتاب التعريف والإعلام ، وفي أول هذا الكتاب .

وفيه أيضاً قوله : فإن أنا لم أبرق فلا يسعني البيت ، قال وبه سمي المبرق ، قال المؤلف : وفي هذا حجة على الأصحى حين منع أن يقال : أرعد وأبرق ، وذكر له قول الكميت :

أرعد وأبرق يا يزيد

فلم يره حجه ، وألحقه بالمحدثين لتأخر زمانه ، كما فعل بذى الرمة حين احتج عليه بقوله :

ذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة

فأني أن يقول : زوجة بهاء التانيت ، وقال : طالما أكل ذو الرمة الزيت في جوانيت البقالين ، وببت المبرق

في هذا حجة بلا خلاف ، وقد وجد أرعد وأبرق في غير هذا البيت ، بما تقوم به الحجة أيضاً ، ويدت المبرق هذا يحتمل وجهاً آخر ، وهو أن يكون من أبرق في الأرض إذا ذهب بها لا من أرعد وأبرق ، وكذلك وجدته في حاشية كتاب الشيخ علي هذا البيت منسوباً للبصعب ، قال : الإبراق : الذهاب ، وفي العين : أبرقت الناقة بذنبها إذا ضربت به يميناً وشمالاً ، وهو في معنى الذهاب في الأرض ، لأنه جولان فيها ، وهي البروق ، قال نهشل بن دارم ل أخيه سليط - وقد لأمه على ترك الكلام في بعض المواطن : لأحسن تأماتك ، ولأنك كذابك ، تشول بلسانك شولان البروق . وذكر في الشعر :

يلين مافي النفس إذ بلغ النقر

ويروى : يلين مافي الصدر . والنقر : البحث عن الشيء ، وأكثر ما يقال فيه : التنقيب ، واستشهد عبد الله المبرق في غزوة الطائف ، وكان أبوه الحارث من المستهزئين ، وكان جده قيس أعز قريش في زمانه ، يروى أن عبد المطلب كان ينفذ (يرقص) عبد الله والدر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو طفل ، فيقول :

كانه في العز قيس بن عدى في دار قيس الندى يفتدى

قاله الزبير بن أبي بكر :

فصل : وذكر شعر عثمان بن مظعون

أقيم بن عمرو للذي جاء بغضة

أراه : عجباً للذي جاء ، والعرب تكتفي بهذه اللام في التعجب ، كقوله عليه السلام : لهذا العبد الحبشى جاء من أرضه وسمائه إلى الأرض التي خلق منها ، قاله في عبد حبشى دفن بالمدينة ، وقال في جنازة سعد بن معاذ وهو واقف على قبره ، وتقهقر ثم قال : سبحان الله لهذا العبد الصالح ضم عليه القبر ثم فرج عنه ، وقيل في قوله سبحانه « لا يلاف قريش » أقوال منها : أنها متعلقة بمعنى التعجب ، كأنه قال : أعجبوا لإيلاف قريش ، وبغضة نصب على التمييز كأنه قال : يا عجباً لما جاء به من بغضة ، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله ، وروى الزبير هذا البيت :

أقيم بن عمرو للذي فارضغنه

وكذلك روى في هذا الشعر : في صرح يبطاء تقدع بالطاء وفتح الباء وكسرهما ، وقال يبطاء : اسم سفينة ، وتقدع بالذال ، أى : تدفع ، وزعم أن تيم بن عمرو وهو جمح سمي جمحاً ، لأن أخاه سهم بن عمرو - وكان اسمه زيدا - سابقه إلى غاية ، فجمح عنها تيم ، فسمى جمحاً ، ووقف عليها زيد ، فقيل : فد سهم زيد فسمى : سهماً .

وقوله : ومن دوننا الشرم . الشرم البحر وقال الشرم بالثنية ، لأنه أراد البحر الملح ، والبحر العذب ، وفي التنزيل : « مرج البحرين » والشرم من : شرم الشيء إذا خرقتة ، وكذلك البحر من بخرت الأرض إذا خرقتها ومثله سميت البحيرة لخرق أذننها والبرك : ما اطمان من الأرض وانسع ، ولم يكن مستصباً كالبحال .

وقوله : في صرح بيضاء . يريد : مدينه الحبشة ، وأصل المرح : القعر ، يريد : أنه ساكن عند صرح النجاشي .
وقوله : تقذع أى : تكره كأنه من أقذعت الشيء ، إذا صادفته قذعاً ويقال أيضاً : قذعت الرجل لإذارمته
بالفحش ، يريد أن أرض الحبشة مقذوعة ، وأحسب هذه الرواية تصحيحاً ، والصحيح : ما قدمناه من قول الزبير
وروايته ، أنه بيطاء بالطاء وتقذع بالبدال .

وقوله : وأسلك الأوباش يريد أخلاطاً من الناس ، يقال : أوشاب وأوباش ، والأوباش أيضاً شجر متفرق
والوبش بياض في أظفار الأحداث .

من أنساب مهاجرى الحبشة : وذكر فيمن هاجر إلى أرض الحبشة من بنى عدى : معمر بن عبد الله بن
فضلة ، وقال فيه على بن المديني : إنما هو : معمر بن عبد الله بن نافع بن فضلة .

وقال ابن إسحاق : فضلة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد وفي حاشية كتاب الشيخ قال : إنما
هو فضلة بن عوف بن عبيد بن عويج ، وذكر أنه قول مصعب في كتاب النسب . وذكر في بنى عدى : عروة بن
عبد العزى بن حرثان ، كذا في كتاب المصعب إلا أنه قال : عمرو بن أبي أئاثمة أو عروة بن أبي أئاثمة
على الشك .

وذكره أبو عمر في كتاب الاستيعاب فقال فيه : عروة بن أبي أئاثمة ، ويقال ابن أئاثمة بن عبد العزى بن حرثان
قال : وأمه ، أم عمرو بن العاصي ، فهو أخوه لأم قال المؤلف : وأمه اسمها : ليلي ، وتلقب بالنابغة ، وهى من
بنى ربيعة ثم من بنى جحلان قال أبو عمر : ويقال فيه : ابن أبي أئاثمة ، قال المؤلف : وقد منا أن
المصعب الزبيرى شك فيه ، فقال : عروة ، أو عمرو ، وأما الزبير : فقال عمرو بن أبي أئاثمة ، ولم يشك ، ثم قال
أبو عمر : لم يذكره ابن إسحاق فيمن هاجر إلى أرض الحبشة ، وذكره الواقدى ، وأبو معشر وموسى بن عقبة ،
قال المؤلف : وهذا وهم من أبي عمر - رحمه الله - فإن ابن إسحاق ذكره فيهم ، غير أنه نسبته إلى جده عبد العزى ،
وأسقط اسم أبيه أبي أئاثمة ، وقال حين ذكر من هاجر من بنى عدى بعد ما عداهم خمسة ، قال : أربعة نفر ، وهو
وهم من ابن إسحاق ، وذكر فيهم مع خمسة : ليلي بنت أبي حشمة امرأة عامر بن ربيعة ، فهم على هذا ستة ، غير أنه
يحتمل أن يريد أربعة نفر دون حليفهم عامر ، وما أظنه قصد هذا ، لأن من عادته أن يعدد الحلفاء مع الصميم ،
لأن الدعوة تجمعهم .

أم سلمة : وذكر أم سلمة وبعلمها أبا سلمة ، توفى عنها بالمدينة ، وخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم -
وذكر اسمها هذا ، وقيل في اسمها : رملة ، وأبوها أبو أمية اسمه حذيفة يعرف بزراد الراكب .

وذكر أنها ولدت بأرض الحبشة زينب بنت أبي سلمة ، وكان اسم زينب برة فسمها رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - زينب ، كانت زينب هذه عند عبد الله بن زمعة ، وكانت قد دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها

قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد آمنوا ، واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلدتين إلى النجاشي ، فيردهم عليهم ، ليفتنوهم في دينهم ويخرجوهم من دارهم ، التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها ، فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص بن وائل ، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارفته ، ثم بعثوهما إليه فيهم .

شعر أبي طالب للنجاشي : فقال أبو طالب - حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه - أبياتا للنجاشي يحضنه على حسن جوارهم ، والدفع عنهم :

| | |
|--------------------------------|----------------------------|
| ألا ليت شعري كيف في النأي جعفر | وعمرو وأعداء العدو الأفارب |
| وهل نالت أفعال النجاشي جعفرأ | وأصحابه أو عاق ذلك شاغب |
| تعلم - أبيت اللعن - أنك ماجد | كريم فلا يشقى لديك المجانب |
| تعلم بأن الله زادك بسطة | وأسياب خير كلها بك لازب |
| وأنت فيض ذو سبجال غزيرة | ينال الأعداى نفعا والأفارب |

وهو يغتسل ، وهي إذ ذاك طفلة ، فنضح في وجهها من الماء ، فلم يزل ماء الشباب في وجهها ، حتى عجزت وقاربت المائة ، وكانت من أفقه أهل زمانها ، وأدركت وقعة الحرة بالمدينة ، وقتل لها في ذلك اليوم ولدان ، اسم أحدهما ، كبير ، والآخر : يزيد من عبد الله بن زمعة ، فكانت تبكي على أحدهما ، ولا تبكي على الآخر ، فسئلت عن ذلك ، فقالت : أبكيه لأنه جرد سيفه وقاتل ، والآخر لا أبكيه لأنه لزم بيته ، وكف يده حتى قتل ، روى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين ابتنى بأمر سامة دخل عليها بيتها في ظلة ، فوطئ على زينب ، فبكت ، فلما كان من الليلة الأخرى دخل في ظلة أيضا ، فقال : أنظروا زنا بكم أن لا أطأ عليها ، أوقال : أخروا ذكره الزبير ، وفي هذا الحديث توهين رواية من روى أنه كان يرى بالليل ، كما يرى بالنهار .

النجاشي والنور الذي على قبره : فصل : وذكر حديث عائشة : كنا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبر النجاشي نور ، وقد خرج أبو داود من طريق سلبية بن الفضل ، وعن ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عائشة ، وأورده في باب : النور يرى عند الشهيد ، وليس في هذا الحديث ولا غيره ما يدل على أن النجاشي مات شهيداً ، وأحسبه أراد : أن يشهد بهذا الحديث ما وقع في كتب التاريخ من أن عبد الرحمن بن ربيعة أخا سلمان بن ربيعة الذي يقال له : ذو النور ، وكان على باب الأبواب فقتله الترك زمان عمر ، فهو لا يزال يرى على قبره نور ، ويعضد هذا حديث النجاشي ، يقول : فإذا كان النجاشي - وليس بشهيد يرى عنده نور ، فالشهيد أحرى بذلك لقول الله سبحانه : « والشهداء عند ربهم ، لهم أجرهم ونورهم » .

حديث أم سلمة عن الرسولين اللذين أرسلتهما قريش للنجاشي : قال ابن اسحاق : حدثني محمد بن مسلم الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما نزلنا أرض الحبشة ، جاورنا بها خير جار : النجاشي ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى ، لا نؤذى ، ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدن ، وأن يهدوا للناس هدايا بما يستطرف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الادم ، فجمعوا له أدما كثيراً ، ولم يتركوا من بطارفته بطريقاً إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، وأمرهما بأمرهم ، وقالواهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلم النجاشي فيهم ، ثم قدما إلى النجاشي هداياه ، ثم ساء ، أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم . قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار ، فلم يبق من بطارفته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلم النجاشي ، وقال لكل بطريق منهم : إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ؛ ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ، ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فقالوا لها ، نعم . ثم إنهما قدما هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهما ، ثم كلماه ، فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضوى إلا بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ، ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائهم : لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، وعائبوهم فيه . قالت : ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي . قالت : فقالت بطارفته حوله : صدقا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهما ، فليرداهم إلى بلادهم وقومهم . قالت : فغضب النجاشي ، ثم قال : لاها الله ، إذن لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادى ، واختاروني على من سواى ، حتى أدعوه ، فأسلمهم عما يقول هذان في أمرهم فإن كانوا كما يقولان ، أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهن منها ، وأحسنن جوارهم ما جاوروني .

الحوار الذى دار بين المهاجرين والنجاشي : قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جثتموه ! قالوا : نقول : والله ما علينا ، وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائنا في ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشي أسأفقتهم ، فنشروا مصاحفهم حوله سألمهم ، فقال لهم : ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل ؟ قالت : فكان الذى كلمه جعفر بن أبي طالب ، فقال له : أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، وننسى الجوارى ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله ؛ لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا

عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا .
وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، قالت : فعدد عليه أمور الإسلام — فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به
من الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ،
فعدبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من
الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من
سواك ، وورعنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك . قالت : فقال له النجاشي : هل معك بما
جاء به الله من شيء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، فقال النجاشي : فاقرأه على ، قالت : فقرأ عليه صدرا من :
« كهيعص » . قالت : فبكى والله النجاشي ، حتى أخضت لحيته ، وبكت أسافقته ، حتى أخضلوا مصاحفهم ، حين
سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فلا والله
لا أسلمهم إليكما ، ولا يكادون .

رأى المهاجرين في عيسى أمام النجاشي : قالت : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لا ندينه
غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم . قالت : فقال له عبد الله بن أبي ربيعة - وكان أتقى الرجلين فينا : لا نفعل ،
فإن لهم أرحاما ، وإن كانوا قد خالفونا . قال : والله لا أخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد ، قالت : ثم
غدا عليه من الغد ، فقال له : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم عما يقولون فيه
قالت : فأرسل إليهم فسلمهم عما يقولون فيه : قالت : فأرسل إليهم ، ليسألمهم عنه قالت : ولم ينزل بنا مثل ما
قط فاجتمع القوم . ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول - والله -
ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا ، وكأثنا في ذلك ما هو كائن . قالت : فلما دخلوا عليه ، قال لهم : ماذا تقولون
في عيسى ابن مريم ؟ قالت : فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم :
هو عبد الله ورسوله ، وكلته ألقاها إلى مريم العذراء البتول : . قالت : ف ضرب النجاشي يده إلى الأرض ،
وأخذ منها عودا ، ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مريم ما قال هذا العود ، قالت : فتناخرت بطارقه حوله حين
قال ما قال ، فقال : وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي - والشيوم الآمنون - من سبكم غرم ،
ثم قال : من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم ما أحب أن لي دبراً من ذهب ، وأني آذيت رجلاً منكم -
قال ابن هشام : ويقال : دبري من ذهب . ويقال فأنتم سيوم ، والدبر - بلسان الحبشة الجبيل - ردوا عليهم
هداياهم ، فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي ، فأخذ الرشوة فيه ،
وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه . قالت : فخرجنا من عنده مقبوحين ، مردوداً عليهما ما جاء به ، وأقننا عنده
بخير دار ، مع خير جار .

المهاجرون يفرحون بانتصار النجاشي : قالت : فوالله إنا لعلنا ذلك ، إذ نزل به رجل من الحبشة يتنازع في
ملكه . قالت : فوالله ما علمتنا حزناً قط كان أشد علينا من حزن حزنه عند ذلك ، تخوفاً أن يظهر ذلك الرجل

على النجاشي ، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه ، قالت : وسار إليه النجاشي ، وبينهما عرض النيل ، قالت : فقال أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم : من رجل يخرج حتى يحضر وقيمة القوم ، ثم يأتينا بالخبر ؟ قالت : فقال الزبير بن العوام : أنا ، قالوا : فأنت - وكان من أحدث القوم سنا - قالت : فنفضوا له قربة فجعلها في صدره ، ثم سبج عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملثقي القوم ، ثم انطلق حتى حضروهم قالت : فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه ، والتمكين له في بلاده ، قالت : فوالله إنا لعل ذلك متوقعون لما هو كان ، إذ طلع الزبير وهو يسعى ، فلبع بثوبه وهو يقول : ألا أبشروا ، فقد ظفر النجاشي ، وأهلك الله عدوه ، ويمكن له في بلاده . قالت : فوالله ما علمتنا فرحة قط مثله . قالت : ورجع النجاشي ؛ وقد أهلك الله عدوه ؛ ويمكن له في بلاده ، واستوثق عليه أمر الحبشة ، فكنا عنده في خير منزل ، حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

قصة تملك النجاشي على الحبشة

قتل أبي النجاشي وتملك عمه : قال ابن إسحاق ؛ قال الزهري : فحدثت عروة بن الزبير حديث أبي بكر ابن عبد الرحمن عن أم سارية زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تدري ما قوله : ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي ، فأخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس في فأطيع الناس فيه ؟ قال : قلت : لا ، قال : فان عائشة أم المؤمنين حدثني أن أباه كان ملك قوم ، ولم يكن له ولد إلا النجاشي ، وكان للنجاشي عم ، لم من صلبه اثنا عشر رجلا ، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة فقالت الحبشة بيثا : لو أنا قتلنا أبا النجاشي ، وملكتنا أخاه فانه لا ولد له غير هذا الغلام ، وإن لأخيه من صلبه اثني عشر رجلا ، فتوارثوا ملكه من بعده ، بقيت الحبشة بعده دهرآ ، فغدوا على أبي النجاشي فقتلوه ، وملكوا أخاه فكشوا على ذلك حيناً .

الحبشة تبيع النجاشي : ونشأ النجاشي مع عمه - وكان ليبياً حازماً من الرجال - فطلب على أمر عمه ، ونزل منه بكل منزلة ، فلبارات الحبشة مكانه منه ، قالت بيثا : والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه ، وإنا لنتخوف أن يملكه علينا ، وإن ملكه علينا ليقتلنا جميعين ، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه فمشوا إلى عمه ، فقالوا : إما أن تقتل هذا الفتى ، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا ، فانا قد خضناه على أنفسنا ، قال : ويلكم ؟ قلت أباه بالأمس ، وأقتله اليوم ! بل أخرج من بلادكم قالت : فخرجوا به إلى السوق ، فباعوه من رجل من التجار بمائة درهم ، فقفذه في سفينة فأنطلق به ، حتى إذا كان العشي من ذلك اليوم ، هاجت سحابة من سحاب الخريف ، فخرج عمه يستمطر تحتها ، فأصابته صاعقة ، فقتلته . قالت : ففرغت الحبشة إلى ولده ، فاذا هو محقق ، ليس في ولده خير ، فرج على الحبشة أمرهم .

تولية النجاشي الأمر : فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك ، قال بعضهم لبعض : تعلموا والله أن ملككم الذي لا يقيم أمركم غيره للذي بعم غدوة ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة ؛ فادركوه الآن . قالت : فخرجوا في طلب الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه فأخذوه منه ، ثم جاءوا به ، ففعلوا عليه التاج ، وأفعده على سرير الملك ، فملكوه .

حديث التاجر الذي اشتراه : فجاءهم التاجر الذي كانوا باعوه منه ، فقال : إيمان أن تعطيني مالي ، وإيمان أكله في ذلك ؟ قالوا : لا نعطيك ، قال : إذن والله أكله ، قالوا : فدونك وإياه . قالت : لجأه فجلس بين يديه ، فقال : أيها الملك ، ابتعت غلاما من قوم بالسوق بستائة درهم ، فأسلموا إلى غلامي ، وأخذوا دراهمي ، حتى إذا سمعت بغلامي ، أدركوني ، فأخذوا غلامي ، ومنعوني دراهمي . قالت : فقال لهم النجاشي : لتعطينه دراهمه ، أو ليضعن غلامه يده في يده ، فليذهبن به حيث شاء ، قالوا : بل نعطينه دراهمه . فذلك يقول : ما أخذ الله من رشوة حين رد على ملكي ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيع الناس فيه . قالت : وكان ذلك أول ما خبر من صلاته في دينه ، وعدله في حكمه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ، عن عائشة قالت : لما مات النجاشي ، كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور .

إسلام النجاشي والصلاة عليه وخروج الحبشة عليه

قال ابن إسحاق : وحدثني جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : اجتمعت الحبشة ، فقالوا للنجاشي : إنك قد فارقت ديننا ، وخرجوا عليه قال : فأرسل إلى جعفر وأصحابه فيها لهم سفنا وقال : اركبوا فيها ، وكونوا كما أنتم ، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وإن ظفرت فائتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله ، وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، ثم جعله في قبائه عند المنكب اليمين ، وخرج إلى الحبشة ، وصفاؤه ، فقال يامعشر الحبشة ، ألسن أحق الناس بكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فكيف رأيتم سيرتي فيكم ؟ قالوا : خير سيرة ، قال : فالكتم ؟ قالوا : فافارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبد ، قال : فأتقولون أنتم في عيسى ؟ قالوا : نقول : هو ابن الله ، فقال النجاشي ، ووضع يده على صدره على قبائه : هو يشهد أن عيسى بن مريم يزد على هذا شيئا ، وإنما يعنى ما كتب ، فرضوا وانصرفوا ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما مات النجاشي صلى الله عليه واستغفر له .

إرسال قريش إلى النجاشي في أمر أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم

نسب عبد الله بن أبي ربيعة : ذكر ابن إسحاق أنهم أرسلوا عمرو بن العاصي ، وعبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة ، وأهدوا معهما هدايا إلى النجاشي . وعبد الله بن أبي ربيعة هذا كان اسمه بحيرا ، فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أسلم : عبد الله ، وأبوه : أبو ربيعة ذو الرحمنين ، وفيه يقول ابن الزهري :

بحيرا ابن ذى الرمحين قرب مجلسي وراح علينا فضله وهو عاتم

واسم أبي ربيعة عمرو ، وقيل : حذيفة ، وأم عبد الله بن أبي ربيعة : أسماء بنت محربة التيمية ، وهي أم أبي جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي ربيعة هذا هو والد عمر بن أبي ربيعة الشاعر ، ووالد الحارث أمير البصرة المعروف بالقباع ، وكان في أيام عمر والياً على الجند ، وفي أيام عثمان ، جاء لينصره ، فسقط عن دابته فمات .

عمارة بن الوليد : فصل : وكان معهما في ذلك السفر عمارة بن الوليد بن المغيرة تقدم ذكره حين قالت قريش لأبي طالب : خذ عمارة بدلا من محمد ، وادفع إلينا محمدا نقتله ، وكان عمارة من أجمل الناس ، فذكر أصحاب الأخبار أنهم أرسلوه مع عمرو بن العاصي إلى النجاشي ، ولم يذكره ابن إسحاق في رواية ابن هشام ، وذكر حديثه مع عمرو في رواية يونس ، ولكن في غير هذه القصة المذكورة هاهنا ، ولعل لإرسالهم إياه مع عمرو ، كان في المرة الأخرى التي سيأتي ذكرها في السيرة عند حديث إسلام عمرو ، ومن ذكر قصة عمارة بطولها أبو الفرج الأصبهاني ، وذكر أن عمراً سافر بامرأته ، فلما ركبوا البحر ، وكان عمارة قد هوى امرأة عمرو وهو يته ، فمزما على دفع عمرو ، أو كان ذلك من عمارة على غير قصد فدفع عمرافسقط في البحر ، فسمح عمرو ، ونادى أصحاب السفينة فأخذوه ورفعوه إلى السفينة ، فأضرمها عمرو في نفسه ، ولم يبد لها عمارة ، بل قال لامرأته - فيما ذكر أبو الفرج - قبل ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه ، فلما أنيا أرض الحبشة مكر به عمرو ، وقال : إني قد كتبت إلى بني سهم ليبرءوا من دمي لك ، فاكتب أنت لبني مخزوم ليبرءوا من دمك لي ، حتى تعلم قريش أنا قد تصافينا ، فلما كتب عمارة ، إلى بني مخزوم ، وتبرءوا من دمه لبني سهم ، قال شيخ من قريش : قتل عمارة - والله - وعلم أنه مكر من عمرو ، ثم أخذ عمرو يحرض عمارة على التعرض لامرأة النجاشي ، وقال له : أنت امرؤ جميل ، وهن النساء يحببن الجمال من الرجال ، فاعلمها أن تشفع لنا عند الملك في قضاء حاجتنا ، ففعل عمارة فلما رأى عمرو ذلك ، وتكرر عمارة على امرأة الملك ، ورأى إنابتها إليه ، أتى الملك منتصحا ، وجاءه بأمرأة عرفها الملك ، قد كان عمار أطلع عمراً عليها ، فأدركته غيرة الملك ، وقال : لولا أنه جاري لقتلته ، ولكن سأفعل به ما هو شر من القتل ، فدعا بالسواحر فأمرهن أن يسحرنه ، فنفخن في إحليله نفخة ، طار منها هائما على وجهه ، حتى لحق بالوحوش في الجبال ، وكان يرى آدميا فيفر منه ، وكان ذلك آخر العهد به إلى زمن عمر بن الخطاب فجاء ابن عمه عبد الله بن ربيعة إلى عمر ، واستأذنه في المسير إليه لعله يجده ، فأذن له عمر فسار عبد الله إلى أرض الحبشة ، فأكثر النشدة عنه ، والفحص عن أمره ، حتى أخبر أنه - بحبل يرد مع الوحوش ، إذا وردت ، ويصدر معها إذا صدرت ، فسار إليه حتى كمن له في الطريق إلى الماء ، فإذا هو قد غطاه شعره ، وتمزقت عليه ثيابه ، حتى كأنه شيطان ، فقبض عليه عبد الله ، وجعل يذكره بالرحم ويستعطفه وهو ينتفض منه ، ويقول : أرسلني يا بحير ، وأبى عبد الله أن يرسله ، حتى مات بين يديه ، وهو خبر مشهور اختصره بعض من ألف في السير ، وطوله أبو الفرج وأوردته على معنى كلامه ، متحريرا لبعض ألفاظه .

حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي : فصل : وذكر حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي ، وما قال له جعفر إلى

آخر القصة ، وليس فيها إشكال ، وفيه من الفقه : الخروج عن الوطن ، وإن كان الوطن مكة على فضلها ، إذا كان الخروج فراراً بالدين ، وإن لم يكن إلى إسلام ، فإن الحبشة كانوا نصارى يعبدون المسيح ، ولا يقولون : هو عبد الله . وقد تبين ذلك في هذا الحديث ، وسموا بهذه المهاجرين ، وهم أصحاب الهجرتين الذين أثنى الله عليهم بالسبق ، فقال : « والسابقون الأولون » وجاء في التفسير : أنهم الذين صلوا القبلتين ، وهاجروا الهجرتين ، وقد قيل أيضاً : هم الذين شهدوا بيعة الرضوان ، فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة ، وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار كفر ، لما كان فعلهم ذلك احتياطاً على دينهم ، ورجاء أن يخلى بينهم وبين عبادة ربهم ، يذكرونه آمنين مطمئنين ، وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر في بلد ، وأودى على الحق مؤمن ، ورأى الباطل قاهراً للحق ، ورجا أن يكون في بلد آخر — أى بلد كان — يخلى بينه وبين دينه ، ويظهر فيه عبادة ربه ، فإن الخروج على هذا الوجه حتم على المؤمن ، وهذه الهجرة التي لا تنقطع إلى يوم القيامة : « والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله » .

فصل : وليس في باقى حديثهم شيء يشرح ، قد شرح ابن هشام الشيوم ، وهم الآمنون ، فيحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة ، ويحتمل أن يكون لها أصل في العربية ، وأن تكون من شمت السيف إذا أغمدته ، لأن الآمن بمنعم عنه السيف ، أو لأنه مصون في صوان ، حرز كالسيف في غمده .

وقوله : ضوى إليك غلمان أى : آووا إليك ، ولاذوا بك ، وأما ضوى بكسر الواو ، فهو من الضوى مقصور ، وهو الهزال ، وقال الشاعر :

فتى لم تلده بنت عم قريبة فيضوى ، وقد يطوى رديد الغرائب

ومنه الحديث : اغتربوا لا تضربوا ، يقول : إن تزويج الغرائب يورث الضوى في الولد ، والضعف في القلب ، قال الراجز :

إن بلالا لم تشنه أمه لم يتناسب خاله وعمه

العين هل هي صفة أو جارحة : وفيه : قومهم أعلى بهم عينا ، أى : أبصر بهم ، أى : عينهم وإبصارهم فوق عين غيرهم في أمرهم ، فالعين هاهنا بمعنى الرؤية والإبصار ، لا بمعنى العين التي هي الجارحة ، وما سميت الجارحة عيناً إلا مجازاً ، لأنها موضع العيان ، وقد قالوا : عانه يعينه عينا إذا رآه ، وإن كان الأشهر في هذا أن يقال : عاينه معاينة ، والأشهر في عنت أن يكون بمعنى الإصابة بالعين ، وإنما أوردنا هذا الكلام ، لتعلم أن العين في أصل وضع اللغة صفة لا جارحة ، وأنها إذا أضيفت

إلى البارئ سبحانه ، فإنها حقيقة نحو قول أم سلمة لعائشة: بمن الله عليك ، وعلى رسول الله تدين ؟ وفي التنزيل: ولتصنع على عيني ، وقد أملينا في المسائل المفردات : مسألة في هذا المعنى ، وفيها الرد على من أجاز الشنية في العين مع إضافتها إلى الله تعالى ، وقاسها على اليمين ، وفيها الرد على من احتج بقول النبي عليه السلام : إن ربكم ليس بأعور ، وأوردنا في ذلك ما فيه شفاء ، واتبعناه بمعان بدیعة في معنى عور الدجال ، فليُنظر هنالك .

عيسى كلمة الله وروحه: وفول جعفر بن عيسى : هو روح الله وكلمته ، ومعنى : كلمته أى : قال له ، كما قال لآدم حين خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون ، ولم يقل : فكان ، لئلا يتوهم وقوع الفعل بعد القول بيسير ، وإنما هو واقع للحال ، فقوله : فيكون مشعراً بوقوع الفعل في حال القول ، وتوجه الفعل بيسير على القول ، لا يمكن مستقداً ولا مستأخراً ، فهذا معنى الكلمة ، وأما روح الله ، فلأنه نفخة روح القدس في جيب الطاهرة المقدسة ، والقدس : الطاهرة من كل ما يشين ، أو يعيب ، أو تقذره نفس ، أو يكرهه شرع ، وجبريل : روح القدس ، لأنه روح لم يخلق من منى ، ولا صدر عن شهوة ، فهو مضاف إلى الله سبحانه إضافة تشریف وتكریم ، لأنه صادر عن الحضرة المقدسة وعيسى عليه السلام صادر عنه . فهو : روح الله على هذا المعنى ، إذ النفخ قد يسمى : روحاً أيضاً ، كما قال غيلان يصف النار :

فقلت له : ارفعها إليك ، وأحيها بروحك ، واغدرها لها قيته بدرأ

وأضف هذا الكلام في روح القدس ، وفي تسمية النفخ روحاً إلى ما ذكرناه قبل في حقيقة الروح ، وشرح معناه فإنه تكلمة له .

حديث عائشة عن النجاشي : فصل : وذكر حديث عائشة عن النجاشي حين رد الله عليه ملكه ، وأن قومه كانوا باعوه ، فلما مرج أمر الحبشة ، وأخذوه من سيده واستردوه . وظاهر الحديث يدل على أنهم أخذوه منه قبل أن يأتي به بلاده لقوله : خرجوا في طلبه ، فأدركوه ، وقد بين في حديث آخر أن سيده كان من العرب وأنه استعبده طويلاً ، وهو الذي يقتضيه قوله : فلما مرج على الحبشة أمرهم ، وضاق عليهم ما هم فيه ، وهذا يدل على طول المدة في مغيبه عنهم ، وقد روى أن وقعة بدر حين انتهى خبرها إلى النجاشي علم بها من عنده من المسلمين ، فأرسل إليهم ، فما دخلوا عليه إذا هو قد لبس مسحاً ، وقعد على التراب والرماد ، فقالوا له : ما هذا أيها الملك ؟ فقال : إنا نجد في الإنجيل أن الله سبحانه إذا أحدث بعبد ، وجب على العبد أن يحدث لله تواضعاً ، وإن الله قد أحدث إلينا وإليك نعمة عظيمة ، وهى أن النبي محمداً - صلى الله عليه وسلم - بلغني أنه التقى هو وأعداؤه بواد يقال له : بدر كثير الأراك ، كنت أرعى فيه الغنم على سيدى ، وهو من بنى ضمرة وأن الله قد هزم أعداءه فيه ، ونصر دينه ، فدل هذا الخبر على طول مكثه في بلاد العرب ، فمن هنا - والله أعلم - تعلم من

لسان العرب ما فهم به سورة مريم حين تليت عليه ، حتى بكى ، وأخضل لحيته ، وروى عنه أنه قال : إنا نجد في الإنجيل أن اللعنة تقع في الأرض إذا كانت إمارة الصبيان .

ما يأخذ من الذقة في حديث هجرة الحبشة : فصل : وما في حديث الهجرة الى الحبشة من الفقه أن جعفر ابن أبي طالب قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم كيف نصلى في السفينة اذا ركبنا في البحر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : صل قائماً الا أن تخاف الغرق . خرج الدارقطني ، ولكن في اسناده مقال ، وفي مسند ابن أبي شيبة : وصلى أنس في السفينة جالسا . وذكر البخاري عن الحسن : يصلي قائماً الا أن يضر بأهلها .

كتاب النجاشي واتصاله عليه : فصل : وذكر الكتاب الذي كتبه النجاشي ، وجعله بين صدره وقبائه ، وقال للقوم : أشهد أن عيسى لم يزد على هذا ، وفيه من الفقه أنه لا ينبغي المؤمن أن يكذب كذباً صراحاً ، ولا أن يعطى بلسانه الكفر ، وإن أكره ما أمكنه الحيلة ، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب ، وكذلك قال أهل العلم في قول النبي عليه السلام : ليس بالكاذب من أصلح بين اثنين ، فقال خيرا . روته أم كلثوم بنت عقبة . قالوا : معناه أن يعرض ، ولا يفصح بالكذب ، مثل أن يقول : سمعته يستغفر لك ، ويدعو لك ، وهو يعنى أنه سمعه يستغفر المسلمين ، ويدعو لهم ؛ لأن الآخر من جملة المسلمين ، ويحتمل في التعريض ما استطاع ، ولا يختلق الكذب اختلاقاً ، وكذلك في خدعة الحرب يورى ، ويكنى ، ولا يخلق الكذب يستحل به ما جاء من إباحة الكذب في خدع الحرب ، هذا كله ما وجد إلى الكناية سبيلاً .

وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم : صلى على النجاشي ، واستغفر له ، وكان موت النجاشي في رجب من سنة تسع ، ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس في اليوم الذي مات فيه ، وصلى عليه بالبقيع ، رفع إليه مريره بأرض الحبشة حتى رآه ، وهو بالمدينة فصلى عليه ، وتكلم المنافقون ، فقالوا : أيصلى على هذا العلج ؟ فأنزل الله تعالى « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم ، وما أنزل إليهم ، ومن رواية يونس عن ابن إسحاق أن أبا نذر مولى علي بن أبي طالب ، كان ابناً للنجاشي نفسه ، وأن علياً وجده عند تاجر بمكة ، فاشتراه منه ، وأعتقه مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين .

وذكر أن الحبشة مرج عليها أمرها بعد النجاشي ، وأنهم أرسلوا وفداً منهم إلى أبي نذر ، وهو مع علي ليلسكه ويتوجوه ، ولم يختلفوا عليه فأبى وقال : ما كنت لأطلب الملك بعد أن من الله على بالإسلام ، قال وكان أبو نذر من أطول الناس قاماً ، وأحسنهم وجهاً ، قال : ولم يكن لونه كاللون الحبشة ، ولكن إذا رأيته قلت : هذا رجل من العرب .

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه واعتزاز المسلمين به

قال ابن إسحاق: ولما قدم عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وردهما النجاشي بما يكرهونه ، وأسلم عمر بن الخطاب - وكان رجلاً ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره - امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبجمرة حتى عازوا قريشاً ، وكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة ، حتى أسلم عمر بن الخطاب ، فلما أسلم قاتل قريشاً ، حتى صلى عند الكعبة ، وصلينا معه ، وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة .

قال البكاءي : قال : حدثني : مسعر بن كدام ، عن سعد بن إبراهيم ، قال : قال عبد الله بن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحاً ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم ، قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة ، وصلينا معه .

حديث أم عبد الله بنت أبي حثمة عن عمر : قال ابن إسحاق : حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة قالت :

والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا ، إذ أقبل عمر بن الخطاب ، حتى وقف على ، وهو على شركه - قالت : وكنا نلقي منه البلاء أذى لنا ، وشدة عاينا - قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أم عبد الله . قالت : فقلت : نعم والله ، لنخرجن في أرض الله ، آذيتونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله مخرجاً . قالت : فقال : صحبتكم الله ، ورأيت له رقة ، لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه - فيما أرى - خروجنا . قالت : لجاء عامر بحاجته تلك ، فقالت له : يا أبا عبد الله ، لو رأيت عمر آثماً ورفته وحزنه علينا ! قال : أطمعت في إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم ، قال : فلا يسلم الذي رأيت ، حتى يسلم حمار الخطاب ، يأسامنه ، لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام .

سبب إسلام عمر : قال ابن إسحاق : وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب ، وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلمها سعيد بن زيد ، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النحام من مكة ، رجل من قومه ، من عدى بن كعب قد أسلم ، وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فرقا من قومه ، وكان خباب بن الارت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورهطاً من أصحابه ، قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمه حمزة ابن عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق ، وعلى بن أبي طالب ، في رجال من المسلمين رضي الله عنهم ، ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة ، فلقبه نعيم بن عبد الله ،

فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد محمداً هذا الصابي ، الذي فرق أمر قريش ، وسفه أعلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها ، فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد عرتك نفسك من نفسك يا عمر ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمداً ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأى أهل بيتي ؟ قال : خنتك وابن عمك سعيد بن زيد ابن عمرو ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلبا ، وتابعا محمداً على دينه ، فمليك بهما ، قال : فرجع عمر عامداً إلى أخته وخخته ، وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة ، فيها : (طه) يقرئهما إياها ، فلما سمعوا حسن عمر تغيب خباب في مخدع لهم - أو في بعض البيت - وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة ، فجعلتها تحت لحيها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهم ، فلما دخل قال : ما هذه البيضة التي سمعت ؟ قالوا له : ما سمعت شيئاً ، قال : بلى والله لقد أخبرت أنسكاً تابعتما محمداً على دينه ، وبطش بخخته سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ، فضر بها فشحها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وخخته : نعم قد أسلبنا ، وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدالك : فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع ، فارعوى ، وقال لأخته : اعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون أنفاً انظر ما هذا الذي جاء به محمد ، وكان عمر كاتباً ، فلما قال ذلك ، قالت له أخته : إنا نخشاك عليها ، قال : لا تخافي ، وحلف لها بألته ليردنها إذا قرأها لإيها ، فلما قال ذلك ، طمعت في إسلامه ، فقالت له : يا أخى ، إنك نجس ، على شركك ، ولأنه لا يمسه إلا الطاهر ، فقام عمر ، فاغتسل ، فأعطته الصحيفة ، وفيها : (طه) فقرأها ، فلما قرأ منها صدرأ ، قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه ، فقال له : يا عمر ، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فإنى سمعته أمس ، وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام ، أو بعمر بن الخطاب ، فآله الله يا عمر : فقال له عند ذلك عمر : فدلنى يا خباب على محمد حتى آتيه ، فأسلم ، فقال له خباب : هو في بيت عند الصفا ، معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ، ثم عمد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، فضر بهم عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته ، قام رجل من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنظر من خلل الباب ، فرآه متوشحاً بالسيف ، فرجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو فزع ، فقال : يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف ، فقال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له ، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له ، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : أئذن له ، فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى لقيه في الحجرة ، فأخذ حمزته ، أو بمجمع رداءه ، ثم جبذه به جبذة شديدة ، وقال : ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنهى حتى ينزل الله بك فارعة ، فقال عمر : يا رسول الله ، جئتك لاومن بالله ورسوله ، وبما جاء من عند الله ، قال : فكبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن عمر قد أسلم .

فتفرق أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مكائهم ، وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة ، وعرفوا أنهم ساسيمنعان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وينصفون بهما من عدوهم . فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب حين أسلم .

مارواه عطاء ومجاهد في إسلام عمر : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نعيم المكي ، عن أصحابه : عطاء ، ومجاهد ، أو عن روى ذلك : أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه ، أنه كان يقول : كنت للإسلام مباحداً ، وكنت صاحب خمر في الجاهلية ، أحبها وأمر بها ، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالجزورة ، عند دور آل عمر بن عبد بن عمران المخزومي ، قال : فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذلك ، قال : فجلسهم فلم أجد فيه منهم أحداً . قال : فقلت : لو أني جئت فلانا الخمار ، وكان بمكة يبيع الخمر ، لعلني أجد عنده خمرأ فأشرب منها . قال : فخرجت فجلسته فلم أجده . قال : فقلت : فلو أني جئت الكعبة ، فطفت بها سبعا أو سبعين . قال : فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة ، فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائم يصلي ، وكان إذا صلى استقبل الشام ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مصلا بين الركنين : الركن الأسود ، والركن اليماني . قال : فقلت : حين رأيته : والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول ! قال : فقلت : لئن دنوت منه أستمع منه لأرو عنه ، فجئت من قبل الحجر ، فدخلت تحت ثيابها ، فجعلت أمشي رويدا ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائم يصلي يقرأ القرآن ، حتى قمت في قبلته مستقبلة ، ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة . قال : فلما سمعت القرآن رق له قلبي ، فبكيت ودخلني الإسلام ، فلم أزل قائما في مكان ذلك ، حتى قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاته ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين ، وكانت طريقه ، حتى يجزع المسعى ، ثم يسلك بين دار عباس بن المطلب ، وبين دار ابن أزهر بن عبد عوف الزهري ، ثم على دار الأخنس ابن شريق ، حتى يدخل بيته ، وكان مسكنه - صلى الله عليه وسلم - في الدار الرقطاء ، التي كانت بيدي معاوية ابن أبي سفيان . قال عمر رضي الله عنه : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ، ودار ابن أزهر ، أدركته ، فلما سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حسي عرفني ، فظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أني إنما تبعته لأوذي ، فنهضني ، ثم قال : ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟ قال : قلت : جئت لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله ، قال : فحمد الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : قد هداك الله يا عمر ، ثم مسح صدري ، ودعاني بالثبات ، ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته .

قال ابن إسحاق : والله أعلم أي ذلك كان .

ثبات عمر في إسلامه : قال ابن إسحاق : وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر ، قال : لما أسلم أبي عمر ، قال : أي قريش أنقل للحديث ؟ فقيل له : جميل بن معمر الجمحي . قال : فغدا عليه ، قال عبد الله بن عمر : فعدوت أتبع أثره ، وانظر ما يفعل ، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت ، حتى جاء ، فقال له : أعليت يا جميل أني قد أسليت : ودخلت في دين محمد ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجر داءه واتبعه عمر ؛ واتبعه أبي ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، وهم في أنديتهم حول باب الكعبة ، ألا إن

عمر بن الخطاب قد صبا ، قال : يقول عمر من خلفه : كذب ، ولكنى قد أسلمت ، وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاثلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم . قال : وطلع ، فقمعد وقاموا على رأسه ، وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلثمائة رجل لتركناها لكم ، أو لتركتموها لنا ، قال : فينبأهم على ذلك ، إذ أقبل شيخ من قریش ، عليه حلة حبرة ، وقمص موشى ، حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صبا عمر ، فقال : فمه ، رجل اختار لنفسه أمراً ، فإذا تريدون ؟ أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ اخلوا عن الرجل . قال : فوالله لكانما كانوا ثوباً كشط عنه . قال : فقلت لأنى بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت ، من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت ، وهم يقاتلونك ؟ فقال : ذلك ، أى بنى ، العاص بن وائل السهمى .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم ، أنه قال : يا أبت ، من الرجل الذى زجر القوم عنك يوم أسلمت ، وهم يقاتلونك ، جزاه الله خيراً ؟ قال : يا بنى ذاك العاص بن وائل ، لا جزاه الله خيراً .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن الحارث عن بعض آل عمر ، أو بعض أهله ، قال : قال عمر : لما أسلمت تلك الليلة ، تذكرت أى أهل مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداة حتى آتته ، فأخبره أنى قد أسلمت ، قال : قلت : أبو جهل . وكان عمر لحنتمه بذت هشام بن المغيرة - قال : فأقبلت حين أصبحت ، حتى ضربت عليه بابه . قال : فخرج إلى أبو جهل ، فقال : مرحباً وأهلاً بابن أختى ، ما جاء بك ؟ قال : جئت لأخبرك أنى قد آمنت بالله ورسوله محمد ، وصدقت بما جاء به ، قال : فضرب الباب في وجهى ، وقال : قبحك الله ، وقبح ما جئت به .

إسلام عمر

فصل : فى حديث إسلام عمر . ذكره إلى آخره ، وليس فيه إشكال ، وكان إسلام عمر والمسلمون إذ ذاك بضعة وأربعون رجلاً ، وإحدى عشرة امرأة .

حديث خباب : وفيه : أن خباباً وهو ابن الأرت كان يقرئ فاطمة بنت الخطاب القرآن ، وخباب تيمى بالنسب ، وهو خزاعى بالولاء لأم أثمار بنت سباع الخزاعى ، وكان قد وقع عليه سباء ، فاشتريته وأعتقته ، فولأوه لها ، وكان أبوها حليفاً لعوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، فهو زهرى بالحلف ، وهو ابن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمه بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكان قينا يعمل السيوف فى الجاهلية ، وقد قيل : إن أمه كانت أم سباع الخزاعية ، ولم يلحقه سباء ، ولكنه انتمى إلى حلفاء أمه بنى زهرة ، يكنى : أبا عبد الله ، وقيل : أبا يحيى ، وقيل أبا محمد مات بالكوفة سنة تسع وثلاثين بعد ما شهد مع على صفين والنهروان ، وقيل : بل مات سنة سبع وثلاثين . ذكر أن عمر بن الخطاب سأله عما لقي فى ذات الله ، فكشف ظهره ، فقال عمر : ما رأيت كالיום ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد أوقدت لى نار ، فما أطفأها إلا شحمى .

تطهير عمر ليمس القرآن : فصل : وفيه ذكر تطهير عمر ليمس القرآن ، وقول أخته لا يمسه إلا المطهرون ، والمطهرون فى هذه الآية هم الملائكة ، وهو قول مالك فى الموطأ ، واحتج بالآية الأخرى التى فى سورة عبس ،

ولكنهم وإن كانوا الملائكة ، ففي وصفهم بالطهارة مقرونا بذكر المس ما يقتضى ألا يمسه إلا طاهر اقتداءً بالملائكة المطهرين ، فقد تعلق الحكم بصفة التطهير ، ولكنه حكم مندوب إليه ، وليس محمولا على الفرض ، وكذلك ما كتب به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعمر بن حزم : « وألا يمس القرآن إلا طاهر » ليس على الفرض ، وإن كان الفرض فيه أبين منه في الآية ، لآية جاء بلفظ النهي عن مسه على غير طهارة ، ولكن في كتابه إلى هرقل بهذه الآية : « ياهل الكتاب تعالوا إلى كلمة ، دليل على ما قلناه ، وقد ذهب داود وأبو ثور وطائفة من سلف ، منهم الحكم بن عتيبة وحماد بن أبي سليمان إلى إباحة مس المصحف على غير طهارة ، واحتجوا بما ذكرنا من كتابه إلى هرقل ، وقالوا : حديث عمرو بن حزم مرسل ، فلم يروه حجة ، والدارقطني قد أسنده من طرق حسان ، أقواها : رواية أبي داود الطيالسي عن الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه عن جده ، وبما يقوى أن المطهرين في الآية هم الملائكة ، أنه لم يقل : المتطهرون .

المطهرون والمتطهرون : وإنما قال المطهرون ، وفرق ما بين المتطهر والمطهر : أن المتطهر من فعل الطهور ، وأدخل نفسه كالمثقف من يدخل نفسه في الفقه ، وكذلك المتفعل في أكثر الكلام ، وأنشد سيدييه :

وقيس عيلان ومن تقيسا

فالأدميون متطهرون إذا تطهروا ، والملائكة مطهرون خلقه ، والآدميات إذا تطهرن : متطهرات ، وفي التنزيل . « فإذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله » والخور العين مطهرات ، وفي التنزيل : « لهم فيها أزواج مطهرة » وهذا فرق بين وقوة لتأويل مالك رحمه الله ، والقول عندى في الرسول عليه السلام أنه متطهر ومطهر ، أما متطهر ، فإنه بشر آدمي يغتسل من الجنابة ، ويتوضأ من الحدث ، وأما مطهر فإنه قد غسل بطنه ، وشق عن قلبه ، وملىء حكمة وإيمانا فهو مطهر ومتطهر ، واضمم هذا الفصل الى ما تقدم في ذكر مولده من هذا المعنى ، فإنه تكملة والحمد لله .

وفي تطهر عمر قبل أن يظهر الإسلام قوة لقول ابن القاسم : إن الكافر إذا تطهر قبل أن يظهر لإسلامه ، ويشهد الشهادتين أنه مجزئ له ، وقد عاب قول ابن القاسم هذا كثير من الفقهاء ، وكذلك في خبر اسلام سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير ، وقد سأله : كيف يصنع من يريد الدخول في هذا الدين ، فقال : يتطهر ، ثم يشهد بشهادة الحق ، ففعل ذلك هو وأسيد بن حضير ، وحديث اسلام عمر ، وإن كان من أحاديث السير ، فقد خرجه الدارقطني في سننه ، غير أنه خرج أيضاً من طريق انس أن اخت عمر قالت له : انك رجس ، ولا يمسك إلا المطهرون ، فقم فاغتسل أو توضأ ، فقام فتوضأ ، ثم اخذ الصحيفة وفيها سورة طه ، ففي هذه الرواية أنه كان وضوءاً ، ولم يكن اغتسالاً ، وفي رواية يونس : أن عمر حين قرأ في الصحيفة سورة طه انتهى منها الى قوله : « لتجزى كل نفس بما تسعى » فقال : ما اطيب هذا الكلام واحسنه ، وذكر هذا الحديث بطوله ، وفيه ان الصحيفة كان فيها مع سورة طه « إذا الشمس كورت » ، وإن عمر انتهى في قراءتها الى قوله « علقت نفس ما أحضرت » .

أقوال أخرى في إسلام عمر : فصل : وذكر ابن سنجر زيادة في اسلام عمر ، قال : حدثنا أبو المنيرة قال : نا صفوان بن عمرو ، قال : حدثني شريح بن عبيد ، قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرض رسول الله

صلى الله عليه وسلم - قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد ، فقممت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن قال : قلت : هذا والله شاعر ، كما قالت قریش ، فقرأ : « إنا أنزلناه بقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون » قال : قلت : كاهن عـلم ما في نفسي ، فقال : « ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون » إلى آخر السورة قال : فوقع الإسلام في قلبي كل موقع .

ما قاله عمر من الشعر حين أسلم : وقال عمر حين أسلم :

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| الحمد لله ذى المن الذى وجبت | له علينا أياد مالهـا غير |
| وقد بدأنا فكذبنا ، فقال لنا | صدق الحديث نبى عنده الخبر |
| وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى | ربى عشية قالوا : قد صبا عمر |
| وقد ندمت على ما كان من زلل | بظلمها حين تتلى عندها السور |
| لما دعت ربها ذا العرش جاهدة | والدمع من عينها عجلان يبتدر |
| أيقنت أن الذى تدعوه خالقها | فكاد تسبقني من عبرة درر |
| فقلت : أشهد أن الله خالقنا | وأن أحمد فينا اليوم مشتهر |
| نبى صدق أتى بالحق من ثقة | وافى الأمانة ما فى عوده خور |

رواه يونس عن ابن إسحاق . وذكر البزار فى إسلام عمر أنه قال :

فلما أخذت الصحيفة ، فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، فجعلت أفكر : من أى شىء اشتق ، ثم قرأت فيها : « سبح لله ما فى السموات والأرض » . وجعلت أقرأ وأفكر حتى بلغت : « آمنوا بالله ورسوله » ، فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

الهيمنة - فى حديث إسلام عمر : وفى حديث إسلام عمر : قال : ما هذه الهيمنة ، والهيمنة : كلام لا يفهم ، واسم الفاعل منه مهيم ، كأنه تصغير ، وليس بتصغير ، ومثله المبيطر ، والمهيمن ، والمبيقر بالقاف ، وهو المهاجر من بلد إلى بلد ، والمسيطر ، ولو صغرت واحداً من هذه الأسماء لحذفت الياء إزائدة ، كما تحذف الالف من مفاعل ، وتلحق ياء التصغير فى موضعها ، فيعود اللفظ إلى ما كان ، فيقال فى تصغير مهيم ومبيطر : مهيم ومبيطر ، فإن قيل : فهلا قلتم : إنه لا يصغر ، إذ لا يعقل تصغير على لفظ التكبير ، وإلا فما الفرق ؟ فالجواب أنه قد يظهر الفرق بينهما فى مواضع ، منها : الجمع ، فإنك تجمع مبيطر : مباطر بحذف الياء ، وإذا كان مصغراً لا يجمع إلا بالواو والنون ، فتقول : مبيطرون ، وذلك أن التصغير لا يكسر ، لأن تكسيره يؤدى إلى حذف الياء فى الخامس لأنها زائدة كالالف ، فيذهب معنى التصغير ، وأما الثلاثى المصغر فيؤدى تكسيره إلى تحريك ياء التصغير أو همزها وذلك أن يقال فى فلاس فلاس ، فيذهب أيضاً معنى التصغير لتصغير لفظ الياء التى هى دالة عليه ، ولو بنيت اسم فاعل من : بيأس لقلت فيه مبيئس ، ولو سهات الهمزة حركت الياء فقلت فيه : مبييس ، وتقول فى تصغيره إذا

خبر الصحيفة

التمار قریش بالرسول : قال ابن اسحاق : فلما رأيت قریش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدًا أصابوا أمناً وقراراً ، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحزبة ابن عبد المطلب مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، وجعل الإسلام يفشو في القبائل ، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم ، وبني المطلب ، على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتوافقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة تؤكد على أنفسهم ، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عسكرة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي - قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث - فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبل بعض أصحابه .

صغرت : مبس بالادغام ، كما تقول في أبوس : أبيس ، ولا تنقل حركة الهمزة إلى الياء إذا سهلت ، كما تنقلها في اسم الفاعل من يباس ونحوه ، إذا سهلت الهمزة ، وهذه مسألة من التصغير بدعية يقوم على تصحيحها البرهان .
معنى النهيم وخلوا : فصل : وفي حديث إسلام عمر : فنهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم - أي زجره ، والنهيم : زجر الأسد ، والنهاي : الحداد والنهام : طائر . وفيه قول العاصي بن وائل قال : هكذا خلوا عن الرجل وهي كلمة معناها : الأمر بالتنحي ، فلايس يعمل فيها ما قبلها ، كما يعمل إذا قلت : اجلس هكذا ، أي : على هذه الحال . وإن كان لابد من عامل فيها إذا جعلتها للأمر ، لأنها كاف التشبيه دخلت على ذا ، وها : تنبيه ، فيقدر العامل إذا مضى ، كأنك قلت : ارجعوا هكذا ، وتأخروا هكذا ، واستغنى بقولك : هكذا عن الفعل ، كما استغنى برويداً عن ارفق .

جميل بن معمر : فصل وذكر قول عمر لجميل بن معمر الجمحي : إني قد أسلمت ، وبايعت محمداً ، فصرخ جميل بأعلى صوته : ألا ان عمر صبا . جميل هذا هو الذي كان يقال له : ذو القليين ، وفيه نزات في أحد الأقوال ، ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه وفيه قيل :

وكيف ثوائي بالمدينة بعد ما قضى وطراً منها جميل بن معمر

وهو البيت الذي تنفى به عبد الرحمن بن عوف في منزله ، واستأذن عمر فسمعه ، وهو يتغنى ، وينشد بالركبانية وهو غناء يحدى به الركاب ، فما دخل عمر قال له عبد الرحمن : إنا إذا خلونا ، قلنا ما يقول الناس في بيوتهم : وقلب المبرد هذا الحديث ، وجه المشد عمر ، والمستأذن عبد الرحمن ، ورواه الزبير كما تقدم ، وهو أعلم بهذا الشأن .

قال ابن إسحاق : فلما فوات ذلك فريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه ، وخرج من بني هاشم : أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، إلى قريش ، فظاهرهم .

موقف أبي لهب من رسول الله صلى الله عليه وسلم

تهكم أبي لهب بالرسول وما نزل فيه من القرآن : قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله : أن أبا لهب لقي هند بنت عتبة بن ربيعة ، حين فارق قومه ، وظاهر عليهم فريشاً ، فقال : يا بنت عتبة ، هل نصرت اللات والعزى ، وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما ؟ قالت : نعم ، لجزاك الله خيراً يا أبا عتبة .

قال ابن إسحاق : وحدثت أنه كان يقول في بعض ما يقول : يعدني محمد أشياء لا أراها ، يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فإذا وضع في يدي بعد ذلك ، ثم ينفخ في يديه ويقول : تبالحكا ، ما أرى فيك شيئاً مما يقول محمد ، فأنزل الله تعالى فيه : « تبت يدا أبي لهب وتب » .

قال ابن هشام : تبت : خسرت . والتباب : الخسران . قال حبيب بن خدره الخارجي : أحد بني هلال بن عامر بن صعصعة :

يا طيب إنما في معشر ذهبت مسعاتهم في التبار والتب

وهذا البيت في قصيدة له .

شعر أبي طالب في ذلك قال ابن إسحاق : فلما اجتمعت على ذلك قريش ، وصنعوا فيه الذي صنعوا ، قال أبو طالب :

| | |
|-----------------------------------|---------------------------------|
| ألا أبلغا عنى على ذات يئسنا | أؤيا وخصاً من لؤى بنى كعب |
| ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً | نبياً كموسى خط في أول الكتب |
| وأن عليه في العباد محبة | ولا خير من خصه الله بالحب |
| وأن الذى ألصقتم من كتابكم | لكم كائن نحسا كراغية السقب |
| أفيقوا أفيقوا، قبل أن يحفر الأثرى | ويصبح من لم يحن ذنباً كذى الذنب |
| ولا تتبعوا أمر الوشاة ، وتقطعوا | أواصرنا بعد المودة والقرب |
| وتستجلبوا حرباً عوانا ، وربما | أمر على من ذاقه جاب الحرب |
| فلسنا - ورب البيت - نسلم أحداً | لعزاء من عض الزمان ولا كرب |

ولما تبين منا ، ومنكم سوائف وأيد أترت بالقساسة الشهب
بمترك ضيق ترى كسر القنا به والنسور الطخم، يمكف كالشرب
كان مجال الخيل في حجراته ومعممة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شد أزره وأوصى بذيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب ، حتى تملنا ولا نشتكى ما قد يتوب من النكب
ولكننا أهل الحفاظ والنهى إذا طار أرواح الكعاة من الرعب

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً ، حتى جهدوا لا يصل إليهم شيء ، إلا مرأستهم تخفياً به من أرادهمهم
من قريش .

أبو جهل يحكم الحصار على المسلمين : وقد كان أبو جهل بن هشام - فيما يذكرون - لقي حكيم بن حزام بن
خويلد بن أسد ، معه غلام يحمل قحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد ، وهي عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم
- ومعه في الشعب ، فتعلق به ، وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ والله لا تبرح أنت وطعامك ، حتى أفضحك
بمكة فجاء أبو البختری بن هاشم بن الحارث بن أسد فقال : مالك وله ، فقال : يحمل الطعام إلى بني هاشم ، فقال
أبو البختری : طعام كان لعمته عنده بعثت إليه فيه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ ! خل سبيل الرجل ، فأبى أبو جهل
حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البختری لحى بعير ، فضربه به فشججه ، ووطئه وطأ شديداً ، وحزوة بن
عبد المطلب قريب يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، فيشتموا
بهم ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، منادياً بأمر الله
لا يتقى فيه أحداً من الناس .

ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

لجملت قريش حين منعه الله منها ، وقام عمه وقومه من بني هاشم وبني المطلب دونه ، وحالوا بينهم ، وبين
ما أرادوا من البطش به ، يهزونه ، ويستهزئون به ، ويخاصموناه ، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم ، وفيمن
نصب لعداوتهم منهم ، ومنهم من سبى لنا .

ما نزل من القرآن في أبي لهب وامراته : ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار ، فكان
من سبى لنا من قريش من نزل فيه القرآن : عمه أبو لهب بن عبد المطلب وامراته أم جميل بنت حرب بن أمية ،
حمالة الخطب ، وإنما سماها الله تعالى حمالة الخطب ، لأنها كانت - فيما بلغني - تحمل الشوك ، فتطرحه على طريق

رسول الله صلى الله عليه وسلم - حيث يمر ، فأنزل الله تعالى فيهما : « تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أخفى عنه ماله وما كسب ، سيصلي ناراً ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب ، في جيدها حبل من مسد » .

قال ابن هشام : الجيد : العنق . قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

يوم تبدى لنا قتيلة عن جيد أسيل تزينه الاطواق

وهذا البيت في قصيدة له . وجمعه : أجياد . والمسد : شجر يدق كما يدق الكتان ، فتقتل منه حبال . قال النابغة الذبياني - واسمه زياد بن عمرو بن معاوية :

مقدوفة بدخيس النحضر بازها له صريف صريف القعو بالمسد

وهذا البيت في قصيدة له ، وواحدته : مسدة .

أم جميل امرأة أبي لهيب : قال ابن إسحاق : فذكر لي : أن أم جميل : حمالة الحطب ، حين سمعت ما نزل فيها ، وفي زوجها من القرآن ، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس في المسجد عند الكعبة ، ومعه أبو بكر الصديق ، وفي يدهما فهر من حجارة ، فلما وقفت عليهما أخذ الله يبصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر ، أين صاحبك ، فقد بلغني أنه يهجوني ؟ والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ، أما والله إنى لشاعرة ثم قالت :

مذمما عصينا وأمره أرينا

ودينه قلينا

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله أما تراها رأيتك ؟ فقال : ما رأيتي ، لقد أخذ الله يبصرها عني ،

قال ابن هشام : قولها : « ودينه قلينا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وكانت قريش إنما تسمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مذمما ، ثم يسبون ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا تعجبون لما يصرف الله عني من أذى قريش ، يسبون ويهجون مذمما ، وأنا محمد !

إيذاء أمية بن خلف للرسول : وأمие بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، كان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه ، فأنزل الله تعالى فيه : « ويل لكل همزة لمزة ، التي جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخذه ، فلا لينبذ في الحطمة ، وما أدراك ما الحطمة ، نار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة ، إنها عليهم مؤصده ، في عهد مددة » .

قال ابن هشام : الحمزة : الذي يشتم الرجل علانية ، ويكسر عينيه عليه ، وينمز به . قال حسان بن ثابت :

همزتك فاختضعت لذل نفس بقافية تأجج كالشواظ

وهذا البيت في قصيدة له . وجمعه : همزات . واللمزة : الذي يعيب الناس سرأ وبؤذيم . قال رؤبة بن العجاج :

في ظل عصري باطلي ولمزى

وهذا البيت في أرجوزة له ، وجمعه : لمزات .

إيذاء العاص للرسول : قال ابن إسحاق : والعاص بن وائل السهمي ، كان خباب بن الارت صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قينا بمكة يعمل السيوف ، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفاً عملها له ، حتى كان له عليه مال ، فجاءه يتقاضاه ، فقال له : يا خباب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب ، أوفضة ، أو ثياب ، أو خدم ؟ قال خباب : بلى . قال : فأناظرني إلى يوم القيامة يا خباب ، حتى أرجع إلى تلك الدار ، فأفضيك هنالك حقك ، فوالله لا تكون أنت وصاحبك يا خباب أثر عند الله مني ، ولا أعظم حظاً في ذلك ، فأنزل الله تعالى فيه : « أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولداً ، اطلع النيب ، ... إلى قوله تعالى : « ونزله ما يقول وبآياتنا فرداً » .

إيذاء أبي جهل للرسول : وابق أبو جهل بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - فقال له : والله يا محمد ، لتترك سب آل هنتا ، أو لنسبن إلهك الذي تعبد . فأنزل الله تعالى فيه : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ، فیسبوا الله عدوا بغير علم ، فدكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عن سب آل هنتهم ، وجعل يدعوهم إلى الله .

إيذاء النضر للرسول : والنضر بن الحارث بن شلقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، كان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً ، فدعا فيه إلى الله تعالى ، وتلافيه القرآن ، وحذر قريشاً ما أصاب الأمم الخالية ، خلفه في مجلسه إذا قام ، فحدثهم عن رستم الشديد ، وعن اسفنديار ، وملوك فارس ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثاً مني ، وما حديثه إلا أساطير الأولين ، اكتبها كما اكتبتها . فأنزل الله فيه : « وقالوا : أساطير الأولين اكتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ، قل : أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ، إنه كان غفوراً رحيماً ، ونزل فيه : « إذا تتلى عليه آياتنا قال : أساطير الأولين ، ونزل فيه : « ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يعبر مستكبراً كأن لم يسمعها كان في أذنيه قرأ ، فبشره بعذاب أليم » .

قال ابن هشام : الأفاك : الكذاب . وفي كتاب الله تعالى : « ألا إنهم من إفكهم ليقولون : ولد الله ولهم
لكاذبون ، وقال رؤبة :

لامرى أفك قولاً إفكاً

وهذا البيت في أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً - فيما بلغنى - مع الوليد بن المغيرة في المسجد ،
جاء النضر بن الحارث ، حتى جلس معهم في المجلس ، وفي المجلس غير واحد من قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فعرض له النضر بن الحارث ، فكلمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أخفه ، ثم تلا عليه وعليهم
« إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ، لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ، وكل فيها خالدون
لهم فيها زفير ، وهم فيها لا يسمعون » .

قال ابن هشام : حصب جهنم : كل ما أوقدت به . قال أبو ذؤيب الهذلي واسمه : خويلد بن خالد .

فأطفي ، ولا توقد ، ولانك محصباً لنار العداة أن تطير شكاتها

وهذا البيت له ويروى : « ولانك محصاً » . قال الشاعر :

حصات له ناري فأبصر ضوءها وما كان لولا حصاة النار يهتدى

ابن الزبير وما قيل فيه : قال ابن إسحاق : ثم قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأقبل عبد الله بن
الزبير السهمي حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبير : « والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد
المطلب أنفاً وما قد ، وقدزعم محمد أنا وما تعبد من آهتنا هذه حصب جهنم » ، فقال عبد الله بن الزبير : « أما والله .
لو وجدته لحصمته ، فسلوا محمداً : أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فمنعنا نعبد الملائكة ، واليهود
تعبد عزيراً والنصارى تعبد عيسى ابن مريم عليهما السلام ، فعجب الوليد ، ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله
ابن الزبير : « ورأوا أنه قد احتج وخاصم » . فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزبير فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده » ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ،
ومن أمرتهم بعبادته ، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك : « إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » ،
لا يسمعون حسيها ، وهم فيها اشتتم أنفسهم خالدون ، أي عيسى ابن مريم ، وعزيراً ، ومن عبدو من الأجرار
والرهبان الذين مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من يعبد من أهل الضلالة أرباباً من دون الله .

ونزل فيما يذكرون ، أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله : « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه ، بل عباد
مكرمون . لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون » ، إلى قوله : « ومن يقل منهم إلى إله من دونه ، فذلك نجزيه
جهنم ، كذلك نجزي الظالمين » .

ونزل فيما ذكر من أمر عيسى بن مريم أنه يعبد من دون الله ، وعجب الوليد ، ومن حضره من حجته وخصومته : ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ، أى : يصدون عن أمرك بذلك من قولهم .

ثم ذكر عيسى بن مريم فقال : « إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ، وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل ، ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون ، وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ، أى : ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام ، فكفى به دليلاً على علم الساعة ، يقول : « فلا تمترن بها واتبعون ، هذا صراط مستقيم ، . »

الأخنس وما أنزل فيه : والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى ، حليف بنى زهرة ، وكان من أشرف القوم ، ومن يستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويرد عليه ، فأنزل الله تعالى فيه : « ولا تطع كل حلاف مهين ، هزاز مشاء بنميم ، إلى قوله تعالى : « زعيم ، » ولم يقل : زعيم لعيب فى نسبة ، لأن الله منه ، فكان يصيب من لا يصيب أحداً بنسب ، ولكنه حقق بذلك نعتة ليعرف . والزعيم : العديد للقوم ، وقد قال الخطيم التميمى فى الجاهلية : زعيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد فى عرض الأديم الأكارع

الوليد وما أنزل فيه : والوليد بن المغيرة ، قال : أنزل على محمد ، وأترك وأنا كبير قریش وسيدها ، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفى سيد ثقيف ، ونحن عظيمى القريتين ؟ ! فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغنى : « وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، . . إلى قوله تعالى : « عما يجمعون ، . »

أبى بن خلف وعقبة بن أبى معيط وما أنزل فيهما : وأبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، وعقبة ابن أبى معيط ، وكانا متصافين ، حسنا ما بينهما . فكان عقبة قد جلس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسمع منه ، فبلغ ذلك أبا ، فأتى عقبة ، فقال : ألم يبلغنى أنك جالست محمداً ، وسمعت منه ! ثم قال : وجهى من وجهك حرام أن أكلمك - واستغلظ من العين - إن أنت جالست إليه ، أو سمعت منه ، أو لم تأته ، ففتغل فى وجهه . ففعل عن ذلك عدو الله عقبة بن أبى معيط لعنه الله . فأنزل الله تعالى فيها « ويوم يعرض الظالم على يديه يقول : يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، . . . إلى قوله تعالى : « للإنسان خذولا ، . »

ومشى أبى بن خلف إلى رسوله الله - صلى الله عليه وسلم - بعظم بال قد ارفت ، فقال : يا محمد ، أنت تزعم أن يبعث هذا بعد ما أرم ، ثم فته بيده ، ثم نفخه فى الریح نحو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ، ثم يدخلك الله النار . فأنزل الله تعالى فيه : « وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال : من يحيى العظام ، وهى رميم ، قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة وهى بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ، فإذا أنتم منه توقدون ، . »

سورة (الكافرون) وسبب نزولها : واعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهوى طوف بالسكبة - فيما بلغنى - الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، والوليد بن المغيرة ، وأمىة بن خلف ، والعاص بن وائل السهمى ،

وكانوا ذوى أسنان فى قومهم ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، ففتركت نحن وأنت فى الأمر ، فان كان الذى تعبد خيرا بما نعبد ، كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيرا بما تعبد ، كنت قد أخذت بحظك منه ، فأنزل الله تعالى فيهم : **قل : يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين .** أى : إن كنتم لاتعبدون إلا الله ، إلا أن أعبد ما تعبدون ، فلا حاجة لى بذلك منكم ، لكم دينكم جميعا ولى دينى .

أبو جهل وما نزل فيه : وأبو جهل بن هشام - لما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفا بها لهم ، قال : يا معشر قريش ، هل تدرون ما شجرة الزقوم التى يخوفكم بها محمد ؟ قالوا : لا ، قال : عجوة يثرب بأزبد ، والله لئن استمكننا منها لنترقنها ترقا . فأنزل الله تعالى فيه : **إن شجرة الزقوم ، طعام الائم ، كالمهل يفل فى البطون كغلى الحميم ،** أى : ليس كما يقول .

قال ابن هشام : المهل : كل شئ أذبه ، من نحاس أو رصاص ، أو ما أشبه ذلك فيما أخبرنى أبو عبيدة .

تفسير لفظ المهل : وبلغنا عن الحسن بن أبى الحسن أنه قال : كان عبد الله بن مسعود واليا لعمر بن الخطاب على بيت مال الكوفة ، وأنه أمر يوما بفضة ، فأذيت ، فجعلت تلون ألوانا ، فقال : هل بالباب من أحد ؟ قالوا : نعم ، قال : فأدخلوهم ، فأدخلوا فقال : **إن أدنى ما أنتم راءون شها بالمهل لهذا ، وقال الشاعر :**

يسقيه ربى حميم المهل يجرعه يشوى الوجوه فهو فى بطنه صهر
وقال عبد الله بن الزبير الأسدى :

فمن عاش منهم عاش عبداً وإن يمت فى النار بسقى مهلها وصديدها
وهذا البيت فى قصيدة له .

ويقال : **إن المهل : صديد الجسد .**

بلغنا أن أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - لما حضر ، أمر بشوين كبسين يغسلان فيكفن فيها ، فقالت له عائشة : قد أغناك الله يا أبت عنهما ، فاشتر كفننا ، فقال : إنما هى ساعة حتى يصير إلى المهل . قال الشاعر :

شاب بالماء منه مهلا كريها ثم عل المنون بعد النبال

قال ابن إسحاق : فأنزل الله تعالى فيه : **د والشجرة الملعونة فى القرآن ، ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا .**

ابن أم مكتوم والوليد وسورة عبس : ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه ، وقد طمع فى إسلامه ، فبينما هو فى ذلك ، إذ مر به ابن أم مكتوم الاعمى ، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يستقرئه القرآن ، فشق ذلك منه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى

أصجره ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد ، وما طمع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عباساً ، وتركه . فأنزل الله تعالى فيه : « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » . . . إلى قوله تعالى : « في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة ، أى : إنما بعثتك بشيراً ونذيراً ، لم أخص بك أحداً دون أحد ، فلا تمنعه من ابتغاه ، ولا تتصدى به لمن لا يريد . »

قال ابن هشام : ابن أم مكتوم ، أحد بنى عامر بن لؤى ، واسمه : عبد الله ، ويقال : عمرو .

حديث الصحيفة التي كتبتها قريش

تفسير سورة المسد : ذكر فيه قول أبي لهب ليديه : تبالكا ، لا أرى فيكما ، شيئاً مما يقول محمد ، فأنزل الله تعالى : « تبت ، هذا الذى ذكره ابن إسحاق يشبه أن يكون سبباً لذكر الله سبحانه يديه ، حيث يقول : « تبت يدا أبا لهب ، وأما قوله : وتب ، ف تفسيره ما جاء فى الصحيح من رواية مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : لما أنزل الله تعالى : « وأنذر عشيرتكم الأفرين » ، خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أتى الصفا ، فصعد عليه ، فهتف : يا صباحاه ، فلما اجتمعوا إليه ، قال : أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل ، أكنتم مصدق ؟ قالوا : ما جر بنا عليك كذباً قال : فإننى نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبالك ألهذا جمعنا ؟ ! فأنزل الله تعالى : « تبت يدا أبا لهب ، وقد تب . هكذا فرأ مجاهد والأعمش ، وهى - والله أعلم - قراءة مأخوذة عن ابن مسعود ، لأن فى قراءة ابن مسعود ألفاظاً كثيرة تعين على التفسير قال مجاهد : لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ، ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته ، وكذلك زيادة قد فى هذه الآية ، فسرت أنه خبر من الله تعالى ، وأن الكلام ليس على جهة الدعاء ، كما قال تعالى : « قاتلهم الله أنى يؤفكون » ، أى : إنهم أهل أن يقال لهم هذا ، فثبت يدا أبا لهب ، ليس من باب : قاتلهم الله ، ولكنه خبر محض بأن قد خسر أهلهم وماله ، واليدان : آلة الكسب ، وأهلهم وماله مما كسب فقوله : « تبت يدا أبا لهب ، تفسيره : قوله : « ما أغنى عنه ماله وما كسبه » ، وولد الرجل من كسبه ، كما جاء فى الحديث ، أى : خسرت يداه هذا الذى كسبت ، وقوله : « وتب ، تفسيره . « سيصلى ناراً ذات لهب » ، أى : قد خسر نفسه بدخوله النار ، وقول أبا لهب : تبالكما ، ما أرى فيكما شيئاً ، يعنى : يديه : سبب انزول تبت يدا كما تقدم .

وقوله فى الحديث الآخر : تبالك يا محمد ، سبب لنزول قوله سبحانه : « وتب » ، فالكلماتان فى التنزيل مبنيان على السببين ، والآيتان بعدهما تفسير للتبيين . تباب يديه ، وتبابه هو فى نفسه ، والنسب على وزن التلف لأنه فى معناه ، والتباب كالهلاك والخسار وزناً ومعنى ، ولذلك قيل فيه : تبت وتباب .

تفسير ألفاظ ذكرت فى شعر أبا طالب : فصل . ذكر شعر أبا طالب :

ألا أبلغا عنى على ذات بيننا

قال قاسم بن ثابت : ذات بيننا وذات يده وما كان نحوه . صفة لمحذوف مؤنث ، كأنه يريد الحال التى هى ذات

بينهم كما قال الله سبحانه : « وأصلحوا ذات بينكم » فكذلك إذا قلت : ذات يده . يريد أمواله ، أو مكتسباته ، كما قال عليه السلام : « أراءه على زوج في ذات يده » وكذلك إذا قلت : لقيته ذات يوم ، أى : لقاء أو مرة ذات يوم فلما حذف الموصوف ، وبقيت الصفة صارت كالحال لا يتمكن . ولا ترفع في باب مالم يسم فاعله ، كما ترفع الظروف المتمكنة ، وإنما هو كقولك : سير عليه شديداً وطويلاً ، وقول الخثعمي - واسمه : أنس بن مالك عزمت على إقامة ذات صباح ، ليس هو عندي من هذا الباب ، وإن كان سيديوه قد جعلها لغة الخثعم ، ولكنه على معنى إقامة يوم ، وكل يوم هو ذو صباح ، كما تقول : ما كلمني ذو شفة ، أى : متكلم ، وما مررت بذى نفس ، فلا يكون من باب : ذات مرة الذى لا يتمكن في الكلام ، وقد وجدت في حديث قيلة بنت مخزومة ، وهو حديث طويل وقع في مسند ابن أبي شيبة : أن أختها قالت لبعليها : إن أختي تريد المسير مع زوجها حريث بن حسان ذا صباح بين سمع الأرض وبصرها ، فهذا يكون من باب : ذات مرة وذات يوم ، غير أنه ورد مذكراً ، لأنه تشتمل على التأنيث مع الصاد ، وتوالت الحركات ، فحذفوها فقالوا : لقيته ذا صباح ، وهذا لا يتمكن : كما لا يتمكن : ذات يوم وذات حين ، ولا يضاف إليه مصدر ولا غيره . وقول الخثعمي : عزمت على إقامة ذى صباح قد أضاف إليه ، فكيف يضيف إليه ، ثم ينصبه ، أو كيف يضارع الخال مع إضافة المصدر إليه ؟ فكذلك خفضه ، وأخرجه عن نظائره إلا أن يكون سيديوه سمع خثعم يقولون : سرت في ذات يوم ، أو سير عليه ذات يوم برفع التاء ، فليذنبوا له أن يقول : لغة خثعم ، وأما البيت الذى تقدم فالشاهد له فيه ، وما أظن خثعم ، ولا أحداً من العرب يحيز التمكن في نحو هذا ، وإخراجه عن النصب ، والله أعلم .

لا التى للتبرئة ومحل النصب بها فصل : وفيه : ولاخير بمن خصه الله بالحب .

وهو مشكل جداً لأن لافى باب التبرئة لا تنصب مثل هذا إلا منوناً تقول : لاخيراً من زيد في الدار ، ولاشراً من فلان ، وإنما تنصب بغير تنوين إذا كان الاسم غير موصول بما بعده كقوله تعالى : « لا تريب عليكم اليوم » . لأن عليكم ليس من صلة التريب ، لأنه في موضع الخبر ، وأشبه ما يقال في بيت أبي طالب أن خير مخفف : من خير كهين وميت وفي التنزيل : « خيرات حسان » هو مخفف من خيرات .

عود إلى شرح شعر أبي طالب : وقوله : بمن . من ، متعلقة بحذوف ، كأنه قال : لاخير أخير بمن خصه الله ، وخير وأخير : لفظان من جنس واحد ، فحسن الحذف استئثالا لتكرار اللفظ ، كما حسن : « ولكن البر من آمن بالله » ، والجميع أشهر معلومات ، لما في تكرار الكلمة مرتين من الثقل على اللسان ، وأغرب من هذا قول الله تعالى : « ولو يجعل الله للناس الشر استعجالهم بالخير » أى : لو عجله لهم إذا استعجلوا به استعجالاً مثل استعجالهم بالخير ، فحسن هذا الكلام لما في الكلام من ثقل التكرار وإذا حذفوا حرفاً واحداً لهذه العلة كقولهم : بلحراث بنو فلان وظلمت وأحشت فأحرى أن يحذفوا كلمة من حروف فهذا أصل مطرد ، ويجوز فيه وجه آخر ، وهو أن يكون حذف التنوين مراعاة لأصل الكلمة لأن خيراً من زيد إنما معناه : أخير من زيد ، وكذلك : شر من فلان ، إنما أصله : أشر على وزن أفعال ، وحذفت الهمزة تخفيفاً ، وأفعال لا ينصرف ، فإذا انحذفت الهمزة انصرف ونون ، فإذا توهمتها غير ساقطة التفاتاً إلى أصل الكلمة لم يبعد حذف التنوين على هذا الوجه مع ما يقويه من ضرورة الشعر .

وقوله : بالقتاسية الشهب ، يعنى : السيوف ، نسبها إلى قساس ، وهو معدن حديد لبنى أسد ، وقيل اسم للجبل الذى فيه المعدن : قال الراجز يصف فأسا :

أحضر من معدن ذى قساس كأنه فى الحيد ذى الأضراس
يرى به فى البلد الدهاس

وقال أبو عبيد فى القساسية : لأدرى إلى أى شىء نسب ، والذى ذكرناه قاله المبرد ، وقوله : ذى قساس كما حكى ، ذو زيد ، أى : صاحب هذا الاسم ، وفى أقيال حمير : ذو كلاع ، وذو عمرو ، أضيف المسمى إلى اسمه ، كما قالوا : زيد بطة ، أضافوه إلى لقبه .

وذكر فيه النسر الطخمة ، قيل ، هى السود الروس ، قاله صاحب الدين ، وقال أيضاً : الطخمة سواد فى مقدم الأنف .

وقوله : كراغية السقب يريد ولد الناقة التى عقرها قدار فرغا ولدها ، فصاح برغائه كل شىء له صوت ، فهلك ثمود عند ذلك ، فضربت العرب ذلك مثلاً فى كل هلكة . كما قال علقمة :

رغا فوقهم سقب السماء فدا حص
بشكته لم يستلب وسليب

وقال آخر :

لعمري لقد لاف سليمان وعامر
على جانب الثرثار راغية البكر

أم جميل وما قول فيها :

فصل : وذكر أم جميل بنت حرب عمة معاوية ، وذكر أنها كانت تحمل الشوك ، وتطرحه فى طريق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله فيها : « وأمرأته حمالة الحطب » قال المؤلف : فلما كنى عن ذلك الشوك بالحطب ، والحطب لا يكون إلا فى جبل ، من ثم جعل الجبل فى عنقها ، ليقابل الجزاء الفعل .

وقوله : من مسد ، هو من مسدت الجبل إذا أخكمت قتله ، إلا أنه قال : من مسد ، ولم يقل : جبل مسد ولا مسود لمعنى لطيف ، ذكره بعض أهل التفسير ، قال : المسد يعبر به فى العرف عن جبل الدلو ، وقد روى أنه يصنع بها فى النار ما يصنع بالدلو ، ترفع بالمسد فى عنقها إلى شفير جهنم ، ثم يرمى بها إلى قعرها هكذا أبداً ، وقولهم : إن المسد هو جبل الدلو فى العرف صحيح فانا لم نجده فى كلام العرب إلا كذلك ، كقول النابغة الذبياني :

له صريف صريف القعو بالمسد

وقال الآخر وهو يستقي على لبله :

يامسد الخوص تعود منى إن تك لدنياً ليداً فياني
ماشدت من أشمط مقسطن

وقال آخر :

يارب عبس لانتارك في أحد في قائم منهم ؛ ولا فيمن قد
غير الأولى شدوا بأطراف المسد

أى : استقوا ، وقال آخر ، وهو يستقي :

ومسد أمر من أياتي ليس بأنياب ولا حقائق

يريد : جمع أيتق ، وأيتق : جمع ناقة مغلوب ، وأصله : أنوق ، قلب ، وأبدلت الواو ياء ، لأنها قد أبدلت ياء للكسرة ، إذا قالوا : نياق ، وقلوبه فرارا من اجتماع همزتين لو قالوا : أنوق على الأصل ، يريد أن المسد من جلودها . وفي الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في المدينة : قد حرمتها إلا لعصفور قتب ، أو السد محالة ، والمحالة : البكرة . وفي حديث آخر : أنه حرما يريدا في يريدا إلا المنجدة أو مسد ، والمنجدة : عصا الراعي . وقال أبو حنيفة في النبات : كل مسد رشاء ، وأنشد :

وبكرة ومحورا صرارا ومسداً من أبق منارا

والأبق : القنب ، والزبر : السكتان ، وأنشد أيضاً :

أزعا تمطيا ومشا بالمسد المثلوث أو يرشا

فقد بان بهذا أن المسد جبل البئر ، وقد جاء في صفة جهم - أعاذنا الله منها كطى البئر لها قرنان ، والقرنان من البئر كالدعامتين للبكرة ، فقد بان لك بهذا كله ، ما ذكره أهل التفسير من صفة عذابها أعاذنا الله من عذابها وأليم عقابه ، وبهذا تناسب الكلام وكثرت معانيه ، وتنزه عن أن يكون فيه حمز أو لغو - تعالى الله منزله ، فإنه كتاب عزيز .

وقول مجاهد : إنها السلسلة التي ذرعها سبعون ذراعاً لا ينيق ما تقدم ، إذ يجوز أن يربق في تلك السلسلة أم جميل وغيرها ، فقد قال الدرداء لأمراة : يأثم الدرداء إن لله سلسلة تغلق بها مراجل جهم منذ خلق الله النار إلى يوم القيامة ، وقد نجاك الله من نصفها بالإيمان بالله ، فاجتهدى في النجاة من النصف الآخر بالحض على طعام المساكين ، وكذلك قول مجاهد : إنها كانت تمشى بالنفائم لا ينيق حملها للشوك ، وهو في كلام العرب سائغ أيضاً ، فقد قال ابن الأسيوطي لقرش حين اختلفوا :

وبتشتكم شرجين كل قبيلة لها زمل من بين مذك وحاطب

فالمذكي الذي يذكي نار العداوة ، والحاطب الذي ينم ويغري كالمحتطب للنار ، ومن هذا المعنى ، وكأنه منتزع منه قول النبي - صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة قتات » ، والقتات هو الذي يجمع القت ، وهو ما يو قد به النار من حشيش وحطب صفار .

الفرق بين الجيد والعنق : وقوله : في جيدها ؛ ولم يقل : في عنقها ، والمعروف أن يذكر العنق إذا ذكر الفل ، أو الصفع ، كما قال تعالى : « إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا » ، ويذكر الجيد إذا ذكر الحلي أو الحسن ، فإنما حسن ههنا ذكر الجيد في حكم البلاغة لأنها امرأة ، والنساء تحلى أجيادهن ، وأم جميل لا حلي لها في الآخرة إلا الحبل المجهول في عنقها ، فلما أقيم لها ذلك مقام الحلي ذكر الجيد معه ، فتأمل ، فإنه معنى لطيف ، ألا ترى إلى قول الأعشى :

يوم تبدى لنا قتيلة عن جيد

ولم يقل : عن عنق ، وقول الآخر :

وأحسن من عقد الملية جيدها

ولم يقل : عنقها . ولو قاله لكان غثا من الكلام فإنما يحسن ذكر الجيد حيث قلنا ، وينظر إلى هذا المعنى قوله تعالى : « فبشرهم بعذاب أليم » ، أي لا بشرى لهم إلا ذلك ، وقول الشاعر :

تحية بينهم ضرب وجيع

أي : لا تحية لهم . كذلك قوله : في جيدها حبل من مسد ، أي : ليس ثم جيد يحلى ، إنما هو حبل المسد ، وانظر كيف قال : وامراته ، ولم يقل : وزوجه ، لأنها ليست بزوجه له في الآخرة ، ولأن التزويج حلية شرعية ، وهو من أمر الدين يجردها من هذه الصفة ، كما جرد منها امرأة نوح وامرأة لوط ، فلم يقل : زوج نوح ، وقد قال لآدم : « اسكن أنت وزوجك » ، وقال لنبيه عليه السلام : « قل لأزواجك » ، وقال « وأزواجه أمهاتهم » ، إلا أن يكون مساق الكلام في ذكر الولادة والحمل ، ونحو ذلك فيكون حينئذ لفظ المرأة لا نقا بذلك الموطن ، كقوله تعالى : « وكانت امرأتى عاقرا » : « فأقبلت امرأتها في صرة » ، لأن الصفة التي هي الانوثة هي المقتضية للعمل والوضع لامن حيث كانت زوجا .

فصل : وأنشد شاهدا على الجيد قول الأعشى :

يوم تبدى لنا قتيله عن جيد أسيل تزيينه الأطواق

وقوله : تزيينه أي : تزيده حسنا ، وهذا من القصد في الكلام ، وقد أبى المولدون إلا الغلو في هذا المعنى ، وأن يغلوه فقال في الحماسة حسين بن مطير :

مبللة الأطراف زانت عقودها بأحسن مما زينتها عقودها

(م ١٥ - الروض الأنف ، والسيرة . ج ٢)

قال خالد القسرى لعمر بن عبد العزيز : من تكن الخلافة زينته ، فأنت زينتها ، ومن تمكن شرفها ، فأنت شرفها ، وأنت كما قال مالك بن أسماء :

وتزيدن أطيب الطيب طيباً إن تسميه ، أين مثلك أينما
وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زيناً

فقال عمر : إن صاحبكم أعطى مقولا ولم يعط معقولا ، قال المؤلف : وإنما لم يحسن هذا من خالد لما قصد به التلق . وإلا فقد صدر مثل هذا المعنى عن الصديق ، فحسن لما عضده من التحقيق والتحري للحق ، والبعد عن الملق والخلافة ؛ وذلك حين عهد إلى عمر بالخلافة ؛ ودفع إليه عهده محتوماً ، وهو لا يعرف مافيه ، فما عرف مافيه رجع إليه حزينا كهيئة الثكلي . يقول : حملني عبثاً لأضطلع به ، وأوردتنى موردا لا أدرى : كيف الصدر عنه فقال له الصديق : ما آثرتك بها ، ولكني آثرتها بك ، وما قصدت مساءتك ، ولكن رجوت إدخال السرور على المؤمنين بك ، ومن هنا أخذ الخطيئة قوله :

ما آثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بها الإثر
وقد سبك هذا المعنى في النسب عبد الله بن عباس الرومى ، فقال :

وأحسن من عقد المليحة جياها وأحسن من سربالها المتجرد

وبما هو دون الغلو ، وفوق التقصير قول الرضى :

حليه جيد ، لا ما يقلده وكحله ما يعينه من الكحل
ونحو منه ما أنشده الثعالبي :

وما الحل إلا حيلة من نقيصة يتم من حسن إذا الحسن قصيرا
فأما إذا كان الجمال موفرا فحسبك لم يحتج إلى أن يزورا

وسمعت القاضى أبا بكر محمد بن العربى يقول : حج أبو الفضل الجوهري الزاهد ذات مرة ، فلما أشرف على الكعبة ، ورأى ما عليها من الديباج تمثل ، وقال :

ما علق الحل على صدرها إلا لما يخشى من العين
تقول والدر على نحرها : من علق الشين على الزين

وبيت الأعشى المتقدم بعده :

وشذيت كالأقحوان جللاه العل فيه عذوبة واتساق
وأثيت جثل النبات ترويه له لعوب غزيرة مفتاق
حرة طفلة الأنامل كالدله ية لا عانس ولا مزاق

الفهر : وذكر قول أم جميل لأبى بكر : لو وجدت صاحبك لشدخت رأسه بهذا الفهر . المعروف فى الفهر التأنيث ، وتصغيره فهيرة ؛ ووقع هنا مذكرا .

محمد وليس مذمما : وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم : « ألا ترون إلى ما يدفع الله عنى من أذى قريش ،

يشتمون ويهجون مذمما وأنا محمد ١٩ ، وأدخل النسوي هذا الحديث في كتاب الطلاق في باب : « من طلق بكلام لا يشبه الطلاق فإنه غير لازم » ، وهو فقه حسن لقول النبي - صلى الله عليه وسلم . ألا ترون إلى ما يدفع الله عني ؛ فجعل أذاهم مصروفا عنه ؛ لما سبوا مذمما لا يشبه أن يكون اسماله ، فكذلك إذا قال لها . كلي واشربي ، وأراد به الطلاق لم يلزمه وكان مصروفا عنه ، لأن مثل هذا الكلام لا يشبه أن يكون عبارة عن الطلاق .

حديث حجاب : فصل : وذكر حديث حجاب مع العاصي بن وائل ، وما أنزل الله فيه من قوله : « رأيت الذي كفر بآياتنا » وقد تقدم الكلام على : رأيت ؛ وأنه لا يجوز أن يليها الاستفهام ، كما يلي : علمت ونحوها ؛ وهي هنا : عاملة في الذي كفر ، وقد قدمنا من القول فيها ما يغني عن إعادته هنا ؛ فلينظر في سورة : اقرأ ، وحديث نزولها .

إثبات الذرائع : فصل : وذكر قول أبي جهل لتكفي عن سب آل لهتنا أو لنسبن إلهك فأنزل الله تعالى « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » وهذه الآية ، أصل عند المالكية في إثبات الذرائع ومراعاتها في البيوع وكثير من الأحكام ، وذلك أن سب آل لهتهم كان من الدين ، فلما كان سبها إلى سبهم الباري - سبحانه - نهى عن سب آل لهتهم ، فكذلك ما يخاف منه الذريعة إلى الربا ، ينبغي الزجر عنه ، ومن الذرائع ما يقرب من الحرام ، ومنها ما يبعد فتقع الرخصة والتشديد على حسب ذلك ، ولم يجعل الشافعي الذريعة إلى الحرام أصلا ، ولا كره شيئا من البيوع التي تنقضي فيها الذريعة إلى الربا ، وقال : تهمة المسلم وسوء الظن به حرام ، ومن حجته قول عمر بن الخطاب : إنما الربا على من قصد الربا ، وقول النبي عليه السلام : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » ، فيه أيضا متعلق لهم وقالوا ونهيه تعالى عن سب آل لهتهم ، لئلا يسب الله تعالى ليس من هذا الباب ، لأنه لا تهمة فيه لمؤمن ولا نضييق عليه ، وكما تنقضي الذريعة إلى تحليل ما حرم الله ، فكذلك ينبغي أن يتقضى تحريم ما أحل الله ، فكلا الطرفين ذميم ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، والربا معلوم ، فما ليس من الربا فهو من البيع والكلام في هذه المسألة للطائفتين ، والاحتجاج للفريقين يتسع بمجاله ويصدقنا عن مقصودنا من الكتاب .

النضر بن الحارث ، - وشيء من أخبار الفرس

فصل : حديث النضر بن الحارث ، وقال في نسبه : كلده بن علقمة وغيره من النساب يقول : علقمة بن كلدة ، وكذلك ألفيته في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر عن الوليد ، وحديث النضر : أنه تعلم أخبار رستم واسبندباد ، وكان يقول : اكتبتها كما اكتبتها محمد ، ووقع في الأصل : اكتبتها كما اكتبتها محمد ، وفي الرواية الأخرى عن أبي الوليد : اكتبتها كما اكتبتها ، ورسم الشيد بالفارسية معناه : ذو الضياء ، والياء في الشيد والألف سواء ، ومنه « أرخشاذ » ، وقد تقدم شرحه ، ومنه « جم شاذ » ، وهو من أول ملوك الأرض ، وهو الذي قتله الضحاك « بيوراسب » ، ثم عاش إلى مدة « أفريزون وأبيه جم » ، وبين « أفريزون » وبين « جم » تسعة آباء ، وقال له حين قتله : ما قتلتك بجم ، وما أنت له بكفء ، ولم يكن قتلتك بشور كان في داره ، وقد تقدم طرف من أخبار رستم واسبندباد في الجزء قبل هذا .

ابن الزبهرى وعزير : و ذكر حديث ابن الزبهرى ، وقوله : إنا نعبد الملائكة ، وأن النصرى تعبد المسيح إلى آخر كلامه ، وما أنزل الله في ذلك من قوله تعالى : « إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى ، الآية قال المؤلف : ولو تأمل ابن الزبهرى وغيره من كفار قريش الآية لرأى اعتراضه غير لازم من وجهين :

أحدهما : أنه خطاب منوجه على الخصوص لقريش وعبداء الأصنام ، وقوله إنا نعبد الملائكة حيدة ، وإنما وقع الكلام والمحااجة في اللات والعزى وهبل ، وغير ذلك من أصنامهم .

والثانى : أن لفظ التلاوة : « إنكم وما تعبدون ، ولم يقل : ومن تعبدون ، فكيف يلزم اعتراضه بالمسيح وعزير والملائكة وهم يعقلون ، والأصنام لا تعقل ، ومن ثم جاءت الآية بلفظ : ما الواقعة على ما لا يعقل ، وإنما تقع ما على ما يعقل ، وتعلم بقرينة من التعظيم والإبهام ، وأعلنا نشرحها ونبينها فيما بعد إن قدر لنا ذلك ، وسبب عبادة النصرى للمسيح معروف ، وأما عبادة اليهود وعزيرا ، وقولهم فيه : إله ابن الله سبحانه وتعالى عن قولهم ، وسببه فيما ذكر عبد بن حميد الكشى ، أن التوراة لما احترقت أيام بخت نصر ، وذهب بذهابها دين اليهود ، فلما تاب إليهم أمرهم وجدوا لفقدتها أعظم الكرب ، فبينما عزير يبكى لفقد التوراة ، إذ مر بامرأة جاثمة على قبر قد نشرت شعرها ، فقال لها عزير : من أنت ؟ قالت : أنا إيليا أم القرى أبكى على ولدى ، وأنت تبكى على كتابك ، وقالت له : إذا كان غداً ، فأت هذا المكان ، فلما أن جاء من الغد للساعة التى وعده ، إذا هو بامرئ خارج من الأرض فى يده كهيشة الفارورة ، فيها نور ، فقال له : افتح فاك ، فألقاها فى جوفه ، فكتب عزير التوراة - كما أنزلها الله ، ثم قدر على التوراة بعد ما كانت دفنت أن ظهرت ، فعرضت التوراة ، وما كان عزير كتب ، فوجدوه سواء ، فتمنا قالوا : إله ولد الله تعالى عن ذلك .

حصب جهنم : وقوله حصب جهنم ، هو من باب القبض والنفض والحصب يسكون الصاد كالقبض والنفض ، ومنه الحاصب فى قوله سبحانه : « أن يرسل عليكم حاصباً ، ويروى : حصب جهنم بضاد معجمة فى شواذ القراءات ، وهو من حصب النار بمنزلة حصنها ، يقال : أرستها وأنقبتها وحششتها وأذكيته . وفسر ابن إسحق قوله : يصدون (بضم الصاد) ، ومن قرأ : يصدون فعناه : يعجبون .

ما نزل فى الأخنس : فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى فى الأخنس بن شريق - واسمه : أبى من قوله تعالى « عتل بعد ذلك زنيم » وقد قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة ، وقد قيل : فى الأسود بن عبد يغوث الزهرى ، وقال ابن عباس : نزلت فى رجل من قريش له زنيمان كزنى الشاه . رواه البخارى بإسناده عنه وفى رواية أخرى أنه قال : الزنيم الذى له زنيمان من الشر يعرف بهما ، كما تعرف الشاة بزنىتها ، وروى عن ابن عباس أيضاً مثل ما قال ابن إسحق أن الزنيم الملقب بالقوم ، وليس منهم ، قال ذلك بن الأزرق الحرورى ، وقال : أما سمعت قول حسان : زنيم تداعاه الرجال البيت ، وقد أنشد ابن هشام هذا البيت مستشهداً به ونسبه للخطيم التميمى ، والأعراف أنه لحسان ، كما قال ابن عباس ، وأما العتل فهو الغليظ الجافى من قوله تعالى « خذوه فاعتلوه » وقال عليه السلام : « أنا أنبتكم بأهل النار : كل عتل جواظ مستكبر جماع مناع ،

قل يا أيها الكافرون : فصل : وذكر قولهم الذي أنزل الله فيه : قل : يا أيها الكافرون ، إلى آخرها فقال :
 « لا أعبد ما تعبدون ، أي : في الحال : « ولا أنا عابد ما عبدتم ، أي : في المستقبل ، وكذلك : « ولا أنتم عابدون ما أعبد ، فإن قيل : كيف يقول لهم : « ولا أنتم عابدون ما أعبد ، وهم قد قالوا : « هلم فلنعبد ربك ، وتعبد ربنا ، كيف نفى عنهم ما أرادوا وعزموا عليه ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما : أنه علم أنهم لا يفعلون ، فأخبر بما علم .
 الثاني : أنهم لو عبدوه على الوجه الذي قالوه ما كانت عبادة ، ولا يسمى عابداً الله من عبده سنة ، وعبد غيره أخرى ، فإن قيل : كيف قال : « ولا أنتم عابدون ما أعبد » ولم يقل : من أعبد ، وقد قال أهل العربية : إن ما تقع على ما لا يعقل ، فكيف عبر بها عن الباري تعالى ؟ فالجواب : أنا قد ذكرنا فيما قبل أن ما قد تقع على من يعقل بقرينة ، فهذا أوان ذكرها ، وتلك القرينة : الإبهام والمبالغة في التعظيم والتفخيم ، وهي في معنى الإبهام لأن من جلت عظمته ، حتى خرجت عن الحصر ، وعجزت الأفهام عن كنه ذاته ، وجب أن يقال فيه : هو ما هو كقول العرب : سبحان ما سبح الرعد بحمده ، ومنه قوله : « والسماء وما بناها » فليس كونه عالماً بما يوجب له من التعظيم ما يوجب له أنه باني السموات ، ودحا الأرض ، فكان المعنى : إن شيئاً بناها لعظيم ، أو ما أعظمه من شيء .
 فاللفظ ما في هذا الموضع يؤذن بالتعجب من عظمته كأننا ما كان هذا الفاعل لهذا ، فما أعظمه ، وكذلك قوله تعالى في قصة آدم : « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي » ولم يقل : لمن خلقت ، وهو يعقل ، لأن السجود لم يجب له من حيث كان يعقل ، ولا من حيث كان لا يعقل ، ولكن من حيث أمروا بالسجود له ، فكأننا ما كان ذلك المخلوق ، فقد وجب عليهم ما أمروا به ، فن هاهنا حسنت ما في هذا الموضع ، لأن جهة التعظيم له ، ولكن من جهة ما يقتضيه الأمر من السجود له ، فكأننا من كان ، وأما قوله تعالى : « لا أعبد ما تعبدون » فوافقة على ما لا يعقل ؛ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام ، وقوله : « ولا أنتم عابدون ما أعبد » افتضاها الإبهام ، وتعظيم المعبود مع أن الحسن منهم مانع لهم أن يعبدوا معبود ، كأننا ما كان ، فحسنت ما في هذا الموضع لهذه الوجوه ، فبهذه القرائن يحسن وقوع ما على أولى العلم .

وبقيت نمكة بديعة يتعين التنبيه عليها ، وهو قوله تعالى : « ولا أنا عابد ما عبدتم » بلفظ الماضي ، ثم قال : « ولا أنتم عابدون ما أعبد » بلفظ المضارع في الآيتين جميعاً ، إذا أخبر عن نفسه قال : ما أعبد ، ولم يقل : ما عبدت ، والنمكة في ذلك أن ما لما فيها من الإبهام - وإن كانت خبرية - تغطي معنى الشرط ، فكأنه قال : مهما عبدتم شيئاً ، فاني لأعبد ، والشرط يحول المستقبل إلى لفظ الماضي ، تقول : إذا قام زيد غداً فعلت كذا ، وإن خرج زيد غداً خرجت ، فما : فيها رائحة الشرط من أجل إبهامها ، فلذلك جاء الفعل بعدها بلفظ الماضي ، ولا يدخل الشرط على فعل الحال ، ولذلك قال في أول السورة : « ما تعبدون » لأنه حال لأن رائحة الشرط معدومة فيها مع الحال ، وكذلك رائحة الشرط معدومة في قوله : « عابدون ما أعبد » لأنه - عليه السلام - يستحيل أن يتحول عن عبادة ربه ، لأنه معصوم ، فلم يستقم تقديره بمهما ، كما استقام ذلك في حقهم ، لأنهم في قبضة الشيطان يقودهم بأهوائهم ، فجاز أن يعبدوا اليوم شيئاً ، ويعبدوا غداً غيره ، ولكن مهما عبدوا شيئاً ، فالرسول عليه السلام لا يعبد ، فذلك قال : « ولا أنتم عابدون ما أعبد » في الحال وفي المال ، لما علم من عصمة الله له ، ولما علم الله من ثباته على توحده ، فلا مدخل لمعنى الشرط في حقه عليه السلام ، وإذا لم يدخل الشرط في الكلام بقي الفعل المستقبل على لفظه ، كما تراه ، ونظير هذه المسألة قوله تعالى : « كيف نكلم من كان في المهد صبياً » اضطربوا في إعرابها وتقديرها لما كانت من بمعنى الذي ، وجاء بكان على لفظ الماضي ، وفهمها الزجاج ، فأشار إلى أن من

العائدون من أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة ، إسلام أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا دنوا من مكة ، بلغهم أن ما كانوا يتحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفيا .

فيها طرف من معنى الشرط ؛ ولذلك جاءت كان بلفظ المضى بعده ، فصار معنى الكلام : من يكن صديقا ، فكيف يكلم ؟ ! لما أشارت إلى الصبي : أن كلموه ، ولو قالوا : كيف نكلم من هو في المهد الآن لكان الإنكار والتعجب مخصوصا به ، فلما قالوا : كيف نكلم من كان ، صار الكلام أبلغ في الاحتجاج للعموم الداخل فيه . إلى هذا الغرض أشار أبو إسحاق ، وهو الذي أراد ، وإن لم يكن هذا لفظه ، فليس المقصود العبارات ، وإنما المقصود تصحيح المعاني المتلقاه من الألفاظ والإشارات .

شجرة الزقوم : فصل : وذكر حديث أبي جهل حين ذكر شجرة الزقوم يقال : إن هذه الكلمة لم تكن من لغة قريش ، وأن رجلا أخبره أن أهل يثرب : يقولون تزقمت : إذا أكلت التمر بالزبد ، فجعل بجمله اسم الزقوم من ذلك استهزاء ، وقيل : إن لهذا الاسم أصلا في لغة اليمن ، وأن الزقوم عندهم كل ما يتقيأ منه . وذكر أبو حنيفة في النبات : أن شجرة باليمن يقال لها : الزقوم ، لا ورق لها وفروعها أشبه شيء برءوس الحيات ، فهي كريهة المنظر ، وفي تفسير ابن سلام والماوردي أن شجرة الزقوم في الباب السادس من جهنم أهاذنا الله منها ، وأن أهل النار ينجدرون إليها . قال ابن سلام : وهي تحيا باللهب كما تحيا شجرة الدنيا بالمطر .

وقوله : الملعونة في القرآن ، أي : الملعون آكلها ، وقيل : بل هو وصف لها كما يقال : يوم ملعون أي مشنوم حديث ابن أم مكتوم فصل : وذكر حديث ابن أم مكتوم ، وذكر اسمه ونسبه . وأم مكتوم : اسمها : عائكة بنت عبد الله بن عسكثة بن عامر بن مخزوم .

وذكر الرجل الذي كان شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه الوليد بن المغيرة ، وقد قيل : كان أمية ابن خاف ، وفي حديث الموطأ : عظيم من عظماء المشركين ، ولم يسمه ، وفي قوله سبحانه : « أن جاءه الأعمى ، من الفقه أن لاغية في ذكر الإنسان بما ظهرت في خلقته من عمى أو عرج ، إلا أن يقصد به الازدراء ، فيلحق المأثم به ، لأنه من أفعال الجاهلين ، قال الله تعالى : « أتخذنا هزوا قال : أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ، وفي ذكره إياه بالأعمى من الحكمة والإشارة اللطيفة التنبيه على موضع العتب ، لأنه قال : « أن جاءه الأعمى ، فذكر المجيء مع العمى ، وذلك ينبغي عن تحشم كلفة ومن تحشم القصد إليك على ضعفه ، فحك الإقبال عليه ، لا الإعراض عنه ، فإذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - معتوبا على توليه عن الأعمى ، فغيره أحق بالعتب ، مع أنه لم يكن آمن بعد ، ألا تراه يقول : « وما يدريك لعله يزكى » الآية ولو كان قد صح إيمانه ، وعلم ذلك منه لم يعرض عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولو أعرض لكان العتب أشد ، والله أعلم ، وكذلك لم يكن ليخبر عنه ، ويسميه بالاسم المشتق من العمى ، دون الاسم المشتق من الإيمان والإسلام ، لو كان دخل في الإيمان قبل ذلك والله أعلم ، وإنما دخل فيه بعد نزول الآية ، ويدل على ذلك قوله للنبي - صلى الله عليه وسلم : استدني يا محمد ولم يقل : استدني يا رسول الله ، مع أن ظاهر الكلام يدل على أن الهاء في لعله يزكى عائدة على الأعمى ، لا على الكافر ، لأنه لم يتقدم له ذكر بعد ، ولعل تعطى الترجى والانتظار ، ولو كان إيمانه قد تقدم قبل هذا لخرج عن حد الترجى والانتظار للتركى . والله أعلم .

فكان من قدم عليه مكة منهم ، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بدرآ ، ومن حبس عنه ، حتى فاته بدر وغيره ، ومن مات بمكة . منهم من بنى عبد شمس بن عبد مناف بن قصي : عثمان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته : رقية بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم . وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، امرأته سملة بنت سهيل .

ومن خلفائهم : عبد الله بن جحش بن رئاب .

ومن بني نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان ، حليف لهم ، من قيس عيلان .

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي : ازير بن العوام بن خويلد بن أسد .

ومن بني عبد الدار بن قصي : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وسويبط بن سعد بن حرملة .

ومن بني عبد بن قصي : طليب بن عمير بن وهب بن أبي كبير بن عبد .

ومن بني زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، والمقداد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، حليف لهم .

ومن بني مخزوم بن يقظة : أبو سلة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، معه امرأته : أم سلة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وشماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمي بن عامر بن مخزوم . وسلة ابن هشام بن المغيرة ، حبسه عمه بمكة ، فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد والخندق ، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة هاجر معه إلى المدينة ، ولحق به أخواه لأمه : أبو جهل بن هشام ، والحارث بن هشام ، هرجما به إلى مكة ، فحبسها بها حتى مضى بدر وأحد والخندق .

ومن خلفائهم : عمار بن ياسر ، يشك فيه ، أكان خرج إلى الحبشة أم لا ؟ ومعتب بن عوف بن عامر من خزاعة .

ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، وابنه : السائب بن عثمان ، وقدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون .

ومن بني سهم بن هصيص بن كعب : خنيس بن حذافة بن قيس عدي ، وهشام بن العاص بن وائل ، حبس بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم - المدينة ، حتى قدم بعد بدر وأحد والخندق .

ومن بني عدي بن كعب : عامر بن ربيعة ، حليف لهم ، معه امرأته : ليلى بنت أبي حشمة بن حذافة بن غانم .

ومن بني عامر بن لؤي : عبد الله بن مخزوم بن عبد العزى بن أبي قيس : وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وكان حبس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة ، حتى كان يوم بدر ، فأنحاز من المشركين إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهد معه بدرآ ، وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى ، معه امرأته : أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ، والسكران بن عمرو بن عبد شمس ، معه امرأته : سودة بنت زمعة بن قيس ، مات بمكة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، فخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأته سودة بنت زمعة ومن خلفائهم سعد بن خولة .

ومن بنى الحارث بن فهر : أبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح . وعمر بن الحارث بن زهير بن أبي شداد ، وسهيل بن بيضاء ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال ، وعمر بن أبي مروح بن ربيعة بن هلال ، كنيته : أبو سعد كما في الإصابة .

لجميع من قدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا ، فكان من دخل منهم بجوار ، فيمن سمى لنا : عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي ، دخل بجوار من الوليد بن المغيرة ، وأبو سلة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، دخل بجوار من أبي طالب بن عبد المطلب ، وكان خاله . وأم أبي سلة : برة بنت عبد المطلب .

عثمان بن مظعون يرد جوار الوليد

قال ابن إسحاق : فأما عثمان بن مظعون ، فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدثني عن حدثه عن عثمان ، قال لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - من البلاء ، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة ، قال : والله إن غدوى ورواحى آمننا بجوار رجل من أهل الشرك - وأصحابي ، وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني - لنقص كبير في نفسي ، فشئى إلى الوليد بن المغيرة ، فقال له : يا أبا عبد شمس ، وفدتك ، قد رددت إليك جوارك ، فقال له : لم يابن أخى ؟ لعله آذك أحد من قومي قال : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله ، ولا أريد أن أستجير بغيره ؟ قال : فانطلق إلى المسجد ، فاردد على جوارى علانية ، كما أجزتك علانية . قال : فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يرد على جوارى قال : صدق ، قد وجدته وفيما كريم الجوار ، ولكنى قد أحببت أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره ثم انصرف عثمان ، وليد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش يشهدهم ، فجلس معهم عثمان : فقال ليلى :

لا كل شيء ما خلا الله باطل

قال عثمان : صدقت ، قال :

وكل نعم لا محالة زائل

قال عثمان : كذبت ، نعم الجنة لا يزول . قال ليلى بن ربيعة : يا معشر قريش ، والله ما كان يؤذى جليستكم ، فمضى حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سفيه في سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا ، فلا تجدن في نفسك من قوله ، فرد عليه عثمان حتى شرى أمرهما ، فقام إليه ذلك الرجل ، فغطم عينه ، فحضرها ، والوليد بن المغيرة

قريب يرى ما بلغ من عثمان ، فقال : أما والله يا ابن أخى إن كانت عينك عما أصابها الغنية ، لقد كنت فى ذمة منيعة قال : يقول عثمان : بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب اختيافى الله وإني لنى جوار من هو أعز منك وأفدرياً أبا عبد شمس ، فقال له الوليد : هلم يا ابن أخى ، إن شئت فعد إلى جوارك ، فقال : لا .

أبو سلبية فى جوار أبى طالب

قال ابن إسحاق : وأما أبو سلبية بن عبد الأسد ، فحدثني أبى إسحاق بن يسار عن سلبية بن عمر بن أبى سلبية أنه حدثه : أن سلبية لما استجار بأبى طالب ، مشى إليه رجال من بنى مخزوم ، فقالوا : يا أبا طالب ، لقد منعت منا ابن أخيك محمداً ، فالك ولصاحبنا تمنعه منا ؟ قال : إنه استجار بى ، وهو ابن أختى ، وإن أنا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى ، فقام أبو لهب ، فقال : يا معشر قريش ، والله لقد أكرتكم على هذا الشيخ ، ما تزالون تتواثبون عليه فى جواره من بين قومه ، والله لتنتهن عنه ، أو لنقومن معه فى كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد قال فقالوا بل نصرف عما تكره يا أبا عتبة ، وكان لهم وليا وناصرآ على رسول الله صلى الله عليه وسلم - فابقوا على ذلك ، فطعم فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ، ورجأ أن يقوم معه فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

| | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| وإن امرأ أبو عتبية عمه | لنى روضة ما إن يسام المظالم |
| أقول له - وأين منه نصيحتى | أبا معتب ثبت سوادك قائما |
| فلا تقبلن الدهر ما عشت خطة | تسب بها ، لما هبطت المواسما |
| وول سبيل العجز غيرك منهم | فإنك لم تخفق على العجز لازما |
| وحارب ، فإن الحرب نصف وما ترى | أخا الحرب يعطى الخسف حتى يسالما |
| وكيف ولم يجنوا عليك عظيمة | ولم يخذلوك غائما ، أو مغرما |
| جزى الله عنا عبد شمس ونو فلا | وتبما ومخزوما عقوقا وماثما |
| بتفريقهم من بعد ود وألفة | جماعتنا ، كيما ينالوا المحارما |
| كذبتم وبيت الله نبى محمداً | ولما تزوا يوما لدى الشعب قائما |

قال ابن هشام : نبى : نسل . قال ابن هشام : وبقي منها بيت تركناه .

دخول أبى بكر فى جوار ابن الدغنة ثم رده عليه

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - كما حدثني : محمد بن مسلم الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة رضى الله عنهما ، حين ضاقت عليه مكة ، وأصابه فيها الأذى ، ورأى من تظاهر قريش على

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ما رأى ، استأذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الهجرة ، فأذن له ، فخرج أبو بكر مهاجراً ، حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين ، لقيه ابن الدغنة ، أخو بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وهو يومئذ سيد الأحابيش .

قال ابن إسحاق : والأحابيش : بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، والهُون بن خزيمه بن مدركة ، وبنو المصطلق من خزاعة .

قال ابن هشام : تحالفوا جميعاً ، فسموا الأحابيش للحلف .

ويقال : ابن الدغنة .

قال ابن إسحاق : حدثني الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : فقال ابن الدغنة : أين يا أبا بكر ؟ قال : أخرجني قومي وآذوني ، وضيقوا علي قال : ولم ؟ فوالله إنك لزين العشيرة ، وتعين على التوائب وتفعل المعروف وتكسب المعدوم ، أرجع ، وأنت في جوارى ، فرجع معه ، حتى إذا دخل مكة ، قام ابن الدغنة فقال : يامعشر قريش ، إني قد أجرت ابن أبي قحافة ، فلا يعرضن له إلا بخير . قالت : فكفوا عنه .

قالت : وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جمح ، فكان يصلي فيه ، وكان رجلاً رقيقاً ، إذا قرأ القرآن استبكي . قالت : فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء ، لما يرون من هيئته . فشئ رجال من قريش إلى ابن الدغنة ، فقالوا له : يا ابن الدغنة ، إنك لم تجر هذا الرجل ، ليؤذينا ! إنه رجل إذا صلى ، وقرأ ما جاء به محمد رقيق ويبكي ، وكانت له هيئة ونحو ، فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم ، فأنه فمره أن يدخل بيته ، فليصنع فيه ما شاء . قالت فشئ ابن الدغنة إليه ، فقال له : يا أبا بكر ، إني لم أجرك لتؤذي قومك ، لأنهم قد كرهوا مكانك الذي أنت فيه ، وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك ، فاصنع فيه ما أحببت ، قال : أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟ قال : فاردد علي جوارى قال : قدر دته عليك . قالت فقام ابن الدغنة ، فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أبي قحافة قد رد علي جوارى ، فشأنكم بصاحبكم .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد قال : لقيه سفيه من سفهاء قريش ، وهو عامد إلى الكعبة ، فحشا على رأسه تراباً . قال : فرأى أبي بكر الوليد بن المغيرة ، أو العاص بن وائل . قال : فقال أبو بكر : ألا ترى إلى ما يصنع هذا السفيه ؟ قال : أنت فعلت ذلك بنفسك . قال : وهو يقول : أي رب ، ما أحلك ! أي رب ، ما أحلك ! أي رب ، ما أحلك !

حديث نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق : وبنو هاشم ، وبنو المطلب في منزلهم الذي تعافدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها ، ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة التي تسكنيت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب نفر من قريش ، ولم يبل فيها

أحد أحسن من بلاد هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن قاسم بن لؤي ، وذلك أنه كان ابن أخى نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه فكان هشام لبني هاشم واصلا ، وكان ذا شرف في قومه فكان فيما بلغني - يأتي بالبحير ، وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلا ، قد أوقره طعاما ، حتى إذا أقبل به فم الشعب ، خلع خطامه من رأسه ، ثم ضرب على جنبه ، فدخل الشعب عليهم ، ثم يأتي به قد أوقره برا ، فيفعل به مثل ذلك .

قال ابن اسحاق : ثم انه مشى الى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وكانت أمه عاتكة بذت عبد المطلب - فقال : بازهير ، أقدر رضىت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب ، وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ، لا يباعون ، ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ، ولا ينكح اليهم ؟ أما إنني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ، ثم دعوته الى ما دعاك اليه منهم ، ما أجابك اليه أبدا ، قال : ويحك يا هشام ! فاذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر ، لقمتم في نقضها حتى أنقضها ، قال : قد وجدت رجلا قال : فمن هو ؟ قال : أنا ، قال له زهير : أبغنا رجلا ثالثا .

فذهب إلى المطعم بن عدى ، فقال له : يا مطعم أقدر رضىت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف ، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ! أما والله لئن أمكنتهموهم من هذا لتجدنهم إليها منكم سرا ، قال : ويحك ! فاذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدت ثانيا ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال : أبغنا ثالثا ، قال : قد فعلت ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية ، قال أبغنا رابعا .

فذهب إلى أبي البختري بن هشام ، فقال له نحوأما قال المطعم بن عدى ، فقال : وهل من أحد يعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية ، والمطعم بن عدى ، وأنا معك ، قال : أبغنا خامسا .

فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، فكلمه ، وذكر له قرابتهم وحققهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذى تدعوني إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمي له القوم .

فاتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك ، فأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة ، حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا أبدوكم فأكون أول من يتكلم فليأصحبوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة ، فطلف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس ، فقال : يا أهل مكة ! أنا كل الطعام ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكي لا يباع ولا يبتاع معهم ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .

قال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد : كذبت والله لا تشق ، قال زمعة بن الأسود : إنك والله أكذب ، مارضىنا كتابها حيث كتبت ، قال أبو البختري : صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ، ولا نقر به ، قال المطعم بن عدى : صدقتما ، وكذب من قال غير ذلك ، تبرأ إلى الله منها ، وبما كتب فيها ، قال هشام بن عمرو نحوأما من ذلك . فقال أبو جهل : هذا أمر قضى بليل ، نشوور فيه بغير هذا المكان ، وأبو طالب جالس في ناحية المسجد ، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها ، فوجد الأرضة قد أكلتها ، إلا : « باسمك اللهم » .

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة . فشلت يده فيما يزعمون .

قال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لأبي طالب : يا عم ، إن ربى الله قد سلط الأرض على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منه الظلم والظلمة والبهتان فقال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله ما يدخل عليك أحد ، ثم خرج إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إن ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا ، فلهن صحيفتكم ، فإن كان كما قال ابن أخى ، فانتهوا عن قطعنا ، وانزلوا عما فيها ، وإن يكن كاذباً دفعت إليكم ابن أخى ، فقال القوم : رضينا ، فتماعفدوا على ذلك ، ثم نظروا ، فإذا هى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزادهم ذلك شراً . فعند ذلك صنع الرهط من قريش فى نقص الصحيفة ما صنعوا .

قال ابن إسحاق : فلما مزقت الصحيفة وبطل ما فيها . قال أبو طالب ، فيما كان من أمر أولئك النفر الذين قاموا فى نقصها يمدحهم :

| | |
|-------------------------------------|--------------------------------|
| ألا هل أتى بحرينا صنع ربنا | على نأيهم والله بالناس أروء |
| فإن خبرهم أن الصحيفة مزقت | وأن كل ما لم يرضه الله مفسد |
| تراوحها لإفك ، وسحر مجمع | ولم يلف سحر آخر الدهر يصد |
| تداعى لها من ليس فيها بقرقر | فطائرهما فى رأسها يتردد |
| وكانت كفء رقعة بأثيمة | ليقطع منها ساعد ومقلد |
| ويظعن أهل المكتن ، فيهربوا | فرائصهم من خشية الشر ترعد |
| ويترك حرثا يقلب أمره | أيتهم فيهم عندك ذاك وينجد |
| وتصعد بين الأخشين كتيبة | لها حدج سهم وقوس ومرهد |
| فن ينش من حضار مكة عزه | فعرتنا فى بطن مكة أتلد |
| نشأنا بها ، والناس فيها قلائل | فلم تنفك نرداد خيراً ونحمد |
| ونطعم حتى يترك الناس فضلهم | إذا جعلت أيدى المفيضين ترعد |
| جزى الله رهطاً بالحجون تبايعوا | على ملا يهدى لحزم ويرشد |
| فعوداً لدى خطم الحجون كأنهم | مقاولة ، بل هم أعز وأجد |
| أعان عليها كل صقر كأنه | إذا ما مشى فى رفرع الدرع أحرد |
| جرى على جلى الخطوب ، كأنه | شهاب بكفى قابس يتوقد |
| من الأكرمين من لوى بن غالب | إذا سم خسفا وجهه يتردد |
| طويل النجاد خارج نصف ساقه | على وجهه يسقى الغمام ويسعد |
| عظيم الرماد ، سيد وابن سيد | يحض على مقرى الضيوف ، ويحشد |
| ويبنى لأبناء العشيرة صالحا | إذا نحن طفنا فى البلاد ، ويمهد |
| أط بهذا الصالح كل مبرأ | عظيم اللواء أمره ثم يحمد |
| فصنوا ما قضاوا فى ليلهم ، ثم أصبحوا | على مهل ، وسائر الناس رقد |
| هم رجعوا سهل بن بيضاء راضياً | وسر أبو بكر بها ومحمد |

مضى شرك الأفوام في جل أمرنا وكنا قديماً لا نفر ظلامه
وكنا قديماً لا نفر ظلامه ونذكر ما شئنا ، ولا نتشدد
فيا لقصى هل لكم في نفوسكم وهل لكم فيما يحىء به غد
فإني وإياكم كما قال قائل لديك البيان لو تكلمت أسود

وقال حسان بن ثابت يبكي المطعم بن عبدى حين مات ، ويذكر قيامه في نقض الصحيفة :

أيا عين فابكي سيد القوم واسفجى بدمع ، وإن أنزفته فاسكبى الدما
وبكى عظيم المشعرين كليهما على الناس معروفاً له ما تكلمنا
فلو كان مجد يخلد الدهر واحداً من الناس أبقي مجده اليوم مطعماً
أجرت رسول الله منهم ، فأصبحوا عبيدك ، ما لى مهل وأحرما
فلو سئلت عنه معد بأمرها وقحطان ، أو باقى بقية جرهما
لقالوا : هو الموفى بخفرة جاره وذمته يوماً إذا ما تدمما
فما تطلع الشمس المنيرة فوقهم على مثله فيهم أعز وأعظما
وآبى إذا يابى وألين شيمة وأنوم عن جار إذا الليل أظلم

قال ابن هشام : قوله « كليهما » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : وأما قوله : « جرت رسول الله منهم » ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - لما انصرف عن أهل الطائف ، ولم يجيؤه إلى ما دعاهم إليه ، من تصديقه ونصرته ، صار إلى حراء ، ثم بعث إلى الأخنس ابن شريق ، ليحيره ، فقال : أنا حليف ، والحليف لا يجير ، فبعث إلى سهيل بن عمرو ، فقال : إن بنى عامر لا يجير على بنى كعب . فبعث إلى المطعم بن عدى ، فأجابه إلى ذلك ، ثم تسلاح المطعم وأهل بيته ، وخرجوا حتى أتوا المسجد ، ثم بعث إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن ادخل ، فدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فطاف بالبيت ، وصلى عنده ، ثم انصرف إلى منزله ، فذلك الذى يعنى حسان بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً : يمدح هشام بن عمرو لقيامه في الصحيفة :

هل يوفين بنو أمية ذمة عقدآ كما أوفى جوار هشام
من معشر لا يغدرون بجارهم للحارث بن حبيب بن سخام
ولإذا بنو حسل أجاروا ذمة أوفوا وأدوا جارهم بسلام

وكان هشام أخا سخام : قال ابن هشام : ويقال : سخام .

عودة المهاجرين من الحبشة

وذكر ما بلغ أهل الحبشة من إسلام أهل مكة ، وكان باطلا ، وسببه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ سورة النجم ، فألقى الشيطان في أمنيته ، أى : في تلاوته عند ذكر اللات والعزى ، لأنهم لهم الغرائقة العلى ، وإن شفاعتهم لترتجى ، فطار ذلك بمكة ، فسر المشركون ، وقالوا : قد ذكر آلهتنا بخير فسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في آخرها ، وسجد المشركون والمسلمون ، ثم أنزل الله تعالى : « فيفسخ الله ما يلقى الشيطان ، الآية » ، فن هاهنا اتصل بهم في أرض الحبشة أن قريشا قد أسلموا ، ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق من غير رواية البسكائى ، وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة ، ومن صححه قال فيه أفولا ، منها : أن الشيطان قال ذلك وأشاعه . والرسول - عليه السلام - لم ينطق به ، وهذا جيد لولا أن في حديثهم أن جبريل قال لمحمد : ما أتيتك بهذا ؛ ومنها : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قالها من قبل نفسه ، وعنى بها الملائكة : إن شفاعتهم لترتجى . ومنها : أن النبي - عليه السلام - قال حاكيا عن الكفرة ، وأنهم يقولون ذلك ، فقالها متعجبا من كفرهم ، والحديث على ما خيلت غير مقطوع بصحته ، والله أعلم .

وسمى الذين قدموا منهم من أجل ذلك الخبر ، وذكر فيهم طليبا ، وقال في نسبه : ابن أبي كبير بن عبد ابن قصي ، وزيادة أبي كبير في هذا الموضع لا يوافق عليه وكذلك وجدت في حاشية كتاب الشيخ التنبية على هذا وذكره أبو عمر ونسبه كما نسبه ابن إسحق بزيادة : أبي كبير ، وكان بدريا في إحدى الروايتين عن ابن إسحق ، وكذلك قال الواقدي وابن عقبة ، ومات بأجنادين شهيدا لا عقب له .

حول قول لييد : فصل : وذكر قول لييد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وقصة ابن مظعون إلى آخرها ، وليس فيها ما يشكل غير سؤال واحد ، وهو قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أصدق كلمة قالها الشاعر قول لييد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فصدقه في هذا القول وهو - عليه السلام - يقول في مناجاته : « أنت الحق ، وقولك الحق ، ووعدك الحق والجنة حق ، والنار حق ، ولقاؤك حق ، فكيف يجتمع هذا مع قوله :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فالجواب وجهين أحدهما : أن يريد بقوله : ما خلا الله : ما عداه ، وعدا رحمته التي وعدها من رحمته ، والنار وما توعد به من عقابه ، وماسوى هذا فباطل أى : مضمحل والجواب الثانى : أن الجنة والنار وإن كانتا حقا ، فإن الزوال عليهما جائز لذاتهما ، وإنما ببقاياهما الله لهما ، وأنه يخلق الدوام لاهلها على قول من جعل الدوام والبقاء معنى زائداً على الذات ، وهو قول الأشعرى ، وإنما الحق على الحقيقة من لا يجوز عليه الزوال ،

وهو القديم الذى انعدمه محال ؛ ولذلك قال عليه السلام : أنت الحق بالآلف واللام ، أى المستحق لهذا الاسم على الحقيقة ، وقولك الحق ؛ لأن قوله قديم ، وليس بمخلوق فيفيد ، ووعدك الحق ، كذلك ، لأن وعده كلامه ، هذا مقتضى الآلف واللام ، ثم قال : والجنة حق ، والنار حق بغير ألف ولام ، ولقاؤك حق كذلك ، لأن هذه أمور محدثات والمحدث لا يجب له البقاء من جهة ذاته ، وإنما علينا بقاءها من جهة الخبر الصادق الذى لا يجوز عليه الخلف لامن جهة استحالة البقاء عليها ، كما يستحيل على القديم - سبحانه - الذى هو الحق ، وماخلاه باطل ، فإما جوهر وإما عرض ، وليس فى الأعراض إلا مايجب له الفناء ، ولانى الجواهر إلا مايجوز عليه الفناء والبطول ، ولإن بنى ولم يبطل لجائز أن يبطل وأما الحق - سبحانه - فليس من الجواهر والأعراض : فاستحال عليه ما يجب لهما ، أو يجوز عليهما .

حديث أبى بكر مع ابن الدغنة : وذكر حديث أبى بكر حين لقي ابن الدغنة ، واسمه : مالك ، وهو سيد الأحابيش ، وقد سماهم ابن إسحاق ، وهم : بنو الحارث وبنو الهون من كنانة ، وبنو المصطلق من خزاعة تحبشوا ، أى : تجمعوا ، فسموا الأحابيش . قيل : لأنهم تحالفوا عند جليل ، يقال له حبشى ، فاشتق لهم منه الاسم . وقوله لأبى بكر : إنك لتكسب المعدوم ، يقال : كسبت الرجل مالا ، فتعديه إلى مفعولين . هذا قول الأصمعى ، وحكى غيره : أكسبته مالا ، فعنى تكسب المعدوم ، أى : تكسب غيرك ما هو معدوم عنده ، والدغنة : اسم امرأة عرف بها الرجال ، والدغن : الغيم يبقى بعد المطر .

الشعب وتقتضى الصحيفة : فصل : وذكر نقض الصحيفة ، وقيل : هشام فيها ونسبه ، فقال : هشام بن الحارث ، بن حبيب ، وفى الحاشية عن أبى الوليد : إنما هو هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث ، وهكذا وقع نسبه فى رواية يونس عن ابن إسحاق ، وكان أبوه عمرو أخا نضلة بن هاشم لأمه .

وذكر أنه كان يأتى بالبغير قد أوفره بزأ بازأى المعجمة ، وفى غير نسخة الشيخ أبى بحر : برا ، وفى رواية يونس : بزأ أو برأ على الشك من الراوى .

وذكر أن منصور بن عكرمة كان كاتب الصحيفة ، فشلت يده ، وللنساب من قرش فى كاتب الصحيفة هو : بغض ابن عامر بن هاشم بن عبد الدار ، والقول الثانى : أنه منصور بن عبد شرحبيل بن هاشم من بنى عبد الدار أيضا ، وهو خلاف قول ابن إسحاق ، ولم يذكر الزبير فى كاتب الصحيفة غير هذين القولين ، والزبير يون أعلم بالنساب قومهم . وذكر ما أصاب المؤمنين مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى الشعب من ضيق الحصار لايباعون ولا يناكحون ، وفى الصحيح : أنهم جاهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق السمر حتى إن أحدهم ليضع كما تضع الشاة ، وكان فيهم سعد بن أبى وقاص . روى أنه قال : لقد جمعت ، حتى أنى وطئت ذات ليلة على شئ رطب ، فوضعت فى فمى وبلعته ، وما أدري ما هو إلى الآن ، وفى رواية يونس : أن سعدا قال : خرجت ذات ليلة لأبول ، فسمعت فمقة تحت البول ، فإذا قطعة من جلد بعير يابسة ، فأخذتها وغسلتها ، ثم أحرقتها ثم رضختها ، وسففتها بالماء ، فقويت بها ثلاثا ، وكانوا إذا قدمت العير مكة يأتى أحدهم السوق ليشتري شيئا من الطعام لعياله ، فيقوم أبو لبعدو الله ، فيقول : يا معشر التجار : غالوا على أصحاب محمد ، حتى لا يدركوا معكم شيئا ، فقد علمتم مالى ووفاء ذمتى ، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم ، فيزidon عليهم فى السلعة ، فيمتها أضعافا حتى يرجع إلى أطفاله ، وهم يتضاغون من الجوع ، وليس فى يديه شئ . يطعمهم به ، ويندو التجار على أبى لبعدو ،

فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس ، حتى جهد المؤمنون ، ومن معهم جوعاً وعرباً ، وهذه إحدى الشدائد الثلاث التي دل عليها تأويل النقطات الثلاث التي غطه جبريل حين قال له : اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ ، وإن كان ذلك في اليقظة ، ولكن مع ذلك له في مقتضى الحكمة تأويل وإيماء وقد تقدمت الإشارة إلى هذا قبل ، وإلى آخر حديث الصحيفة ليس فيها ما يشكل .

شرح دالية أبي طالب : وقول أبي طالب : ألا قد أتى بحرنا ، يعني الذين بأرض الحبشة ، نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه ، وهكذا وجه النسب إليه ، وقد قال عليه السلام : إذا نشأت بحرية ، وزعم ابن سيدة في كتاب المحكم أن العرب تنسب إلى البحر : بحراني على غير قياس ، وأنه من شواذ النسب ، ونسب هذا القول إلى سيويوه والخليل ، ولم يقله سيويوه قط ، وإنما قال في شواذ النسب : تقول في بهراء : بهرائي ، وفي صنعاء : صنعائي ، كما تقول : بحراني في النسب إلى البحرين التي هي مدينة ، وعلى هذا تلقاء جميع النحاة ، وتأولوه من كلام سيويوه ، وإنما شبه على ابن سيدة لقول الخليل في هذه المسألة أغنى مسألة النسب إلى البحرين ، كأنهم بنوا البحر على بحران ، وإنما أراد لفظ البحرين ألا تراه يقول في كتاب العين : تقول بحراني في النسب إلى البحرين ، ولم يذكر النسب إلى البحر أصلاً للعلم به ، وأنه على القياس جار ، وفي الغريب المصنف عن اليزيدي أنه قال : إنما قالوا : بحراني في النسب إلى البحرين ، ولم يقولوا : بحري ليفرقوا بينه وبين النسب إلى البحر ، وما زال ابن سيدة يعثر في هذا الكتاب وغيره عثرات يدمى منها الأطل ، ويدحض دحضات تخرجه إلى سبيل من ضل ألا تراه قال في هذا الباب : وذكر بحيرة طبرية ، فقال : هي من أعلام خروج الدجال ، وأن ماءها يبيس عند خروجه ، والحديث : إنما جاء في عين زغر ، وإنما ذكرت بحيرة طبرية في حديث يأجوج ومأجوج ، وأنهم يشربون ماءها ، وقال في الجمار في غير هذا الكتاب : التي ترمى بعرفة ، وهذه هفوة لا تقال ، وعثرة لا لعل لها ، وكلم له من هذا إذا تكلم في النسب وغيره ، ومن النسب إلى البحر قوله عليه السلام لاسماء بنت عميس حين قدمت من أرض الحبشة : البحرية الحبشية ، فهذا مثل قول أبي طالب : ألا هل أتى بحرنا .

وقوله : والله بالناس أروء : أي : أرفق ، ومنه : رويدك ، أي رفقاً جاء بلفظ التصغير ، لأنهم يريدون به تقيلاً أي : أرفق قليلاً ، وليس له مكبر من لفظه ، لأن المصدر : إرواد ، إلا أن يكون من باب تصغير الترخيم ، وهو أن تصغر الاسم الذي فيه الروائد ، فتحذفها في التصغير ، فتقول في أسود : سويد ، وفي مثل إرواد : رويد .

وقوله : من ليس فيها بقرقر : أي : ليس بذليل ، لأن القرقر : الأرض الموطوءة التي لا تمنع سالكها ، ويجوز أن يريد به : ليس بذى هزل ، لأن القرقرة الضحك .

وقوله : وطائرهما في رأسها يتردد . أي : حظها من الشؤم والشر ، وفي التنزيل : دأبنا طائرهما في عنقه ، وقوله : لها حدج سهم وقوس . مرهه ، وجدت في حاشية كتاب الشيخ مما كتبه عن أبي الوليد الكنانى على هذا البيت : لعله حدج بضم الحاء والدال جمع حدج على ما حكى الفارسي ، وأنشد شاهداً عليه عن ثعلب :

قنا فأنسنا الحول والحدج

ونظيره : ستر وستر ، ذكر ذلك عنه ابن سيدة في محكمه ، فيكون المعنى : إن الذى يقوم لها مقام الحدج سهم وقوس ومرهد . إلى هنا انتهى ما فى حاشية كتاب الشيخ . قال المؤلف : وفى العين : الحدج : حرك القطب مادام رطباً فيكون الحدج فى البيت مستعاراً من هذا ، أى : لها حرك ، ثم فسرته فقال : سهم وقوس ومرهد ، وهكذا فى الأصل بالراء وكسر الميم فيحتمل أن يكون مقلوباً من مرهد : مفعول من زهد الثوب إذا مزقه ، ويعنى به ربحاً أو سيفاً ، ويحتمل أن يكون غير مقلوب ، ويكون من الرهيد ، وهو الناعم أى : ينعم صاحبه بالظفر ، أو ينعم هو بالرى من ادم ، وفى بعض النسخ : مزهد بفتح الميم والزاي ، فان صحت الرواية به ، فعناه : مزهد فى الحياة وحرص على المات ، والله أعلم : وقوله فيها : إذا جعلت أيدى المقيضين ترعد . يعنى : أيدى المقيضين بالقداح فى الميسر ، وكان لا يفيض معهم فى الميسر إلا سخي ، ويسمون من لا يدخل معهم فى ذلك : البرم . وقالت امرأة لبعها - وكان برماً بخيلاً ، ورأته يضقرن بعين فى الاكل : أبرماً قروناً ويسمونه أيضاً : الحصور : يريد أبو طالب إنهم يطعمون إذا تخيل الناس . والميسر : هى الجزور التى تقسم ، يقال : يسرت إذا قسمت ، هكذا فسرته القتي وأنشد :

أقول لهم بالشعب إذ يسروننى ألم يأسوا أنى ابن فارس زهدم

قال : يسروننى أى : يقتسمون مالى ، ويروى : ويأسروننى من الأسر .

وقوله : رفرف الدرع أحرد ، رفرف الدرع : فضولها : وقيل فى معنى : رفرف خضر : فضول الفرش والهيكل ، وهو قول ابن عباس ، وعن على أنها : المرافق ، وعن سعيد بن جبير : الرفارف : رياض الجنة والأحرد الذى فى مشيه تناقل ، وهو من ، الحرد وهو : عيب فى الرجل . وفيه : هم رجعو سهل بن بيضاء راضياً . سهل هذا هو : ابن وهب بن ربيعة بن هلال بن ضبة بن الحارث بن فهر يعرف : بابن البيضاء ، وهى أمه ، واسمها : دعد بنت جحدم بن أمية بن ضرب بن الحارث بن فهر ، وهم ثلاثة إخوة : سهل وسهيل وصفوان بنو البيضاء . وقوله .

ولمى ولياهم كما قال قائل لديك البيان لو تكلمت أسود

أسود : اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل ، فلم يعرف قاتله ، فقال أولياء المقتول هذه المقالة ، فذهبت مثلاً .

قول حسان فى مطعم وهشام بن عمرو : فصل : وذكر قول حسان فى مطعم بن عدى ، ويذكر جواره للنبي - عليه السلام - وذلك حين رجع من الطائف ، وقياه فى أمر الصحيفة :

فلو كان مجد يتخذ الدهر واحداً من الناس أبقي بمجده اليوم مطعماً

وهذا عند النحويين من أقبح الضرورة ، لأنه قدم الفاعل ، وهو مضاف إلى ضمير المفعول ، فصار فى الضرورة : مثل قوله :

جزى ربه عنى عدى بن حاتم

إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ما يرى من قومه ، يبذل لهم النصيحة ، ويدعوهم إلى النجاة بما هم فيه . وجعلت قريش ، حين منعه الله منهم ، يحذرونه الناس ، ومن قدم عليهم من العرب .

وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث : أنه قدم مكة - ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها - فثنى إليه رجال من قريش - وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً ليلاً - فقالوا له : يا طفيل ، إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعرض بنا ، وقد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا . وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإننا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمنه ولا تسمع منه شيئاً .

قال : فوالله ما زالوا حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ، ولا أكلمه ، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقا من أن يبلغني شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمع . قال : فغدوت المسجد ، فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائم يصلي عند الكعبة . قال : فقمته منه قريباً ، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله . قال .

غير أنه في هذا البيت أشبه قليلاً لتقدم ذكر مطعم ، فكأنه قال : أبنى مجد هذا المذكور المتقدم ذكره مطعماً . ووضع الظاهر موضع المضمحل ، كما لو قلت : إن زيدا ضربت جاريتك زيدا ، أي : ضربت جاريتك إياه ، ولا بأس بمثل هذا ، ولا سيما إذا قصدت قصد التعظيم وتفخيم ذكر الممدوح ، كما قال الشاعر :

وما لي أن أكون أعيب يحيى ويحيى طاهر الأثواب بر

ويجوز نصبه عندي على البدل من قوله : وبكى عظيم المشعرين ، ويكون المفعول من قوله : أبنى مجده محذوفاً ، فكأنه قال : أبقاه مجده أبداً ، والمفعول لا قبح في حذفه ، إذا دل عليه الكلام كما في هذا البيت .

وذكر قول حسان في هشام بن عمرو ، وقال فيه : للحارث بن حبيب بن سخام ، وقد تقدم نسبه ، وهو حبيب بالتخفيف تصغير حب ، وجعله حسان تصغير حبيب ، فشده ، وليس هذا من باب الضرورة ؛ إذ لا يسوغ أن يقال في فليس : فليس ، ولا في كليب : كليب في شعر ولا غيره ، ولكن لما كان الحب والحبيب بمعنى واحد جعل أحدهما مكان الآخر ، وهو حسن في الشعر ، وسائق في الكلام ، وهشام بن عمرو هذا أسلم ، وهو معدود في المؤلفات قلوبهم ، وكانوا أربعين رجلاً فيما ذكروا .

وقوله : ابن سخام ، هو : أمم أمه ، وأكثر أهل النسب يقولون فيه : سخام بشين معجمة ، وألفيت في حاشية كتاب الشيخ أن أبا عبيدة النسابة وعوانه يقولون فيه : سخام بسين وخاء مهملتين والذي في الأصل من قول ابن هشام : سخام بسين مهملة ، وخاء معجمة ولفظ سخام من سخيم الطعام ، وخشم إذا تغبرت رائحته ، قاله أبو حنيفة .

فسدت كلاما حسنا . قال : فقلت في نفسي : وائسكل أمي ! ! والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من الفتيح ، فما بمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ! فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته ، وإن كان قبيحا تركته .

قال : فكشكت حتى انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بيته فأنبعته ، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه ، فقلت : يا محمد ، إن قومك قالوا لكذا وكذا - للذي قالوا - فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم أبي الله إلا أن يسمعني قولك ، فسمعتة قولاً حسناً ، فاعرض على أمرك . قال : فعرض على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الإسلام ، وتلا على القرآن ، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه ، قال : فأسلمت ، وشهدت شهادة الحق ، وقلت : يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي ، وأنا راجع إليهم ، وداعيتهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوم إليه فقال : اللهم اجعل له آية .

قال : فخرجت إلى قومي ، حتى إذا كنت بشذية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح ، فقلت : اللهم في غير وجهي ، إني أخشى ، أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم . قال : فتحول فوقع في رأس سوطي . قال : فجعل الحاضر يترأون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق وأنا أهبط إليهم من الشنية ، قال : حتى جئتهم فأصبحت فيهم .

إسلام والد الطليل وزوجته

قال : فلما نزلت أتانى أبي ، وكان شيخاً كبيراً ، قال : فقلت : إليك عني يا أبت ، فلست منك ، ولست مني ، قال : ولم يابني ؟ قال : قلت أسلمت ، وتابعت دين محمد - صلى الله عليه وسلم - قال : أي بني ، فدينك دينك ، قال : فقلت : فاذهب ، فاغتسل ، وطهر ثيابك ، ثم تعال حتى أعليك ما عات . قال : فذهبت فاغتسل ، وطهر ثيابه . قال : ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم .

قال : ثم أتتني صاحبتى ، فقلت : إليك عني ، فلست منك ولست مني ، قالت لم ؟ بأبي أنت وأمي ، قال : قلت : قد فرق بيني وبينك الإسلام ، وتابعت دين محمد - صلى الله عليه وسلم - قالت : فدينك دينك ، قال : قلت : فاذهبى إلى حنا ذى الشرى - قال ابن هشام : ويقال : حنى ذى الشرى - فتطهرى منه .

ذو الشرى صنما لدوس ، وكان الحمى حى حموه له ، به وشل من ماء يهبط من جبل .

قال : قالت : بأبي أنت وأمي ، أنتحى على الصبية من ذى الشرى شيئاً ، قال : قلت : لا ، أنا ضامن لذلك ، فذهبت فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام ، فأسلمت .

ثم دعوت دوساً إلى الإسلام ، فأبطئوا على ، ثم جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة ، فقلت له : يا نبي الله ، إنه قد غلبني على دوس الزنا ، فادع الله عليهم ، فقال : اللهم اهد دوساً ، ارجع إلى قومك فادعهم

وارفق بهم ، قال : فلم أزل بأرض دوس أدعوم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدر وأحد والخندق ، ثم قدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمن أسلم معي من قومي ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بخير ، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس ، ثم لحقنا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - بخير ، فأسهم لنا مع المسلمين .

ثم لم أزل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى إذا فتح الله عليه مكة ، قال : قلت : يا رسول الله ، ابعثني إلى ذي الكفين ، صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه .

قال ابن إسحاق : فخرج إليه ، فجعل طفيل يوقد عليه النار ، ويقول :

ياذا الكفين - لست من عبادكا ميلادنا أقدم مر ميلادكا

إني حشوت النار في فؤادكا

قال : ثم رجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان معه بالمدينة ، حتى قبض الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما ارتدت العرب ، خرج مع المسلمين ، فسار معهم ، حتى فرغوا من طليحة ، ومن أرض نجد كلها . ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة - ومعه ابنه عمرو بن الطفيل - فرأى وئياً وهو متوجه إلى اليمامة ، فقال لأصحابه : إني قد رأيت رؤيا ، فأعبروها لي ، رأيت أن رأسي حلق ، وأنه خرج من فني طائر ، وأنه لقيتني امرأة ، فأدخلتني في فرجها ، وأرى ابني يطلبني طلباً حثيثاً ، ثم رأيت حبس عني ، قالوا : خيراً . قال : أما أنا والله ، فقد أوانتها ، قالوا : ماذا ؟ قال : أما حلق رأسي فوضعه : وأما الطائر الذي خرج من فني فروحي ، وأما المرأة التي أدخلتني فرجها ، فالأرض تحفر لي ، فأغيب فيها ، أما طلب ابني إياي ثم حبسه عني ، فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني ، فقتل رحمه الله شهيداً باليمامة ، وجرح ابنه جراحة شدة ، ثم قتل عام اليرموك في زمن عمر رضي الله عنه شهيداً .

قصة أعشى بن قيس بن ثعلبة

قال ابن هشام : حدثني خلاد بن قره بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم : أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر وائل ، خرج إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد الإسلام فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم .

| | |
|---|---|
| وَبَت كَمَا بَاتَ السَّالِمُ مَسْهَدًا | أَلَمْ تَقْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا |
| تَنَاسَيْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ خَلَّةَ مَهْدَدَا | وَمَا ذَاكَ مِنْ عَشَقِ الْفَسَاءِ ، وَإِنَّمَا |
| إِذَا أَصْلَحْتَ كَفَايَ عَادَ ، فَأَفْسَدَا | وَلَكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ خَائِنٌ |
| فَلِلَّهِ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا ۝ ۱ ۝ | كَهَوْلًا وَشَبَابًا فَقَدْتَ وَثَرَوَا |
| وَلِيدَاً وَكُهْلًا حِينَ شَبْتَ وَأَرْمَدَا | وَمَا زِلْتَ أَبْغَى الْمَالَ مَذَا أَنَا يَافِعُ |
| مَسَافَةً مَا بَيْنَ النَّجِيرِ فَصَرَخَدَا | وَأَبْتَدَلَ الْعَيْسَ الْمَرَاقِيلَ تَهْتَلَى |
| فَإِنْ لَهَا فِي أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعَدَا | أَلَا أَهَذَا السَّائِلَى أَيْنَ يَمُتُ |
| حَفَى عَنِ الْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا | فَإِنْ تَسَالَى عَنِّي ، فَيَارِبَ سَائِلِ |
| يَدَاها خُفَافًا لَيْنًا غَيْرَ أَحْرَدَا | أَجَدْتَ بِرَ جَلِيلِهَا النَّجَاءَ ، وَرَاجَعْتَ |
| إِذَا خَلْتَ حَرْبَاءَ الظَّهِيرَةِ أَصِيدَا | وَفِيهَا - إِذَا مَا هَجَرْتَ - عَجْرَفِيَّةُ |

وآيت لا آوى لها من كلاله
مق ماتناخى عند باب ابن هاشم
نبيا يرى مالا ترون وذكره
له صدقات مانع ونائل
أجدك لم تجمع وصاة محمد
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ندمت على أن لا تكون كمثل
فاياك والميتات لا تقرن بها
وذا النصب المنسوب لا تنسكنه
ولا تقرن حرة كان سرها
وذا الرحم القربى فلا تقطعنه
وسبح على حين العشيات والضحي
ولا تسخرن من بائس ذى ضرارة

ولا من حنى حتى تلاقى محمدا
تراحى وتلقى من فواضله ندى
أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا
وليس عطاء اليوم مانعه غدا
نبي الإله حيت أوصى ، وأشهدا
ولايت بعد الموت من قد تزودا
فترصد الأمر الذى كان أرصدا
ولا تأخذن سها حديدآ، لتفصدا
ولا تعبد الأوثان، والله فاعبدا
عليك حراما فانكحن أو تأبدا
لعافية ولا الأسير المقيدا
ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
ولا تحسبن المال البرء مخلدا

نهاية الأعشى

فلما كان بمكة أو قريبا منها ، اعترضه بعض المشركين من قريش ، فسأله عن أمره فأخبره أنه جاء يريد رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، ليسلم ، فقال له : يا أبا بصير ، إنه يحرم الزنا ، فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمر مالى فيه من أرب ، فقال له : يا أبا بصير ، فإنه يحرم الخمر ، فقال الأعشى : أما هذه فوالله إن فى النفس منها لعلالات ، ولكنى منصرف فانزوى منها عامى هذا ثم آتته فأسلم . فانصرف فمات فى عامه ذلك ، ولم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذلة ابى جهل

قال ابن إسحاق : وقد كان عدو الله أبو جهل بن هشام مع عداوته لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبغضه إياه ، وشدة عليه ، يذله الله له إذا رآه .

أبو جهل والإراشى

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفى ، وكان واعية ، قال : قدم رجل من إراش - قال ابن هشام : ويقال : لإراشة - بإيل له مكة ، فابتاعها منه أبو جهل ، فظله بأثمانها . فأقبل الإراشى حتى وقف على ناد من قريش ، ورسوله الله - صلى الله عليه وسلم - فى ناحية المسجد جالس ، فقال : يا معشر قريش ، من رجل يؤدبنى على أبى الحكم بن هشام ، فإننى رجل غريب ، ابن سليل ، وقد غلبنى على حتى ؟ فقال له أهل

ذلك المجلس : أتى ذلك الرجل الجالس - لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يزءون به ، لما يملون بينه وبين أبى جهل من العداوة - اذهب إليه ، فانه يؤدبك عليه .

فأقبل الإراشى حتى وقف على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا عبد الله إن أبا الحكم بن هشام قد غلبنى على حق لى قبله ، وأنا غريب ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدىنى عليه ، يأخذ لى حقى منه ، فأشاروا لى إليك فخذ لى حقى منه ، یرحمك الله ، قال : انطلق إليه ، وقام معه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رأوه قام معه قالوا لرجل من معهم : اتبعه ، فانظر ماذا يصنع .

قال : وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى جاءه ، فضرب عليه بابه ، فقال : من هذا ؟ قال : محمد ، فاخرج لى ، فخرج إليه ، وما فى وجهه من رائحة ، قد انتقع لونه ، فقال : أعط هذا الرجل حقه ، قال : نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذى له ، قال : فدخل ، فخرج إليه بحقه ، فدفعه إليه . قال : ثم انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال للإراشى : الحق بشأئك ، فأقبل الإراشى حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزاه الله خيراً ، فقد والله أخذ لى حقى .

قال : وجاء الرجل الذى بعثوا معه ، فقالوا : ويحك ! ماذا رأيت ؟ قال : عجباً من العجب ، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه ، فخرج إليه ومامعه روحه ، فقال له : أعط هذا حقه ، فقال : نعم ، لا تبرح حتى أخرج إليه حقه فدخل فخرج إليه بحقه ، فأعطاه إياه . قال : ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا له : ويحك ! مالك والله مارأينا مثل ما صنعت قط ! قال : ويحكم ، والله ما هو إلا أن ضرب على بابى ، وسمعت صوته ، فلبثت رعباً ، ثم خرجت إليه ، وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ، مارأيت مثل هامته ، ولا فصرته ، ولا أنيابه لفحل قط ، والله لو أبيت لأكلنى .

ركانة ومصارعته

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، قال : كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطالب بن عبد مناف أشد قريش ، بخلا يوماً برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى بعض شعاب مكة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ركانة ، ألا تتقى الله ، وتقبل ما أدعوك إليه قال : إني لو أعلم أن الذى تقول حق لا تبعثك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : أفرأيت إن صرعتك ، أنعلم أن ما أقول حق ؟ قال نعم ، قال : فقم حتى أصارعك . قال : فقام إليه ركانة يصارعه ، فلما بطش به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أضجعه ، وهو لا يملك من نفسه شيئاً ، ثم قال : عد يا محمد ، فعاد فصرعه ، فقال يا محمد : والله إن هذا للعجب ، أنصرعنى ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه ، إن اتقيت الله واتبعته امرى ، قال : ما هو ؟ قال : أدعوك لك هذه الشجرة التى ترى فتأتينى ، قال : ادعها ، فدعاها ، فأقبلت حتى وقفت بين يدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : فقال لها : ارجعى إلى مكانك . قال : فرجعت إلى مكانها .

قال : فذهب ركانة إلى قومه ، فقال : يا بنى عبد مناف ، ساحروا بضاجكم أهل الارض ، فوالله مارأيت أسحر منه قط ، ثم أخبرهم بالذى رأى ، والذى صنع .

قدوم وفد النصارى من الحبشة

قال ابن إسحاق : ثم قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بمكة - عشرون رجلا ، أو قريب من ذلك من النصارى ، حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ، ورجال من قريش في أندية حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عما أرادوا ، دعاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الله - عز وجل - وتلا عليهم القرآن ، فما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدموع . ثم استجابوا لله ، وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره . فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش ، فقالوا لهم : خيكم الله من ركب ! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم ، لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن بجالسكم عنده ، حتى فارقت دينكم ، وصدقتموه بما قال ، ما تعلم ركبنا أحق منكم ، أو كما قالوا ، فقالوا لهم : سلام عليكم ، لانجهاكم ، لنا مانحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل أنفسنا خيرا .

ويقال : إن نفر من النصارى من أهل نجران ، فأنه أعلم أي ذلك كان . فيقال - والله أعلم - فيهم نزلت هؤلاء ، الآيات : « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به ، إنه الحق من ربنا ، إنا كنا من قبله مسلمين » . . . إلى قوله : « لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم لا بفتنة الجاهلين » .

قال ابن إسحاق : وقد سألت ابن شهاب الزهري عن هؤلاء الآيات فيمن أنزلن ، فقال لي ما سمعته من علمائنا أنهم أنزلن في النجاشي وأصحابه ، والآية من سورة المائدة من قوله : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لا يستكبرون » . . . إلى قوله : « فاكتمنا مع الشاهدين » .

قال ابن إسحاق وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم - إذا جلس في المسجد ، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه : خباب ، وعمار ، وأبو فكيهة يسار مولى صفوان بن أمية بن محرز ، وصهيب ، وأشباههم من المسلمين ، هزئت بهم قريش ، وقال بعضهم لبعض : هؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والحق ! لو كان ماجاء به محمد خيرا ما سبقنا هؤلاء . إني وما خصهم الله به دوننا . فأنزل الله تعالى فيهم : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء فتطردوهم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا : هؤلاء من الله عليهم من بيننا ، أليس الله بأعلم بالشاكرين . وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا ، فقل : سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ، ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - كثيرا ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني ، يقال له : جبر ، عبد لبني الحضرمي ، فكانوا يقولون : والله ما يعلم محمدا كثيرا مما يأتي به إلا جبر النصراني ، غلام بني الحضرمي ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : « ولقد نعلم أنهم يقولون : إنما يعلبه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » .

قال ابن هشام : يلحدون إليه : يميلون ، والإلحاد : الميل عن الحق .
قال روثبة بن العجاج :

إذا تبع الضحاك كل ملحد

ابن هشام : يعنى الضحاك الخارجى ، وهذا البيت فى أرجوزة له

حديث طفيل الدوسى : فصل : وذكر حديث طفيل بن عمرو الدوسى ، وهو طفيل بن عمرو بن طريف ابن العاصى بن ثعلبة بن سليم بن جهم بن دوس إلى آخره وليس فيه إشكال إلا قوله : حنا ذى الشرى ، وقد قال ابن هشام : هو حمى ، وهو موضع حموه لصنمهم ذى الشرى ، فإن صحت رواية ابن إسحاق ، فالتون قد تبدل من الميم ، كما قالوا : حلان وحلام للجدي ، ويجوز أن يكون من حنوت العود ، ومن محنية الوادى ، وهو ما انحنى منه .

حديث ذى الكفين : وقوله : يا ذا الكفين لست من عبادك . أراد : الكفين بالتشديد ، فخنيف للضرورة ، غير أن فى نسخة الشيخ أن الصنم كان يسمى : ذا الكفين ، وخنيف الفاء بخطه بعد أن كانت مشددة ، فدل أنه عنده مخفف فى غير الشعر ، فإن صح هذا فهو محذوف اللام ، كأنه تثنية كفاء ، ومن كفأت الإناء ، أو إذا كفء بمعنى كفء ١٩ ثم سهلت الهززة ، وألقيت حركتها على الفاء ، كما يقال : الخبء والخب ، وفى الحديث : أن أهل الحاضر من دوس كانوا يتراءونه فى الثنية ، وفى سوطه كالفنديل المعلق ، وذكره المبرد فقال فى لفظ الحديث : جعلوا ينظرون إلى الجبل ، وهو يهتف من شدة الضياء والنور ، وروى ، أبو ازناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : لما قال طفيل للنبي - صلى الله عليه وسلم - إن دوسا غلب عليها ازنى والربا ، قادع الله عليهم ، قلنا : هلكت دوس ، حتى قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اللهم اهد دوسا .

قصيدة الأعشى وحمزة والشرف : فصل : وذكر ابن هشام حديث الأعشى وقصيدته إلى آخرها ، فلما كان قريباً من مكة لقيه بعض المشركين ، فقال : إلى أين يا أبا بصير ؟ الحديث ، وذكر تحريره الخمر ، وتحريره الزنا ، وقول الأعشى : أما الخمر فى النفس منها علالات وقال غير ابن هشام : كان القائل للأعشى هذه المقالة أياً جعل . قالها فى دار عتبة بن ربيعة ، وكان نازلاً عنده ، قال المؤلف : وهذه غفلة من ابن هشام ، ومن قال بقوله : فإن الناس يجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أن مضت بدر وأحد ، وحرمت فى سورة المائدة ، وهى من آخر ما نزل ، وفى الصحيحين من ذلك قصة حمزة حين شربها ، وغنته القيتان : ألا يا حمز ، للشرف النواء فبقر خواصر الشارفين ، واجتنب أسنمتها .

وقوله للنبي عليه السلام : هل أنتم إلا عبيد لآبائى ، وهو ثمل . الحديث بطوله . فإن صح خبر الأعشى ، وما ذكر له فى الخمر ، فلم يكن هذا بمكة ، وإنما كان بالمدينة ، ويكون القائل له : أما علمت أنه يحرم الخمر ، من المنافقين ، أو من اليهود ، فأنه أعلم . وفى القصيدة ما يدل على هذا قوله : فإن لما فى أهل يثرب موعدا ، وقد ألفتى للقالى رواية عن أبى حاتم عن أبى عبيدة قال : لقي الأعشى عامر بن الطفيل فى بلاد قيس ، وهو مقبل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر له أنه يحرم الخمر ، فرجع ، فهذا أولى بالصواب ، وقول الأعشى : أتروى منها هذا العام ، ثم أعود فأسلم لا يخرج من الكفر باجماع ، قال الإسفرائينى فى عقيدته : إذا قال

المؤمن ساء كفر : غداً أو بعد غد ، فهو كافر لحينه بإجماع ، وإذا قال الكافر : سأومن غداً ، أو بعد فهو على كفره ، لا يخرج من حكم الكفر إلا إيمانه إذا آمن ، ولا خلاف في هذا والله المستعان .

وقوله : ألم تغتمض عينك ليلة أرمد ، لم ينصب ليلة على الظرف ، لأن ذلك يفسد معنى البيت ، ولكن أراد المصدر لحرقه ، والمعنى : اغتمض ليلة أرمد ، لحذف المضاعف إلى الليلة ، وأقامها مقامه ، فصار إعرابها كإعرابه ، وقد روى هذا البيت : ليلك بالكاف ، ومعناه غمض أرمد ، وقيل : بل أرمد على هذه الرواية من صفة الليل ، أى حال منه على المجاز ، كما تقول : ليلك ساهر .

وقوله : تناسبت قبل اليوم خلة مهدداً . فعل من المهد : ولولا قيام الدليل على أن الميم أصلية لحسبنا بأنه مفعول ؛ لأن الكلمة الرباعية إذا كان أولها ميم أو همزة ، لحملها على الزيادة ، إلا أن يقوم دليل على أنها أصلية ؛ والدليل على هذه الكلمة ظهور التضمين في الدال ، إذ لو كانت الميم زائدة لما ظهر التضعيف ، ولقلت فيه : مهد كما تقول : مرد ومكر ومفر في كل ما وزنه مفعول من المضاعف ، وإنما الدال في مهدد ضوعفت ليلحق ببناء جمع .

وقوله : إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا . والأصيد : المائل العنق ، ولما كانت الحرباء تدور بوجهها مع الشمس كيفما دارت ، كانت في وسط السماء في أول الزوال ، كالأصيد . وذلك أحر ما تكون الرمضاء . يصف ناقته بالنشاط . وقوة المشي في ذلك الوقت .

وقوله . خنافاً إلينا . في العين : خفت الناقة تخنّف بيديها في السير ، إذا مالت بهما نشاطاً . وناقته خنوف قال الراجز :

إن الشواء والنميل والرغف والقينة الحسناء ، والكأس الانف

لظاعنين الخيل ، والخيل خنف

وقوله : ليناً غير أحردا أى . تفعل ذلك من غير حرد في يديها . أى اعوجاج . والنجير وصرخه بدل ان . وأهل النجير أول من ارتد في خلافة أبي بكر بعد أهل دبا وكان أهل دبا قد حاصروهم حذيفة بن أسيد . وحاصر أهل النجير زياد بن ليلى بأمر أبي بكر . حتى نزلوا على حكمه . وأما صرخه قبله طيب الاعتاب . وإليه تنسب الخمر الصرخدية . وفي الأمالى . ولذ كطعم الصرخدى تركته .

وقوله : وآليت لا آوى لها من كلاله ، ولامن وجى ، أى : لأرق لها ، يقال : آويت للضعيف إية وماوية إذا رقت له كبدا .

وقوله : أغار لعمري في البلاد وأنجدا ، المعروف في اللغة : غار وأنجد ، وقد ألتشدوا هذا البيت : لعمري غار في البلاد وأنجدا . والغور : ما انخفض من الأرض ، والنجو : ما ارتفع منها ، وإنما تركوا القياس في الغور ،

(م ١٨ - الروض الانف ، والسيرة . ج ٢)

ولم يأت على أفعال إلا قليلا ، وكان قياسه أن يكون مثل أنجد ، وأتهم ، لانه من أم الغور ، فقد هبط ونزل ، فصار من باب غار الماء ، ونحو ذلك ، فإن أردت : أشرف على الغور ، قلت : أغار ، ولا يكون خارجا عن القياس .

وقول : وليس عطاء اليوم مانعه غذا . معناه على رفع العطاء ونصب مانع ، أى : ليس العطاء الذى يعطيه اليوم مانعا له غذا من أن يعطيه ، فالهاء عائدة على الممدوح ، فلو كانت عائدة على العطاء لقال : وليس عطاء اليوم مانعه هو ، بإبراز للضمير الفاعل ، لأن الصلة إذا جرت على غير من هى له برز الضمير المستتر بخلاف الفعل ، وذلك لسر بيته فى غير هذا الموضع لم يذكره الناس ، ولو نصب العطاء لجاز على إضمار الفعل المتروك لإظهاره ، لانه من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره ، ويكون اسم ليس على هذا مضمر فيها عائدا على النبى صلى الله عليه وسلم .

وقوله : فانكحن أو تأبدا . يريد : أو ترهب ، لأن الراهب أبدا عزب فقيل له : متأبدا اشتق من لفظ الأبد .

وقوله : فالتة فاعبدا ، وقف على النون الخفيفة بالالف ، وكذلك فانكحن أو تأبدا ، ولذلك كتبت فى الخط بألف ، لأن الوقف عليها بالالف ، وقد قيل فى مثل هذا : لانه لم يرد النون الخفيفة ، وإنما خاطب الواحد بخطاب الاثنين ، وزعموا أنه معروف فى كلام العرب ، وأنشدوا فى ذلك :

فإن ترجرائى يا ابن عفان أزدجر وإن تدعانى أحم عرطا عنما

وأنشدا أيضا فى هذا المعنى :

وقلت لصاحبي : لا تحبسانا بنزع أصولها واجتث شيحا

ولا يمكن لإرادة النون الخفيفة فى هذين البيتين ، لأنها لا تكون ألفا ، إلا فى الوقف ؛ وهذا الفعل قد اتصل به الضمير ، فلا يصح اعتقاد الوقف عليه دون الضمير ؛ وحكى أن الحجاج قال : يا حرسى اضربا عنقه ، وقد يمكن فيه حمل الوصل على الوقف ، ويحتمل أن يريد : اضرب أنت وصاحبك ، وقد قيل فى قوله سبحانه : ألقيا فى جهنم ، إن الخطاب للمالك وحده حملا على هذا الباب ، وقيل : بل هو راجع إلى قوله تعالى : « سائق وشهيد » ، وفى القصيدة زيادة لم تقع فى رواية ابن هشام وهى قوله فى وصف الناقة :

فأما إذا ما أدلجت ، فترى لها رقيمين نجماً لا يغيب وفرقدا

وقع هذا البيت بعد قوله : لينا غير أحردا .

وقوله فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم : أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا . وبعده :

به أنقذ الله الأنام من العمى وما كان فيهم من يربيع إلى هدى

حديث الاراشى : فصل : وذكر حديث الإراشى الذى قدم مكة ، واستعدى على أبى جهل .

قال ابن إسحاق : هو من إراش وهو ابن العوث أو بن عمرو بن العوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وهو والد أنمار الذى ولد بجيلة وخشم . وإراشة الذى ذكر ابن هشام : بطن من خشم ، وإراشة مذكورة فى

العالم في نسب فرعون صاحب مصر ، وفي بلي أيضاً بنو اراشة ، وقوله : من رجل يؤديني على أبي الحكم أي : يعينني على أخذ حتى منه ، وهو من الأداة التي توصل الإنسان الى ما يريد ، كأداة الحرب ، وأداة الصانع ، فالحكم يؤدى الخصم ، أي يوصله الى مطلبه ، وقد قيل : ان الهمزة بدل من عين ، ووؤدى ويعدى بمعنى واحد ، أي : يزيل العدوان ، والعداء وهو : الظلم ، كما تقول : يشكيك أي : يزيل شكوكك ، وفي حديث خباب : شكونا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حر الرمضاء ، فلم يشكنا معناه على أحد القولين : لم يرفع شكوانا ولم يزلها .

وقوله : فخرج اليه ، وما في وجهه رائحة ، أي : بقية روح ، فكان معناه : روح باقية ، فلذلك جاء به على وزن فاعله ، والدليل على أنه أراد معنى الروح وإن جاء به على بناء فاعله قول الإراشي في آخر الحديث : خرج الى ، وما عنده روحه .

مصارعة ركاة : فصل : وذكر حديث ركاة ومصارعته للنبي - صلى الله عليه وسلم - وقد تقدم مثل هذا الحديث عن أبي الأشدين الجمحي ، ولعلهما أن يكونا جميعاً صارعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد تقدم التعريف بأبي الأشدين ، وباسمه ونسبه ، وركاة هذا هو : ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب من مسلبة الفتح وتوفي في خلافة معاوية ، وهو الذي طلق امرأته ألبنة ، فسأله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن نيته فقال : انما أردت واحدة ، فردها عليه ، ومن حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : إن لكل دين خلقا ، وخلق هذا الدين الحياء ، ولابنه يزيد بن ركاة صحبة أيضاً ، ويروى عن يزيد بن ركاة ابنه على ، وكان على قد أعطى من الأيد والقوة ما لم يعط أحد ، نزع في ذلك الى جده ركاة ، وله في ذلك أخبار ذكرها الفاكهي ، منها : خبره مع يزيد ابن معاوية ، وكان يزيد بن معاوية أشد العرب ، فصارعه يوما ، فصارعه على صرعة لم يسمع بمثلا ، ثم حمله بعد ذلك على فرس جموح لا يطلق ، فعلم على ما يراد به ، فلما جمع به الفرس ضم عليه نخذه خيمة نفق منها الفرس ، وذكر عنه أيضا تأبط رجلين أيدين ، ثم جرى بهما ، وهما تحت لإبطيه حتى صاحبا : الموت الموت ، فأطلقهما .

وفد نصارى الحبشة : فصل : وذكر قدوم وفد النصارى من الحبشة وإيمانهم ، وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى : الذين قالوا إنا نصارى ، ولم يقل : من النصارى ولا سماهم هو سبحانه بهذا الاسم ، وإنما حكى قولهم الذي قالوه حين عرفوا بأنفسهم ، ثم شهد لهم بالإيمان ، وذكر أنه أثابهم الجنة ، وإذا كانوا هكذا فليسوا بنصارى ، هم من أمة محمد - عليه السلام - وإنما عرف النصارى بهذا الاسم ، لأن مبدأ دينهم كان من ناصرة قرية بالشام ، فاشتق اسمهم منها ، كما اشتق اسم اليهود من يهود بن يعقوب ، ثم لا يقال لمن أسلم منهم : يهودي . اسم الإسلام أولى بهم جميعا من ذلك النسب .

عن غلام المبيعة وصهيب وأبي فكيهة : فصل : ذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يجلس الى مبيعة غلام . المبيعة : مفعلة مثل المعيشة ، وقد يجوز أن يكون مفعلة بضم العين وهو قول الأخفش ، وأما قولهم : ساعة مبيعة ففعللة ، حذف الواو منها في قول سيويوه حين سكنوا الياء استئقالا للضمة ، وفي قول أبي الحسن الأخفش إن الياء بدل من الواو الزائدة في مبيوعة ، ووزنها عنده : مفعولة بحذف العين ، ولل كلام على هذين المذهبين موضع غير هذا ،

سبب نزول سورة الكوثر

قال ابن إسحاق : وكان العاص بن وائل السهمي - فيما بلغني - إذا ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : دعوه ، فإنما هو رجل أتر ، لا عقب له ، لو مات لا تقطع ذكره ، واسترحم منه ، فأنزل الله في ذلك : إنا أعطيناك الكوثر . ما هو خير لك من الدنيا وما فيها ، والكوثر : العظيم .

معنى الكوثر

قال ابن إسحاق : قال لبید بن ربيعة الكلابي :

وصاحب ملحوب فجئنا بيومه وعند الرداع بيت آخر كوثر

يقول : عظيم .

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له . وصاحب ملحوب : عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، مات بملحوب . وقوله : عند الرداع بيت آخر كوثر : يعني شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، مات بالرداع . وكوثر : أراد الكثير ، ولفظه مشتق من لفظ الكثير . قال السكيت بن زيد يمدح هشام بن عبد الملك ابن مروان .

وأنت كثير يا ابن مروان طيب وكان أبوك ابن العقائل كوثر

وهذا البيت في قصيدة له . وقال أمية بن أبي عائذ الهذلي يصف حمار وحش :

يحامي الحقيق إذا ما احتد من ومحم من في كوثر كالجلال

يعنى بالكوثر : الغبار الكثير ، شبهه لكثرة عليه بالجلال . وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : حدثني جعفر بن عمرو - قال بن هشام : هو جعفر بن عمرو بن أمية الضمري - عيه عبد الله بن مسلم أخى محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل له : يا رسول الله ، ما الكوثر الذي أعطاك الله ؟ قال : نهر كما بين صنعاء إلى أيلة ، آتيته كعدد نجوم السماء ، ترده طيور لها أعناق كأعناق الإبل . قال : يقول عمر بن الخطاب : إنها يا رسول الله لنا همة . قال : أكلها أنعم منها .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت في هذا الحديث أو غيره أنه قال - صلى الله عليه وسلم - : من شرب منه لا يظلم أبداً .

وذكر صهييا وأبا فكيهة ، وسند كر اسم أبي فكيهة ، والتعريف به فيما بعد لأنه بدرى ، وكذلك صهيب ابن سنان ، ونقتصر في هذا الموضع على ذكر اسمه وهو يسار مولى عبد الدار .

لولا أنزل عليه ملك

قال ابن إسحاق : ودعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قومه إلى الإسلام ، وكلهم ، فأبلغ إليهم ، فقال له زمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث ، والأسود بن عبد يغوث ، وأبى بن خلف ، والعاص بن وائل : لو جعل ملك يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك ! فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : « وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم ما يلبسون .. »

ولقد استهزى برسلك من قبلك

قال ابن إسحاق : ومرو رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيها بلغنى - بالوليد بن المغيرة ، وأمىة بن خلف ، وبأبى جهل بن هشام ، فغمزوه وهمزوه ، واستهزوا به ، فغاظه ذلك : فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرهم : « ولقد استهزى برسلك من قبلك : فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون .. »

الإسراء والمعراج

قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي قال : ثم أسرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس من إيلياء ، وقد فشا الإسلام بحكمة في قریش ، وفي القبائل كلها .

قال ابن إسحاق ، كان من الحديث فيما بلغنى عن مسراه - صلى الله عليه وسلم - عن عبد الله بن مسعود ، وأبى سعيد الخدرى ، وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعاوية بن أبى سفيان ، والحسن بن أبى الحسن البصرى ، وابن شهاب الزهري ، وقتادة وغيرهم من أهل العلم ، وأم هانئ بنت أبى طالب ، ما اجتمع في هذا الحديث ، كل يحدث عنه بعض ما ذكر من أمره حين أسرى به - صلى الله عليه وسلم - وكان في مسراه ، وما ذكر عنه بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله في قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق ، وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين ، فأمرى به كيف شاء ، ليريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التي يصنع بها ما يريد .

رواية ابن مسعود

فكان عبد الله بن مسعود - فيما بلغنى - عنه - يقول :

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق - وهى الدابة التي كانت تحمل عليها الأنبياء قبله ، تضع حافرهما في منتهى طرفها - فحمل عليها ثم خرج به صاحبه ، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ،

فوجد فيه ابن ابراهيم الخليل وموسى وعيسى في نفر من الانبياء قد جمعوا له ، فصلى بهم . ثم أتى بثلاثة آنية ، إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فسمعت قائلا يقول حين عرضت على : إن أخذ الماء ، غرق وغرقت أمته ، وإن أخذ الخمر غوى ، وغوت أمته ، وإن أخذ اللبن هدى ، وهديت أمته . قال : فأخذت إناء اللبن ، فشربت منه ، فقال لي جبريل عليه السلام : هديت وهديت أمتك يا محمد .

حديث الحسن

قال ابن إسحاق : وحدث عن الحسن أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا نائم في الحجر ، إذ جاءني جبريل ، فهمزني بقدمه ، فجلست فلم أر شيئا ، فعدت إلى مضجعي ، فجاءني الثانية فهمزني بقدمه ، فجلست فلم أر شيئا ، فعدت إلى مضجعي ، فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه ، فجلست ، فأخذ بعضدى ، فقامت معه فخرج إلى باب المسجد ، فإذا دابة أبيض ، بين البغل - والمار - في فخذه جناحان يحفز بهما رجله ، يضع يده في منتهى طرفه ، فحملني عليه ، ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته .

حديث قتادة

قال ابن إسحاق ، وحدث عن قتادة أنه قال : حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما دنوت منه ، لأركبه شمس ، فوضع جبريل يده على معرفته ، ثم قال : ألا تستحي يا براق بما تصنع ، فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم على الله منه . قال : فاستحيا حتى أرفض عرقاً ، ثم قر حتى ركبته .

حديث الحسن

قال الحسن في حديثه : فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومضى جبريل عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الانبياء فأمهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصلى بهم ، ثم أتى بإناءين ، في أحدهما : خمر ، وفي الآخر : لبن . قال : فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إناء اللبن ، فشرب منه ، وترك إناء الخمر . قال : فقال له جبريل : هديت للفطرة ، وهديت أمتك يا محمد ، وحرمت عليكم الخمر ، ثم انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى مكة ، فلما أصبح غدا على قريش ، فأخبرهم الخبر . فقال أكثر الناس : هذا والله : الأمر البين ، والله إن العير لتطرد شهرا من مكة إلى الشام مدبرة ، وشهراً مقبلة ، أفيزهد ذلك محمد في ليلة واحدة ، ويرجع إلى مكة ؟ قال : فارتد كثير من كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبي بكر ، فقالوا له : هل لك يا أبا بكر في صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ، ورجع إلى مكة . قال : فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا بلى ، ها هو ذا في المسجد يحدث به الناس ، فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ؟ ! فوالله أنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا نبي الله . أحدثت هؤلاء القوم أنك أتيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم ، قال : يا نبي الله ، فصفه لي ، فإنني قد جئته - قال الحسن : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرفع لي حتى نظرت إليه - فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم - يصفه لأبي بكر : ويقول أبو بكر : صدقت أشهد أنك رسول الله ، كلما وصف له منه شيئاً ، قال : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، حتى انتهى ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبي بكر : وأنت يا أبا بكر الصديق ، فيومئذ سماه الصديق .

قال الحسن : وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن إسلامه لذلك : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ، والشجرة الملعونة في القرآن ، ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً . »

فهذا حديث الحسن عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما دخل فيه من حديث قتادة .

الاسراء رؤيا

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض آل أبي بكر : أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن الله أسرى بروحه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن معاوية بن أبي سفيان ، كان إذا سئل عن مسرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كانت رؤيا من الله تعالى صادقة .

فلم ينكر ذلك من قولهم ، لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت في ذلك ، قول الله تبارك وتعالى : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » . ولقول الله تعالى في الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذا قال لابنه : « يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك » . ثم مضى على ذلك . فعرفت أن الوحي من الله يأتي الأنبياء أيقاظاً ونياماً .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - يقول : تنام عيناى ، وقلبي يقظان . والله أعلم أى ذلك كان قد جاءه ، وعان فيه ماعين ، من أمر الله ، على أى حاله كان : نائماً ، أو يقظان ، كل ذلك حق وصدق .

الصفات التي وصف بها النبي بعض الرسل

قال ابن إسحاق : وزعم الزهري عن سعيد بن المسيب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة ، فقال : أما إبراهيم ، فلم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ، وأما موسى فرجل آدم طويل ضرب جعد أفتى كأنه من رجال شنوءة ، وأما عيسى بن مريم ، فرجل أحر ، بين القصير والطويل ، سبط الشعر ، كثير خيلان الوجه ، كأنه خرج من ديماس ، تخال رأسه يقطر ماء ، وليس به ماء ، أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفي

قال ابن هشام وكانت صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما - ذكر عمر مولى عفرة عن إبراهيم بن

محمد بن علي بن أبي طالب ، قال : كان علي بن أبي طالب عليه السلام . اذا نعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال - : لم يكن بالطويل الممخط ، ولا القصير المتردد . وكان ربيعة من القوم . ولم يكن بالجمعد القلطي ولا السبط ، كان جمعداً رجلاً . ولم يكن بالمطهم ولا المكائم وكان أبيض مشرباً ، أدعج العينين ، أهدب الاشفار ، جليل المشاش الكتد ، دقيق المسربة أجرد ، شثن الكفين والقدمين ؛ اذا مشى تقلع ، كأنما يمشى في صلب ، واذا التفت التفت معاً ، بين كنفه خاتم النبوة ، وهو صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، أجود الناس كفاً وأجراً الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى الناس ذمة وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ومن خالطه أحبه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ، صلى الله عليه وسلم .

حديث أم هانئ عن الإسراء

قال محمد بن إسحاق : وكان - فيما بلغني - عن أم هانئ بنت أبي طالب رضى الله عنها - واسمها : هند - في مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنها كانت تقول : ما أمرى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا وهو في بيتي ، نائم عندي تلك الليلة في بيتي ، فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما صلى الصبح ، وصلينا معه ، قال : يا أم هانئ ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيتم بهذا الوادي .

ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين ، ثم قام ليخرج ، فأخذت بطرف رداءه ، فكشفت عن بطنه كأنه قبطية سطوية ، فقلت له : يابني الله ، لا تحدث بهذا الناس ، فيكذبوك ويؤذوك ، قال : والله لأحدثنهموه . قالت : فقلت لجارية لي حبشية : ويحك اتبعي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تسمعي ما يقول للناس ، وما يقولون له . فلما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الناس أخبرهم ، فمجبوا وقالوا : ما آية ذلك يا محمد ؟ فإننا لم نسمع بمثل هذا قط ، قال : آية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا ، فأنفرهم حس الدابة ، فند لهم بعير ، فدللتهم عليه ، وأنا موجه إلى الشام . ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان مررت بعير بني فلان ، فوجدت القوم نياماً ، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت مافيه ، ثم غطيت عليه كما كان ، وآية ذلك أن عيرهم الآن تصوب من البيضاء ، ثنية التعيم يقدمها جل أورك ، عليه غرار تان ، لإحدهما سوداء ، والآخرى بقاء . قالت : فابتدر القوم الثنية ، فلم يلقيهم أول من أجل كما وصف لهم ، وسألهم عن الإناء ، فأخبرهم أنهم وضعوه مملوء ماء ثم غطوه ، وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه ، ولم يجدوا فيه ماء . وسألوا الآخرين وهم بمكة ، فقالوا : صدق والله ، لقد أنفرتنا في الوادي الذي ذكره ، وندلنا بعير ، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه ، حتى أخذناه .

الأبتر والسكرثر : فصل : وذكر قول العاصي بن وائل : إن محمد أبتر إذا مات انقطع ذكره ، وأنزل الله تعالى فيه قوله من سورة السكرثر على قول ابن إسحاق ، وأكثر المفسرين . وقيل : إن أبا جهل هو الذي قال ذلك . وقد قيل : كعب بن الأشرف ، ويلزم على هذا القول الأخير أن تكون سورة السكرثر مدنية ، وقد روى يونس عن أبي عبد الله الجعفي عن جابر الجعفي عن محمد بن علي ، قال : كان القائم ابن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد بلغ أن يركب الدابة ، ويسير على النجبية ، فلما قبضه الله ، قال العاصي : أصبح محمد أبتر من ابنه ، فأنزل الله على نبيه

صلى الله عليه وسلم : « إنا أعطيناك الكوثر ، عوضا يا محمد من مصيبتك بالقاسم : فصل لربك وانحر ، إن شئت لك هو الأبر ، ولم يقل : إن شئت لك أبرد يتضمن اختصاصه بهذا الوصف ، لأن هو في مثل هذا الموضع تعطى الاختصاص ، مثل أن يقول قائل : إن زيدا فاسق ، فلا يكون مخصوصا بهذا الوصف دون غيره ، فإذا قلت : إن زيدا هو الفاسق ، فمعناه : هو الفاسق الذى زعمت ، فدل على أن الجحضة من يزعم غير ذلك ، وهكذا قال الجرجاني وغيره في تفسير هذه الآية أن هو تعطى الاختصاص ، وكذلك قالوا في قوله سبحانه : « وأنه هو أغنى وأقنى » لما كان العباد يتوهمون أن غير الله قد يغنى ، قال : هو أغنى وأقنى ، لا غيره ، وكذلك قوله تعالى : « وأنه هو أمات وأحيا » ، إذ كانوا قد يتوهمون في الإحياء والإماتة ماتوهم الفرد حين قال : أنا أحيا وأميت ، أى : أنا أقتل من شئت ، وأستحيى من شئت ، فقال عز وجل : « وأنه هو أمات وأحيا أى : لا غيره ، وكذلك قوله تعالى : « وأنه هو رب الشعرى » ، أى : هو الرب لا غيره ، إذ كانوا قد اتخذوا أربابا من دونه ، منها : الشعرى ، فلما قال : « وأنه خلق الزوجين » ، وأنه أهلك عاداً استغنى الكلام عن هو التى تعطى معنى الاختصاص ، لأنه فعل لم يده أحد ، وإذا ثبت هذا : فكذلك قوله : إن شئت لك هو الأبر أى : لا أنت . والأبر : الذى لا عقب له يتبعه ، فعدمه كالبر الذى هو عدم الذنب ، فإذا ما قلت هذا ، ونظرت إلى العاصى ، وكان ذا ولد وعقب ، وولده عمرو وهشام ابنا العاصى بن وائل ، فكيف يثبت له البر وانقطاع الولد ، وهو ذو ولد ونسل ، ونفيه عن نبيه ، وهو يقول : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ، فالجواب : أن العاصى - وإن كان ذا ولد - فقد انقطعت العصمة بينه وبينهم ، فليسوا بأتباع له ، لأن الإسلام قد حجزهم عنه ، فلا يرثهم ولا يرثونه ، وهم من أتباع محمد عليه السلام ، وأزواجه أمهاتهم ، وهو أب لهم كما قرأ : أنى بن كعب : « وأزواجه أمهاتهم ، وهو أب لهم ، والنبي أولى بهم » ، كما قال الله سبحانه ، فهم وجميع المؤمنين أتباع النبي في الدنيا ، وأتباعه في الآخرة إلى حوضه ، وهذا معنى الكوثر ، وهو موجود في الدنيا لكثرة أتباعه فيها ، ليغذى أرواحهم بما فيه حياتهم من العلم ، وكثرة أتباعه في الآخرة ليسقيهم من حوضه ما فيه الحياة الباقية ، وعدو الله العاصى على هذا هو الأبر على الحقيقة ، إذ قد انقطع ذنبه وأتباعه ، وصاروا تبعاً لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ولذلك قبل تعيينه للنبي - صلى الله عليه وسلم - بالبر بما هو ضده من الكوثر : فإن الكثرة تضاد معنى القلة ، ولو قال في جواب اللعين : إنا أعطيناك الحوض الذى من صفته كذا وكذا لم يكن رداً عليه ، ولا مشاكلاً لجوابه ، ولكن جاء باسم يتضمن الخير الكثير ، والعدد الجم الغفير المضاد لمعنى البر ، وأن ذلك في الدنيا والآخرة بسبب الحوض المورود الذى أعطاه ، فلا يختص لفظ الكوثر بالحوض ، بل يجمع هذا المعنى كله ، ويشتمل عليه ، ولذلك كانت آنيته كعدد النجوم ويقال : هذه الصفة في الدنيا : علماء الأمة من أصحابه ومن بعدهم ، فقد قال : « أصحابي كالنجوم » ، وهم يروون العلم عنه ، ويؤدونه إلى من بعدهم ، كما تروى الآنية في الحوض ، وتسقى الواردة عليه : تقول : رويت الماء ، أى : استقيته ، كما تقول : رويت العلم ، وكلاهما فيه حياة ، ومنه قيل لمن روى علماً أو شعراً : راوية تشبيهاً بالمزادة أو الدابة التى يحمل عليها الماء ، وليس من باب علامة ونسابة ، وفى حديث أبى برزة في صفة الحوض أنها تزو فى أكف المؤمنين ، يعنى الآية ، وحصباء الحوض : اللؤلؤ والياقوت ، ويقابلها في الدنيا الحكم الماثورة عنه ، ألا ترى أن اللؤلؤ في علم التعبير حكم وفوائد علم ، وفي صفة الحوض له المسك ، أى : حمانه ويقابله في الدنيا : طيب الثناء على العلماء ، وأتباع النبي الاتقياء كما أن المسك في علم التعبير : ثناء حسن ،

وعلم التعبير من علم النبوة مقتبس . وذكر في صفة الحوض الطير التي ترده كأعناق البخت ، ويقابله من صفة العلم في الدنيا ورود الطالبين من كل صقع وقطر على حضرة العلم وانتباههم إليها في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - وبعده ، فتأمل صفة الكوثر معقولة في الدنيا ، محسوسة في الآخرة مدركة بالعيان - هنالك بين لك إعجاز التزيل ومطابقة السورة - لسبب - نزولها ، ولذلك قال فضيل : « فصل لربك وانحر ، أى : تواضع لمن أعطاك الكوثر بالصلاة له ، فإن الكثرة في الدنيا تقتضي في أكثر الخلق الكبر : وتحدو إلى الفخر والمجبرية فذلك كان عليه السلام طائفاً رأسه عام الفتح حين رأى كثرة أتباعه ، وهو على الراحلة حتى ألصق عثونه بالرحل امثالاً لأمر ربه ، وكذلك أمره بالنحر شكرآ له ، ورفع اليدين إلى النحر في الصلاة عند استقبال القبلة التي عندها ينحر ، وإليها يهدى معناه : الجمع بين الفعلين . النحر المأمور به يوم الاضحى ، والإشارة إليه في الصلاة برفع اليدين إلى النحر ، كما أن القبلة محجوجة مصل إلىها ، فكذلك ينحر عندها ، ويشار إلى النحر عند استقبالها ، وإلى هذا التفت عليه السلام حين قل : « من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، ونسك نسكنا فهو مسلم » ، وقد قال الله سبحانه : « قل : إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين » فقرن بين الصلاة إلى الكعبة ، والنسك إليها ، كما قرن بينهما حين قال : « فصل لربك وانحر » وذكر في صفة الحوض : كما بين صنعاء وأيلة وقد جاء فيه أيضاً في الصحيح « كما بين جرباء وأذرح ، وبينهما مسافة بعيدة ، وفي الصحيح أيضاً في صفته : كما بين عدن أبين إلى عمان ، وقد تقدم ذكر أبين ، وأنه ابن زهير بن أيمن بن حمير ، وأن عدن سميت برجل من حمير عدن بها ، أى : أقام : وتقدم أيضاً ما قاله الطبري أن عدن وأبين هما ابنا عدنان أخوا معد ، وأما عمان بتشديد الميم وفتح العين ، فهي بالشام قرب دمشق ، سميت بعمان بن لوط بن هاران كان سكنها - فيما ذكروا - وأما عمان بضم العين وتخفيف الميم - فهو باليمن سميت بعمان بن سنان ، وهو من ولد إبراهيم - فيما ذكروا - وفيه نظر إذ لا يعرف في ولد إبراهيم لصلبه من اسمه سنان . وفي صفة الحوض أيضاً كما بين السكوفة ومكة ، وكما بين بيت المقدس والكعبة ، وهذه كلها روايات متقاربة المعاني . وإن كانت المسافات بعضها أبعد من بعض ، فكذلك الحوض أيضاً له طول وعرض وزوايا وأركان ، فيكون اختلاف هذه المسافات التي في الحديث على حسب ذلك جعلنا الله من الواردين عليه ، ولا أظن أكبادنا في الآخرة إليه . وما جاء في معنى الكوثر ما رواه ابن أبي نجيح عن عائشة - قالت : الكوثر نهر في الجنة ، لا يدخل أحد إصبعيه في أدنيه إلا سمع خرير ذلك النهر ؛ وقع هذا الحديث في السيرة من رواية يونس ؛ وراوه الدارقطني من طريق مالك بن مغول عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « إن الله أعطاني نهرًا يقال له الكوثر لا يشاء أحد من أمتي أن يسمع خرير ذلك الكوثر إلا سمعه ؛ فقلت : يا رسول الله وكيف ذلك ؟ قال : أدخل إصبعيك في أذنك وشدي ، فالذي تسمعين فيهما من خرير الكوثر ، ويدوي الدارقطني من طريق جابر بن عبد الله أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعلي : « والذي نفسي بيده إنك لذائد عن حوضي يوم القيامة تذود عنه كفار الأمم ، كما تذاد الإبل الضالة عن الماء بمصا من عوسج ، إلا أن هذا الحديث يرويه حرام بن عثمان عن ابن جابر ؛ وقد سئل مالك عنه ، فقال : ليس بثقة ، وأغلظ فيه الشافعي القول وأما قوله - عليه السلام - : ومنبري على حوضي ، فقد قيل في معناه أقوال ، ويفسره عند الحديث الآخر ، وهو قوله عليه السلام ، وهو على المنبر : « إني لأنظر إلى حوضي الآن من مقامى هذا ، فتأمل .

استشهد ابن هشام على معنى السكوثر : وذكر ابن هشام في الاستشهاد على معنى السكوثر قول لبيد بن ربيعة :

وصاحب ملحوب فجعلنا بيومه وعند الرذاع بيت آخر كوثر
وبالفورة الحراب ذو الفضل عامر فذعم ضياء الطارق المتنور

يعنى عامر بن مالك ملاعب الاسنة ، وهو عم لبيد ، وسند ذكر : لم سمي ملاعب الاسنة إذا جاء ذكره إن شاء الله تعالى . وصاحب ملحوب عوف بن الاحوص ، وقد ذكره ابن هشام . والذي عند الرذاع : شريح بن الاحوص في قوله ، وقال غيره : هو حبان بن عتبة بن مالك بن جعفر بن كلاب . والرذاع : من أرض النمامة . وملحوب : مفعول من لحبت العود ، إذا قشرته ، فكان هذا الموضع سمي ملحوبا ، لأنه لا أك فيه ولا شجر .

حديث المستهزئين : وذكر حديث المستهزئين برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى : « ولقد استهزىء برسول من قبلك » فقال فيها : استهزىء برسول ثم قال : لحاق بالذين سخروا منهم ، ولم يقل : استهزوا ، ثم قال : ما كانوا به يستهزئون ولم يقل : يستخرون . ولا بد في حكمة في هذا من جهة البلاغة وتنزيل الكلام منازل ، فقوله : استهزىء برسول ، أى : أسمعوا من الكلام الذى يسمى استهزاء ما ساء لهم تأديسا له ، ليتأذى بمن قبله من الرسل ، وإنما سمي استهزاء إذا كان مسموعا ، وهو من فعل الجاهلين : قال الله تعالى : « أتتخذنا هزوا » قال : أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ، وأما السخر والسخرى ، فقد يكون في النفس غير مسموع ، ولذلك تقول : سخرت منه ، كما تقول : عجبته منه إلا أن العجب لا يختص بالمعنى المذموم ، كما يختص السخر ، وفي التنزيل خبراً عن نوح : « إن تسخروا منا ، فإننا نسخر منكم » ، كما تسخرون ، ولم يقل : نستهزىء بكم كما تستهزئون ؛ لأن الاستهزاء ليس من فعل الأنبياء ، إنما هو من فعل الجاهلين كما قدمنا من قول موسى عليه السلام ، قال النبي يسخر : أى ، يعجب من كفر من يسخر به ، ومن سخر عقولهم . فإن قلت : فقد قال الله تعالى : « والله يستهزىء بهم » قلنا : العرب تسمى الجزاء على الفعل باسم الفعل كما قال الله تعالى : « نسوا الله فأنسىهم » وهو مجاز حسن وأما الاستهزاء الذى كنا بهدده ، فهو المسمى استهزاء حقيقة ، ولا يرضى به إلا جهول : ثم قال سبحانه : « لحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون » أى حاق بهم من الوعيد المبلغ لهم على أسنة الرسل ما كانوا يستهزئون به بالاستهزاء فنزلت كل كلمة منزلها ، ويحسن في حكم البلاغة وضع واحدة مكان الأخرى . وذكر أيضاً قوله سبحانه : « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا » أى : لو جعلنا الرسول إليهم من الملائكة لم يكن إلا على صورة رجل ، ولدخل عليهم من اللبس فيه ما دخل في أمر محمد وقوله : لبسنا يدل على أن الأمر كله منه سبحانه ، فهو يعمى من شاء عن الحق ، ويفتح بصيرة من شاء ، وقوله : ما يلبسون على غيرهم ، لأن أكثرهم قد عرفوا أنه الحق ، ولكن جحدوا بها ، واستيقنتها أنفسهم ، فجعلوا ، يلبسون أى يلبس ، بعضهم على بعض ويلبسون على أهلهم وأتباعهم ، أى : يخلطون عليهم بالباطل ، تقول العرب : لبست عليهم الأمر ألبسه ، أى : سترته وخططته ، ومن لبس الثياب : لبست ألبس ، لأنه في معنى كسيت ، وفي مقابلة عربيت ، فجاء على وزنه ، والآخر في معنى : خلطت أو سترت فجاء على وزنه .

شرح ما في حديث الإسراء

اتفقت الرواة على تسميته إسمراء ، ولم يسمه أحد منهم : سري ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا : سري وأسري

بمعنى واحد ، فدل على أن أهل اللغة لم يحققوا العبارة ، وذلك أن القراء لم يختلفوا في التلاوة من قوله : « سبحان الذى أسرى بعبده » ، ولم يقل : سرى ، وقال : والليل إذا يسر ، ولم يقل : يسرى ، فدل على أن السرى من سرى إذا سرت ليلاً ، وهى مؤنثة تقول : طالت سراك الليلة ، والإسراء متعد فى المعنى ، ولكن حذف مفعوله كثيراً حتى ظن أهل اللغة أنهما بمعنى واحد ، لما رأوهما غير متعديين إلى مفعول فى اللفظ ، وإنما أسرى بعبده ، أى : جعل البراق يسرى ، كما تقول : أمضيته ، أى : جعلته يمضى ، لكن كثر حذف المفعول لقوة الدلالة عليه ، أو للاستغناء عن ذكره ، إذ المقصود بالخبر ذكر محمد ، لا ذكر الدابة التى سارت به ، وجاز فى قصة لوط عليه السلام ، أن يقال له : فأسر بأهلك : أى فأسر بهم ، وإن يقرأ فأسر بأهلك بالقطع ، أى : فأسر بهم ما يتحملون عليه من دابة أو نحوها ، ولم يتصور ذلك فى السرى بالنبي صلى الله عليه وسلم ، إذ لا يجوز أن يقال سرى بعبده بوجه من الوجوه ، فلذلك لم تأت التلاوة إلا بوجه واحد فى هذه القصة فتدبره . وكذلك تسامح النحويون أيضاً فى الباء والهمزة ، وجعلوهما بمعنى واحد فى حجم التعدية ، ولو كان ما قالوه أصلاً لجاز فى : أمرضته أن تقول . مرضت به ، وفى أسقمته : أن تقول : سقمت به ، وفى أعميته أن تقول : عميت به قياساً على : أذهبت وأذهبت به ويأبى الله ذلك والعالمون ، وإنما الباء تعطى مع التعدية طرفاً من المشاركة فى الفعل ، ولا تعطى الهمزة ، فإذا قلت : أقعدته ، فعناه : جعلته يقعد ، ولكنك شاركته فى القعود ، فجذبته بيدك إلى الأرض ، أو نحو ذلك ، فلا بد من طرف من المشاركة إذا فعدت به ، ودخلت به ، وذهبت به بخلاف أدخلته وأذهبت .

فإن قلت : فقد قال الله سبحانه ذهب الله بنورهم ، وذهب بسمعهم وأبصارهم ، ويتعالى - سبحانه - عن أن يوصف بالذهاب ، أو يضاف إليه طرف منه ، وإنما معناه : أذهب نورهم وسمعهم . قلنا : فى الجواب عن هذا أن النور والسمع والبصر كان بيده سبحانه ، وقد قال : بيده الخير ، وهذا من الخير الذى بيده ، وإذا كان بيده بخائر أن يقال ذهب به على المعنى الذى يقتضيه قوله سبحانه بيده الخير كأنناً ما كان ذلك المعنى ، فعليه ينبغى ذلك المعنى الآخر الذى فى قوله : ذهب الله بنورهم مجازاً كان أو حقيقة ، ألا ترى أنه لما ذكر الرجس كيف قال : « ليذهب عنكم الرجس » ، ولم يقل يذهب به ، وكذلك قال : « ويذهب عنكم رجس الشيطان » ، تعلياً لعباده حسن الأدب معه ، حتى لا يضاف إلى القدوس سبحانه - لفظاً ومعنى شئ من الأرجاس ، وإن كانت خلقاً له وملكا فلا يقال : هى بيده على الخصوص ، تحسيناً للعبارة وتزيهاً له ، وفى مثل النور والسمع والبصر يحسن أن يقال : هى بيده ، فحسن على هذا أن يقال : ذهب به . وأما أسرى بعبده . فإن دخول الباء فيه ليس من هذا القبيل ، فإنه فعل يتعدى إلى مفعول ، وذلك المفعول المسرى هو الذى سرى بالعبء فشاركه بالسرى . كما قدمنا فى فعدت به أنه يعطى المشاركة فى الفعل . أو فى طرف منه . فتأمل .

أ كان الإسراء يقظة أم مناماً : فصل : وتقدم بين يدي الكلام فى هذا الباب : هل كان الإسراء فى يقظة بحسده ، أو كان فى نومه بروحه ، كما قال سبحانه : « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها » ، وقد ذكر ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية أنها كانت رؤيا حية ، وأن عائشة قالت : لم تفقد بدنه ، وإنما عرج بروحه تلك الليلة ، ويحتاج قائل هذا القول بقوله سبحانه : « وما جعلنا الرؤيا التى أرى لك إلا فتنة للناس » . ولم يقل : الرؤية ، وإنما يسمى رؤيا ما كان فى النوم فى عرف اللغة ، ويحتجون أيضاً بحديث البخارى عن أنس بن مالك

قال : « ليلة أسرى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه ، وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم : هو هذا ، وهو خيرهم ، فقال آخرهم : خذوا خيرهم فكان تلك الليلة ، فلم يره حتى أتوه ليلة أخرى ، فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء عليهم السلام تنام أعينهم ، ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه ، حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبريل . » الحديث بطوله ، وقال في آخره : « واستيقظ ، وهو في المسجد الحرام ، وهذا نص لا إشكال فيه أنها كانت رؤيا صادقة ، وقال أصحاب القول الثاني : قد تكون الرؤيا بمعنى الرؤية في اليقظة ، وأنشدوا الراعي يصف صائدا :

وكبر للرؤيا ، وهش فؤاده وبشر قلبا كان جما بلابله

قالوا : وفي الآية بيان أنها كانت في اليقظة ، لأنه قال : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » ولو كانت رؤيا نوم ما افتتن بها الناس حتى ارتد كثير من أسلم ، وقال السكناز : يزعم محمد أنه أتى بيت المقدس ، ورجع إلى مكة ليأمنه ، والعير تطرد إليها شهراً متبلاً وشهراً مدبرة ، ولو كانت رؤيا نوم ، لم يستبعد أحد منهم هذا ، فنعلم أن النائم قد يرى نفسه في السماء ، وفي المشرق والمغرب ، فلا يستبعد منه ذلك واحتج هؤلاء أيضا بشربه الماء من الإناء الذي كان مغطى عند القوم ، ووجدوه حين أصبح لآمء فيه ، وبارشاده للذين ند بعيرهم حين أنفروهم حس الدابة ، وهو البراق حتى دلم عليه ، فأخبر أهل مكة بأماراة ذلك ، حتى ذكر الغرارين السوداء والبرقاء كما في هذا الكتاب ، وفي رواية يونس : أنه وعد قريش بقدم العير التي أرشدتهم إلى البعير ، وشرب لأناءهم ، وأنهم سيقدمون ويخبرون بذلك ، فقالوا : يا محمد متى يقدمون ؟ فقال : يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم ، ولم يقدموا ، حتى كربت الشمس أن تغرب ، فدعا الله فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف ، قال : ولم يحبس الشمس إلا له ذلك اليوم ، وليوشع بن نون وهذا كله لا يكون إلا يقظة ، وذهبت طائفة ثالثة ، منهم : شيخنا القاضي أبو بكر رحمه الله إلى تصديق المقاتلين ، وتصحيح الحديثين ، وأن الإسراء كان مرتين ، إحداها : كان في نومه توطئة له وتيسيراً عليه ، كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ، ليسهل عليه أمر النبوة فإنه عظيم تضعف عنه القوى البشرية ، وكذلك الإسراء سهله عليه بالرؤيا ؛ لأن هوله عظيم ، فجاءه في اليقظة على توطئة وتقدمة ، رفقا من الله بعبده وتسهيلاً عليه ، ورأيت المهاب في شرح البخاري قد حكى هذا القول عن طائفة من العلماء ، وأنهم قالوا : كان الإسراء مرتين : مرة في نومه ، ومرة في يقظته ببذنه - صلى الله عليه وسلم .

قال المؤلف : وهذا القول هو الذي يصح ، وبه تتفق معاني الأخبار ، ألا ترى أنه قال في حديث أنس الذي قدمنا ذكره : « أتاه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه ، ومعلوم أن الإسراء كان بعد النبوة ، وحين فرضت الصلاة كما قدمنا في الجزء قبل هذا : وقبل كان قبل الهجرة بعام ، ولذلك قال في الحديث : فارتد كثير من كان قد أسلم ، ورواة الحديثين حفاظ فلا يستقيم الجمع بين الروایتين إلا أن يكون الإسراء مرتين ، وكذلك ذكر في حديث أنس : أنه لقي إبراهيم في السماء السادسة وموسى في السابعة ، وفي أكثر الروايات الصحيحة أنه رأى إبراهيم عند البيت المعمور في السماء السابعة ، ولقي موسى في السادسة ، وفي رواية ابن إسحاق أتى بثلاثة آنية ، أحدها ماء فقال قائل : إن أخذ الماء غرق ، وغرقت أمته ، وفي إحدى روايات البخاري في الجامع الصحيح : أنه أتى بإناء فيه عسل ، ولم يذكر الماء

والرواة أثبات ، ولا سبيل إلى تكذيب بعضهم ولا توهينهم ، فدل على صحة القول بأنه كان مرتين ، وعاد الاختلاف إلى أنه كان كله حقا ، ولكن في حالتين ووقتين مع ما يشهد له من ظاهر القرآن ، فإن الله سبحانه يقول : « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى » ثم قال : « ما كذب الفؤاد ما رأى » فهذا نحو ما وقع في حديث أنس من قوله : فيما يراه قلبه ، وعينه نائمة والفؤاد : هو القلب ، ثم قال : « أفنارونه على ما يرى » ولم يقل : ما قدر رأى ، فدل على أن ثم رؤية أخرى بعد هذه ، ثم قال : « ولقد رآه نزلة أخرى » أى : في نزلة نزلها جبريل إليه مرة ، فرآه في صورته التي هو عليها « عند سدرة المنتهى » إذ يغشى السدرة ما يغشى ، قال : يغشاها فراش من ذهب ، وفي رواية : ينثر منها الياقوت ، وثمرها مثل قلال هجر ثم قال : « ما زاغ البصر » ولم يقل : الفؤاد ، كما قال في التي قبل هذه ، فدل على أنها رؤية عين وبصر في النزلة الأخرى ، ثم قال : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » ، وإذا كانت رؤية عين ، فهي من الآيات الكبرى ، ومن أعظم البراهين والعبر ، وصارت الرؤيا الأولى بالإضافة إلى الأخرى ليست من الكبرى ؛ لأن ما يراه العبد في منامه دون ما يراه في يقظته لا محالة ، وكذلك قال في أكثر الأحاديث انه رأى عند سدرة المنتهى نهريين ظاهرين ونهريين باطنين ، وأخبره جبريل أن الظاهرين : النيل والفرات ، وذكر في حديث أنس أنه رأى هذين النهرين في السماء الدنيا ، وقال له الملك : هما النيل والفرات ، أصلهما وعنصرهما ، فيحتمل أن يكون رأى في حال اليقظة منبعمهما ، ورأى في المرة الأولى النهرين دون أن يرى أصلهما والله أعلم . فقد جاء في تفسير قوله تعالى : « وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض » ، أنهما النيل والفرات أنزلا من الجنة من أسفل درجة منها على جناح جبريل ، فأودعهما بطون الجبال . ثم إن الله سبحانه سيرفعهما ، ويذهب بهما عند رفع القرآن وذهاب الإيمان ، فلا يبقى على الأرض خير ، وذلك قوله تعالى : « وإنا على ذهاب به لقادرون » ، وفي حديث مسند ذكره النحاس في المعاني بآتم من هذا فاخترته ، ووقع في كتاب المعلم للهازري قول رابع في الجمع بين الأقوال قال : كان الإسراء بحسده في اليقظة إلى بيت المقدس ، فكانت رؤيا عين ، ثم أسرى بروحه إلى فوق سبع سموات ، ولذلك شنع الكفار قوله : وأثبت المقدس في ليلتي هذه ، ولم يشنعوا قوله فيما سوى ذلك .

شماس البراق : فصل وما يسأل عنه في هذا الحديث شماس البراق حين ركبته النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له جبريل : أما تستحي يا براق ، فما ركبك عبد لله قبل محمد هو أكرم عليه منه ، فقد قيل : في نفرته ما قاله ابن بطال في شرح الجامع الصحيح ، قال : كان ذلك لبعده عهد البرق بالأنبياء ، وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ، وروى غيره في ذلك سببا آخر قال في روايته في حديث الإسراء : قال جبريل لمحمد عليه السلام حين شمس به البراق : لعلك يا محمد مسست الصغراء اليوم فأخبرهم النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه مامسها إلا أنه مر بها ، فقال : تبأ لمن يعبدك من دون الله ، ومامسها إلا لذلك ، وذكر هذا الرواية أبو سعيد التيسابوري في شرف المصطفى ، فأنه أعلم ، وقد جاء ذكر الصغراء في مسند البزار ، وأنها كانت صنما بمضه من ذهب فكسرها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح ، وفي الحديث الذي خرجه الترمذي من طريق بريدة الأسلمي أنه - عليه السلام - حين انتهى إلى بيت المقدس ، قال جبريل : بإصبعه إلى الصخرة ، فخرقها فشد بها البراق ، وصلى ، وإن حذيفة أنكر هذه الرواية ، وقال : لم يفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة ، وفي هذا من الفقه على رواية بريدة : التنبيه على الأخذ بالحزم مع صحة التوكل ، وأن الإيمان بالقدر كما - روى عن وهب بن منبه - لا يمنع الحازم من توقي الممالك . قال وهب : وجدته في سبعين كتابا من كتب الله القديمة ، وهذا نحو من قوله

صلى الله عليه وسلم : « قيدها وتوكل ، فإيمانه صلى الله عليه وسلم بأنه قد سخر له كيماؤه بقدر الله وعلمه بأنه سبق في علم الكتاب ماسبق ، ومع ذلك كان يتزود في أسفاره ويعد السلاح في حروبه ، حتى لقد ظهر بين درعين في غزوة أحد ، وربطه للبراق في حلقة الباب من هذا الفن ، وهو حديث صحيح ، وقد رواه غير بريدة ووقع في حديث الحارث بن أبي أسامة من طريق أنس ، ومن طريق أبي سعيد ، وغيرهما أعنى ربطه للبراق في الحلقة التي كانت تربطه فيها الأنبياء ، غير أن الحديث يرويه داود بن المجبر ، وهو ضعيف .

معنى قول الملائكة في كل سماء : من معك : وما يسأل عنه قول الملائكة في كل سماء لجبريل : من معك ، فيقول : محمد ، فيقولون : أوقد بعث إليه فيقول : نعم ، هكذا لفظ الحديث في الصحاح ، ومعنى سؤالهم عن البعث إليه فيما قال بعض أهل العلم ، أى : قد بعث إليه إلى السماء ، كما قد وجدوا في العلم أنه سيخرج به ، ولو أرادوا بعثه إلى الخلق ، لقالوا : أوقد بعث ، ولم يقولوا إليه ، مع أنه يبعد أن يخفى عن الملائكة بعثه إلى الخلق ، فلا يعلمون به إلى ليلة الإسراء ، وفي الحديث الذى تقدم في هذا الكتاب بيان أيضا حين ذكر تسبيح ملائكة السماء السابعة ، ثم تسبيح ملائكة كل سماء ، ثم يسأل بعضهم بعضا : من سبّحتم حتى ينتهى السؤال إلى ملائكة السماء السابعة ، فيقولون : قضى ربنا في خلقه كذا ، ثم ينتهى الخبر إلى سماء الدنيا - الحديث بطوله ، وفي هذا ما يدل على أن الملائكة قد علمت بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - حين نبى ، وإنما قالت : أوقد بعث إليه ، أى قد بعث إليه بالبراق كما تقدم على أن في حديث أنس أن ملائكة سماء الدنيا قالت لجبريل : أوقد بعث ، كما وقع في السيرة وليس في أول الحديث : إليه ، هذا إنما جاء في حديث الرؤيا التى رآها بقلبه ، كما قدمنا ، وأن ذلك قبل أن يوحى إليه كما جاء في الحديث بعينه ، وفي هذا قوة لما تقدم من أن الإسراء كان رؤيا ثم كان رؤية ، ولذلك لم نجد في رواية من الروايات أن الملائكة قالوا : أوقد بعث إليه إلا في ذلك الحديث ، فالله أعلم .

باب الحنظلة : وذكر باب الحنظلة ، وأن عليه ملكا يقال له : إسماعيل ، وقد جاء ذكره في مسند الحارث ، وفيه أن تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف ملك ، هكذا لفظ الحديث في رواية الحارث ، وفي رواية ابن إسحاق : اثنا عشر ألف ملك هكذا لفظ الحديث ، وفي مسند الحارث أيضا .

رذكر سدره المنتهى ، فقال : لو غطيت بورقة من ورقها هذه الأمة لغطتهم ، وفي صفحتها من رواية الجميع : فإذا ثمرها كقلال هجر ، وفي حديث القلتين من كتاب الطهارة ، من رواية ابن جريج : إذا كان الماء قلتين من قلال هجر لم يحمل الحبث قالوا : والقلتان منها تسعان خمسمائة رطل ، قال الترمذى : وذلك نحو من خمس قرب ، وفي تفسير ابن سلام قال عن بعض السلف : لأنها سميت سدره المنتهى ، لأن روح المؤمن ينتهى به إليها ، فتصلى عليه هنالك الملائكة المقربون . قال ذلك في تفسير عليين .

آدم والأسودة : فصل : وفيه أنه رأى آدم في سماء الدنيا ، وعن يمينه أسودة ، وعن شماله أسودة ، وأن جبريل أعلمه أن الأسودة التى عن يمينه هم : أصحاب اليمين ، وفي رواية ابن إسحاق : تعرض عليه أرواح ذريته ، فإذا نظر إلى الذين عن يمينه ضحك ، وقد سئل عن هذا ، فقيل : كيف رأى عن يمينه أرواح أصحاب اليمين ،

ولم يكن إذ ذاك من أصحاب اليمين إلا نفر قليل ، ولعله لم يكن مات تلك الليلة منهم أحد ، وظاهر الحديث يقضى أنهم كانوا جماعة . فالجواب أن يقال : إن كان الإسراء رؤيا بقلبه ، فتأويلها أن ذلك سيكون ، وإن كانت رؤيا عين ، كما قال ابن عباس وغيره بمعناه : أن ذلك أرواح المؤمنين رآها هنالك ، لأن الله تعالى يتوفى الخلق في منامهم ، كما قال في التنزيل : « الله يتوفى الأنفس حين موتها » فصعد بالأرواح إلى هنالك ، فرآها ثم أعيدت إلى اجسادها . وجواب آخر : وهو أن أصحاب اليمين الذين ذكرهم الله تعالى في سورة المدثر في قوله تعالى « إلا أصحاب اليمين في جنات يتنسأون عن المجرمين » قال ابن عباس : هم الأطفال الذين ماتوا صغاراً ، ولذلك سألوا المجرمين : « ما سلككم في سقر » لأنهم ماتوا قبل أن يعلموا بكفر الكافرين ، وقد ثبت في الصحيح أن أطفال المؤمنين والكافرين في كفالة إبراهيم عليه السلام ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لجبريل حين رآهم في الروضة مع إبراهيم : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : أولاد المؤمنين الذين يموتون صغاراً ، فقال له : وأولاد الكافرين ، قال : أولاد الكافرين . خرجه البخاري في الحديث الطويل من كتاب الجنائز ، وخرجه في موضع آخر ، فقال فيه : أولاد الناس ، فهو في الحديث الأول نص ، وفي الثاني عموم ، وقد روى في أطفال الكافرين أنهم خدم لأهل الجنة ، فعلى هذا لا يبعد أن يكون الذي رآه عن يمين آدم من نسمة ذريته أرواح هؤلاء ، وفي هذا ما يدفع تشعيب هذا السؤال والاعتراض منه .

حكم من أحكام الماء : وفيه شربه من إلقاء القوم ، وهو مغطى ، والماء وإن كان لا يملك والناس شركاء فيه ، وفي النار والكلا كما جاء في الحديث ، لسكن المستقى إذا أحرزه في وعائه ، فقد ملكه ، فكيف استباح النبي صلى الله عليه وسلم شربه وهو ملك لغيره ، وأملك الكفار لم تكن أبيحت يومئذ ، ولأدماؤهم .

فالجواب أن العرب في الجاهلية كان في عرف العادة عندهم لإباحة الرسل لابن السبيل فضلاً عن الماء ، وكانوا يعمدون بذلك إلى راعائهم ، ويشترطونه عليهم عند عقد إيجارهم : ألا يمنعوا الرسل ، وهو اللبن من أحد مرهم وللحكم في العرف في الشريعة أصول تشهد له ، وقد ترجم البخاري عليه في كتاب البيوع ، وخرج حديث هند بنت عتبة ، وفيه : خذى ما يكفيك وولئك بالمعروف .

بيت المقدس : فصل : وذكر فيه أنه دخل بيت المقدس ، ووجد فيه نفرأ من الأنبياء ، فصلى بهم ، وفي حديث الترمذي الذي قدمناه عن حذيفة أنه أنكر أن يكون صلى بهم ، وقال : ما زال من ظهر البراق ، حتى رأى الجنة والنار ، وما وعده الله تعالى ، ثم عاد إلى الأرض ، وزيادة العدل مقبولة ، ورواية من أثبت مقدمة على رواية من نفى ، وذكر فيه صفة الأنبياء ، وقال في عيسى : كان رأسه يقطر ماء وليس به ماء ، وكأنه خرج من ديماس والديماس : الحمام ، وأصله : دماس ويجمع على دماميس : وقد قيل في جمعه : دياميس : ومثله : قيراط ودينار وديباج ، الأصل فيها كلها : التضخيم ، ثم قلب الحرف المدغم ياء ، فلما جمعوا وصغروا ، ردوه إلى أصله ، فقالوا : قرايط ودينانير ، غير أنهم لم يقولوا : دينانير ولا قياريط ، كما قالوا : دياميس ، وقالوا : دبابيج وديابيج ، وأصل الدمس : التغطية ومنه ليل دامس ، وفي هذه الصفة من صفات عيسى عليه السلام إشارة إلى الرى والخصب الذي يكون في أيامه إذ أهبط إلى الأرض والله أعلم .

وذكر في صفة موسى أنه آدم طوال ، ولوصفه إياه بالأدمة أصل في كتاب الله تعالى ، قال الطبري عند تفسير قوله : « تخرج بيضاء من غير سوء » ، قال : في خروج يده بيضاء آية في أن خرجت بيضاء مخالفاً لونها لسائر لون جسده وذلك دليل بين على الأدمة التي هي خلاف البياض .

وذكر إبراهيم فقال : لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه ، يعني : نفسه ، وفي آخر هذا الكلام إشكال من أجل أن أشبه منصوب في الموضعين ، ولكن إذا فهمت معناه ، عرفت إعرابه ، ومعناه : لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم به منه ، ثم كرر أشبه تأكيداً فصارت لغواً كالمقحم وصاحبكم معطوف على الضمير الذي في أشبه الأول الذي هو نعت لرجل ، وحسن المعطف عليه ، وإن لم يؤكد بهو ، كما حسن في قوله تعالى : « ما أثيركننا ولا آبأونا » من أجل الفصل بلا النافية ، ولو أسقط من الكلام أشبه الثاني ، لكان حسناً جداً ، ولو أخر صاحبكم فقال : ولا أشبه به صاحبكم منه لجاز ، ويكون فاعلاً بأشبه الثانية ، ويكون من باب قولهم : ما رأيت رجلاً أحسن في عينه الكحل من زيد ، وهي مسألة عذراء لم تقترعها أيدي النحاة بعد ، ولم يشف منها متقدم منهم ، ولا متأخر من رأينا كلامه فيها ، وقد أملينا في غير هذا الكتاب فيها تحقيقاً شافياً .

على يصف النبي صلى الله عليه وسلم فصل : وذكر في صفة النبي صلى الله عليه وسلم - بما نعت به على بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال : لم يكن بالطويل المنط بالعين المعجمة ، وفي غير هذه الرواية بالعين المهملة ، وذكر الأوصاف إلى آخرها وقد شرحها أبو عبيد ، فقال عن الأصمعي ، والكسائي وأبي عمرو وغير واحد : قوله : ليس بالطويل المنط أي : ليس باللبان الطويل ، ولا القصير المتردد يعني : الذي تردد خلقه بعضه على بعض ، وهو مجتمع ليس بسبط الخلق يقول : فليس هو كذلك ، ولكن ربعة بين الرجلين ، وهكذا صفته - صلى الله عليه وسلم - وفي حديث آخر : ضرب اللحم بين الرجلين .

وقوله : ليس بالمطهم ، قال الأصمعي : هو التام كل شيء منه على حدته ، فهو بارع الجمال ، وقال غير الأصمعي المكلم المدور الوجه ، يقول : ليس كذلك ، ولكنه مسنون ، وقوله : مشرب يعني الذي أشرب حمرة ، والأدعج العين : الشديد سواد العين قال الأصمعي : الدعجة : هي السواد ، والجليل المشاش : العظيم العظام مثل الركبتين والمرقتين والمنسكين ، وقوله : السكند هو : السكاهل ، وما يليه من جسده ، وقوله شين السكفين والقدمين يعني : أنهما إلى الغلط . وقوله : ليس بالسبط ولا الجعد القبط ، فالقبط : الشديد الجعودة مثل شعور الحبشة ، ووقع في غريب الحديث لأبي عبيد التام كل شيء منه على حدته . يقول : ليس كذلك ، ولكنه بارع الجمال ، فهذه الكلمة ، أعني : ليس كذلك ، محذرة بالشرح ، وقد وجدته في رواية أخرى عن أبي عبيد بإسقاط : يقول كذلك ، ولكن هل نص ذكرناه آنفاً عنه عن الأصمعي ، والذي في غريب الحديث من تلك الزيادة وهم وقع في الكتاب ، والله أعلم .

وأما ما رواه الترمذي عن الأصمعي في شرح المطهم قال : هو البادن : الكثير اللحم ، ذكره عن أبي جعفر ، عن الأصمعي وذكر عنه في المنط نحو ما قدمناه ، قال : وختمت أعرايا يقول تمنط في نشابة أي : مدها ، وفي كتاب العين : منطت الشيء إذا مددته ، وقال في باب العين المهملة منطت الشيء إذا مددته ، كما قال في العين المعجمة ، فعلى هذا يقال فيه تمنط ومنط ، ووزنه منفعل ، واندغمت النون في الميم ، كما اندغمت في نحوته فاحي لما أمن

قصة المعراج

قال ابن إسحاق : وحدثني من لائهم عن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : لما فرغت مما كان في بيت المقدس ، أتى بالمعراج - ولم أر شيئا قط أحسن منه - وهو الذى يمد إليه ميتكم عينيهِ إذا حضر ، فأصعدني صاحبي فيه ، حتى انتهى بى إلى باب من أبواب السماء ، يقال له : عليه ملك من الملائكة ، يقال له : إسماعيل ، تحت يديه اثنا عشر ألف ملك ، تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك - قال : يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين حدث بهذا الحديث : وما يعلم جنود ربك إلا هو - فلما دخل بى ، قال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا محمد . قال : أوفد بعث ؟ قال نعم . قال : فدعالي بخير : وقاله .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم عن حدثه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : تلقى الملائكة حين دخلت السماء الدنيا ، فلم يلقنى ملك إلا صاحكا مستبشرا ، يقول خيرا ويدعو به ، حتى لقينى ملك من الملائكة ، فقال مثل ما قالوا ، ودعا بمثل ما دعوا به ، إلا أنه لم يضحك ، ولم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره ، فقلت لجبريل : يا جبريل من هذا الملك الذى قال لى كما قالت الملائكة ولم يضحك لى ، ولم أر منه من البشر مثل الذى رأيت منهم ؟ قال : فقال لى جبريل : أما لأنه لو ضحك لى أحد كان قبلك ، أو كان صاحكا لى أحد بعدك ، لضحك إليك ، واسكنه لا يضحك ، هذا مالك خازن النار ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت لجبريل ، وهو من الله تعالى بالمكان الذى وصف لكم ومطاع ثم أمين ، ألا تأمره أن يرينى النار ؟ فقال : بلى ، يا مالك ، أر محمد النار ، قال : فكشفت عنها غطاءها ، ففارت ، وارتفعت ، حتى ظننت : لتأخذن ما أرى . قال : فقلت لجبريل : يا جبريل ، مره ، فليردنا إلى مكاننا : فإله : فأمره ، فقال لما : اجبى ، فرجعت لى مكانها الذى خرجت منه . فما شئت رجوعها إلا وقوع الظل . حتى إذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاءها .

قال أبو سعيد الخدري فى حديثه : لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : لما دخلت السماء الدنيا ، رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بنى آدم ، فيقول لبعضها : إذا عرضت عليه خيرا وبسرا به ، ويقول : روح طيبة خرجت من جسد طيب ، ويقول لبعضها : إذا عرضت عليه : أف ، وبعبس بوجهه ويقول : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث . قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم ، تعرض عليه أرواح ذريته ، فإذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها : وقال روح طيبة خرجت من جسد طيب . وإذا مرت به روح الكافر منهم أفف منها ، وكرهها ، وساء ذلك ، وقال : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث .

قال ثم رأيت رجلا لهم مشافر كشافر الإبل ، فى أيديهم قطع من نار كالآفهار ، بقذفونها فى أفواههم ، فتخرج من أديبارهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما .

التبلسه بالمضاعف ، ولم يدغموا النون فى الميم فى شاة زبناء ، ولا فى غم لثلا يلتبس بالمضاعف ، لو قالوا : أزما . وغما ، وقد ذكرنا قبل ما وهم فيه الترمذى من تفسير زر الخجلة حيث قال : يقال إنه بيض له ، حيث تكلمنا على خاتم النبوة وضيقته ، واختلاف الرواية فيه - والحمد لله .

قال : ثم رأيت رجلا لهم بطون لم أر مثلاً قبل بسبل آل فرعون ، يمرون عليهم كالإبل المهيومة حين يمرضون على النار ، يطشونهم لا يقتلون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك قال قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء أكلة الربا .

قال : ثم رأيت رجلا بين أيديهم لحم ثمين طيب ، إلى جنبه لحم غث منتن ، يأكلون من الغث المنتن ، ويتركون السمين الطيب . قال قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ، ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن .

قال : ثم رأيت نساء معلقات بشديهن ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني جعفر بن عمرو ، عن القاسم بن محمد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم ، فأكل حرائثهم ، وأطلع على عوراتهم .

عود إلى حديث الخدرى : ثم رجع إلى حديث أبي سعيد الخدرى ، قال : ثم أضعدني إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة : عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا ، قال : ثم أضعدني إلى السماء الثالثة ، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر ، قال قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك يوسف بن يعقوب . قال : ثم أضعدني إلى السماء الرابعة ، فإذا فيها رجل فسألته : من هو ؟ قال : هذا إدريس - قال : يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ورفعناه مكانا عليا - قال : ثم أضعدني إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهل أبيض الرأس والحمية ، عظيم العulon ، لم أر كهلا أجمل منه ، قال قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا المحبب في قومه هارون ابن عمران ، قال : ثم أضعدني إلى السماء السادسة ، فإذا فيها رجل آدم طويل ألقى كأنه من رجال شنوءة ، فقلت له : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك موسى بن عمران . ثم أضعدني إلى السماء السابعة ، فإذا فيها كهل جالس على كرمى إلى باب البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة . لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ، قال قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم . قال : ثم دخل بي الجنة ، فرأيت فيها جارية لعساء ، فسألته : لمن أنت ؟ وقد أعجبتني حين رأيتها ، فقالت : لزيد بن حارثة ، فبشر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق : ومن حديث عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني : أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن في دخولها : من هذا يا جبريل ؟ فيقول : محمد ، فيقولون : أوقد بعث ؟ فيقول : نعم ، فيقول : حياه الله من أخ وصاحب ، حتى انتهى به إلى السماء السابعة ، ثم انتهى به إلى ربه ، ففرض عليه خمسين صلاة في كل يوم .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأقبلت راجعا ، فلما مررت بموسى بن عمران ونعم صاحب كان ليكم ، سألتني كم فرض عليك من الصلاة ؟ فقلت خمسين صلاة كل يوم ، فقال : إن الصلاة ثقيلة ، وإن أمتك ضعيفة ، فارجع إلى ربك ، فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك . فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني ، وعن أمتي ، فوضع

عنى عشرا . ثم انصرفت فررت على موسى فقال لي مثل ذلك ، فرجعت فسألت ربي ، فوضع عني عشرا ، ثم انصرفت ، فررت على موسى ، فقال لي مثل ذلك ، فرجعت فسألته فوضع عني عشرا ، ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك كلما رجعت إليه ، قال : فارجع فاسأل ، حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عني ، إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة ثم رجعت إلى موسى فقال لي مثل ذلك ، فقلت : قد راجعت ربي وسألته ، حتى استحيت منه ، فإنا بفعل رواه البيهقي في كتاب دلائل النبوة وابن جرير وابن أبي حاتم .

فمن أداها منكم إيمانا بهن ، واحتسابا لهن ، كان له أجر خمسين صلاة مكتوبة . رواه . وفي الحديث غرابة ونكارة .

مبحث في رؤية النبي ربه : فصل : وقد تكلم العلماء في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء ، فروى مسروق عن عائشة أنها أنكرت أن يكون رآه ، وقالت من زعم أن محمدا رأى ربه ، فقد أعظم على الله الفرية ، واحتجت بقوله سبحانه لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وفي مصنف الترمذي عن ابن عباس وكعب الأبحار أنه رآه ، قال كعب : إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد ، وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قلت : يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال : رأيت نوراً ، وفي حديث آخر من كتاب مسلم أنه قال : نوراً أنى أراه ؟ وليس في هذا الحديث بيان شاف أنه رآه ، وحكى عن أبي الحسن الأشعري أنه قال : رآه بعيني رأسه ، وفي تفسير النقاش عن ابن حنبل أنه سئل : هل رأى محمد ربه ، فقال : رآه رآه رآه حتى انقطع صوته ، وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن الزهري وذكر إنكار عائشة أنه رآه ، فقال لزهري : ليست عائشة أعلم عندنا من ابن عباس ، وفي تفسير ابن سلام عن عروة أنه كان إذ ذكر إنكار عائشة أن يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى ربه يشتد ذلك عليه ، وقول أبي هريرة في هذه المسألة كقول ابن عباس أنه رآه ؟ روى يونس عن ابن إسحاق عن داود بن الحصين قال : سأل مروان أبا هريرة : هل رأى محمد ربه ؟ قال : نعم ، وفي رواية يونس أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله : هل رأى محمد ربه ؟ فقال : نعم رآه ، فقال ابن عمر : وكيف رآه ، فقال ابن عباس كلاما كرهت أن أوردته بلفظه لما يوم من التشبيه ، ولو صح لكان له تأويل والله أعلم ، والمتحصل من هذه الأقوال - والله أعلم - أنه رآه لأعلى أكل ما تكون الرؤية على نحو ما يراه في حظيرة القدس عند الكرامة العظمى والنعم الأكبر ، ولكن دون ذلك ، وإلى هذا يومى قوله : رأيت نوراً ونوراً أنى أراه في الرؤية الأخرى والله أعلم .

وأما الدنو والتدلى فهما خبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - عن بعض المفسرين ، وقيل إن الذي تدلى هو جبريل عليه السلام تدلى إلى محمد حتى دنا منه وهذا قول طائفة أيضا ، وفي الجامع الصحيح في إحدى الروايات منه : فتدلى الجبار ، وهذا مع صحة نقله لا يكاد أحد من المفسرين يذكره لاستحالة ظاهره ، أو للعقبة عن موضعه ، ولا استحالة فيه ، لأن حديث الإسراء إن كان رؤيا رآها بقلبه وعينه نائمة - كما في حديث أنس فلا إشكال فيما يراه في نومه عليه السلام فقد رآه في أحسن صورة ووضع كفه بين كفيه ، حتى وجد بردها بين يديه رواه الترمذي من طريق معاذ بن حديث طويل ، ولما كانت هذه رؤيا لم ينكرها أحد من أهل العلم ، ولا استبشعها ، وقد بينا أننا أن حديث الإسراء كان رؤيا ثم كان يقظة فإن كان قوله فتدلى الجبار في المرة التي كان فيها غير قائم ، وكان الإسراء بجسده ، فيقال فيه من التأويل ما يقال في قوله : ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا ، فليس بأبعد منه في باب التأويل ، فلا نكارة فيه كان في نوم أو يقظة ، وقد أشرنا إلى تمام هذا المعنى في شرح ما تضمنه لفظ القوسين من قوله : قاب قوسين

في جزء أمليناه في شرح سبحان الله وبجمده ، تضمن لطائف من معنى التقديس والتسبيح ، فلينظر هناك وأملينا أيضاً في معنى رؤية الرب سبحانه في المنام ، وفي عرصات القيامة مسألة لقناع الحقيقة في ذلك كاشفة فمن أراد فهم الرؤية والرؤيا فلينظرها هنالك ، ويقوى ما ذكرناه من معنى إضافة التبدل إلى الرب سبحانه كما في حديث البخاري ماروا ابن سنجر مسنداً إلى شريح بن عبيد ، قال : لما صعد النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى السماء ، فأوحى إلى عبده ما أوحى فلما أحس جبريل بدنو الرب خسر ساجداً ، فلم يزل يتسبح سبحان رب الجبروت والملوك والكبرياء والعظمة حتى قضى الله إلى عبده ما قضى ، قال : ثم رفع رأسه ، فرأته في خلقه الذي خلق عليه منظوماً أجنحته بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت ، فخيّل إلى أن ما بين عينيه قد سد الأفقين ، وكنت لأراه قبل ذلك إلا على صور مختلفة ، وكنت أكثر ما أراه على صورة دحية بن خليفة الكلبي وكان أحياناً لا يراه قبل ذلك إلا كما يرى صاحبه من وراء الغراب .

لقاءه للنبيين : فصل : وما سئل عنه من حديث الإسماء ، وتكلم فيه لقاءه لآدم في السماء الدنيا ، ولإبراهيم في السماء السابعة ، وغيرهما من الأنبياء الذين لقيهم في غير هاتين ، والحكمة في اختصاص كل واحد منهم بالسماء التي رآه فيها ، وسؤال آخر في اختصاص هؤلاء الأنبياء باللقاء دون غيرهم ، وإن كان رأى الأنبياء كلهم ، فالحكمة في اختصاص هؤلاء الأنبياء بالذكر ؟ تكلم أبو الحسن بن بطال في شرح البخاري على هذا السؤال ، فلم يصنع شيئاً ، ومغزى كلامه الذي أشار إليه أن الأنبياء لما علواً بقدمه عليهم ابتدروا إلى لقاءه ابتدار أهل الغائب للغائب القادم ، فمتهم من أسرع ، ومنهم من أبطأ . إلى هذا المعنى أشار فلم يرد عليه ، والذي أقول في هذا : إن ما أخذ فهمه من علم التعبير ، فإنه من علم النبوة ، وأهل التعبير يقولون : من رأى نبياً بعينه في المنام ، فإن رؤياه تؤذن بما يشبه حال ذلك النبي من شدة أورشاه أو غير ذلك من الأمور التي أخبر بها عن الأنبياء في القرآن ، والحديث ، الإسرائ كان بمكة وهي حرم الله وأمنه وقطانها جيران الله ، لأن فيها بيته ، فأول ما رأى عليه من الأنبياء آدم الذي كان في أمن الله وجواره ، فأخرجه عدوه إبليس منها وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى من أحوال النبي - صلى الله عليه وسلم - حين أخرجه أعداؤه من حرم الله وجوار بيته ، فكربه ذلك وغمه . وأشبعت قصته في هذا قصة آدم ، مع أن آدم تعرض عليه أرواح ذريته البر والفاجر منهم ، فكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين ، لأن أرواح أهل الشقاء لا تلج في السماء ولا تفتح لهم أبوابها كما قال الله تعالى ، ثم رأى في الثانية عيسى ويحيى وهما الممتحنان باليهود ، أما عيسى فكذبته اليهود وآذته ، وهموا بقتله فرفعه الله ، وأما يحيى فقتلوه ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان ، وكانت محنته فيها باليهود ، آذوه وظاهروا عليه وهموا بإلقاء الضخرة عليه ، ليقتلوه فنجاه الله تعالى كما نجي عيسى منهم ، ثم سموا في الشاة ، فلم تزل تلك الالة تعاوده ، حتى قطعت أبهره كما قال عند الموت ، وهكذا فعلوا بابني الحالة : عيسى ويحيى ، لأن أم يحيى أشياح بنت عمران أخت مريم ، أمهما ، حنة ، وأما لقاءه ليرسف في السماء الثالثة ، فإنه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف ، وذلك بأن يوسف ظفر بإخوته بعد ما أخرجوه من بين ظهرانيهم فصفتح عنهم ، وقال لا تريب عليكم الآية ، وكذلك نبينا - عليه السلام - أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباس ، وابن عمه عقيل ، فمنهم من أطلق ، ومنهم من قبل فداءه ، ثم ظهر عليهم بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم أقول ما قال أخى يوسف لا تريب عليكم اليوم ، ثم لقاءه لإدريس في السماء الرابعة ، فكان ذلك مؤذناً

بحالة رابعة ، وهي علو شأنه - عليه السلام - حتى أخاف الملوك وكتب إليهم يدعوهم إلى طاعته ، حتى قال أبو سفيان ، وهو عند ملك الروم ، حين جاءه كتاب النبي عليه السلام ، ورأى ما رأى من خوف هرقل : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة ، حتى أصبح يخافه ملك بني الأصغر ، وكتب عنه بالقلم إلى جميع ملوك الأرض ، فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي ، وملك عمان ، ومنهم من هادنه ، وأهدى إليه وأتحفه كهرقل والمقوقس ومنهم من تعصى عليه ، فأظهره الله عليه ، فهذا مقام علي ، وخط بالقلم كنحو ما أوتى إدريس - عليه السلام - ولقاؤه في السماء الخامسة ثارون المحبب في قومه يؤذن بحب قریش ، وجميع العرب له بعد بغضهم فيه ، ولقاؤه في السماء السادسة موسى يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين أمر بغزو الشام فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها ، وأدخل بني إسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد إهلاك عدوهم ، وكذلك غزا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تبرك من أرض الشام ، وظهر علي صاحب دومة حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيرا ، وافتتح مكة ، ودخل أصحابه البلد الذي خرجوا منه ، ثم لقاؤه في السماء السابعة لإبراهيم - عليه السلام - الحكمتين : إحداهما : أنه رآه عند البيت المعمور مستنداً ظهره إليه والبيت المعمور خيال مكة ، وإليه ترجع الملائكة ، كما أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة ، وأذن في الناس بالحج إليها والحكمة الثانية أن آخر أحوال النبي - صلى الله عليه وسلم - وجهه إلى البيت الحرام ، وحج معه نحو من سبعين ألفاً من المسلمين ، ورؤية إبراهيم عند أهل التأويل تؤذن بالحج ، لأنه الداعي إليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة ، فقد انتظم في هذا الكلام الجواب عن السؤالين المتقدمين ، أحدهما : السؤال عن تخصيص هؤلاء بالذكر ، والآخر : السؤال عن تخصيصهم بهذه الأماكن من السماء الدنيا إلى السابعة ، وكان الحزم ترك التكلف لتأويل ما لم يرد فيه نص عن السلف ، ولكن عارض هذا الغرض ما يجب من التفكير في حكمة الله ، والتدبر لآيات الله ، وقول الله تعالى : « إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ، وقد روى أي تفكر ساعة خير من عبادة سنة مالم يكن النظر والتفكير مجرداً من ملاحظة الكتاب والسنة ، ومقتضى كلام العرب ، فعند ذلك يكون القول في الكتاب والسنة بغير علم عصمنا الله - تعالى - من ذلك ، وجعلنا من الممثلين لآمره حيث يقول : فاعتبروا يا أولى الأبصار وليدبروا آياته ، وليتذكر أولو الألباب ، ولولا إسراع الناس إلى إنكار ما جهلوه ، وغلظ الطباع عن فهم كثير من الحكمة لا بدينا من سر هذا السؤال ، وكشفنا عن الحكمة في هؤلاء الأنبياء المسلمين في هذه المراتب أكثر مما كشفنا .

البيت المعمور : فصل : وذكر البيت المعمور ، وأنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك . روى ابن سنجر عن علي - رحمه الله - قال : البيت المعمور بيت في السماء السابعة يقال له : الضراح ، واسم السماء السابعة : عرييا ، روى أبو بكر الخطيب بإسناد صحيح إلى وهب بن منبه قال : من قرأ البقرة وآل عمران يوم الجمعة كان له نور يملأ ما بين عرييا وجرييا ، وهي الأرض السابعة ، وذكر عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف دحية عند كل دحية سبعون ألف ملك رواه عنه أبو التياح . قال أبو سلمة : قلت ما الدحية ؟ قال : الرئيس . وروى ابن سنجر أيضاً من طريق أبي هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : في السماء السابعة بيت يقال له : المعمور بحيال مكة وفي السماء السابعة نهر يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسة ، ثم يخرج فينتفض انتفاضة ، يخرج عنه سبعون ألف قطرة ، يخلق الله من كل قطرة ملكاً ويؤمرون أن يأتوا البيت المعمور ويصلوا فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبداً ، يولى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفاً . يسبحون الله إلى أن تقوم الساعة .

فرض الصلاة في الحضرة المقدسة فصل : وأما فرض الصلاة عليه هنالك ، ففيه التنبيه على فضلها ، حيث لم تفرض إلا في الحضرة المقدسة ، ولذلك كانت الطهارة من شأنها ، ومن شرائط أدائها ، والتنبيه على أنها مناجاة الرب ، وأن الرب تعالى مقبل بوجهه على المصلي يناجيه يقول : حمدني عبدي ، أثني على عبدي إلى آخر السورة ، وهذا مشا كل لفرضها عليه في السماء السابعة حيث سمع كلام الرب ، وناجاه ، ولم يخرج به حتى طهر ظاهره وباطنه بما زمر كما يتطهر المصلي للصلاة ، وأخرج عن الدنيا بجسمه ، كما يخرج المصلي عن الدنيا بقلبه ، ويحرم عليه كل شيء إلا مناجاة ربه وتوجهه إلى قبلته في ذلك الحين ، وهو بيت المقدس ، ورفع إلى السماء كما يرفع المصلي يديه إلى جهة السماء إشارة إلى القبلة العليا في البيت المعمور ، وإلى جهة عرش من يناجيه ويصلي له سبحانه .

فرض الصلوات خمسين فصل : وأما فرض الصلوات خمسين ثم حط منها عشراً بعد عشر إلى خمس صلوات . وقد روى أيضاً أنها حطت خمساً بعد خمس ، ويمكن الجمع بين الروايتين لدخول الخمس في العشر ، فقد تكلم في هذا النقص من القريضة : أهو نسخ أم لا ؟ على قولين ، فقال قوم : هو من باب نسخ العبادة قبل العمل بها ، وأنكر أبو جعفر النحاس هذا القول من وجهين ، أحدهما البناء على أصله ومذهبه في أن العبادة لا يجوز نسخها قبل العمل بها لأن ذلك عنده من البداء ، والبداء محال على الله سبحانه . والثاني : أن العبادة إن جاز نسخها قبل العمل بها عند من يرى ذلك ، فليس يجوز عند أحد نسخها قبل هبوطها إلى الأرض ووصولها إلى المخاطبين . قاله : وإنما ادعى النسخ في هذه الصلوات الموضوعة عن محمد وأمه القاشاني ، ليصح بذلك مذهبه في أن البيان لا يتأخر ، ثم قال أبو جعفر : إنما هي شفاعة شفيعها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأمته ومراجعة راجعها ربه ليخفف عن أمته ، ولا يسمى مثل هذا نسخاً .

قال المؤلف : أما مذهبه في أن العبادة لا تنسخ قبل العمل بها ، وأن ذلك بداء فليس بصحيح ، لأن حقيقة البداء أن يبدو للأمر رأى يتبين له الصواب فيه بعد أن لم يكن تبيينه ، وهذا محال في حق من يعلم الأشياء بعلم قديم ، وليس النسخ من هذا في شيء إنما النسخ تبديل حكم بحكم ، والكل في سابق عليه ومقتضى حكمته ، كنسخه المرض بالصحة ، والصحة بالمرض ، ونحو ذلك ، وأيضاً بأن العبد المأمور يجب عليه عند توجه الأمر إليه ثلاث عبادات : الفعل الذي أمر به ، والعزم على الامتثال عند سماع الأمر ، واعتقاد الوجوب إن كان واجباً فإن نسخ الحكم قبل الفعل ، فقد حصلت فائدتان : العزم واعتقاد الوجوب . وعلم الله ذلك منه ، فصح امتحانه له واختباره لإياه ، وأوقع الجزاء على حسب ما علم من نيته ، وإنما الذي لا يجوز ، نسخ الأمر قبل نزوله ، وقبل علم المخاطب به ، والذي ذكر النحاس من نسخ العبادة بعد العمل بها ، فليس هو حقيقة النسخ ، لأن العبادة المأمور بها قد مضت ، وإنما جاء الخطاب بالنهي عن مثلها لا عنها ، وقولنا في الخمس والأربعين صلاة الموضوعة عن محمد وأمه أحد وجهين ، إما أن يكون نسخ ماوجب على النبي - صلى الله عليه وسلم - من أدائها ورفع عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب ، وهذا قد قدمنا أنه نسخ على الحقيقة ، ونسخ عنه ماوجب عليه من التبليغ ، فقد كان في كل مرة عازماً على تبليغ ما أمر به ، وقول أبي جعفر : إنما كان شافعاً ومراجعاً ينفي النسخ فإن النسخ قد يكون عن سبب معلوم ، فشفاعته عليه السلام لأمته كانت سبباً للنسخ لا مبطله لحقيقته ، ولكن المنسوخ ما ذكرنا من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ وحكم الصلوات الخمس في خاصته ، وأما أمته فلم ينسخ عنهم حكم إذ لا يتصور نسخ الحكم قبل بلوغه إلى المأمور ، كما قدمنا ، وهذا كله أحد الوجهين في الحديث .

والوجه الثاني أن يكون هذا خبراً لم يدخله النسخ، ومعنى الخبر أنه عليه السلام أخبره ربه أن على أمته خمسين صلاة، ومعناه: أنها خمسون في اللوح المحفوظ، وكذلك قال في آخر الحديث: هي خمس وهي خمسون، والجسنة بعشر أمثالها فتأول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أنها خمسون بالفعل، فلم يزل يراجع ربه حتى بين له أنها خمسون في الثواب لا بالعمل. فإن قيل: فما معنى نصفها عشراً بعد عشر؟ قلنا: ليس كل الخلق يحضر قلبه في الصلاة من أولها إلى آخرها، وقد جاء في الحديث أنه يكتب له منها ما حضر قلبه فيها، وأن العبد يصلي الصلاة، فيكتب له نصفها ربعها حتى انتهى إلى عشرها، ووقف، فهي خمس في حق من كتب له عشرها، وعشر في حق من كتب له أكثر من ذلك، وخمسون في حق من كملت صلاته وأداها بما يلزمه من تمام خشوعها وكال سجودها وركوعها.

من أوصاف الملائكة فصل: وذكر أنه عليه السلام لم يلقه ملك من الملائكة إلا ضاحكاً مستبشراً إلا مالكا خازن جهم، وذلك أنه لم يضحك لأحد قبله، ولا هو ضاحك لأحد، ومصدق هذا في كتاب الله تعالى، قال الله سبحانه: عليها ملائكة خلاط شداد، وهم موكلون بغضب الله تعالى، فالغضب لا يزالهم أبداً، وفي هذا الحديث معارضة للحديث الذي في وصفه ميكائيل أنه ما ضحك منذ خلق الله جهم، وكذلك يعارضه ما خرج الدارقطني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تبسم في الصلاة، فلما انصرف سئل عن ذلك، فقال: رأيت ميكائيل راجعاً من طلب القوم، على جناحيه الغبار فضحك إلى فتبسمت إليه، وإذا صح الحديثان، فوجه الجمع بينهما: أن يكون لم يضحك منذ خلق الله النار إلى هذه المدة التي ضحك فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيكون الحديث عاماً يراد به الخصوص، أو يكون الحديث الأول حدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم - قبل هذا الحديث الأخير ثم حدث بعد بما حدث به من ضحكه إليه، والله أعلم. ولم ير مالكا على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الآخرة، ولو رآه على تلك الصورة ما استطاع أن ينظر إليه.

جزاء أكلة الربا: وذكر أكلة الربا وأنهم يسبيل آل فرعون يرون عليهم كالإبل المهيومة، وهي العطاش، والهيام: شدة العطش، وكان قياس هذا الوصف ألا يقال فيه مهيومة، كما لا يقل معطوشة، وإنما يقال هائم وهيان، وقد يقال: هيوم ويجمع على هيم، ووزنه فعل بالضم لكن كسر من أجل الياء كما قال تعالى: «فشاربون شرب الهيم»، ولكن جاء في الحديث مهيومة، كأنه شيء فعل بها كالحمومة والمجنونة وكلهنوم، وهو الذي لا يشبع وكان قياس الياء أن تعتل، فيقال: مهيمة، كما يقال: مبيعة في معنى مبيوعة، ولكن صحت الياء، لأنها في معنى الهيومة كما صحت الواو في عور لأنه في معنى أعور، كما صحت في اجتور والآنه في معنى: تجاوروا، وإنما رآهم منتفخة بطونهم؛ لأن العقوبة مشاكلة للذنب، فأكل الربا يربو بطنه، كما أراد أن يربو ماله بأكل ما حرم عليه، فحقت البركة من ماله، وجعلت نفخاً في بطنه، حتى يقوم كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، وإنما جعلوا بطريق آل فرعون يرون عليهم غدوا وعشيا لأن آل فرعون هم أشد الناس عذاباً يوم القيامة، كما قال سبحانه: «أدخلوا آل فرعون أشد العذاب»، فخصوا بسبيلهم، ليعلم أن الذين هم أشد الناس عذاباً يطنونهم فضلاً عن غيرهم من الكفار، وهم لا يستطيعون القيام، ومعنى كونهم في طريق جهم بحيث يمر بالكفار عليهم، أن الله سبحانه قد أوقف أمرهم بين أن ينتهوا، فيكون خير لهم، وبين أن يعودوا ويصروا، فيدخلهم النار، وهذه صفة من هو في طريق النار قال الله تعالى: «فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله، إلى آخر الآية وفي بعض المسندات أنه رأى بطونهم كالبيوت، يعني: أكلة الربا، وفيها حيات ترى خارج البطون. فإن قيل: هذه الأحوال

أثني وصفها عن أكلة الربا إن كانت عبارة عن حالهم في الآخرة ، فآل فرعون في الآخرة قد أدخلوا أشد العذاب ، وإنما يعرضون على النار غدواً وعشيا في البرزخ ، وإن كانت هذه الحال التي رأهم عليها في البرزخ ، فأى بطون لهم ، وقد صاروا عظاماً ورفاتا ، ومزقوا كل ممزق فالجواب أنه إنما رأهم في البرزخ ، لأنه حديث عما رأى ، وهذه الحال هي حال أرواحهم بعد الموت . وفيها تصحيح لمن قال : الأرواح أجساد لطيفة قابلة للنعيم والعذاب ، فيخلق الله في تلك الأرواح من الآلام ما يجده من انتفخ بطنه حتى وطئ بالآفدام ، ولا يستطيع من قيام ، وليس في هذا الحديث دليل على أنهم أشد عذاباً من آل فرعون ، ولكن فيه دليل على أنهم يطؤون آل فرعون ، وغيرهم من الكفار الذين لم يأكلوا الربا ماداموا في البرزخ إلى أن يقوموا يوم القيامة ، كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، ثم ينادى منادى الله « أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » وكذلك ما رأى من النساء المعلقات بشدبين يجوز أن يكون رأى أرواحهن ، وقد خلق فيها من الآلام ما يجده من هذه حاله ، ويحتمل أيضاً أن يكون مثلت له حالهن في الآخرة ، وذكر الذين يدعون ما أحل الله من نسائهم ، ويأتون ما حرم عليهم ، وهذا نص على تحريم إتيان النساء في أعجازهن ، وقد قام الدليل على تحريمه من الكتاب والسنة والإجماع ، وقد ذكرنا المواضع التي يقوم منها التحريم على هذه المسألة من كتاب الله ، ومن حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذكرنا ما جاء في ذلك عن ابن عباس من قوله : هو الكفر ، وقول ابن عمر : هي اللواطية الصغرى ، وأما الإجماع ، فإن المرأة ترد بداء الفرج ، ولو جاز وطؤها في المسلك الآخر ما أجمعوا على ردها بداء الفرج ، وقد مهدنا الأدلة على هذه المسألة مفردة في غير هذا الإملاء بما فيه شفاء والمحمد لله .

نسب الولد لغير رشدة : وقوله : فأكل حرائبهم : الحريية : المال ، وهو من الحرب ، وهو السلب ، يريد أن الولد إذا كان لغير رشدة نسب إلى الذي ولد على فراشه ، فياً كل من ماله صغيراً ، وينظراً إلى بناته من غير أمه وإلى أخواته ، ولسن بعثت له ، وإلى أمه وليست بجدة له ، وهذا فساد كبير ، وإنما قدم ذكر الأكل من حرييته وماله قبل الاطلاع على عوراته ، وإن كان الاطلاع على العورات اشنع ، لأن نفقته عليه أول من حال صغره ، ثم قد يبلغ حد الاطلاع على عوراته ، أولاً يبلغ ، فإن الأم أرضعته بلبانها ، ولم تدفعه إلى مرضعة كان الزوج أبأله من الرضاعة ، وكان حكمه حكم الابن من الرضاعة ، وفي ذلك نقصان من الشناعة ، فإن بلغ الصبي ، وتابت الأم ، وأعلنت أنه لغير رشدة ليستعف عن ميراثهم ، ويكف عن الاطلاع على عوراتهم ، أو علم ذلك بقرينة حال وجب عليه ذلك وإن كان شر الثلاثة كما جاء في الحديث في ابن الزنا ، وقد تؤول حديث شر الثلاثة على وجوه ، هذا أقربها إلى الصواب ، لقوله عليه السلام : أكل حرائبهم ، واطلع على عوراتهم ، ومن فعل هذا عن عمد وقصد فهو شر الناس . وإن لم يعلم فأكله واطلاعه شر عمل ، وأبواه حين زنيا فارقا ذلك العمل الخبيث لحيتهما والابن في عمل خبيث ، من منشئه إلى وفاته ، فعله شر عمل .

حكم الحاكم لا يحل حراماً : وفي هذا الحديث من الفقه أيضاً أن حكم الحاكم لا يحل حراماً ، وذلك أن الولد في حكم الشريعة للفراس إلا أن ينفي باللعان ، فإذا حكم الحاكم بهذا ، وعلم الولد عند بلوغه خلاف ما حكم به الحاكم لم يحل له بهذا الحكم ما حرم الله عليه من أكل الحرائب والاطلاع على العورات ، وفي هذا رد لمذهب أبي حنيفة من قوله : إن حكم الحاكم قد يحل ما يعلم أنه حرام مثل أن يشهد شاهدان على رجل أنه طلق ، وهما

يعلمان أنه لم يطلق فيقبل القاضي شهادتهما فيطلق المرأة على الرجل ، فإذا بانته منه كان لأحد الشاهدين أن ينكحها مع علمه بأنه قد شهد زوراً ، لم يقل أبو حنيفة بهذا القول في الأموال لقول النبي عليه السلام « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ، ولعل أحكم أن يكون ألحن بحجته من صاحبه ، فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه ، فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار ، ففي هذا الحديث مع الذي تقدم رد المذهب ، ولا حجة له في أن يقول ذلك مخصوص بالأموال من وجهين : أحدهما : أن القياس أصل من أصوله ، وقياس المسألتين واحد ، الثاني : أنه قال من حق أخيه ، ولم يقل من مال أخيه ، وهذا لفظ يعم الحقوق كلها قال المؤلف : وعندي أن أبا حنيفة رحمه الله : إنما بنى هذه المسألة على أصله في طلاق المسكرة ، فإنه عنده لازم فإذا أكره الرجل على الطلاق ، وقلنا يلزم الطلاق له ، فقد حرمت المرأة عليه ، وإذا حرمت عليه جاز أن ينكحها من شاء فالإثم إنما تعلق في هذا المذهب بالشهادة دون النكاح ، وقد خالفه فقهاء الحجاز في طلاق المسكرة ، وقولهم يعضده الأثر ، وقول أبي حنيفة يعضده النظر ، والخوض في هذه المسألة يصدنا عما نحن بسبيله .

ورفعناه مكاناً علياً . في قصة إدريس : فصل : وذكره لإدريس في السماء الرابعة مع قوله تعالى : « ورفعناه مكاناً علياً » ، مع أنه قد رأى موسى وإبراهيم في مكان أعلى من مكان إدريس فذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب الأحبار أن إدريس خص من جميع الأنبياء أن رفع قبل وفاته إلى السماء الرابعة ، ورفع ملك كان صديقاً له ، وهو الملك الموكل بالشمس فيما ذكر ، وكان إدريس سأل أن يريه الجنة ، فأذن له الله في ذلك ، فلما كان في السماء الرابعة رآه هنالك ملك الموت ، فعجب ، وقال أمرت أن أقبض روح إدريس الساعة في السماء الرابعة ، فقبضه هنالك ، فرفعه حياً إلى ذلك المكان العلى خاص له دون الأنبياء .

ترحيب الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم : فصل : وذكر من قول الأنبياء له في كل سماء : مرحباً بالأخ الصالح ، وقول آدم وإبراهيم : بالابن الصالح وقد ذكرنا في أول هذا الكتاب حجة لمن قال : إن إدريس ليس بجند لنوح ، ولا هو من آباء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنه قال مرحباً بالأخ الصالح ، ولم يقل : بالابن الصالح .

موسى يطلب أن يكون من أمة محمد : وأما اعتناء موسى - عليه السلام - بهذه الآمة وإلحاحه على نبيه أن يشفع لها ، ويسأل التخفيف عنها ، فلقوله - والله أعلم - حين قضى إليه الأمر بجانب الغربي ، ورأى صفات أمة محمد عليه السلام في الألواح ، وجعل يقول : إني أجد في الألواح أمة صفتهم كذا ، اللهم اجعلهم أمتي ، فيقال له : تلك أمة أحمد ، وهو حديث مشهور ، فكان لإشفاقه عليهم واعتناؤه بأمرهم كما يعتنى بالقوم من هو منهم ، لقوله : اللهم اجعلني منهم ، والله أعلم .

عصمة الله ﷺ : وما جاء في حديث الإمراء بما لم يذكره ابن اسحاق في مسند الحارث ابن أبي أسامة أنه - عليه السلام - ناداه مناد ، وهو على ظهر البراق : يا محمد ، فلم يعرج عليه ، ثم ناداه آخر : يا محمد يا محمد ثلاثاً ، فلم يعرج عليه ، ثم لقيه امرأة عليها من كل زينة ناشرة يديها ، تقول : يا محمد يا محمد ، حتى تغشته ، فلم يعرج عليها ، ثم سأل جبريل عما رأى ، فأخبره ، فقال : أما المنادي الأول فداعى اليهود لو آجبتهم لتهودت أمتك ، وأما الآخر فداعى النصراني ، ولو آجبتهم لتنصرت أمتك ، وأما المرأة التي كان عليها من كل زينة ، فانها الدنيا لو آجبتهم لآثرت الدنيا على الآخرة .

المستهنئون وكفاية الله أمرهم

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أمر الله تعالى صابرا محتسبا ، مؤديا إلى قومه النصيحة على ما يليق منهم من التكذيب والأذى والاستهزاء وكان عظماء المستهنئين - كما حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير خمسة نفر من قومهم وكانوا ذوى أسنان وشرف في قومهم .

من بنى أسد بن عبد العزى بن كلاب : الأسود بن المطلب بن أسد أبوزمعة ، وكان رسوالله - فيما بلغني - قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به ، فقال : اللهم أعم بصره وأثكله ولده .

ومن بنى زهرة بن كلاب : الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة .

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : الوليد بن المغيرة عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : العاص بن وائل بن هشام . قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سهم .

ومن بنى خزاعة : الحارث بن الطلائع بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو بن لؤى بن ملكان .

فلما تهادوا في الشر ، وأكثروا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - الاستهزاء ، أنزل الله تعالى عليه : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » . إنا كفيناك المستهزين الذين يجعلون مع الله لها آخر فسوف يعلمون .

قال ابن إسحاق لحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، أو غيره من العلماء أن جبريل أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يطوفون بالبيت ، فقام ، وقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى جنبه فربه الأسود ابن المطلب ، فرمى في وجهه بورقة خضراء فعصم ؛ ومربه الأسود بن عبد يغوث ، فأشار إلى بطنه ، فاستسقى فمات منه حبنا . ومربه الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله ، كان أصابه قبل ذلك بسنين ، وهو يحرق سبله ، وذلك أنه مر برجل من خزاعة وهو يرش نبلا له ، فتملق سهم من نبله بإزاره ، فغدش في رجله ذلك الحنشد ، وليس بشيء ، فانتفض به ، فقتله . ومربه العاص بن وائل ، فأشار إلى أخمص رجله ؛ وخرج على حمار له يريد الطائف ، فربض به على شبارقة ، فدخلت في أخمص رجله شوكة ، فقتلته ومربه الحارث بن الطلائع فأشار إلى رأسه ، فامتخص قيحا فقتله .

وصاة الوليد لأولاده : قال ابن إسحاق : فلما حضرت الوليد الوفاة دعا بنيه ، وكانوا ثلاثة : هشام بن الوليد والوليد بن الوليد ، وخالد بن الوليد ، فقال لهم : أي بني ، أوصيكم بثلاث ، فلا تضيعوا فيهن : دمي في خزاعة فلا تطلنّه ، والله إنى لأعلم أنهم منه برآء ولكنى أخشى أن تسبوا به بعد اليوم ، ورباى في ثقيف ، فلا تدعوه حتى تأخذوه ، وعقرى عند أبى أزيهر ، فلا يفوتنكم به . وكان أبو أزيهر قد زوجه بنتا ، ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات .

فلما هلك الوليد بن المغيرة ، وثب بنو مخزوم على خزاعة يطلبون منهم عقل الوليد ، وقالوا : إنما قتله سهم

صاحبكم - وكان لبني كعب حلف من بني عبد المطلب بن هاشم - فأبت عليهم خراعة ذلك ، حتى تقاولوا أشعاراً ، وغلظ بينهم الأمر - وكان الذي أصاب الوليد سهمه رجلاً من بني كعب بن عمرو من خراعة - فقال عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم :

لاني زعيم أن تسيروا ، فتهربوا وأن تتركوا الظهران تعوى ثعالبه
وأن تتركوا ماء بجزعة أطرقا وأن تسألوا : أى الأراك أطايبه
فإننا أناس لا نعطل دماؤنا ولا يتعالى صاعداً من نحاربه

وكانت الظهران والأراك منازل بني كعب ، من خراعة . فأجابه الجون بن أبي الجون : أخو بني كعب بن عمرو الخزاعي ، فقال :

والله لا نؤتى الوليد ظلامة ويصرع منكم مسمن بعد مسمن
ولما قروا يوماً نزول كواكبه وتفتح بعد الموت قسراً مشاربه
إذا ما أكلتم خبزكم وخزيركم فكلكم باكي الوليد وناديه
ثم إن الناس ترادوا وعرفوا أنما يخشى القوم السبة ، فأعطتهم خراعة بعض العقل ، وانصرفوا عن بعض .
فلما اصطالح القوم قال الجون بن أبي الجون :

وقائلة لما اصطالحنا تعجبا لما قد حملنا للوليد وقائل
ألم تقسموا تؤتوا الوليد ظلامة ولما تروا يوماً كثير البلبال
فنحن خلطنا الحرب بالسلم فاستوت فأم هواه آمنا كل راحل

ثم لم ينته الجون بن أبي الجون حتى افتخر بقتل الوليد ، وذكر أنهم أصابوه ، وكان ذلك باطلا . فلحق بالوليد وبولده وقومه من ذلك ما حذرته ، فقال الجون بن أبي الجون :

ألا زعم المغيرة أن كعباً بمكة منهم قدر كثير
فلا تفخر مغيرة أن تراها بها يمشى المعلمج والمهير
بها آباؤنا ، وبها ولدنا كما أرمى بمشيتته ثبير
وما قال المغيرة ذاك إلا ليعلم شأننا أو يستشير
فإن دم الوليد يطل لنا نطل دماء أنت بها خير
كساه الفاتك المميمون سها زعافا وهو يمتلىء بهير
فخر ببطن مكة مسلحاً كأنه عند وجبته بهير
سيكفني مطال أبي هشام صغار جمعدة الأوبار خور

قال ابن هشام : تركنا منها بيتاً واحداً أقذع فيه .

ثورة بني عبد مناف لمقتل أبي أزيهر : قال ابن إسحاق : ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر ، وهو بسوق

ذی المجاز ، وكانت عند أبي سفيان بن حرب بنت أزيهر وكان أبو أزيهر رجلاً شريفاً في قومه - فقتله بعقر الوليد الذي كان عنده ، لوصية أبيه إياه ، وذلك بعد أن هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ومضى بدر وأصيب به من أصيب من أشرف قريش من المشركين ، فخرج يزيد بن أبي سفيان ، فجمع بني عبد مناف ، وأبو سفيان بذی المجاز ، فقال الناس أخفر أبو سفيان في صهره فهو ثائر به ، فلما سمع أبو سفيان بالذي صنع ابنه يزيد - وكان أبو سفيان رجلاً حليماً منكرأ ، يحب قومه حباً شديداً - انحط سريعا إلى مكة ، وخشى أن يكون بين قريش حدث في أبي أزيهر ، فأقن ابنه وهو في الحديديد ، في قومه من بني عبد مناف والمطيين ، فأخذ الرمح من يده ، ثم ضرب به على رأسه ضربة هده منها ، ثم قال له ، قبحك الله ! أتريد أن تضرب قريشا بعضهم ببعض في رجل من دوس . سنؤتيهم العقل إن قبلوه ، وأطفاً ذلك الأمر .

فانبعث حسان بن ثابت يحرض في دم أبي أزيهر ، ويعير أبا سفيان خفرته ويجهنه ، فقال :

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| غدا أهل ضوحي ذی المجاز كليهما | وجار ابن حرب بالمنعس ما يغدو |
| ولم يمنع العير الضروط ذماره | وما منعت مخزاة والدها هند |
| كسك هشام بن الوليد ثيابه | فأبل وأخلف مثلها جدداً بعد |
| قضى وطراً منه فأصبح ماجداً | وأصبحت رخواً ماتخب وما تعدو |
| فلو أن أشياخا يبدر تشاهدوا | لبل نعال القوم معتبط ورد |

فلما بلغ أبا سفيان قول حسان قال : يريد حسان أن يضرب بعضنا ببعض في رجل من دوس ! بش والله ما ظن !

تحريم الربا : ولما أسلم أهل الطائف كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في ربا الوليد ، الذي كان في ثقيف ، لما كان أبوه أوصاه به .

قال ابن إسحاق : فذكر لي بعض أهل العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم ما بقي من الربا بأيدي الناس نزلن في ذلك من طلب خالد الربا : « يأياها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين » ، إلى آخر القصة فيها .

دوس تحاول الشار لأبي أزيهر : ولم يكن في أبي أزيهر ثار نعله ، حتى حجز الإسلام بين الناس ، إلا أن ضرار ابن الخطاب بن مرداس الفهري خرج في نفر من قريش إلى أرض دوس ، فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان ، مولاة لدوس ، وكانت تمشط النساء ، وتجهز العرائس ، فأرادت دوس قتلهم بأبي أزيهر ، فقامت دونهم أم غيلان ونسوة معها ، حتى منعتهم ، فقال ضرار بن الخطاب في ذلك :

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| جزى الله عنا أم غيلان صالحا | ونسوتها إذ هن شعث عواطل |
| فهن دفعن الموت بعد اقترابه | وقد برزت للثائرين المقاتل |
| دعت دعوة دوسا فسالت شعابها | بعز وأدتها الشراج القوابل |
| وعمرأ جزاء الله خيرا فما وني | وما بردت منه لدى المفاصل |
| فجردت سيفي ثم قتت بنصله | وعن أي نفس بعد نفسي أغانل |

أم غيلان وأم جميل : قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة : أن التي قامت دون ضرار أم جميل ، ويقال : أم غيلان ، قال : ويجوز أن تكون أم غيلان قامت مع أم جميل فيمن قام دونه .

فلما قام عمر بن الخطاب أته أم جميل ، وهي ترى أنه أخوه : فلما انتسبت له عرف القصة ، فقال : لاني لست بأخيه إلا في الإسلام ، وهو غاز ، وقد عرفت منك عليه ، فأعطاها على أنها ابنة سبيل .

قال الراوى : قال ابن هشام : وكان ضرار لحق عمر بن الخطاب يوم أحد ، فجعل يضربه بعرض الرمح ، ويقول : انج يا بن الخطاب لا أقتلك ، فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه .

من كان يؤذى رسول الله (ص) قال بن إسحاق : وكان النفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته أبا لهب ، والحكم بن العاص بن أمية ، وعقبة بن أبي معيط ، وعدى بن حراء الثقفي ، وابن الأصداء الهذلي ، وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحدا إلا الحكم بن أبي العاص ، فكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رحم الشاة وهو يصلي ، وكان أحدهم يطرحها في برمه إذا نصبت له . حتى اتخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حجرأ يستتر به منهم إذا صلى . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طر حوا عليه ذلك الأذى ، كما حدثني عمر ابن عبد الله بن عروة ابن الزبير ، يخرج به رسول الله صلى الله عليه وسلم على العود ، فيقف به على بابه ، ثم يقول : يا بني عبد مناف ، أى جوار هذا اثم يلقى في الطريق .

وفاة أبى طالب وخديجة وما عاناه الرسول بعدهما

قال ابن إسحاق : ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد ، فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الإسلام ، يشكو إليها ، وبهلك عمه أبى طالب ، وكان له عضداً وحرزاً في أمره ، ومنعة وناصرأ على قومه ، وذلك قبل مهاجرة الى المدينة بثلاث سنين . فلما هلك أبو طالب ، نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبى طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه تراباً .

قال ابن إسحاق : فحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، قال : لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك التراب دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته ، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : لا تبكى يا بنية ، فإن الله مانع أباك . قال : ويقول بين ذلك : ما نالت منى قريش شيئاً أكرهه ، حتى مات أبو طالب .

المشركون يطلبون عهداً بينهم وبين الرسول قبل وفاة أبى طالب : قال ابن إسحاق : ولما اشتكى أبو طالب ، وبلغ قريش ثقله ، قالت قريش بعضها لبعض : إن حمزة وعمر ، قد أسلما وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبى طالب ، فليأخذ لنا على ابن أخيه ، وليعطه منا ، والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا .

قال ابن إسحاق : فحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله ، عن ابن عباس ، قال : مشوا إلى أبى طالب فكلموه ، وهم أشراف قومه : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأممية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، في رجال من أشrafهم ، فقالوا : يا أبا طالب ، إنك منا حيث قد علمت . وقد حضرك ما نرى ، وتخوفنا عليك ، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك ، فادعه ، فخذ لنا منه ، ليكف عنا ، ونكف عنه ،

وليدعنا وديننا ، فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه فقال : يا بن أخى : هؤلاء أشراف قومك ، قد اجتمعوا لك ، ليعطوك ، وليأخذوا منك . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم . قال : فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعشر كلمات ، قال : تقولون : لا إله إلا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه . قال : فصفقوا بأيديهم ، ثم قالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة لها واحدا ، إن أمرك لعجب : ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيك شيئا مما تريدون فانطلقوا ، وامضوا على دين آبائكم ، حتى يحكم الله بينكم وبينه . قال : ثم تفرقوا .

رجاء الرسول في إسلام أبي طالب : فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : والله يا ابن أخى ، ما رأيك سألتهم شططاً ، فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في إسلامه ، فجعل يقول له : أى عم فأنت فقلها ، أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة . قال : فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يا بن أخى ، والله لولا مخافة السبة عليك ، وعلى بنى أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش إنى قتلها جزعا من الموت لقلتها ، لأقولها إلا لاسرك بها . قال : فلما تقارب من أبي طالب الموت ، قال : نظر العباس إليه يحرك شفثيه ، قال : فأصغى إليه بأذنه ، قال فقال يا بن أخى ، والله لقد قال أخى ، الكلمة التى أمرته أن يقولها ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أسمع .

ما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب : قال : وأنزل الله تعالى فى الرهط الذين كانوا اجتمعوا إليه ، وقال لهم ما قال ، وردوا عليه ماردوا : دس . والقرآن ذى الذكر ، بل الذين كفروا فى عزة وشقاق . . . إلى قوله تعالى : « أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب . » وانطلق الملائكة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم . إن هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ، يعنون النصارى ، لقولهم : « إن الله ثالث ثلاثة ، وإن هذا إلا اختلاق » ، ثم هلك أبو طالب .

شرح حديث المستهزين

فصل : وذكر حديث المستهزين الذين أنزل الله فيهم : « إنا كفيناك المستهزين ذكر فيهم الحارث بن الطلائة ، والطلاطة : أمه ، قاله أبو الوليد اللقش ، والطلاطة فى اللغة : الداهية ، قال أبو عبيد : كل داء عضال فهو : طلائة وذكر فى نسبه عبد عمرو بن ملكان بالضبطين جميعا ، وفى حاشية كتاب الشيخ الحافظ أبى بحر ، قال : قد تقدم من قول ابن حبيب النحوى أن الناس ليس فيهم ملكان بفتح الميم واللام إلا ملكان بن جرم بن زبان بن حلون بن عمران بن الحاف بن قضاة ، وملكان بن عباد بن عياض بن عقبة بن السكون بن أشرس ، وإخوة عدى هم : تجيب عرفوا بأهمهم تجيب بنت دهم بن ثوبان ، وهم من كندة وكل من فى الناس وغيرهما ملكان مكسور الميم ساكن اللام ، وقال مشايخ خزاعة : فى خزاعة ملكان بفتح الميم ، قال القاضى : يعنى ابن حبيب : ملكان بن أفصى بن حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وقال غير ابن حبيب كالذى يخرج من عبارته : « إن الذى فى خزاعة إنما هو ملكان ابن أفصى مثل ملكان بن عدى بن عبدمناة من الرباب الذين منهم ذو الرمة الشاعر ، ومثل ملكان بن عبدمناة من الرباب أيضاً رهط سفيان بن سعيد الثورى . » وذكر فى المستهزين الأسود بن عبد يغوث الزهرى روى أنه لما أنزل الله تعالى « إنا كفيناك المستهزين » ، نزل جبريل عليه السلام فحنا ظهر الأسود ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خالى خالى ، فقال له جبريل : خل عنك ، ثم حناه حتى قتله ، ذكره الدارقطنى .

حديث الوليد بن المغيرة فصل : وذكر وفاة الوليد بن المغيرة ، وقوله لبنيه : وعقرى عند أبي أزيهر الدومى لاندعوه . العقر : دية الفرج المغصوب ، وأصله فى البكر من أجل التدمية ، ومنة عقر السرج الفرس : إذا أدماه ، وبيضة العقر منه ؛ لأنهم كانوا يقيسون البكر بالبيضة ليعرفوا بكورتها ، وقيل : عقر بضم العين ، لأنه بمعنى بضع .

مقتل أبي أزيهر وهو قف دوس : وذكر قتل هشام بن الوليد لأبي أزيهر وخبر أم غيلان مع ضرار حين أجارته ، ومن تمام الخبر : أن دوسا لما بلغها مقتل أبي أزيهر الدومى ، وثبت على رجال من قريش كانوا عندهم ، فقتلوا منهم بحير بن العوام أخا أزيهر وأرادوا قتل ضرار بن الخطاب ، فأجارته أم غيلان وابنها عوف ، قال ضرار : لقد أدخلتني بين درعها وبدنها ، حتى لاني لأجد تسبيد ركبتها ، والتسبيد : موضع الخاق من الشعر ، وكان الذى قتل بحيرا صبيح بن سعد أو مليح بن سعد جد أبي هريرة لأمه ، لأن أمه أميمة بنت مليح أو صبيح .

تفسير ألفاظ وقعت فى شعر عبد الله بن أبي أمية : فصل : وذكر شعر عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة وفيه :

وأن تتركوا ماء بجزعة أطرقا

والجزعة والجزع بمعنى واحد ، وهو معظم الوادى ، وقال ابن الأعرابى : هو ما انثنى منه ، وأطرقا اسم علم لموضع سمى بفعل الأمر للثنين ، فهو يحكى ليعرب ، وقيل : إن أصل تسميته بذلك أن ثلاثة نفر مروا بها خائفين ، فسمع أحدهم صوتا ، فقال لصاحبيه : أطرقا ، أى : أنصتا ، حتى نرى ما هذا الصوت ، فسمى المكان بأطرقا ، والله أعلم . وذكر شعر الجون بن أبي الجون ، وفيه :

ألم تقسموا تؤتوا الوليد ظلامة

أراد : أن تؤتوا ، ومعنا : ان لا تؤتوا كما جاء فى التنزيل : « يبين الله لكم أن تضلوا » فى قول طائفة ، ومعناه عندى : كره لكم أن تضلوا ، وقد قدمنا فى الجزء قبل هذا كلام على أن ، ومقتضاها وشيئا من أسرارها فيه غنية ، وإذا كان الكلام محمولا على معناها فالنصب جائز ، والرفع جائز أيضا ، كما أنشدوا :

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى

بنصب : أحضر ورفع ، وأنشد سيبويه :

ونهنهت نفسى بعدما كمدت أفعله

يريد : أن أفعله ، وإذا رفعت فى هذا الموضع لم يذهب الرفع معنى أن فقد حكى سيبويه : مره يحفرها ، وقدره تقديرين ، أحدهما : أن يريد الحال أى : مره حافرا لها ، والثانى : أن يريد : مره أن يحفرها ، وارتفع الفعل لما ذهب أن من اللفظ ، وبين ابن جنى الفرق بين التقديرين ، وقال : إذا نويت أن فالفعل مستقبل ، وإذا لم تنوها فالفعل حاضر ، وههنا مسألة من العرب ذكرها الطبرى ، قال : العرب تقول لمن توجه فى أمر : تصنع ماذا وتفعل ماذا ؟ على تقدير : تريد أن تصنع ماذا ، فإذا قالوا : تريد ماذا لم يكن إلا رفعا ، لأن المعنى الذى يطلب معنى أن الناصبة ليس فى قوله : تريد ، إذ لا يستقيم أن تقول : تريد أن تريد ماذا ، يعنى : أن الإرادة لا تراد .

شرح شعر الجون : وذكر شعر الجون أيضا ، وفيه :

بها يمشى المعلم والمير

المير : ابن المهورة الحرة ، والمعلمج : المتردد في الإمام كأنه منحوت من أصلين : من العلمج لأن الأمة : علجة ، ومن اللجج ، كان وأطىء الأمة قد ليج بها ، فندحت لفظ المعلمج من هذين اللفظين .

وفيه :

كما أرمى بمثبته ثبير

كذاهجت الرواية في أرمى بالتخفيف وهو زحاف داخل على زحاف ، لأن تسكين اللام من مفاعلتين في الوافر زحاف ، ولكنه حسن كثير ، فلما كثر شبهه هذا الشاعر بمفاعيل ، لأنه على وزنه ، ومفاعيلين يحسن حذف الياء منها في الطويل ، فيصير فعولان متاعلان فلذلك أدخل هذا الشاعر الزحاف على مفاعلتين لأنه بعد السكون في وزن مفاعيلين التي تحذف ياؤها حذفاً مستحسنًا ، فتدبره ، فإنه مليح في علم العروض .

شرح شعر حسان : فصل : وأنشد لحسان بن ثابت :

غدا أهل ضوحي ذى المجاز بسحرة

ضوح الوادي : جانبه ، وذو المجاز : سوق عند عرفة كانت العرب إذا حجّت أقامت بسوق عكاظ شهر شوال ، ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوما من ذي القعدة ، ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج ، وكانوا يتفاخرون في سوق عكاظ شهر شوال إذا اجتمعوا ، ويقال : عكظ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه بالمفاخر ، فسميت عكاظ لذلك .

وذكر :

لبل نعال القوم معشبط ورد

يعنى : الدم العبيط [الطرى]

ما أنزل الله في الربا : فصل : وذكر ما أنزل الله في الربا الآيات من سورة البقرة ، وقد قدمنا في حديث بنيان الكعبة من قولهم : لا تنفقوا فيها ربا ولا مهر بغي ، وأن في ذلك دليلا على قدم تحريره عليهم في شرع إبراهيم عليه السلام ، أوفى غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك أنه من أقبح الاعمال لما فيه من هدم جانب المروءة ، وإثارة الحرص مع بعد الأمل ، ونسيان بفترة الأجل ، وترك التوسعة وحسن المعاملة ، ومن تأمل أبواب الربا لاح له شر التحريم من جهة الجشع المانع من حسن المعاشرة والذريعة إلى ترك القرض ، وما فيه ، وفي التوسعة من مكارم الأخلاق ، ولذلك قال سبحانه . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، غضبا منه على أهله ، ولهذا النكتة قالت عائشة لام حبة مولاة زيد بن أرقم : أبلغني زيدا تعني زيد بن أرقم أن قد أبطل جهاده مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين ذكرت لها عنه مسألة من البيوع تشبه الربا ، (م ٢٢ - الروض الأنف ، والسيرة . ج ٢)

فقلت : أبطل جهاده ، ولم تقل صلاته ولا صيامه ، لأن السيئات لا تحبط الحسنات ولكن خصت الجهاد بالإبطال ، لأنه حرب لأعداء الله وآكل الربا قد أذن بحرب من الله ، فهو ضده ، ولا يجتمع الضدان . وهذا معنى ذكره أبو الحسن بن بطلال في شرح الجامع ، وتلك المسألة المذكورة في المدونة ، لكن إسنادها إلى عائشة ضعيف .

وفاة أبي طالب ووصيته

ذكر ابن إسحاق وفاة أبي طالب إلى آخر القصة ، وفيها قال العباس : والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته بها فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : لم أسمع .

قال المؤلف : شهادة العباس لأبي طالب لو أداها بعد ما أسلم ؛ لكانت مقبولة ، ولم يرد بقوله لم أسمع ، لأن الشاهد العدل إذا قال : سمعت وقال من هو أعدل منه : لم أسمع أخذ بقول من أثبت السماع لأن عدم السماع يحتمل أسبابا بمنعت الشاهد من السمع ، ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يسلم مع أن الصحيح من الآثار ، قد أثبت لأبي طالب الوفاة على الكفر والشرك وأثبت نزول هذه الآية فيه : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ، وثبت في الصحيح أيضا أن العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ، ويغضب لك ، فهل ينفعه ذلك ؟ قال : « نعم وجدته في غمرات من النار ، فأخرجته إلى ضحضاح ، وفي الصحيح أيضا من طريق أبي سعيد ، أنه - عليه السلام - قال : « لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلى منه دماغه » ، وفي رواية أخرى : كما يغلى الرجل بالقمقم ، وهى مشككة ، وقال بعض أهل العلم : القممقم : هو البسر الأخضر يطبخ في الرجل استعجالا لنضجه ، يفعل ذلك أهل الحاجة ؛ وفي رواية يونس عن ابن إسحاق زيادة وهى أنه قال : يغلى منها دماغه حتى يسيل على قدميه ؛ ومن باب النظر في حكمة الله ، ومشكلة الجزاء للعمل أن أبا طالب كان مع رسول الله بجملة متحزبا له إلا أنه مثبت لقدميه على ملة عبد المطلب ، حتى قال عند الموت : أنا على ملة عبد المطلب فسلط العذاب على قدميه خاصة لتبنيته إياهما على ملة آبائه ، ثبتنا الله على الصراط المستقيم .

وذكر قول الله تعالى : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » ، وقد استغفر عليه السلام يوم أحد فقال اللهم اغفر لقومى ، فإنهم لا يعلمون ، وذلك حين جرح المشركون وجهه وقتلوا عمه . وكثيرا من أصحابه ، ولا يصح أن تكون الآية نزلت في عمه ناسخة لاستغفاره يوم أحد ، لأن وفاة عمه كانت قبل ذلك بمكة ، ولا ينسخ المتقدم المتأخر ، وقد أجيب عن هذا السؤال بأجوبة : أن قيل : استغفاره لقومه مشروط بتوبتهم من الشرك ، كأنه أراد الدعاء لهم بالتوبة حتى يغفر لهم ويقوى هذا القول رواية من روى : اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون وقد ذكرها ابن إسحاق ، رواها عنه بعض رواة الكتاب بهذا اللفظ ، وقيل مغفرة تصرف عنهم عقوبة الدنيا من المسخ والخسف ، ونحو ذلك ، ووجه ثالث ، وهو أن تكون الآية تأخر نزولها فنزلت بالمدينة ناسخة للاستغفار المشركين ، فيكون سبب نزولها متقدما ، ونزولها متأخرا ، لاسيما وهى في سورة براءة وبراءة ، من آخر ما نزل ، فتكون على هذا ناسخة للاستغفارين جميعا ، وفي الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل على أبي طالب عند موته ، وعنده أبو جهل ، وعبد الله بن أبي أمية ، فقال : يا عم قل : لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله ، فقال له أبو جهل وابن أبي أمية : أترغب عن ملة عبد المطلب ، فقال : أنا على ملة عبد المطلب ، وظاهر الحديث يقتضى أن عبد المطلب مات على الشرك ، ووجدت في بعض كتب المسعودى

اختلافا في عبد المطلب ، وأنه قد قال فيه : مات مسلما لما رأى من الدلائل على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -
وعلم أنه لا يبعث إلا بالتوحيد ، فآله أعلم ، غير أن في مسند البزار ، وفي كتاب النسوي من حديث عبد الله بن عمر
أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لفاطمة ، وقد عزت قوما من الانصار عن ميتهم : لعلك بلغت معهم
السكدي ، ويروى السكري بالراء ، يعني : القبور فقالت : لا ، فقال : لو كنت معهم السكدي أو كما قال ، مارأيت
الجنة ، حتى يراها جد أبيك ، وقد أخرجه أبو داود ، ولم يذكر فيه حتى يدخلها جد أبيك ، كذلك لم يذكر
فيه : ما دخلت الجنة ، وفي قوله : جد أبيك ، ولم يقل : جدك يعني : أباه توطئة للحديث الضعيف الذي قدمنا
ذكره أن الله أحيا أمه وأباه ، وآمنا به ، فآله أعلم ، ويحتمل أن يكون أراد تخويفها بقوله ، حتى يدخلها جد أبيك
فتتوهم أنه الجد الكافر ، ومن جدوده عليه السلام : إسماعيل وإبراهيم ، لأن قوله عليه السلام حق ، وبلوغها
معهم السكدي لا يوجب خلودا في النار فهذا من لطيف السكناية فافهمه ، وحكى عن هشام بن السائب أو ابنه أنه
قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش ، فأوصاهم ، فقال : يامعشر قريش ، أنتم صفوة الله من خلقه ،
وقلب العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدم الشجاع ، والواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر
نصييا إلا أحرزتموه ، ولا شرفا إلا أدركتموه ، فليكن بذكلكم على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة ،
والناس لكم حزب ، وعلى حربكم ألب ، ولاني أوصيكم بتعظيم هذه البنية [الكعبة] ، فإن فيها مرضاة للرب ،
وقواما للعاش ، وثباتا للوطاة ، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها ، فإن في صلة الرحم منساة في الأجل ، وسعة في العدد ،
واتركوا البغى والعقوق ، ففيهما هلكة القرون قبلكم ، أجيوا الداعي ، وأعطوا السائل ، فإن فيهما شرف
الحياة والممات ، عليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، فإن فيهما محبة في الخاص ، ومكرمة في العام ، ولاني
أوصيكم بمحمد خيرا ، فإنه الأمين في قريش ، والصديق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جاء
بأمر قبله الجنان ، وأتذكره اللسان مخافة الشتان ، وإيم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب ، وأهل البر في
الأطراف والمستضعفين من الناس ، قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته وعظموا أمره ، نخاض بهم غمرات
الموت ، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناها ودورها خرابا ، وضعفاؤها أربابا ، وإذا أعظمهم عليه ،
أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه : أحظاهم عنده ، قد محضته العرب ودادها ، وأصفت له فؤادها ، وأعطته قيادها ،
دونكم يامعشر قريش ابن أبيكم ، كونوا له ولالة لحزبه حماة ، والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا لرشد ، ولا
يأخذ أحد بهديه إلا لسعد ، ولو كان لنفسي مدة ، ولأجلى تأخير ، لكففت عنه الهرايز ، ولدافعت عنه
الدواهي ، ثم هلك .

تفسير المشي في سورة ص : فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى في قولهم : « أن امشوا ، واصبروا على آهنتكم ،
وذكر بعض أهل التفسير أن قولهم : امشوا من المشاء ، لامن المشى والمشاء : نماء المال وزيادته ، يقال مشى
الرجل ؛ وأمشى : إذا نما ماله قال الشاعر :

وكل فتى وإن أمشى وأثرى ستخلفه عن الدنيا منون

وقال الراجز :

والشاة لا تمشي على المملع

الرسول يسعى إلى الطائف وموقف ثقيف منه

قال ابن إسحاق : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله - صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل فخرج إليهم وحده .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، وعمد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم ، وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح ، فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم إلى الله ، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ؛ وقال الآخر : أما وجد الله أحدا يرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلمك أبدا . إن كنت رسولا من الله كما تقول ، لانت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، وإن كنت تكذب على الله ، ما ينبغي لي أن أكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يؤس من خير ثقيف ، وقد قال لهم - فيما ذكر لي - : إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني ، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه ، فيذئروهم ذلك عليه . قال ابن هشام قال عبيد بن الأبرص :

ولقد أتاني عن تميم أنهم ذرروا لقتلي عامر وتمصبوا

فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجؤوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء سقيف من كان يتبعه ، فعمد إلى ظل حبلته من عنب ، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان مالتى من سفهاء أهل الطائف ، وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لي - المرأة التي من بني جمح ، فقال لها : ماذا لقينا من أحمائك ؟

فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فيما ، ذكر لي : اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟

أى : لا تكثر ، والهملع : الذئب ، وقاله الخطابي في معنى الآية ، كأنهم أرادوا أن المشاء والبركة في صبرهم على آلهتهم ، وحملها على المشى أظهر في اللغة ، والله أعلم .

تتابع المصائب بموت خديجة وأبي طالب : وذكر تتابع المصائب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بموت خديجة ثم بموت عمه ، وذكر الزبير في حديث أسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة ، وهي في الموت ، فقال : تسكرهين ما أرى منك يا خديجة ، وقد يجعل الله في الكره خيرا أشعرت أن الله قد أعلن أنه سيزوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران ، وكلثوم أخت موسى ، وآسية امرأة فرعون فقالت . آله أعلم بهذا يا رسول الله ؟ فقال : نعم ، فقالت : بالرفاء والبنين ، وذكر أيضا في الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أطعم خديجة من عنب الجنة ؟ .

أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، اعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلى عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتيبي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

قال : فلما رآه ابنا ربيعة ، عتبة وشيبة ، ومالتي ، تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا ، يقال له عداس فقالا له : خذ قطعا من العنب ، فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذاك الرجل ، فقل له يأكل منه . ففعل عداس ؛ ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال له كل ، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده ، قال : باسم الله ، ثم أكل فنظر عداس في وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس ، وما دينك ؟ قال : نصراني وأنا رجل من أهل نينوى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخي ، كان نبيا وأنا نبي ، فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه .

قال : يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس ، قالاه : ويلك يا عداس ! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال ياسيدي ما في الأرض شيء خير من هذا ، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي ، قالاه : ويحك يا عداس ، لا يصرفك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه .

وفد جن نصيبين : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا إلى مكة ، حين يئس من خير ثقيف ، حتى إذا كان بنحلة فام من جوف الليل يصلي ، فسر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهم - فيما ذكر لي - سبعة من جن أهل نصيبين فاستمعوا له ، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا . فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الله عز وجل : وإذا صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، إلى قوله تعالى : ويجركم من عذاب أليم ، وقال تبارك وتعالى : قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن ، إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة ،

رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل : قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلا مستضعفين ، ممن آمن به . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواضع ، إذا كانت ، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به .

قال ابن إسحاق : فحدثني من أصحابنا ، من لا أتهم ، عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عباد الديلي أو من حدثه أبو الزناد عنه - قال ابن هشام : ربيعة بن عباد .

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، قال : سمعت ربيعة بن عباد ، يحدثه أبي ، قال : إني لغلام شاب مع أبي بنمي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يا بني فلان ، إني رسول الله اليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي ، وتصدقوا بي ، حتى أبين عن الله ما بعثني به . قال : وخلفه رجل

أحول وضئ ، له غدیرتان علیه حلة عدنية ، فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ، وما دعا إليه قال ذلك الرجل : يا بني فلان ، إن هذا إنما يدعوكم أن تسلكوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ، ولا تسمعوا منه .

قال : فقلت لأبي : يا أبت ، من هذا الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب ، أبولهب :
قال ابن هشام : قال النابغة :

كأنك من جمال بنى أقيش يقع خلف رجله يشن

قال ابن إسحاق : حدثنا ابن شهاب الزهري : أنه أتى كندة فى منازلهم ، وفيهم سيد لهم يقال له : مليح ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم نفسه ، فأبوا عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين : أنه أتى كلبا فى منازلهم ، إلى بطن منهم يقال لهم : بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، حتى إنه ليقول لهم : يا بني عبد الله ، إن الله عز وجل قد أحسن اسم أبيكم ، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى حنيفة فى منازلهم ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه ردا منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري أنه أتى بنى عامر بن صعصعة ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم نفسه ، فقال له رجل منهم - يقال له : بيجرة بن فراس . قال ابن هشام : فراس بن عبد الله بن سلبه بن قشير بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة : والله لو أتى أخذت هذا الفتى من قريش ، لا كنت به العرب ، ثم قال : أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك ، أ يكون لنا الأمر بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء ، قال : فقال له : أنهدف نحورنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه .

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم ، قد كانت أدرسته السن ، حتى لا يقدر أن يوافق معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون فى ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا : جاءنا فتى من قريش ، ثم أحد بنى عبد المطلب ، يزعم أنه نبي ، يدعوننا إلى أن نمنعه ونقوم معه ، ونخرج به إلى بلادنا . قال : فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال : يا بني عامر ، هل لها من تلاف ، هل لذنا باباها من مطلب ، والذى نفس فلان بيده ، ما تقولها إسماعيل قط ، ولإنها لحق ، فأين رأيكم كان عنكم ؟

عرض نفسه فى المواسم . قال ابن إسحاق : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره ، كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويعرض عليهم نفسه ، وما جاء به من الله من الهدى والرحمة ، وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب ، له اسم وشرف ، إلا تصدى له ، فدعاه إلى الله ، وعرض عليه ما عنده .

حديث سويد بن صامت . قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الانصاري ، ثم الظفري عن أشياخ من قومه قالوا :

قدم سويد بن صامت ، أخو بني عمرو بن عوف ، مكة حاجا أو معتمرا ، وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم : الكامل ، لجلده وشعره وشرفه ونسبه ، وهو الذي يقول :

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| ألا رب من تدعو صديقا ولو ترى | مقالته بالغيب ساءك ما يفري |
| مقالته كالشهد ما كان شاهداً | وبالغيب مأثور على ثغرة النحر |
| يسرك باديه وتحت أديمه | نميمة غش تبترى عقب الظهر |
| تبين لك العينان ما هو كاتم | من الغل والبغضاء بالنظر الشرر |
| فرشني بخير طالما قد بريتني | وخير الموالي من يرش ولا يبري |

وهو الذي يقول : ونافر رجلا من بني سليم ، ثم أحد بني زعب بن مالك مائة ناقة ، إلى كاهنة من كهان العرب ، فقضت له فأنصرف عنها هو والسليبي ليس معهما غيرهما ، فلما فرقت بينهما الطريق ، قال : مالي ، يا أخا بني سليم قال : أبعث لي إليك به ، قال : فمن لي بذلك إذا فتني به ؟ قال : أنا ، قال : كلا ، والذي نفس سويد بيده ، لا تفارقني حتى أوتى بمالي ، فاتخذنا فضرب به الأرض ، ثم أوثقه رباطا ثم انطلق به إلى دار بني عمرو بن عوف ، فلم يزل عنده حتى بعثت إليه سليم بالذي له ، فقال في ذلك :

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| لا تحسبني يا بن زعب بن مالك | كن كنت تردى بالغيوب وتختل |
| تحولت قرنا إذ صرعت بعزة | كذلك إن الحازم المتحول |
| ضربت به لبط الشمال فلم يزل | على كل حال خده هو أسفل |

في أشعار كثيرة كان يقولها .

فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام ، فقال له سويد : فلعل الذي معك مثل الذي معي ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم : وما الذي معك ؟ قال بجلة لقمان - يعني حكمة لقمان . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها على فعرضها عليه ، فقال له : إن هذا الكلام حسن ، والذي معي أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله تعالى على ، هو هدى ونور . فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد منه ، وقال : إن هذا لقول حسن . ثم انصرف عنه ، فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتله الخزرج ، فإن كان رجال من قومه ليقولون : إنا لنراه قد قتل وهو مسلم . وكان قتله قبل يوم بعث .

إسلام إياس بن معاذ وقصة أبي الحيسر

قال ابن إسحاق : وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن لبيد ، قال : لما قدم أبو الحيسر ، أنس بن رافع ، مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل ، فيهم إياس بن معاذ ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل

لكم في خير مما جئتم له ؟ فقالوا له : وما ذاك ؟ قال : أنا رسول الله بعثني إلى العباد ، أدعوم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل على الكتاب . قال : ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال : فقال إياس بن معاذ ، وكان غلاماً حدثاً : أي قوم ، هذا والله خير مما جئتم له . قال : فيأخذ أبو الحيسر ، أنس بن رافع ، حفنة من تراب البطحاء ، فضرب بها وجه إياس بن معاذ ، وقال : دعنا منك ، فلعمري لقد جئنا لغير هذا . قال : فصمت إياس ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وانصرفوا إلى المدينة ، وكانت وقعة بعث بين الأوس والخزرج .

قال : ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد : فأخبرني من حضره من قومه عند موته : أنهم لم يزالوا يسمعون نهي ليل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات ، فأ كانوا يشكون أن قد مات مسلماً ، لقد كان استنصر الإسلام في ذلك المجلس ، حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماسع .

اسلام الأنصار

قال ابن إسحاق : فما أراد الله عز وجل إظهار دينه ، وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإنجاز مواعده له ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع في كل موسم . فبينما هو عند العقبة أتى رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : من أنتم ؟ قالوا نفر من الخزرج ، قال : أمن موالى يهود ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون أكلعكم ؟ قالوا : بلى . فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام ، أن يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد عزوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبياً مبعوث الآن ، قد أظلم زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلبوا والله إنه للنبي الذي توعدهم به يهود فلا تسبقنكم إليه . فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم ، فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبتك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعر منك .

ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم ، وقد آمنوا وصدقوا .

اسماء من اتقوا به صلى الله عليه وسلم من الخزرج : قال ابن إسحاق : وهم - فيما ذكر لي : ستة نفر من الخزرج ، منهم من بنى النجار - وهو تيم الله - ثم من بنى مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن عمرو بن عامر : أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن مالك بن النجار ، وهو أبو أمامة ، وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، وهو ابن عفراء .

قال ابن هشام : وعفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار .

قال ابن إسحاق : ومن بني زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج :
رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق .

قال ابن هشام : ويقال عامر بن الأزرق .

قال ابن إسحاق : ومن بني سلة بن سعد بن علي بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج ، ثم من بني سواد
ابن كعب بن سلة : قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد .

قال ابن هشام : عمرو بن سواد ، وليس لسواد ابن يقال له : غنم

قال ابن إسحاق : ومن بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلة : عقبة بن عامر بن زيد بن حرام .

ومن بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلة : جابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سنان
ابن عبيد .

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعواهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ،
فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف

وسند ذكر السبب في تسميتها بالطائف ، وأن الدمون رجل من الصدق من حضرموت نزلها ، فقال لاهلها .
ألا ابن لكم حائطاً يطيف ببلدتكم فبناء ، فسميت : الطائف ، وقيل غير ذلك مما سند كره .

وقوله : فيذكرها عليه ، قد فسر ابن هشام ، وأنشد :

ذروا لقتلي عامر وتعصبوا

وفي الحديث لما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب النساء قال ذئير النساء على أزواجهن ، وفسره
أبو عبيد بالنشوز على الأزواج ، وأنشد البيت الذي أنشده ابن هشام ، ومعنى كلامهما واحد .

وذكر ما لقي من أشرف ثقيف ، وذكر موسى بن عقبة زيادة في الحديث حين أغروا به سفهاءهم ، قال : وكان
يمشي بين سباطين منهم ، فكلما نزلوا قدما ، رجوا عراقيبه بالحجارة ، حتى اختضب نعلاه بالدماء ، وذكر التيمي
كما ذكر ابن عقبة ، وزاد قال : كان إذا أذلقته الحجارة ، قعد إلى الأرض ، فيأخذون بعصديه ، فيقيمونه فإذا
مشى رجوه ، وهم يضحكون حتى انتهى إلى الموضع الذي ذكره ابن إسحاق من حائط عتبة وشيبة .

قال ابن إسحاق : جلس إلى ظل حجلة ، والحيلة السكرمة ، اشتق اسمها من الحبل ، لأنها تحمل بالعنب ، ولذلك فتح
حمل الشجرة والنخلة ، فقبل ؛ حمل بفتح الحاء تشبيها بحمل المرأة ، وقد يقال فيه : حمل بالكسر تشبيها
بالحمل الذي على الظهر ، ومن قال في السكرمة حجلة بسكون الباء ، فليس بالمعروف ، وقد قال أبو الحسن بن كيسان
(م ٢٣ الروضتين الأنف ، والسيرة . ٢٠)

في نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع جبل الحبلية ، لأنه يبيع العنب قبل أن يطيب ، كما جاء في الحديث الآخر من نهيه عن بيع التمر قبل أن يبدو صلاحه وهو قول غريب لم يذهب إليه أحد في تأويل الحديث ، وقد قال عمر بن الخطاب في الأرضين التي افتتحت في زمانه - وقد قيل له : قسمها على الذين افتتحوها - فقال : والله لا دعنها حتى يجاهد بها جبل الحبلية ، يريد : أولادها في البطون . ذكره أبو عبيد في كتاب الأموال ، والقول الذي ذكره أبو الحسن في جبل الحبلية وقع في كتاب الألفاظ ليعقوب وإنما أشكل عليه وعلى غيره دخول الماء في الحبلية ، حتى قالوا فيه أقوالا كلها هباء ، فمنهم من قال : إنما قال الحبلية لأنها بهيمة أو جنيمة ، ومنهم من قال : دخلت للجماعة ، ومنهم من قال : للمبالغة ، وهذا كله ينعكس عليهم بقوله : جبل الحبلية ، فإنه لم تدخل التاء إلا في أحد اللفظين دون الثاني ، وتبطل أيضاً على من قال أراد : معنى البهيمة بحديث عمر المتقدم ، وإنما النكتة في ذلك أن الحبل مادام جبلا لا يدري : أذكر هو أم أنثى ، لم يسم جبلا ، فإذا كانت أنثى ، وبلغت حد الحمل ، فحبلت فذاك الحبل هو الذي نهى عن بيعه ، والاول قد علمت أنوثته بعد الولادة ، فغير عنه بالحبلية ، وصار معنى الكلام أنه نهى عن بيع جبل الجنيمة التي كانت جبلا لا يعرف ماهي ، ثم عرف بعد الوضع ، وكذلك في الآدميين ، فإذا لا يقال لها : حبلية إلا بعد المعرفة بأنها أنثى ، وعند ذكر الحبل الثاني لأن هذه أنثى قبل أن تحبل ، وهي صغيرة : رخلي ، وتسمى أيضاً حائلًا وأشبه ذلك ، وقد زال عنها اسم الحبل فإذا حبلت ، وذكر حبلها وازدوج ذكره مع حاله الاولى التي كانت فيها جبلا فرق بين اللفظين بناء التأنيث ، وخص اللفظ الذي هو عبارة عن الأنثى بالتاء دون اللفظ الذي لا يدري ماهو : أذكر أم أنثى ، وقد كان المعنى قريبا والمأخذ سهلا لا يحتاج إلى هذه الإطالة لولا ما قدمناه من تخليطهم في تأويل هذا الكلام الفصيح البليغ الذي لا يقدر قدره في البلاغة إلا عالم بحرهر الكلام .

وجه الله : وذكر دعاءه - عليه السلام - عند الشدة ، وقوله : اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي إلى آخر الدعاء ، وفيه : أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أشرقت به الظلمات ، وصالح عليه أمر الدنيا والآخرة ، ويسأك من النور هنا ، ومعنى الوجه ، وإشراق الظلمات ؛ أما الوجه إذا جاء ذكره في الكتاب والسنة ، فهو ينقسم في الذكر إلى موطنين : موطن تقرب واستراضاء بعمل ؛ كقوله تعالى : « يريدون وجهه » وكقوله : « إلا إنياء وجه ربه الألهي » فالمطلوب في هذا الموطن : رضاه وقبوله للعمل ؛ وأقبله على العبد العامل ، وأصله أن من رضى عنك ، أقبل عليك ، ومن غضب عليك أعرض عنك ، ولم يرك وجهه ، فأفاد قوله : بوجهك هاهنا معنى الرضى والقبول ، والإقبال ، وليس بصله في الكلام كما قال أبو عبيدة لأن قوله ذلك هراء من القول ، ومعنى الصلة عنده : أنها كلمة لا تنفد إلا تأكيداً للكلام ، وهذا قول من غلط طبعه وبعد بالعجمة عن فهم البلاغة قلبه وكذلك قال هو ومن قلده في قوله تعالى : « ويبقى وجه ربك » أي يبقى ربك ، وكل شيء هالك إلا وجهه ، أي : إياه ، فعلى هذا قد خلا ذكر الوجه من حكمة ، وكيف تخلو كلمة منه من الحكمة ، وهو الكتاب الحكيم .

ولكن هذا هو الموطن الثاني من مواطن ذكر الوجه ، والمعنى به مظهر إلى القلوب والبصائر من أوصاف جلاله ومجده ، والوجه لغة مظهر من الشيء معقولاً كان أو محسوساً ، تقول : هذا وجه المسألة ، ووجه الحديث ، أي : المظهر إلى رأيك منه ، وكذلك الثوب مظهر إلى بصرك منه ، والبصائر لا تحيط بأوصاف جلاله ، وما يظن لها من ذلك أقل مما يغيب عنها ، وهو المظهر والباطن - تعالى وجل - وكذلك في الجنة نظر أهلها إلى وجهه سبحانه إنما هو نظر إلى ما يرون من ظاهر جلاله إليهم عند تجليه ، ورفع الحجاب دونهم ، ومالا يدركون من ذلك أكثر مما أدركوا .

وقوله سبحانه ، كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ، لمساكنات السموات والأرض ، قد أظهرت من قدرته وسلطانه ، ما أظهرت ، أخبر تعالى أن فناها لا يغير ما علم من سلطانه وظهر إلى البصائر من جلالة ، فقد كان ذلك الجلال قبل أن يخلقها ، وهو باق بعد فناها كما كان في القدم ، فهو ذو الجلال والإكرام ، قال الحسن : معناه : تجال بالهاء وأكرم من شاء بالنظر إلى وجهه أما الأشعرى فذهب في معنى الوجه إلى ما ذهب فيه من معنى العين واليد وأنها صفات لله تعالى لم تعلم من جهة العقول ، ولا من جهة الشرع المنقول ، وهذه عجمة أيضاً فإنه نزل بلسان عري مبين ، فقد فهمته العرب لما نزل بلسانها ، وليس في لغتها أن الوجه صفة ولا إشكال على المؤمن منهم ، ولا على الكافر في معنى هذه الآي التي احتج آخر الزمان إلى الكلام فيها مع العجمان ، لأن المؤمن لم يخش على عقيدته مشكاً ولا تشبيهاً ، فلم يستفسر أحد منهم رسول الله عليه السلام ، ولا سأل عن هذه الآية التي هي اليوم مشكلة عند عوام الناس ، ولا الكافر في ذلك الزمان لم يتعلق بها في معرض المناقضة والمجادلة ، كما فعلوا في قوله تعالى : **وإنا نكرم ما تعبدون من دون الله حصب جهنم** ، ولا قال أحد منهم : يزعم محمد أن الله ما يشبهه شيء من خلقه ، ثم يثبت له وجهاً ويدين إلى غير ذلك فدل على أنهم لم يروا في الآية إشكالا ، وتلقوا معانيها على غير التشبيه ، وعرفوا من سمانة الكلام ، وملاحة الاستعارة أنه معجز ، فلم يتعاطوا له معارضة ، ولا توهموا فيه مناقضة ، وقد أملينا في معنى اليدين والعين مسألة بديعة جدا ، فلتنظر هنالك .

وأما النور فعبارة عن الظهور وانكشاف الحقائق الإلهية ، وبه أشرقت الظلمات ، أي أشرقت محالها وهي القلوب التي كانت فيها ظلمات الجهالة والشكوك ، فاستنارت القلوب بنور الله ، وقد قال المفسرون في قوله تعالى : **مثل نوره** ، أي : مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة ، فهو إذاً نور الإيمان والمعرفة ، المجلى لكل ظلمة وشك ، قال كعب : المشكاة مثل لفهمه ، والمصباح مثل للسانه ، والزجاجة : مثل لصدره ، أو لقلبه أي قاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال أعود بنور وجهك ، ولو قال : بنورك لحسن ، ولكن توسل إليه بما أودع قلبه من نوره ، فتوسل إلى نعمته بنعمته وإلى فضله ورحمته ، بنضله ورحمته وقد تكون الظلمات هنا أيضاً الظلمات المحسوسة وإشراقها جلالها على خالقها ، كذلك الأنوار المحسوسة ، السكل دال عليه فهو نور النور ، أي : مظهر من نور الظلمات ، أي : جاعلها نوراً في حكم الدلالة عليه سبحانه وتعالى .

عداس غلام ابنى ربيعة : فصل : وذكر خبر عداس غلام عتبة وشيبة ابني ربيعة حين جاء بالقطف من عندهما إلى آخر القصة ، وفيه قبول هدية المشرك ، وأن لا يتورع عن طعامه ، وسيأتى استقصاء ذلك إن شاء الله تعالى ، وزاد التيمى فيها أن عداساً حين سمعه يذكر يونس بن متى قال : والله لقد خرجت منها يعني : نينوى ، وما فيها عشرة يعرفون : مامتى ، فمن أين عرفت أنت متى ، وأنت أمى ، وفي أمة أمية ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : هو أخى ، كان نبيا ، وأنا نبى ، وذكروا أيضاً أن عداساً لما أراد سيدها الخروج إلى بدر أمراه بالخروج معهم فقال لهما أقتال ذلك الرجل الذى رأيته يحاططكما تريدان ، والله ما تقوم له الجبال ، فقالا له : ويحك يا عداس قد سحرك بلسانه ، وعند مالقى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أهل الطائف ، مالقى ، ودعا بالدعاء المتقدم نزل عليه جبريل ومعه ملك الجبال كما روى البخارى عن عبد الله بن يوسف ، عن بونس ، عن ابن شهاب قال : حدثني عروة أن عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - حدثته أنها قالت للنبي عليه السلام : هل أتى عليك يوم

كان أشد عليك من أحد ؟ فقال : لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجني إلى ما أردت ، فانطلقت على وجهي ، وأنا مهموم ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال ، لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال ، فسلم علي فقال : يا محمد ذلك لك ، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ، ولا يشرك به شيئاً . هكذا قال في الحديث : ابن عبد كلال ، وهو خلاف مانسبه ابن إسحاق .

وفدجن نصيبين : وذكر حديث وفدجن نصيبين ، وما أنزل الله فيهم ، وقد أملينا أول المبعثين من هذا الكتاب طرفاً من أخبارهم ولينا هنالك أسماءهم ، ونصيبين مدينة بالشام أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم روى أنه قال : رفعت إلى نصيبين حتى رأيتها فدعوت الله أن يعذب نهرها . وينضر شجرها ، ويطيب ثمرها أو قال : ويكثر ثمرها ، وتقدم في أسمائهم ما ذكره ابن دريد قال : هم منشي وماشي وناصر وماصر والاحقب ، ولم يزد على تسمية هؤلاء ، وقد ذكرنا تمام أسمائهم فيما تقدم ، وفي الصحيح أن الذي أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم - لالجن ليلة الجن شجرة ، وأنهم سألوه الزاد ، فقال : كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يدا أحدكم . أوفر ما يكون لحماً ، وكل بعير علف لدوابهم . زاد ابن سلام في تفسيره أن البعير يعود خضراً لدوابهم ، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن يستنجى بالعظم والروث ، وقال : إنه زاد لإخوانكم من الجن ، ولفظ الحديث في كتاب مسلم كما قدمناه : د كل عظم ذكر اسم الله عليه ، ولفظه في كتاب أبي داود : د كل عظم لم يذكر اسم الله عليه ، وأكثر الأحاديث تدل على رواية أبي داود ، وقال بعض العلماء رواية مسلم في الجن المؤمنين ، والرواية الأخرى في حق الشياطين منهم ، وهذا قول صحيح تعضده الأحاديث إلا أنا نكره الإطالة ، وفي هذا رد على من زعم أن الجن لا يأكل ولا يشرب ، وتأولوا قوله - عليه السلام إن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله على غير ظاهره وهم ثلاثة أصناف كما جاء في حديث آخر : صنف على صور الحيات ، وصنف على صور الكلاب سود وصنف ريح طيارة أو قال : هفاقة ذوو اجنحة ، وزاد بعض الرواة في الحديث : وصنف يحلون ويظعنون ، وهم السعالى ، ولعل هذا الصنف الطيار هو الذى لا يأكل ولا يشرب إن صح القول المتقدم والله اعلم . وروينا في حديث سمعته يقرأ على الشيخ الحافظ أبى بكر بن العربى بسنده إلى جابر بن عبد الله ، قال : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نمشى إذ جاءت حية ، فقامت إلى جنبه ، وأدنت فاها من أذنه ، وكانت تناجيه ، أو نحو هذا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم فانصرفت ، قال جابر : فسألته ، فاخبرني : أنه رجل من الجن ، وأنه قال له : مر أمتك لا يستنجوا بالروث ، ولا بالرمة ، فإن الله جعل لنا في ذلك رزقاً .

عرض نفسه على القبائل : فصل : وذكر عرضه نفسه - صلى الله عليه وسلم - على القبائل ، ليؤمنوا به ، ولينصروه قبيلة قبيلة ، فذكر بنى حنيفة ، واسم حنيفة : أثال بن لجيم ، ولجيم : تصغير اللجم ، وهى دويبة ، قال قطرب ، وأنشد :

لها ذنب مثل ذيل العرو من إلى سبة مثل جحر اللجم

ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، وسمى حنيفة لحنف كان في رجله ، وقيل : بل حنيفة أمهم ، وهى بنت

كاهل بن أسد عرفوا بها ، وهم أهل الإمامة ، وأصحاب مسيامة الكذاب ، وقد أمأينا في أول الكتاب سبب نزولهم الإمامة وأول من نزلها منهم .

وذكر بيحرة بن فراس العامري ، وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أفهدفت نخورتا للعرب دونك نهدف أي : نجعلها هدفا لسهامهم ؛ والهدف : الغرض .

وذكر قول الشيخ : هل لها من تلاف ، أي : تدارك ، وهو تفاعل من : تلافيتهم ، وهل لذنا باها من مطلب : مثل ضرب لما فاته منها ، وأصله : من ذنابي الطائر : اذا أفلت من الحباله ، فطلبت الاخذ بذناياه ، وقال : ماتقوها لإسماعيلي قط أي : ما ادعى النبوة كاذبا أحد من بني إسماعيل

فصل : وذكر عرضه نفسه على كندة ، وهم بنو ثور بن مرة بن أدد بن زيد بن ميسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ على أحد الأقوال بين النسابين في كندة وسمى كندة لأنه كند أباه ، أي عقه وسمى ابنه مرتعاً لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مرتعاً ، فهم بنو مرتع بن ثور ، وقيل ان ثوراً هو مرتع ، وكندة أبوه .

فصل : وذكر غير ابن اسحاق ما لم يذكر ابن اسحاق بما رأيت املاء بعضه في هذا الكتاب تنمة لفائدته . ذكر قاسم بن ثابت والخطابي عرضه نفسه على بني ذهل بن ثعلبة ، ثم على بني شيبان بن ثعلبة ، فذكر الخطابي وقاسم جميعاً ما كان كلام أبي بكر مع دغفل بن حنظلة الذهلي زاد قاسم تكملة الحديث فرأينا ان نذكر زيادة قاسم ، فإنها مما تليق بهذا الكتاب قال : ثم دفعنا الى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار ، فتقدم ابو بكر ، فسلم قال علي : وكان ابو بكر مقدماً في كل خير ، فقال من القوم فقالوا ، من شيبان بن ثعلبة ، فالتفت ابو بكر الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي انت وأمي ، هؤلاء غرر في قومهم ، وفيهم مفروق بن عمرو وهانيء ابن قبيصة ، ومثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك ؛ وكان مفروق بن عمر قد غلبهم جمالا ولساناً وكانت له غدירתان تسقطان على تربتيه (١) ، وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر ، فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ قال له مفروق : إنا لنزيد على الألف ، وإن تغلب ألف من قلة فقال أبو بكر : كيف المنعة فيكم ؟ فقال مفروق : علينا الجهد ، ولكل قوم جد ، فقال أبو بكر : كيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ فقال مفروق : إنا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى ، وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نفضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله ، يدينا مارة ويدل علينا ، لعلك أخو قريش ؟ فقال أبو بكر أوقد بلغكم أنه رسول الله ، فهاهو ذا فقال مفروق : قد بلغنا أنه يذكر ذلك ، فإلى ما تدعو إليه يا أخا قريش ؟ فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنى رسول الله ، وإلى أن تؤووني ، وتنصروني ، فإن قريشاً قد ظهرت على أمر الله ، وكذبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد ، فقال مفروق : وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقل تعالوا آتوا ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً ، وبالوادين إحساناً ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ، نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون .

فقال مفروق : وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » ، فقال مفروق : دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ، والله لقد أفك قوم كذبوك ، وظاهرُوا عليك ، وكأنه أراد أن يشركه في الكلام هانيء بن قبيصة ، فقال : وهذا هانيء بن قبيصة شيخنا ، وصاحب ديننا ، فقال هانيء : قد سمعت مقاتلتك يا أخا قريش ، وإني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر زلة في الرأي ، وقلة نظر في العاقبة وإنما تكون الزلة من العجلة ، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً ، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر ، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثني ، فقال : وهذا المثني بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا ، فقال المثني قد سمعت مقاتلتك يا أخا قريش ، والجواب : هو جواب هانيء بن قبيصة في تركنا ديننا ، واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ، وإنما نزلنا بين صريان اليمامة والسماء ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما هذان الصريان ؟ فقال أنهار كسرى ، ومياه العرب ، فأما ما كان من أنهار كسرى ، فذهب صاحبيه غير مغفور ، وعذره غير مقبول ، وأما ما كان من مياه العرب ، فذنبه مغفور وعذره مقبول ، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثاً ولا نؤوى محدثاً ، وإني أرى هذا الأمر الذى يدعوننا إليه هو بما تكرهه الماوك ، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك بما بلى مياه العرب ، فعلنا فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أسأتم في الرد ، إذ أفصحتم بالصدق ، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه أرايتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم ، أتسبحون الله وتقدسونه ، فقال النعمان بن شريك : اللهم لك ذا ، فتلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » ، ثم نهض النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخذ يدي ، فقال : يا أبا بكر يا أبا حسن أية أخلاق في الجاهلية ، ما أشرفها بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض ، رها يتحاجزون فيما بينهم قال : ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج ، فما نهضنا حتى بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا صدقاء صبراء ، وروى في حديث مسند إلى طارق ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : رأيت بسوق ذى المجاز يعرض نفسه على القبائل ، يقول : يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ، وخلفه رجل له غدیرتان يرميه بالحجارة ، حتى أدنى كعبه ، يقول : يا أيها الناس لا تسامعوا منه ، فإنه كذاب ، فسألت عنه ، فقيل : هو غلام عبد المطلب ، قلت ومن الرجل يرميه ، فقيل لى : هو عمه عبد العزى أبر لهب ، وذكر الحديث بطوله . خروجه الدارقطني ، ووقع أيضاً في السيرة من رواية يونس .

حديث سويد بن صامت : فصل : ذكر حديث سويد بن صامت وشعره ، وفي الشعر :

وبالغيب مأثور على ثغرة النحر

يعنى السيف ، ومأثور من الأثر وهو : فرند السيف ، ويقال فيه : أثر وإثر . قال الشاعر :

جلاها الصيغولون فأخلصوها خفافاً كلها يتقى بأثر

أراد : يتقى ، وسويد هو : الكامل ، وهو ابن الصلت بن حوط بن حبيب بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس وأمه ليلى بنت عمرو والنجارية أخت سلمة بنت عمرو بن غنم بن عدى بن النجار أم عبد المطلب بن هاشم

فسويد هذا ابن خالة عبد المطلب ، وبنت سويد هي أم عائكة أخت سعيد بن زيد بن نفيل امرأة عمر بن الخطاب فهو جدّها لأمها واسم أمها : زينب وقيل جليسة بنت سويد ، هكذا ذكر الزبير بن أبي بكر .

عجلة لقمان : فصل : وذكر مجلة لقمان ، وهي الصحيفة ، وكأنها مفعلة من الجلال والجلالة ، أما الجلالة فن صفة المخلوق ، والجلال من صفته الله تعالى ، وقد أجاز بعضهم أن يقال في المخاوق جلال وجلالة وأنشد :

فلا ذا جلال هبته لجلالة ولاذا ضياع هن يتركن للفقر

ولقمان كان نوبيا من أهل أيلة وهو لقمان بن عنقاء بن سرور فيما ذكروا وابنه الذي ذكر في القرآن هو ثاران فيما ذكر الزجاج وغيره ، وقد قيل في اسمه غير ذلك ، وليس بلقمان بن عاد الحميري .

قدوم أبي الحديسر : فصل : وذكر قدوم أبي الحديسر أنس بن رافع يطلب الحلف ، وذلك بسبب الحرب التي كانت بين الأوس والخزرج ، وهي حرب بعاث المذكورة ، ولهم فيها أيام مشهورة هلك فيها كثير من صناديدهم وأشرفهم ، وبعاث اسم أرض بها عرفت .

إسلام الأنصار

ولم يكن الأنصار اسمهم في البداية ، حتى سماهم الله به في الإسلام ، وهم : بنو الأوس والخزرج ، والخزرج الربيع الباردة وقال بعضهم : وهي الجنوب خاصة ، ودخول الألف واللام في الأوس على حد دخولها في التيم جمع : تيم وهو من باب : رومي وروم ، لأن الأوس هي العطية أو العوض ، ومثل هذا إذا كان علماً لا يدخله الألف واللام ألا ترى أن كل أوس في العرب غير هذا ، فإنه بغير ألف ولام كأوس بن حارثة الطائي وغيره وكذلك ، أوس وأويس : الذئب قال الراجز :

بأيت شعري عنه والأمر عجم ما فعل لليوم أويس بالغم

وأبوم حارثة بن ثعلبة وهو أيضاً : والدخراة على أحد القولين ، وأمه قيلة بنت كاهل بن عذرة قضاعية ويقال هي بنت جفنة واسمه غلبة بن عمرو بن عامر ، وقيل : بنت سبيع بن الهون بن خزيمه بن مدركة ، قاله الزبير بن أبي بكر في كتاب أخبار المدينة .

والأنصار : جمع لأنصار على غير قياس في جمع فاعل وسكن على تقدير حذف الألف من ناصر ، لأنها زائدة ، فالاسم على تقدير حذفها : ثلاثي والثلاثي يجمع على أفعال ، وقد قالوا في نحوه صاحب وأصحاب وشاهد وأشهاد وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للنفر من الأنصار : أمن موالي يهود أنتم أي من حلفائهم ، والمولى يجمع : الحليف وابن العم والمعتق والمعتق لأنه مفعول من الولاية ، وجاء على وزن مفعول ، لأنه مفزع وملجأ لوليه فجاء على وزن ما هو في معناه .

وذكر النفر القادمين في العام الثاني الذين بايعوه بيعة النساء ، وقد ذكر الله تعالى بيعة النساء في القرآن فقال : **«ياأيها الذين آمنوا لا يشرك بالله شيئا ، الآية ، فأراد ببيعة النساء أنهم لم يبايعوه على القتال ، وكانت مبايعته**

بيعة العقبة الأولى

حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا ، فلقوه بالعقبة الاولى ، فبايعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تقتصر عليهم الحرب .

منهم من بنى النجار ، ثم بنى مالك بن النجار : أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وهو أبو أمانة ، وعوف ومعاذ ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن النجار ، وهما ابنا عفراء .

ومن بنى زريق بن عامر : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ، وذكوان بن عبد قيس ابن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق .

قال ابن هشام : ذكوان ، مهاجرى أنصارى .

ومن بنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وهم القواقل : عبادة ابن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم ، وأبو عبد الرحمن ، وهو يزيد بن ثعلبة بن خزيمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة ، من بنى غصينة ، من بنى ، حليف لهم .

قال ابن هشام وإنما قيل لهم : القواقل ، لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهما ، وقالوا له قواقل به يثرب حيث شئت .

قال ابن هشام : القوالة : ضرب من المشى .

وقال ابن إسحاق : ومن بنى سالم بن عوف بن عمرو بن الخزرج ، ثم من بنى العجلان بن زيد بن غنم بن سالم : العباس بن نضلة بن مالك بن العجلان .

ومن بنى سلة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج ، ثم من بنى حرام بن كعب بن غنم بن سلة : عقبة بن عامر بن نافي بن زيد بن حرام .

ومن بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلة : قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد .

للنساء أن يأخذ عليهن العهد والميثاق ، فإذا أقررن بالسنتين قال : قد بايعتكن ، وما مست يده يد امرأة في مبايعة كذلك قالت عائشة ، وقد روى أنهن كن يأخذن بيده في البيعة من فوق ثوب ، وهو قول عامر والشعبي ، ذكره عنه ابن سلام في تفسيره ، والاول أصح وقد ذكر أبو بكر محمد بن الحسن المقرئ النقاش في صفة بيعة النساء وجهها ثالثاً وأورد فيه آثاراً ، وهو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يغمس يده في إماء وتغمس المرأة يدها فيه عند المبايعة ، فيكون ذلك عقداً للبيعة ، وليس هذا بالمشهور ، ولا هو عند أهل الحديث بالثابت ، غير أن ابن إسحاق أيضاً قد ذكره في رواية عن يونس عن أبان بن أبي صالح ، وذكر أنساب الذين بايعوه ، وسنعيده في بيعة العقبة وغزاة بدر ، وهناك يضع التنبيه على ما يحتاج اليه بعون الله .

وشهدا من الاوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمر بن عامر ثم من بنى عبد الاشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج ابن مالك بن الاوس : أبو الهيثم بن التيهان ، واسمه مالك .

قال ابن هشام : التيهان : يخفف ويثقل ، كقوله ميت وميت .

ومن بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس : عويم بن ساعدة .

نص البيعة : قال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مرثد بن عبد الله اليزني ، عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي ، عن عبادة بن الصامت ، قال كنت فيمن حضر العقبة الاولى ، وكنا اثني عشر رجلا ، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفرض الحرب ، على أن لا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى بهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف . فإن وفيتم فلكم الجنة . وإن غشيتم من ذلك شيئا فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب وإن شاء غفر .

قال ابن اسحاق وذكر ابن شهاب الزهري ، عن عائذ الله بن عبد الله الخولاني أبي إدريس أن عبادة بن الصامت حدثه أنه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الاولى على أن لا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى بهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ، فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك ، فأخذتم بعهده في الدنيا ، فهو كفارة له ؛ وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عز وجل ، إن شاء عذب ، وإن شاء غفر .

الرسول يبعث مصعب بن عمير مع وفد العقبة : قال ابن اسحاق : فلما انصرف عنه القوم ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وأمره أن يقرهم القرآن ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يسمى المقرىء بالمدينة : مصعب . وكان منزله على أسعد بن زرارة ابن عدس ، أبي أمامة .

قال ابن اسحاق : لحدثني عاصم بن قتادة : أنه كان يصلي بهم ، وذلك أن الاوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض .

اول جمعة اقيمت بالمدينة

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن أبيه أبي أمامة ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال : كنت قائداً أبي ، كعب بن مالك ، حين ذهب بصره ، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة ، فسمع الأذان بها صلى على أبي أمامة ، أسعد بن زرارة . قال : فسكت حيناً على ذلك : لا يسمع الأذان للجمعة إلا صلى عليه واستغفر له قال : فقلت في نفسي : والله إن هذا بي لعجز ، ألا أسأله ماله إذا سمع الأذان للجمعة صلى على أبي أمامة أسعد بن زرارة ؟ قال : فخرجت به في يوم جمعة كما كنت أخرج ، فلما سمع الأذان للجمعة صلى عليه واستغفر له . قال : فقلت له : يا أبت مالك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبي أمامة ؟ قال ، أي بني ، كان أول من جمع بنا بالمدينة في هزم النبي ، من حرة بن يياضة ، يقال له : نقيع النخعات ، قال قلت : وكم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلاً .

الإسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير : قال ابن إسحاق : وحدثني عميد الله بن معيقب ، وعبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن أسعد بن زرارَةَ خرج بمصعب بن عمير يريد دار بني عبد الأشهل ، ودار بني ظفر ، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد بن زرارَةَ فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر .

قال ابن هشام : واسم ظفر : كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس - قالوا : على بئر يقال لها : بئر مرق ، فجلسا في الحائط ، واجتمع اليهما رجال من أسلم ، وسعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل ، وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير : لا أبالك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا ، فازجرهما وانهما عن أن يأتيا دارينا ، فإنه لو أن أسعد بن زرارَةَ منى حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ، ولا أجد عليه مقدما ، قال : فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارَةَ ، قال لمصعب بن عمير : هذا سيد قومه قد جاءك ، فاصدق الله فيه ، قال مصعب إن يجلس أكلمه . قال : فوقف عليهما متشبا ، فقال ماجاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره قال : أنصفت ، ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن ، فقالا : فيما نذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشرافه وتسبله ، ثم قال : ما أحسن هذا الكلام وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالوا له : تغتسل فتنظف وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديتهم ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا ، قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف على النادى قال له سعد : ما فعلت ! قال كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد ابن زرارَةَ ليقتلوه ، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ، ليخفروك قال : فقام سعد مغضبا مبادرا ، نخوفا للذي ذكر له من بني حارثة ، فأخذ الحربة من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئا ، ثم خرج إليهما ، فلما رآهما سعد مطمئنين ، عرف سعد أن أسيدا إنما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشبا ، ثم قال لأسعد ابن زرارَةَ يا أبا أمامة ، لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذا منى ، أنغشانا في دارينا بما نكره - وقد قال أسعد بن زرارَةَ لمصعب بن عمير : أى مصعب ، جاءك والله سيد من وراءه قومه ، أن يتبعك لا يتخلص عنك منهم اثنان - قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد . أنصفت ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قالوا : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، لإشرافه وتسبله ، ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أتمم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالوا تغتسل فتنظف وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ركعتين ، قال . فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته ، فأقبل عامدا إلى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير .

قال : فلما رآه قومه مقبلا ، قالوا : نخلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأيا ، وأميننا نقيية ؛ قال : فإن كلام رجالكم ونساءكم على حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله .

قالا : فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلية ، ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام ، حتى لم يبق دار من دور الانصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد ، وخطمة ووائل وواقف ، وتلك أوس الله ، وهم من الأوس ابن حارثة ، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسات ، وهو صيفي ، وكان شاعرا لهم قائدا يستمعون منه ويطيعون ، فوقف بهم عن الإسلام ، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدر وأحد والخندق ، وقال فيما رأى من الإسلام ، وما اختلف الناس فيه من أمره :

| | |
|------------------------|--------------------------|
| أرب الناس أشياء أملت | يلف الصعب منها بالذللول |
| أرب الناس أما إذ ضللنا | فيسرنا لمعروف السبيل |
| فلولا ربنا كنا يهودا | وما دين اليهود بنى شكول |
| ولولا ربنا كنا نصارى | مع الرهبان في جبل الجليل |
| ولكننا خلقنا إذ خلقنا | حنيفاً ديننا عن كل جيل |
| نسوق الهدى ترسف مذعنات | مكشفة المناكب في الجلول |

قال ابن هشام : أنشدني قوله : فلولا ربنا ، وقوله : لولا ربنا ، وقوله : مكشفة المناكب في الجلول ، رجل من الانصار ، أو من خزاعة .

امر العقبة الثانية

قال ابن إسحاق : ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج من خرج من الانصار المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قدموا مكة ، فراعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، من أوسط أيام التشريق ، حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والنصر لنبهه ، وإعزاز الإسلام وأهله ، وإذلال الشرك وأهله .

البراء بن معرور يصل إلى الكعبة : قال ابن إسحاق : حدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين ، أخو بني سلبة ، إن أخاه عبد الله بن كعب ، وكان من أعلم الانصار ، حدثه أن أباه كعبا حدثه ، وكان كعب ممن شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، قال : خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ، ومع البراء بن معرور ، سيدنا وكبيرنا ، فلما وجهنا لسفرنا ، وخرجنا من المدينة ، قال البراء لنا : يا هؤلاء ، لئن قد رأيت رأيا ، فوالله ما أدري ، أتوافقوني عليه ، أم لا ؟ قال : قلنا : وما ذاك ؟ قال قد رأيت أن لا أدع هذه لبنية مني بظهر ، يعني : السكبة ، وأن أصلي إليها . قال : فقلنا ، والله ما بلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصل

إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه . قال : فقال : إني لمصل إليها قال : فقلنا له : لكننا لا نفعل . قال فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام ، وصلى إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة . قال : وقد كنا عينا عليه ماضع ، وأنى إلا الإقامة على ذلك . فلما قدمنا مكة قال لي : يابن أخى ، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نسأله عما صنعت في سفرى هذا ، فإنه والله لقد وقع في نفسى منه شيء ، لما رأيت من خلافكم إياى فيه . قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنا لا نعرفه ، ولم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من أهل مكة ، فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا ، قال : قال : فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قال : قلنا : نعم . قال : وقد كنا نعرف العباس ، كان لا يزال يقدم علينا تاجراً . قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس . قال : فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه فسلمنا ثم جلسنا إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ قال : نعم ، هذا البراء بن معرور ، سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك . قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، هذا آ لشاعر ؟ قال : نعم . فقال البراء بن معرور : يابن الله ، إني خرجت في سفرى هذا ، وقد هدانى الله للإسلام ، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية منى بظهر ، فصليت إليها ، وقد خالفنى أصحابى في ذلك ، حتى وقع في نفسى شيء ، فإذا ترى يا رسول الله ؟ قال : قد كنت على قبلة لو صبرت عليها . قال : فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معنا إلى الشام . قال : وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

قال ابن هشام : وقال عون بن أيوب الأنصارى :

ومنا المصل أول الناس مقبلا على كعبة الرحمن بين المشاعر

يعنى البراء بن معرور . وهذا البيت في قصيدة له .

إسلام عبد الله بن عمرو بن حرام

قال ابن إسحاق : حدثني معبد بن كعب ، أن أخاه عبد الله بن كعب حدثه أن أباه كعب بن مالك حدى ، قال كعب : ثم خرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة من أوسط أيام التشريق . قال فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا ، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلّمناه وقلنا له : يا أبا جابر ، إنك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، ولنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون خطباً للنار غدا ، ثم دعونا إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة . قال : فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقييا .

امراتان في البيعة

قال : فتمت تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تتسلل تسلل القطا مستخفين ، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا

امراتان من نساتنا نسيبة بنت كعب ، أم عمارة ، احدى نساء بني مازن بن النجار ، وأسماء بنت عمرو بن عدى بن نابي ، احدى نساء بني مسامة ، وهي أم منيع .

العباس والانصار

قال : فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له . فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يامعشر الخزرج - قال وكانت العرب انما يسمون هذا الحى من الانصار ، الخزرج ، خزرجها وأوسها - : ان محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ، من هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وانه قد أبى الا الانحياز اليكم ، واللاحوق بكم ، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ، وما نعوه من مخالفه ، فأنتم وما تحمّلتم من ذلك ، وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم ، فمن الآن فدعوه ، فانه في عز ومنعة من قومه وبلده : قال ، فقلنا له ، قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الانصار

قال ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلأ القرآن ، ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ، قال ، أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم . قال ، فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال ، نعم ، والذي بعثك بالحق ، لنمنعك مما تمنع منه أزرننا فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحروب ، وأهل الحلقة ، ورثناها كابر عن كابر . قال فاعترض القول ، والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ، ان بيننا وبين الرجال حبالا ، وانا قاطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم .

قال ابن هشام . ويقال : الهدم الهدم : أى ذمتى ذمتكم وحرمتى حرمتكم .

قال كعب : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا ، ليكونوا على قومهم بما فيهم . فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الاوس .

اسماء النقباء الاثني عشر

قال ابن هشام : من الخزرج - فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق المطلبى - : أبو أمية أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن مالك بن النجار ، وهو : تيم الله بن ثعلبة بن النجار

ابن حارثة ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج
ابن الحارث بن رواحة ، بن ثعلبة بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج
ابن الحارث بن الخزرج ، ورج أفع بن مالك بن العجلان بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب
ابن جشم بن الخزرج ، والبراء بن معمر بن صخر بن خنساء بن سنان بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن أسد
بن ساردة بن يزيد بن الخزرج ، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة
ابن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج ، وعبادة بن الصامت بن قيس بن فهر بن ثعلبة
ابن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج .

قال ابن هشام : هو غنم بن عوف ، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج :

قال ابن إسحاق : وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن
كعب بن الخزرج ، والمنذر بن عمرو بن خنيس حارثة بن لؤذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن
ساعدة بن كعب بن الخزرج - قال ابن هشام : ويقال : بن خنيس .

النقباء من الأوس

ومن الأوس أسيد بن حضير بن سمالك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم
ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة ، وسعد بن خيشمة بن الحارث بن مالك بن كعب
ابن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن
الأوس بن حارثة ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زبير بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو
ابن عوف بن مالك بن الأوس .

شعر كعب بن مالك في النقباء

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان ، ولا يعدون رفاعة . وقال كعب بن مالك يذكرهم ،
فما أنشدني أبو زيد الأنصاري :

| | |
|----------------------------------|-----------------------------|
| أبلغ أيبا أنه قال رأيه | وحان غداة الشعب والحين واقع |
| أبى الله ما منتك نفسك لأنه | بمرصاد أمر الناس راء وسامع |
| وأبلغ أبا سفيان أن قد قد بدا لنا | بأحمد نور من هدى الله ساطع |
| فلا ترغبين في حشد أمر تريده | وألب وجمع كل ما أنت جامع |
| ودونك فاعلم أن نقض عهدنا | أباه عليك الرهط حين تبايعوا |
| أباه البراء وابن عمرو كلاهما | وأسعد ياباه عليك ورافع |
| وسعد أباه الساعدي ومنذر | لأنفك إن حاولت ذلك جادع |

وما ابن ربيع إن تناولت عهده
وأيضاً فلا يعطيكه ابن رواحة
وفاء به والقوقلى بن صامت
أبو هيثم أيضاً وفى بمثلها
وما ابن حضير إن أردت بمطمع
وسعد أخو عمرو بن عوف فإنه
أولاك نجوم لا يغبك منهم
بمسلبه لا يطمعن ثم طامع
ولإخفاره من دونه السم نافع
بمخدوحة عما تحاول يافع
وفاء بما أعطى من العهد خانع
فهل أنت عن أحقوة الغى نازع؟
ضروح لما حاولت م الأمر مانع
عليك بنحس فى دجى الليل طالع

فذكر كعب فيهم أبا الهيثم بن التيهان ، ولم يذكر رفاعه .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الخواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي - يعنى المسلمين - قالوا : نعم .

ما قاله العباس بن عباد للخرج

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال العباس بن عباد بن نضلة الانصارى ، أخو بنى سالم بن عوف : يا معشر الخرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : لأنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلاً أسلبتموه ، فمن الآن ، فهو والله - إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال ، وقتل الأشراف ، فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة ، قالوا : فإننا نأخذ على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة . قالوا : أبسط يدك ، فبسط يده فبايعوه .

وأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال : والله ما قال ذلك العباس إلا ليؤشد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم .

وأما عبد الله بن أبي بكر فقال : ما قال ذلك العباس إلا ليؤخر القوم تلك الليلة ، رجاء أن يحضرها عبد الله ابن أبي بن سلول ، فيكون أفوى لأمر القوم . فانه أعلم أى ذلك كان .

قال ابن هشام : سلول : امرأة من خزاعة ، وهى أم أبي بن مالك بن الحارث .

أول من ضرب على يد الرسول فى بيعة العقبة الثانية

قال ابن إسحاق : فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة ، أسعد بن زرارة ، كان أول من ضرب على يده ، وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التيهان .

قال ابن إسحاق : قال الزهري : حدثني معبد بن كعب بن مالك ، لحدثني في حديثه ، عن أخيه عبدالله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك ، قال : كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ، ثم بايع بعد القوم .

الشیطان یصرخ بعد یبعه العقبه

فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبه بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجبابب - والجبابب : المنازل - هل لكم في مذمم والصبابة معه ، قد اجتمعوا على حربكم . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أذب العقبه ، هذا ابن أذب - قال ابن هشام : ويقال ابن أذب استمع أى عدو الله ، أما والله لأفرغن لك .

الأنصار تطلب الحرب والرسول لا يستجيب

قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفضوا إلى رحالكم . قال فقال له العباس بن عباد بن فضالة والله الذى بعثك بالحق : إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم تؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم . قال : فرجعنا إلى مضاجعنا ، فمنا عليها حتى أصبحنا .

مجادلة قريش للأنصار

فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش ، حتى جاءونا في منازلنا ، فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا ، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم ، منكم . قال : فانبعث من هناك عن مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء ، وما علينا . قال : وقد صدقوا ، لم يعلموه . قال : وبعضنا ينظر إلى بعض . قال : ثم قام القوم ، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، وعليه نعلان له جديدان . قال : فقلت له كلمة - كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا - يا أبا جابر ، أما تستطيع أن تتخذ ، وأنت سيد من ساداتنا ، مثل نعل هذا الفقى من قريش ؟ قال : فسمعها الحارث ، فخلعهما من رجله ثم رمى بهما إلى ، وقال : والله لنتعلنهما . قال : يقول : أبو جابر : مه ، أحفظت والله الفقى ، فاردد إليه نعليه . قال : قلت لا : والله لأردهما ، قال والله صالح ، لئن صدق القال لأسلبنه .

قال ابن إسحاق : وحدثنا عبدالله بن أبى بكر : أنهم أتوا عبدالله بن أبى بن سلول ، فقالوا له مثل ما قال كعب من القول ، فقال لهم : إن هذا الأمر جسيم ، ما كان قومى ليتفوتوا على بمثل هذا ، وما علمته كان . قال : فانصرفوا عنه .

قریش تاسر سعد بن عبادۃ

قال : ونفر الناس من منى ، فتنطس القوم الخبر ، فوجدوه قد كان ، وخرجوا فى طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادۃ بأذاخر ، والمنذر بن عمرو ، أخا بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وكلاهما كان نقيبا . فأما المنذر فأعجز القوم ، وأما سعد فأخذوه ، فربطوا يديه إلى عنقه بنسج رحله ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ، ويجذبونه بحمته ، وكان ذا شعر كثير .

خلاص سعد

قال سعد : فوالله لاني لفي أيديهم إذ طلع على نفر من قریش ، فيهم رجل وضى أبيض ، شعشاع ، حلو من الرجال . قال ابن هشام : الطويل الحسن قال رؤبة : يمشطوه من شعشاع غير مودن . يعنى عنق البعير غير قصير يقول مودن اليد أى : ناقص اليد يمشطوه من السير شعشاع : حلو من الرجال .

قال : قلت فى نفسى : إن يك عند أحد من القوم خير ، فعند هذا ، قال فلما دنا منى رفع يده فأسكنى لكمة شديدة . قال : قلت فى نفسى ، لا والله ما عندهم بعد هذا من خير . قال : فوالله لاني لفي أيديهم يسحبوننى إذ أوى لى رجل من كان معهم ، فقال : ويحك ! أما بينك وبين أحد من قریش جوار ولا عهد ؟ قال : قلت : بلى ، والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف تجارة ، وأمنعهم من أراد ظلمهم ببلادى ، وللحارث ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، قال : ويحك ! فاهتف باسم الرجلين ، وأذكر ما بينك وبينهما . قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما ، فوجدتهما فى المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلا من الخزرج الآن يضرب بالإبطح ليهتف بكما ، ويذكر أن بينه وبينكما ، جوار ، قالا . من هو ؟ قال سعد بن عبادۃ ، قالا : صدق والله ، إن كان ليجير لنا تجارنا ، ويمنعهم أن يظلموا ببلده . قال : فجاءا فخلصا سعدا من أيديهم ، فانطلق . وكان الذى لكم سعدا ، سهيل بن عمرو ، أخو بنى عامر بن لؤى .

قال ابن هشام : وكان الرجل الذى أوى إليه ، أبا البخترى بن هشام .

قال ابن إسحاق : وكان أول شعر قيل فى الهجرة بيتين ، قالهما ضرار بن الخطاب بن مرداس ، أخو بنى محارب بن فهر :

تداركت سعدا عنوة فأخذته وكان شفاء لو تداركت منذرا

ولو نلته طلت هناك جراحه وكانت حريا أن يهان ويهدرا

قال ابن هشام : وروى .

وكان حقيقا أن يهان ويهدرا

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت فيهما فقال :

لست إلى سعد ولا المرء منذر
فلولا أبو وهب لمرت قصائد
أنفخر بالكتان لما لبسته
فلا تك كالوسنان يحلم أنه
ولاتك كالشكلي وكانت بمعزل
ولاتك كالشاة التي كان حتفها
ولاتك كالعاوى فأقبل نحره
فإننا ومن يهدي القصائد نحونا
إذا مامطايا القوم أصبحن ضمرا
على شرف البرقاء يهوين حسرا
وقد تلبس الألباط ريطا مقصرا
بقرية كسرى أو بقرية قيصر
عن الشكل لو كان الفؤاد تفكرا
بحفر ذراعيها فلم ترض محفرا
ولم يخشيه سهماً من النبل مضمرا
كسبضع تمرأ إلى أهل خيرأ

وذكر في أنساب المبايعين له في العقبة الأولى في بني سامة منهم : سادرة بن يزيد بن جشم ، وتزيد بن ماء منقوطة
بائنتين من فوق ، ولا يعرف في العرب يزيد إلا هذا ، وتزيد بن الحاف بن قضاة ، وهم الذين تنسب إليهم الثياب
اليزيدية ، وأما سامة بكسر اللام ، فهم من الأنصار سمي بالسامة واحدة السلام ، وهي الحجارة ، قال الشاعر :

ذاك خليلي وذو يعاتبني يرى ورائي بالسهم والسامة

وفي جمعي : سامة بن عمرو بن دهل بن مروان بن جعفي ، وفي جهينة سامة بن نصر بن غطفان قاله بن حبيب النسابة
وفي الصحابة عمرو بن سامة أبو بريدة الجرهمي الذي أم قومه ، وهو ابن ست سنين أو سبع ، وفي الرواة عبد الله
ابن سامة وينسب إلى بني سامة هؤلاء سلمي بالفتح ، كما ينسب إلى بني سامة ، وهم بطنان من بني عامر يقال لهم :
السلمات ، يقال لأحدهم سلمه الخير ، والآخر سلمه الشر ابنا قصير بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وأما بنو سليمة
بياء فني دوس ، وهم بنو سليمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، وسليمة هذا هو أخو جذيمة الأبرش ، وهو
الذي قتل أخاه مالك بسهم قتل خطأ ، ويقال في النسب إليه : سلمي أيضا وهو القياس ، وقد قيل : سلمي كما قيل
في عميرة عميري .

وذكر بني جدارة من بني النجار ، وجدارة : وجدارة : أخوان ، وغيره يقول في جدارة : جدارة بالخاء
المضمومة ، وهكذا قيده أبو عمرو ، كذلك ذكره ابن دريد في الاشتقاق ، وهو أشبه بالصواب لأنه أخو
خدره ، وكثيرا ما يجعلون أسماء الإخوة مشتقة بعضها من بعض .

وذكر القوافل وهم بنو عمرو بن غنم بن مالك ، وذكر تسميتهم القوافل ، وأن ذلك لقولهم إذا أجاروا أحدا :
قوئل حيث شئت ، وفي الأنصار : القوافل والجعادر وهما بطنان من الأوس ، وسبب تسميتهما واحد في
المعنى ، أما الجعادر فكانوا إذا أجاروا أحد أعطوه سهما ، وقالوا له : جعدر به حيث شئت ، كما كانت القوافل
تفعل ، وهم بنو زيد ، بن عمرو بن مالك بن ضبيعة يقال لهم كسر الذنب ، وهما جميعاً من الأوس . قال الشاعر :

فإن لنا بين الجوارى وليدة مقابلة بين الجعادر والكسر

مق تدع في الزيد بن زيد بن مالك وزيد بن عمرو تأتها عزة الخفر

وذكر فيهم أبا الهيثم بن النسيان ، ولم ينسبه ، ولا نسبه في أهل العقبة الثانية ، ولا في غزوة بدر ، وهو مالك

ابن التيهان ، واسم التيهان أيضاً مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد العلم بن عامر بن زعون ، بن جشم بن الحارث ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الانصارى حليف بنى عبد الأشهل كان أحد النقباء ليلة العقبة ، ثم شهد بدرًا ، واختلف في وقت وفاته ، فأصح ما قيل فيه أنه شهد مع علي صفين ، وقتل فيها رحمه الله ، وأحسب ابن إسحاق وابن هشام تركا نسبه على جلالته في الانصار وشهوده هذه المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا اختلاف فيه ، فقد وجدت في شعر عبد الله بن رواحة حين أضاف أبو الهيثم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في منزله ومعه أبو بكر وعمر ، فذبح لهم عناقاً وأتاهم بقنور من رطب الحديث بطوله ، فقال ابن رواحة في ذلك :
فلم أر كالإسلام عزاً لاهله ولا مثل أضياف الأراشى معشرا

فجعله إرشيًا كما ترى ، والأراشى منسوب إلى إراشة في خزاعة ، أو إلى إراش بن لحيان بن الغوث فآله أعلم :
أهو أنصارى بالخلف أم بالنسب المذكور . قبل هذا ، ونقلته من قول أبي عمر في الاستيعاب ، وقد قيل : إنه بلوى من بنى إراشة بن فاران بن عمرو بن بلى ، والهيثم في اللغة : فرخ النسر ، أو العقاب ، والهيثم أيضاً ضرب من العشب فيما ذكر أبو حنيفة (١) ، وبه سمى الرجل هيثماً أو بالمعنى الأول وأنشد :
رعت بقران الحزن روضاً منوراً عمياً من الظلال والهيثم الجعد

ذكر بيعتهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - علىبيعة النساء ألا يسرقوا ، ولا ينزوا إلى آخر الآية ، وقيل في قوله عز وجل خبراً عنبيعة النساء : « ولا يأتين بهتان » أنه الولد تنسبه إلى بعها ، وليس منه ، وقيل : هو الاستمتاع بالمرأة فيما دون الولاء كالقبلة والجسة ونحوها ، والاول يشبه أن يبايع عليه الرجال ، وكذلك قيل في قوله تعالى : « ولا يعصينك في معروف » أنه النوح ، وهذا أيضاً ليس من شأن الرجال ، فدل على ضعف قول من خصه بالنوح ، وخص البهتان بالخاق الولد بالرجل ، وليس منه ، وقيل : يفترينه بين أيديهم يعني : الكذب وعيب الناس بما ليس فيهم ، وأرجلهم يعني : المشى في معصية ، ولا يعصينك في معروف ، أى : في خير تأمرهن به ، والمعروف : اسم جامع لمكارم الأخلاق ، وما عرف حسنة ولم تنكره القلوب ، وهذا معنى يعم الرجال والنساء ، وذكر ابن إسحاق في رواية يونس فيما أخذه عليه السلام عليهن : أن قال : ولا تغششن أزواجكن ، قالت : إحداهن وما غش أزواجنا فقال : أن تأخذى من ماله فتجاني به غيره .

هجرة مصعب بن عمير : فصل : وذكر هجرة مصعب بن عمير وهو المقرئ . وهو أول من سمى بهذا ، أعنى المقرئ . يكنى أبا عبد الله ، كان قبل إسلامه من أنعم قريش عيشاً وأعظمهم ، وكانت أمه شديدة الكفاف به ، وكان يبيت وقب الحيس عند رأسه ، يستيقظ فيأكل ، فلما أسلم أصابه من الشدة ما غير لونه وأذهب لحمه ، ونهكت جسمه حتى كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينظر إليه ، وعليه فروة قد رفعها ، فيبكي لما كان يعرف من نعمته ، وحلفت أمه حين أسلم وهاجر ألا تأكل ولا تشرب ولا تستظل بظل حق يرجع إليها ، فكانت تقف للشمس حتى تسقط مخشياً عليها ، وكان بنوها يحشون فاها بشجار ، وهو عود فيصبون فيه الحساء لئلا تموت ، وسندكر اسمها ونسبها عند ذكره في البدرين إن شاء الله تعالى ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكره ، فيقول : ما رأيت بمكة أحسن لمة ، ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير ذكره الواقدي . وذكر أيضاً بإسناد له ، قال : كان مصعب بن عمير فتى مكة شاباً وجمالاً وسناً وكان أبواه يجهانه ، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب ، وكان أعطر أهل مكة يلبس الحضرمي من النعال .

وذكر أن منزله كان على أسعد بن زرارة ، منزل بفتح الزاي ، وكذلك كل ما وقع في هذا الباب من منزل فلان على فلان ، فهو بالفتح ، لأنه أراد المصدر ، ولم يرد المسكان ، وكذا قيده الشيخ أبو بحر بفتح الزاي ، وأما أم قيس بنت محسن المذكورة في هجرة بني أسد ، فاسمها آمنة وهي أخت عكاشة ، وهي التي ذكرت في الموطأ وأنها أتت بآبن لها صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أول جمعة بالمدينة : فصل : وذكر أول من جمع بالمدينة ، وهو أبو أمامة ، وذكر غيره أن أول من جمع بهم مصعب بن عمير ، لأنه أول من قدم المدينة من المهاجرين ، ثم قدم بعده ابن أم مكتوم ، وقد ذكرنا في أول الكتاب من جمع في الجاهلية بمكة فخطب وذكر وبشر بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وحض على اتباعه ، وهو كعب بن لؤي ويقال : إنه أول من سمى العروبة الجمعة ، ومعنى العروبة الرحمة فيما بلغني عن أهل العلم ، وكانت قریش تجتمع إليه فيها فيما حكى الزبير بن بكار ، فيقول : أما بعد فاعلموا وتعلموا إنما الأرض لله مهاد ، والجبال أوتاد ، والسماء بناء ، والنجوم سماء ، ثم يأمرهم بصلة الرحم ، ويبشرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ويقول : حرمكم يا قوم عظموه ، فسيكون له نبأ عظيم ، ويخرج منه نبي كريم ، ثم يقول في شعر ذكره :

على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر أخباراً صدوق خبرها

صروف رأيناها تقلب أهلها لها عقد ما يستحيل مريها

ثم يقول :

ياليتني شاهد فحواء دعوته إذا قریش تبغى الحق خذلانا

وأما أول من جمع في الإسلام فهو من ذكرنا .

بقيع الخضعات : وذكر ابن إسحاق أنه جمع بهم أبو أمامة عند هزم النبيت في بقيع يقال له بقيع الخضعات . بقيع بالباء وجدته في نسخة الشيخ أبي بحر ، وكذلك وجدته في رواية يونس عن ابن إسحاق ، وذكره البكري في كتاب معجم ما استعجم من أسماء البقع أنه نقيع بالنون ، ذكره في باب النون والقاف وقال : هزم النبيت : جبل على بريد من المدينة ، وفي غريب الحديث : أنه عليه السلام حمى غرز النقيع قال الخطابي : النقيع : القاع ، والغرز شبه الثمام وسيأتي تفسيره فيما بعد إن شاء الله تعالى ، ومعنى الخضعات من الخضم ، وهو ألا كل بالقم كله ، والقضم بأطراف الأسنان ، ويقال : هو أكل اليابس ، والخضم : أكل الرطب ، فكأنه جمع خضمة ، وهي الماشية التي تخضم ، فكأنه سمي بذلك لخضب كان فيه ، وأما البقيع بالباء فهو أقرب إلى المدينة منه بكثير ، وأما بقيع الخبجبة بخاء وجيم وباءين ، فجاء ذكره في سنن أبي داود : والخبجبة : شجرة عرف بها .

أصل الجمعة : فصل : وتجميع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الجمعة وتسميتهم إياها بهذا الاسم وكانت تسمى العروبة - كان عن هداية من الله تعالى لهم قبل أن يؤمروا بها ، ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فاستقر فرضها واستمر حكمها ، ولذلك قال - صلى الله عليه وسلم - في يوم الجمعة : أضلته اليهود والنصارى ، وهذا كالم الله إليه .

ذكر الكشي ، وهو عبد بن حميد قال : نا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال : جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي - صلى الله عليه وسلم ، المدينة ، وقبل أن تنزل الجمعة ، وهم الذين سمو الجمعة ، قال الأنصار : لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى مثل ذلك ، فلم ، فلنجعل يوماً نجتمع فيه ، ونذكر الله ، ونصلي ونشكر ، أو كما قالوا ، فقالوا : يوم السبت لليهود ، ويوم الأحد للنصارى ، فاجعلوا يوم العروبة ، كانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة ، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة ، فصلى بهم يومئذ ركعتين فذكرهم ، فسموا الجمعة حين اجتمعوا إليه ، فذبح لهم شاة فتغدوا وتعشوا من شاة ، وذلك لقلتهم ، فأُنزل الله - عز وجل - في ذلك : « إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله » .

قال المؤلف : ومع توفيق الله لهم إليه فيبعد أن يكون فعلهم ذلك عن غير إذن من النبي - صلى الله عليه وسلم - لهم فقد روى الدارقطني عن عثمان بن أحمد بن السهاك ، قال : نا أحمد بن غالب الباهلي ، قال : نا محمد بن عبد الله أبو زيد المدني ، قال : نا المغيرة بن عبد الرحمن ، قال : حدثني مالك عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، قال : أذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجمعة قبل أن يهاجر ، ولم يستطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بمكة ، ولا يبدى لهم ، فكتب إلى مصعب بن عمير : أما بعد : فانظر اليوم الذي يجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساءكم وأبناءكم ، فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة ، فتقربوا إلى الله بركعتين قال : فأول من جمع : مصعب بن عمير ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم - المدينة ، فجمع عبد الزوال من الظهر ، وأظهر ذلك ، ومعنى قول النبي - صلى الله عليه وسلم - أضلته اليهود والنصارى ، وهذا لم الله إياه فيما ذكر أهل العلم أن اليهود أمروا بيوم من الأسبوع ، يعظمون الله فيه ، ويتفرغون لعبادته ، فاخترأوا لمن قبل أنفسهم السبت فالزموه في شرعهم ، كذلك النصارى أمروا على لسان عيسى بيوم من الأسبوع ، فاخترأوا من قبل أنفسهم الأحد ، فالزموه شرعاً لهم .

قال المؤلف : وكان اليهود إنما اختاروا السبت ، لأنهم اعتقدوه اليوم السابع ، ثم زادوا لكفرهم أن الله استراح فيه ، تعالى الله عن قولهم ، لأن بدء الخلق عندهم الأحد ، وآخر الستة الأيام التي خلق الله فيها الخلق الجمعة ، وهو أيضاً مذهب النصارى ، فاخترأوا الأحد لأنه أول الأيام في زعمهم ، وقد شهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - للفريقين بإضلال اليوم ، وقال في صحيح مسلم إن الله خلق التربة يوم السبت ، فبين أن أول الأيام التي خلق الله فيها الخلق السبت ، وآخر الأيام الستة إذا الخميس ، وكذلك قال ابن إسحاق فيما ذكر عنه الطبري ، وفي الأثر أن يوم الجمعة سمي الجمعة ، لأنه جمع فيه خلق آدم ، روى ذلك عن سلمان وغيره ، وقد قدمنا في حديث الكشي أن الأنصار سموه جمعة لاجتماعهم فيه ، فهداهم الله إلى التسمية ، وهداهم إلى اختيار اليوم ، وموافقة الحكمة أن الله تعالى لما بدأ فيه خلق أدينا آدم ، وجعل فيه بدء هذا الجنس ، وهو البشر ، وجعل فيه أيضاً فناءهم وانقضاءهم إذ فيه تقوم الساعة ، وجب أن يكون يوم ذكر وعبادة ، لأنه تذكرة بالمبدأ وتذكرة بالمعاد ، وانظر إلى قوله تعالى : فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ، وخص البيع لأنه يوم يذكر باليوم الذي لا يبيع فيه ولا خلة مع أنه وتر للأيام التي قبله في الأصح من القول ، والله يحب الوتر ، لأنه من أسمائه فكان من هدى الله لهذه الأمة أن أموا إليه ثم أقروا عليه لما وافقوا الحكمة فيه ، فهم الآخرون السابقون يوم القيامة ، كما قال عليه السلام ، كما أن أن اليوم الذي اختاروه سابق لما اختارته اليهود والنصارى ، ومتقدم عليه ، ولذلك كان يقرأ

رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة السجدة في صبح يوم الجمعة رواه سعيد بن إبراهيم عن الأعرج عن أبي هريرة، ورواه مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كلاهما عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ورواه عن سعيد ابن جبير أيضاً عروة بن عبد الرحمن ذكره البزار، ورواه الترمذى في كتاب العليل له عن الأحوص، ورواه أيضاً عن أبي الأحوص، وعن علقمة عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فيه من ذكر الستة الأيام واتباعها بذكر خلق آدم من طين، وذلك في يوم الجمعة تنبيهها منه عليه السلام على الحكمة، وتذكير للقلوب بهذه الموعظة.

وأما قراءته، هل أتى على الإنسان حين من الدهر، في الركعة الثانية، فلما فيها من ذكر السعى وشكر الله لهم عليه يقول: «وكان سعيكم مشكوراً» مع ما في أولها من ذكر بدء خلق الإنسان، وأنه لم يكن قبل شيئاً مذكوراً، وقد قال في يوم الجمعة «فاسمعوا إلى ذكر الله، فتنبه بقراءته إياها على التأهب للسعى المشكور عليه والله أعلم، ألا ترى أنه كان كثيراً ما يقرأ في صلاة الجمعة أيضاً بـهل أتاك حديث الغاشية، وذلك أن فيها: «لسعيا راضية»، كما في سورة الجمعة، «فاسمعوا إلى ذكر الله، ناستحب عليه السلام أن يقرأ في الثانية ما فيه رضاهم بسعيهم المأمور به في السورة الأولى.

معنى الجمعة: ولفظ الجمعة مأخوذ من الاجتماع، كما قدمنا وكان على وزن فعلة وفعلة لأنه في معنى قرينة وقرينة والعرب تأتي بلفظ الكلمة على وزن ماهو في معناها، وقالوا: عمرة، فاشتقوا اسمها من عمارة المسجد الحرام، وبنو على فعلة لأنها وصلة وقرينة إلى الله، ولهذا الأصل فروغ في كلام العرب، ونظائر لهذين الإسمين يفيتنا تتبعه عما نحن بسبيله، وفيما قدمناه ماهو أكثر من لمحة داله، وقالوا في الجمعة جمع بتشديد الميم كما قالوا عيد إذا شهد العيد، وعرف إذا شهد عرفة، ولا يقال في غير الجمعة إلا جمع بالتخفيف، وفي البخاري: أول من عرف بالبصرة ابن عباس، والتعريف إنما هو بعرفات، فكيف بالبحرة، ولكن معناه أنه رضى الله عنه إذا صلى العصر يوم عرفة أخذ في الدعاء والذكر والضراعة إلى الله تعالى إلى غروب الشمس، كما يفعل أهل عرفة.

أيام الأسبوع وأسمائها: وليس في تسميته هذه الأيام والإثنين إلى الخميس ما يشد قول من قال: إن أول الأسبوع الأحد وسابعا السبت، كما قال أهل الكتاب لأنها تسمية طارئة، وإنما كانت أسماءها في اللغة القديمة شيار وأول وأهون وجبار ودبار ومؤنس والعروبة، وأسمائها بالسريانية قبل هذا أبو جاد هوز حطى إلى آخرها، ولو كان الله تعالى ذكرها في القرآن بهذه الأسماء المشتقة من العدد، لقلنا: هي تسمية صادقة على المسمى بها، ولكنه لم يذكر منها إلا الجمعة والسبت، وليس من المشتقة من العدد، ولم يسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحد والإثنين إلى سائرهما إلا حاكيا للغة قومه لا مبتدئا لتسميتها ولعل قومه أن يكونوا أخذوا معاني هذه الأسماء من أهل الكتاب المجاورين لهم، فآلقوا عليها هذه الأسماء اتباعاً لهم، وإلا فقد قدمنا ما ورد في الصحيح من قوله عليه السلام: إن الله خلق التربة يوم السبت والجمال يوم الأحد، الحديث، والعجب من الطبري على تبخره في العلم كيف خالف مقتضى هذا الحديث. وأعنى في الرد على ابن إسحاق وغيره، ومال إلى قول اليهود في أن الأحد هو الأول ويوم الجمعة سادس لاوتر وإنما الوتر في قوهم يوم السبت مع ما ثبت من قوله عليه السلام: أضلته اليهود والنصارى، وهذا كم الله إليه، وما احتج به بالطبري من حديث آخر، فليس في الصحة كالذي قدمناه، وقد يمكن فيه التأويل

أيضا ، فقف بقلبك على حكمة الله تعالى في تعبد الخلق به لما فيه من التذكرة بإنشاء هذا الجنس ومبدئه ، كما قدمنا ولما فيه أيضاً من التذكرة بأحادية الله سبحانه ، وانفراده قبل الخلق بنفسه ، فإنك إذا كنت في الجمعة ، وتفكرت في كل جمعة قبله حتى يترقى وهمك إلى الجمعة التي خلق فيها أبوك آدم ثم فكرت في الأيام الستة التي قبل يوم الجمعة وجدت في كل يوم منها جنساً من المخلوقات موجوداً إلى السبت ، ثم انقطع وهمك فلم تجد في الجمعة التي تلي ذلك السبت وجوداً إلا للواحد الصمد الوتر ، فقد ذكرت الجمعة من تفكر بوحدانية الله وأوليته ، فوجب أن يؤكّد في هذا اليوم اليوم توحيد القلب للرب بالذکر له ، كما قال تعالى : « فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع » . وأن يتأكد ذلك الذكر بالعمل ، وذلك بأن يكون العمل مشاعلاً للمعنى التوحيد ، فيكون الاجتماع في مسجد واحد من المساجد ، وإلى إمام واحد من الأئمة ، ويخطب ذلك الإمام ، فيذكر بوحدانية الله تعالى وبلقائه ، فيشأ كل الفعل القول ، والقول المعتقد ، فتأمل هذه الأغراض بقلبك ، فإنها تذكرة بالحق ، وقد زدنا على ما شرطنا في أول الكتاب معاني لم تكن هنالك ، وعدنا بها ، ولكن الكلام يفتح بعضه باب بعض ، ويحدو المتكلم قصد البيان إلى الإطالة ، ولا بأس بالزيادة من الخير ، والله المستعان .

إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير

وسمع أهل مكة هاتفا يهتف ، ويقول قبل إسلام سعد :

فإن يسلم السعدان يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف المخالف

فحسبوا أنه يريد بالسعدين : القبيلتين سعد هذيم من قضاة ، وسعد بن زيد مائة بن تميم ، حتى سمعوه يقول :

فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

أجيباً إلى داعي الهدى ، وتمنياً على الله في الفردوس منية عارف

فعلبوا حينئذ أنه يريد سعد بن معاذ وسعد بن عباد .

هل يغتسل الكافر إذا أسلم : وذكر فيه اغتسالهما بأمر مصعب بن عمير لها بذلك ، فذلك السنة في كل كافر يسلم ، ثم اختلف في نية الكافر إذا أسلم باغتساله ، فقال بعضهم ينوي به رفع الجنابة عن نفسه ، وقال بعضهم : ينوي التعبد ، ولا حكم للجنابة في حقه ، لأن معنى الأمر به استباحة الصلاة ، والكافر لا يصلي ، وإن كان مخاطباً في أصح القولين ، ولكنه أمر مشروط بالإيمان ، فإذا لم يكن الإيمان - وهو الشرط الأول - فأجدر بأن يكون الشرط الثاني - وهو الغسل من الجنابة غير مقيد بشيء ، فإذا أسلم مدم الإسلام ما كان قبله ، فلم يجب عليه إعادة صلاة مضت ، وإذا سقطت الصلوات سقطت عنه شروطها ، واستأنف الأحكام الشرعية ، فتجب عليه الصلوات من حين يسلم بشروط أدائها من وضوء وغسل من جنابة ، إذا أجنب بعد إسلامه ، وغير ذلك من شروط صحة الصلاة ، ورأيت لبعض المتأخرين أن اغتساله سنة لا فريضة وإيس عندي بالبين لأن الله سبحانه يقول : « إنما المشركون نجس ، وحكم النجاسة إنما يرفع بالطهارة ولم يحكم عليهم بالتنجيس لموضع الجنابة ، لانه قد علق الحكم بصفة الشرك والحكم المعلق بالصفة مرتبط بها فإذا ارتفع حكم الشرك بالإيمان لم يبق للجنابة حكم كما إذا كان المسلم جنباً ، ثم بالالطهور من الجنابة ، يرفع عنه حرم الحدث الأصغر ، وهو حدث الوضوء ، لأن

الطهارة الصغرى داخلية في الكبرى ، وتطهره من تنجيس الشرك بإيمانه هو أيضاً بالإضافة إلى الطهر من الجنابة ، الطهارة الكبرى ، فينبغي أن تكون مغنية عنها ، كما كانت الطهارة من الجنابة مغنية عن الطهارة من الحدث ، إذ ليست واحدة من هذه الطهارات من يلة لعين نجاسة فيها ، فينبغي بعد هذا أن أمره بالاغتسال تعبد ، والحكم بأنه غير فرض تحكم والله أعلم ، غير أن الترمذى خرج حديث قيس بن عاصم حين أسلم فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغتسل . قال الترمذى : وعلى هذا العمل عند أهل العلم يستحبون للكافر إذا أسلم أن يغتسل ويغسل ثيابه ، فقال : يستحبون ، وجعلها مسألة استحباب .

شرح شعر ابن الأسلت : فصل : وذكر شعر أبي قيس بن الأسلت ، وفيه قوله :

ولولا ربنا كنا يهودا وما دين اليهود بذى شكول

أراد جمع : شكل ، وشكل الشيء - بالفتح - هو مثله ، والشكل بالكسر الدل والحسن ، فكأنه أراد أن دين اليهود بدع ، فليس له شكول أى : ليس له نظير في الحقائق ، ولا مثيل يعضده من الأمر المعروف المقبول ، وقد قال الطائى :

وقلت : أخى قالوا : أخ من قرابة
قرىبي فى رأى ودينى ومذهبي
فقلت لهم : إن الشكول أقارب
وإن باعدتنا فى الخطوب المناسب

وقال فيه : مع الرهبان فى جبل الجليل . الجليل بالجمع الثام ، وهذا الجبل من جبال الشام معروف بهذا الاسم .

البراء بن معرور ، وصلاته إلى القبلة

ذكر حديث كعب بن مالك حين حج فى نفر من قومه مع البراء بن معرور ، فكانوا يصلون إلى بيت المقدس ، وكان البراء يصل إلى الكعبة الحديث - إلى قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فقه قوله : لو صبرت عليها : أنه لم يأمره بإعادة ماقد صلى ؛ لأنه كان متأولاً .

قبلة الرسول صلى الله عليه وسلم : وفى الحديث : دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يصل إلى مكة إلى بيت المقدس ، وهو قول ابن عباس ، وقالت طائفة : ما صلى إلى بيت المقدس إلا مذ قدم المدينة سبعة عشر شهراً أو ستة عشر شهراً ، فعلى هذا يكون فى القبلة نسخ سنة بقرآن ، وقد بين حديث ابن عباس منشأ الخلاف فى هذه المسألة ، فروى عنه من طرق صحاح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا صلى بمكة استقبال بيت المقدس ، وجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس ، فلما كان عليه السلام يتحرى القبلتين جميعاً لم يبين توجهه إلى بيت المقدس للناس ، حتى خرج من مكة والله أعلم . قال الله تعالى له فى الآية الناسخة : : ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، أى : من أى جهة جئت إلى الصلاة ، وخرجت إليها فاستقبل الكعبة كنت مستدبراً لبيت المقدس ، أو لم تكن ، لأنه كان بمكة يتحرى فى استقباله بيت المقدس أن تكون الكعبة بين يديه ، وتدبر قوله تعالى : : ومن حيث خرجت فول وجهك ، وقال لأمته : : وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ،

ولم يقل : حيثما خرجتم ، وذلك أنه كان عليه السلام إمام المسلمين ، فكان يخرج إليهم إلى كل صلاة ليصلي بهم ، وكان ذلك واجبا عليه إذ كان الإمام المقتدى به فأفاد ذكر الخروج في خاصته في هذا المعنى ، ولم يكن حكم غيره هكذا ، يقتضى الخروج ، ولا سيما النساء ، ومن لاجتماعه عليه ، وكرر البارى تعالى الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام في ثلاث آيات ، لأن المنكرين لتحويل القبلة ، كانوا ثلاثة أصناف من الناس اليهود ، لأنهم لا يقولون بالنسخ في أصل مذهبهم ، وأهل الريب المتناقشون لاعتقادهم له أنه كان أول نسخ نزل ، وكفار قريش قالوا : ندم محمد على فراق ديننا فسيرجع إليه كما رجع إلى قبلتنا ، وكانوا قبل ذلك يحتجون عليه ، فيقولون : يزعم محمد أنه يدعونا إلى ملة إبراهيم وإسماعيل ، وقد فارق قبلة إبراهيم وإسماعيل وآثر عليها قبلة اليهود ، فقال الله له حين أمره بالصلاة إلى الكعبة « لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم » على الاستثناء المنقطع ، أى : لئلا يكون الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون وقال سبحانه « الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » من الذين شكوا وامتنوا ، ومعنى : الحق من ربك أى الذى أمرتك به من التوجه إلى البيت الحرام ، هو الحق الذى كان عليه الأنبياء قبلك فلا تتم فى ذلك وقال : « وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق » وقال : « وإن فريقا منهم ليكتمون الحق ، وهم يعلمون » يكتمون ما علموا من أن الكعبة هى قبلة الأنبياء ، وروى أبو داود السنجرى فى كتاب الناسخ والمنسوخ له وهو فى روايتنا عنه بتسند رفيع حدثنا الإمام الحافظ أبو بكر بن العربى قال : أنا أبو على ابن شاذان قال : أنا أبو بكر الفقيه النجار أحمد بن سليمان عنه ، قال : نا أحمد بن صالح ، قال : نا عنبسة عن يونس عن ابن شهاب قال : كان سليمان بن عبد الملك لا يعظم لإلياء كما يعظمها أهل بيته ، قال : فسرت معه ، وهو ولى عهد ، قال : ومعه خالد بن يزيد بن معاوية ، قال سليمان : وهو جالس فيه : والله إن فى هذه القبلة التى صلى إليها المسلمون والنصارى لعجبا ، قال خالد بن يزيد : أما والله لئنى لأقرأ الكتاب الذى أنزله الله على محمد - صلى الله عليه وسلم - وأقرأ التوراة ، فلم يجدها اليهود فى الكتاب الذى أنزله الله عليهم ، ولما كن تابوت السكينة كان على الصخرة ، فلما غضب الله تعالى على بنى إسرائيل رفعه ، فكانت صلاتهم إلى الصخرة عن مشاورة منهم ، وروى أبو داود أيضاً أن يهوديا خاصم أبا العالية فى القبلة ، فقال أبو العالية : إن موسى عليه السلام كان يصلى عند الصخرة ، ويستقبل البيت الحرام ، فكانت الكعبة قبلة ، وكانت الصخرة بين يديه ، وقال اليهودى : بينى وبينك مسجد صالح النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو العالية : فإنى صليت فى مسجد صالح وقبلته الكعبة ، وأخبر أبو العالية أنه رأى مسجد ذى القرنين وقبلته الكعبة ، وروى أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان يقول لجبريل : وددت أن الله حوانى عن قبلة اليهود ، فيقول له جبريل : إنما أنا عبد مأمور ، وروى غيره أنه كان يتبعه بصره إذا عرج إلى السماء حرصاً على أن يأمره بالتوجه إلى الكعبة ، فأُنزل الله تعالى « قد نرى تقلب وجهك فى السماء » .

نسبة وأسماء فى بيعة العقبة الثانية : وذكر بيعة العقبة ، وذكر عدة أصحاب بيعة العقبة ، وأنهم كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين ، وهما : أم عمارة وهى نسيبة بنت كعب امرأة زيد بن عاصم شهدت بيعة العقبة وبيعة الرضوان ، وشهدت يوم اليمامة ، وبأشرت القتال بنفسها ، وشاركت ابنها عبد الله فى قتل مسيلة ، فقطعت يدها ، وجرحتا اثنا عشر جرحا ، ثم عاشت بعد ذلك دهراً ، وكان الناس يأتونها بمرضاهم ، لتستشفى لهم ، فتمسح بيدها الشلاء على العليل . وتدعو له ، فقل ما مسحت بيدها ذا عاهة إلا برى .

والأخرى : أسماء بنت عمرو أم منيع ، وقد رفع في نسبها ونسب الأخرى ابن إسحاق ، ويروى أن أم عمارة قالت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أرى كل شيء إلا للرجال ، وما أرى للنساء شيئاً ، فأنزل الله تعالى : **« إن المسلمين والمسلمات ، الآية . »**

البراء بن معرور : وذكر قول البراء بن معرور ، وهو أول من ضرب بيده على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالبيعة على اختلاف في ذلك قد ذكره ابن إسحاق ، فقال : نبايعك على أن نمنعك مما نمنع منه أزرنا ، أواد : نساءنا ، والعرب تكنى عن المرأة بالإزار وتكنى أيضاً بالإزار عن النفس ، وتجعل الثوب عبارة عن لابسها كما قال :

رموها بأثواب خفاف فلاترى لها شيئاً إلا النعام المنفرا

أى : بأبدان خفاف ، فقوله مما نمنع أزرنا يحتمل الوجهين جمعياً ، وقد قال الفارسي في قول الرجل الذى كتب إلى عمر من الغزو يذكره بأهله :

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدى لك من أخى ثقة إزارى

قال : الإزار : كناية عن الأهل ، وهو في موضع نصب بالإغراء أى : احفظ إزارى ، وقال ابن قتيبة : الإزار في هذا البيت كناية عن نفسه ، ومعناه قدأ لك نفسى ، وهذا القول هو المرضى في العربية ، والذي قاله الفارسي بعيد عن الصواب ، لأنه أضمر المبتدأ ، وأضمر الفعل الناصب للإزار ، ولادليل عليه لبعده ، عنه ، وبعد البيت ما يدل على صحة القول المختار وهو :

فلائصنا هداك الله مهلاً شغلنا عنكم زمن الحصار

فنصب قلائصنا بالإضمار الذى جعله الفارسي ناصباً للإزار .

والبراء بن معرور يكنى أبا بشر بابنه بشر بن البراء وهو الذى أكل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الشاة المسمومة ، فمات ومعرور اسم أبيه ، معناه : مقصود يقال : عره واعتراه اذ قصد ، والبراء هذا من صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قبره بعد موته وكبر أربعاً ، وفي هذا الحديث الصلاة على القبر ، وقدرويت من ست طرق عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قاله أحمد بن حنبل ، وذكرها كلها أبو عمر في التمهيد ، وزاد ثلاث طرق لم يذكرها ابن حنبل ، فهي لإذن تروى من - تسع طرق أعنى أن - تسعة من الصحابة رويوا صلاته عليه السلام على القبر ، فمنهم ابن عباس ، وأنس بن مالك وبريدة وأبو هريرة ، وزيد بن ثابت ، وعامر بن فهيرة وأبو قتادة الأنصاري وسهل بن حنيف ، وعباد بن الصامت ، وحديثه مرسل ، وأصحها إسناداً حديث ابن عباس وأبي هريرة .

الهدم : وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - البايعين له : بل اندم الدم والهدم الهدم ، وقال ابن هشام : الهدم بفتح الدال . قال ابن قتيبة : كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار : دى دمك وهدمى هدمك ، أى : ما هدمت من الدماء هدمته أنا ، ويقال أيضاً : بل اللدم اللدم والهدم الهدم وأنشد :

ثم الحق بهدمى ولدمى

فالدّم : جمع لادم ، وهم أهله الذين يلتدّمون عليه إذا مات ، وهو من لدمت صدره : إذا ضربته . والهدم قال ابن هشام : الحرمة ، وإنما كنى عن حرمة الرجل وأهله بالهدم ، لأنهم كانوا أهل نجمة وارتحلوا ، ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم فكلما ظعنوا هدموها ، والهدم بمعنى المهدوم كالقبض بمعنى المقبوض ، ثم جعلوا الهدم وهو البيت المهدوم عبارة عما حوى ، ثم قال : هدمى هدمك أى : رحلتك أى لا أظعن وأدعك وأنشد يعقوب :

تمضي إذا زجرت عن سوءة فدماً كأنها هدم في الجفر منقاض

النجباء : فصل : وذكر الاثنى عشر نقيباً ، وشعر كعب فيهم إلى آخره ، وليس فيه ما يشكل ، وإنما جعلهم عليه السلام اثني عشر نقيباً اقتداء بقوله تعالى في قوم موسى « وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً » ، وقد سميتم أولئك بأسمائهم في كتاب التعريف والإعلام ، فليُنظر هنالك .

وروى عن الزهري أنه قال : قال النبي عليه السلام للأوس والخزرج حين قدم عليهم النقباء : لا يغضبن أحدكم فإني أفعل ما أؤمر ، وجبريل عليه السلام إلى جنبه يشير إليهم واحداً بعد واحد ، وروى في المعيطى عن ابن أنس أنه روى حديث النقباء عن شيخ من الأنصار ، قال مالك : وكنت أعجب كيف جاء هذا رجلاً من قبيلة ، ورجل من أخرى حتى حدثت بهذا الحديث ، وأن جبريل هو الذي ولاهم ، وأشار على النبي - صلى الله عليه وسلم - . ٣٣٠

صراخ الشيطان : وذكر أن الشيطان صرخ من رأس العقبة بأنفذ صوت . قال الشيخ أبو بحر : هكذا وقع في الامهات ، وأصلحناء عن القاضي أبي الوليد . بأبعد ، قال المؤلف : ولا معنى لهذا الإصلاح ، لأن وصف الصوت بالنفاذ صحيح هو أفصح من وصفه بالبعد ، وقد مضى في حديث عمر مع الكاهن ، قال : لقد سمعت من صوت العجل صوتاً ما سمعت أنفذ منه ، وفي الصحيح : أن الله تعالى يحشر الخلق يوم القيامة في صردح واحد ، فينفذهم البصر ويسمعهم الداعي ، وكذلك وجدته في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق : بأنفذ صوت كما كان في الأصل .

الجبابب : وقوله : بأهل الجبابب ، يعنى : منازل منى ، وأصله : أن الأوعية من الادم كازيل ونحوه يسمى : جببة ، فجعل الخيام والمنازل لأهلها كالأوعية ، وقوله عليه السلام حين صرخ إبليس : يا أهل الجبابب ، هذا أذب العقبة ، هذا ابن أذيب . قال ابن هشام : ويقال : ابن أذيب كذا تنقيد في هذا الموضع أذب العقبة وقال ابن ماكولا : أم كرز بنت الأذب بن عمرو بن بكيل من همدان جدة العباس ، أم أمه : سيلة ، لا يعرف الأذب في الأسماء إلا هذا وأذب العقبة ، وهو أمم شيطان ، ووقع في هذه النسخة في غزوة أحد إذب العقبة بكسر الهمزة وسكون الزاي ، وفي حديث ابن الزبير ما يشهد له حين رأى رجلاً طوله شبران على بردعة رحله فأخذ سوطه فأتاه ، فقال : ما أنت فقال أذب قال وما أذب ؟ قال : رجل من الجن ، فضربه على رأسه بعود السوط ، حتى باص ، أى هرب ، وقال يعقوب في الالفاظ الأذب : القصير وحديث ابن الزبير ذكره العتبي في الغريب ، فأنه أعلم أى اللفظين أصح ؟ وابن أذيب في رواية ابن هشام يجوز أن يكون فعلاً من الإذب أيضاً والأذيب : البخيل ، وأذيب : اسم ريح من الرياح الأربع ، والأذيب الفزع أيضاً ، والأذيب : الرجل المتقارب المشي ، وهو على وزن أفعل ، قاله صاحب العين ، ويحتمل

أن يكون ابن أزيب من هذا أيضاً ، وأما البخيل فأزيب على وزن فعيل لأن يعقوب حكى في الألفاظ : امرأة أزيبة ولو كان على وزن أفعال في المذكر لقليل في المؤنث زبها إلا أن فعيلاً في أبنية الأسماء عريز ، وقد قالوا في ضحايا ، وهي التي لا تحيض من النساء ، فعل جملوا الهمزة زائدة وهي عندي فعيل لأن الهمزة في قراءة عاصم لام الفعل في قوله تعالى (بضاهون) والضحايا من هذا لأنها تضاهي الرجل أي : تشبهه ويقال فيه : ضحايا بالمد ، فلا إشكال فيها أنها للتأنيث على لغة من قال ضاهيت بالياء ، وقد يجوز أن يكون أزيب وأزيبة مثل أرمل وأرملة فلا يكون فعيلاً وروى أبو الأشهب عن الحسن قال لما بويع لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنى صرخ الشيطان ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا أبو لبني قد أئذركم ، فتفرقوا .

تذكير فعيل وتأنيدها فصل : وذكر الحارث بن هشام حين رمى بنعله إلى جابر : قال : وكان عليه نعلان جديدان والنعل : مؤنثة ، ولكن لا يقال : جديدة في الفصحى من الكلام وإنما يقال : ملحفة جديد لأنها في معنى مجدودة أي مقطوعة فهي من باب كف خضيب ، وامرأة فتيل ، قال سيديويه : ومن قال جديدة ، فإنما أراد معنى حديثة ، أراد سيديويه أن حديثة بمعنى حادثة وكل فعيل بمعنى فاعل يدخله التاء في المؤنث .

من معاني الطويل : وذكر قول سعد حين أسرته قريش : فأتاني رجل وضى شعشاع . والشعشع والشعشعاني والشعشعان : الطويل من الرجال ، وكذلك السلهب والصقعب والشوقب والشرجن والحبق والشوذب الطويل مع رقة في أسماء كثيره .

وقوله أوى إليه رجل أي رق له ، يقال أوى إية مأوية .

وقوله فتنطس القوم الخبر أي أكثروا البحث عنه ، والتنطس ، تدقيق النظر . قال رؤبة بن العجاج

وقد أكون عندها نقريسا طبا بأدواء النساء نطيسا

وذكر قول ضرار بن الخطاب :

وكان شفاء وتداركت منذرا

وضرار بن الخطاب : وضرار كان شاعر قريش وفارسها ، ولم يكن في قريش أشعر منه ثم ابن الزبير بن قيس بن عدى ، وكان جده مرداس رئيس بني محارب بن فهر في الجاهلية يسير فيهم بالرباع ، وهو ربع الغنيمة ، وكان أبوه أيام الفجار رئيس بني محارب بن فهر أسلم ضرار عام الفتح .

قصيدة حسان : وذكر قول حسان يحميه :

لست إلى عمرو ولا المرء منذر إذ مامطايا القوم أصبحن ضمرا

يعني بعمرو عمرو بن خنيس والد المنذر . يقول لست إليه ولا إلى ابنه المنذر أي : أنت أقل من ذلك ، والمنذر ابن عمرو هذا يقال له : أعنق ليموت ، هو أحد النقباء كما ذكر ابن إسحاق في المواخاة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخى بينه ، وبين أبي ذر الغفاري ، وأنكر ذلك الواقدي محمد بن عمر ، وقال : إنما أخى بينه وبين طليب بن عمرو قال : وكيف يواخى بينه وبين أبي ذر ، والمواخاة كانت قبل بدر ، وأبو ذر كان إذ ذاك

قصة صنم عمرو بن الجحوح

فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها ، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك ، منهم عمرو ابن الجحوح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلبية ، وكان ابنه معاذ بن عمرو شهد العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، وكان عمرو بن الجحوح سيداً من سادات بني سلبية ، وشريفاً من أشرفهم ، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب ، يقال له : مناة ، كما كانت الأشراف يصنعون ، تتخذها إلهاً تعظمه وتظهره ، فلما أسلم فتيان بني سلبية : معاذ بن جبل ، وابن معاذ بن عمرو ، في فتیان منهم من أسلم وشهد العقبة ، كانوا يدجلون بالليل على صنم عمرو ذلك ، فيجملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلبية ، وفيها عذر الناس ، منكسا على رأسه ، فإذا أصبح عمرو ، قال : ويلكم ! من عدا على آلهتنا هذه الليلة ؟ قال : ثم يغدو يلتتمسه ، حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه ، ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزيتك . فإذا أمسى ونام عمرو ، عدوا عليه ، ففعلوا به مثل ذلك ، فيغدو فيجدده في مثل ما كان فيه من الأذى ، فيغسله ويظهره ويطيبه ، ثم يغدون عليه إذا أمسى ، فيفعلون به مثل ذلك فلما أكثروا عليه ، استخرجوه من حيث ألقوه يوماً ، فغسله وطهره وطيبه ، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ، ثم قال : إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خير فامتنع ، فهذا السيف معك . فلما أمسى ونام عمرو ، غدوا عليه ، فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ، ثم ألقوه في بئر من آبار سلبية ، فيها عذر من عذر الناس ، ثم غدا عمرو بن الجحوح فلم يجدده في مكانه الذي كان به .

- إسلام عمرو وما قاله من الشعر : فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكسا مقرو تابكبت ميت ، فلما رآه وأبصر شأنه ، وكلمه من أسلم من قومه ، فأسلم برحمة الله ، وحسن إسلامه . فقال حين أسلم ، وعرف من الله ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ، ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة :

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| والله لو كنت إلهاً لم تكن | أنت وكلب وسط بئر في قرن |
| أف للملك إلهاً مستدن | الآن فتشناك عن سوء الغين |
| الحمد لله العلى ذى المان | الواهب الرزاق ديان الدين |
| هو الذى أنقذنى من قبل أن | أكون فى ظلمة قبر مرتين |

بأحمد المهدي النبي المرتين

غائبا عن المدينة ، ولم يقدم إلا بعد بدر ، وقد قطعت بدر المواجهة ونسخها قوله سبحانه : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض » والمنذر بن عمرو حديث واحد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليس له غيره ، يرويه عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده عن المنذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد عن السهو قبل التسليم ، وعبد المهيمن ضعيف . وقول حسان :

ولانتك كالشاة التي كان حتفها بحفر ذراعيها ، من فلم ترض تحفرا

تقوله العرب في مثل قديم فيمن أثار على نفسه شراً كالباحث عن المدينة وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| وكان يحير الناس من سيف مالك | فأصبح يبغى نفسه من يحيرها |
| وكان كعز السوء قامت بظلفها | إلى مدية تحت التراب تثيرها |

شروط البيعة في العقبة الأخيرة

قال ابن إسحاق : وكان في بيعة الحرب ، حين أذن الله لرسوله في القتال شروطا سوى شرطه عليهم في العقبة الأولى ، كانت الأولى على بيعة النساء ، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم في الحرب ، فلما أذن الله له فيها ، وبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود ، أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه ، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة .

قال ابن إسحاق : فحدثني عباد بن الوليد بن عباد بن الصامت ، عن أبيه الوليد ، عن جده عباد بن الصامت وكان أحد النقباء ، قال :

بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب - وكان عباد من الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى على بيعة النساء - على السمع والطاعة ، في عسرا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم .

اسماء من شهد العقبة

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من شهد العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين .

شهدها من الأوس ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بني عبد الأشهل ابن جشم بن الحارث بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الأوس أسيد بن حمير بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، نقيب لم يشهد بدرا . وأبو الهيثم بن التيهان ، وأسمه مالك ، شهد بدرا . ومعدة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء ابن عبد الأشهل ، شهد بدرا ، ثلاثة نفر . قال ابن هشام . ويقال : ابن زعوراء بفتح العين .

قال ابن إسحاق : ومن بني حارثة ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : ظهير بن رافع بن عدى بن زيد بن جشم بن حارثة . وأبو بردة بن نيار ، واسمه هانيء بن نيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دهمان بن غنم بن ذبيان بن هميم بن كاهل بن ذهل بن دهن بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، حليف لهم ، شهد بدرا ونهير بن الهيثم ، من بني نابت بن مجدعة بن حارثة . ثلاثة نفر .

ومن بني عمرو بن عوف مالك بن الأوس : سعد بن خيشمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب ابن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ، نقيب ، شهد بدرا ، فقتل به مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شهيدا .

قال ابن هشام : ونسبه ابن إسحاق في بني عمر بن عوف ، وهو من بني غنم بن السلم ، لأنه ربما كانت دعوة الرجل في القوم ، ويكون فيهم فينسب إليهم .

قال ابن إسحاق : ورفاعه بن عبد المنذر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو ، نقيب ، شهد بدرآ . وعبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك - واسم البرك : امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو شهد بدرآ ، وقتل يوم أحد شهيداً أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة ، ويقال : أمية بن البرك ، فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحاق : ومعن بن عدى بن الجند بن العجلان بن ضبيعة لهم من بلى شهد بدرآ وأحدآ والخندق ، ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، وقتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وعويم ابن ساعدة ، شهد بدرآ والخندق . خمسة نفر .
جميع من شهد العبة من الأوس أحد عشر رجلاً .

وشهدها من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بني النجار ، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج : أيوب ، وهو خالد بن زيد بن كليب بن عبد بن عوف بن مالك بن النجار شهد بدرآ وأحدآ والخندق ، والمشاهد كلها ، مات بأرض الروم غازياً في زمن معاوية بن أبي سفيان . ومعاذ بن الحارث ابن رفاعه بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، شهد بدرآ وأحدآ والخندق ، والمشاهد كلها ، وهو ابن عفراء . وأخوه : عوف بن الحارث ، شهد بدرآ وقتل به شهيداً ، وهو الذي قتل أباجهل بن هشام بن المغيرة وهو لعفراء . ويقال : رفاعه بن الحارث بن سواد ، فيما قال ابن هشام - وعمارة بن حزم بن زيد بن لؤذان ابن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار . شهد بدرآ وأحدآ والخندق ، والمشاهد كلها ، قتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأسعد بن زرارة بن غنم بن مالك بن النجار ، نقيب ، مات قبل بدر ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى ، وهو أبو أمامة . ستة نفر .

ومن بني عمرو بن مبدول - ومبدول : عامر بن مالك بن النجار : سهل بن عتيك بن نعمان بن عمرو بن عتيك ابن عمرو ، شهد بدرآ . رجل .

ومن بني عمرو ابن مالك بن النجار ، وهم بنو حذيلة - قال ابن هشام : حذيلة : بذت مالك بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج - أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة ابن عدى بن عمرو بن مالك ، شهد بدرآ : وأبو طلحة ، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك ، شهد بدرآ . رجلاً .

ومن بني مازن بن النجار : قيس بن أبي صعصعة ، واسم أبي صعصعة : عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول ابن عمرو بن غنم بن مازن ، شهد بدرآ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله على الساقة يومئذ . وعمرو ابن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن . رجلاً . لجميع من شهد العبة من بني النجار أحد عشر رجلاً .

قال ابن هشام : عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء ، هذا الذي ذكره ابن إسحاق ، إنما هو غزية بن عطية بن خنساء .

قال ابن إسحاق : ومن بالحارث بن الخزرج : سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن امرئ القيس بن مالك ابن ثعلبة بن كعب بن الخزوج بن الحارث ، نقيب ، شهد بدرأً وقتل يوم أحد شهيداً . وخارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، شهد بدرأً وقتل يوم أحد شهيداً وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحارث ، نقيب ، شهد بدرأً وأحدأً والخندق ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، إلا الفتح وما بعده ، وقتل يوم مؤتة شهيداً أميراً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبشير بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس بن زيد ابن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، أبو النعمان بن بشير شهد بدرأً . وعبد الله بن زيد بن ثعلبة ابن عبد ربه بن زيد بن الحارث بن الخزرج شهد بدرأً ، وهو الذي أرى النداء للصلاة ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به . وخالد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج بن الحارث شهد بدرأً وأحدأً والخندق وقتل يوم بني قريظة شهيداً ، طرح عليه رحي من أطم من أطامها فشذخته شذخاً شديداً ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرن - إن له لأجر شهيدين . وعقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عسيرة بن جدارة بن عوف بن الحارث وهو أبو مسعود وكان أحدث من شهد العقبة سنأً ، مات في أيام معاوية ، لم يشهد بدرأً . سبعة نفر .

ومن بني بياضة بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج : زياد بن لبيد ابن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى بن أمية بن بياضة ، شهد بدرأً . وفروة بن عمرو بن وذقة بن عبيد ابن عامر بن بياضة ، شهد بدرأً . قال ابن هشام : ويقال وذقة .

قال ابن إسحاق : وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة ، شهد بدرأً . ثلاثة نفر .

ومن بني زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج : رافع بن مالك ابن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ، نقيب : وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق وكان خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان معه بمكة وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ، فكان يقال له : مهاجر أنصاري ، شهد بدرأً وقتل يوم أحد شهيداً . وعباد بن قيس ابن عامر بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق ، شهد بدرأً : والحارث بن قيس بن خالد بن مخلد بن عامر ابن زريق ، وهو أبو خالد شهد بدرأً . أربعة نفر .

ومن بني سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج ، ثم من بني عبيد بن عدى ابن غنم بن كعب بن سلمة . البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم ، نقيب ، وهو الذي تزعم بنو سلمة أنه كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط له ، واشترط عليه ثم توفي قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وابنه بشر بن البراء بن معرور ، شهد بدرأً وأحدأً والخندق ، ومات بخيبر من أكلة أكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الشاة التي سم فيها - وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين سأل بني سلمة من سيدكم يا بني سلمة ؟ فقالوا : الجعد بن قيس ، على بخله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأي داء أكبر من البخل ! سيد بني سلمة الأبيض الجعد بشر بن البراء بن

معرور . و سنان بن صيفي بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد ، شهد بدرآ ، وقتل يوم الخندق شهيدآ . ومقل بن المنذر بن مرج بن خناس بن عبيد ، شهد بدرآ .
 ويزيد بن المنذر بن مرج بن خناس بن سنان بن عبيد شهد بدرآ ، ومسعود بن يزيد بن سليح بن خنساء بن سنان بن عبيد . والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد ، شهد بدرآ ، ويزيد بن خدام أو ابن سليح بن خنساء ابن سنان بن عبيد . وجبار بن صخر بن أمية بن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدرآ .

قال ابن هشام : ويقال : جبار بن صخر بن أمية بن خناس .

قال ابن إسحاق : والطفيل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عبيد ، شهد بدرآ . أحد عشر رجلا . ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلة ، ثم من بني كعب بن سواد : كعب مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب . رجل .
 ومن بني غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلة : سليم بن عمرو بن حديدة بن عمرو بن غنم ، شهد بدرآ . وقطبة بن عامر ابن حديده بن عمرو بن غنم ، شهد بدرآ . ويزيد بن عامر بن حديدة بن غنم ، وهو أبو المنذر ، شهد بدرآ . وأبو اليسر ، واسمه : كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم ، شهد بدرآ . وصيفي بن سواد بن عباد بن عمرو ابن غنم . خمسة نفر .

قال ابن هشام : صيفي بن أسود بن عباد بن عمرو بن غنم بن سواد ، وليس لسواد ابن يقال له : غنم .

قال ابن إسحاق : ومن بني نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلة : ثعلبة بن غنمة بن عدى بن نابي ، شهد بدرآ ، وقتل بالخندق شهيدآ . وعمرو بن غنمة بن عدى بن نابي ، وعيش بن عامر بن عدى بن نابي ، شهد بدرآ . وعبد الله بن أنيس ، حليف لهم من قضاة . وخالد بن عمرو بن عدى بن نابي . خمسة نفر .

قال ابن إسحاق : ومن بني حرام بن كعب بن غنم بن سلة : عبد الله بن عمرو بن ثعلبة بن حرام ، نقيب ، شهد بدرآ ، وقتل يوم أحد ، شهيدآ ، وابنه جابر بن عبد الله . ومعاذ بن عمرو بن الجوح بن زيد بن حرام ، شهد بدرآ . وثابت بن الجذع - والجذع : ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام - شهد بدرآ ، وقتل بالطائف شهيدآ . وعمير بن الحارث بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام ، شهد بدرآ . قال ابن هشام : عمير بن الحارث بن لبدة ابن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وخديج بن سلامة بن أوس بن عمرو بن الفرار حليف لهم من بني ومعاذ بن جبل بن عمرو ابن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب بن أدى بن سعد بن علي بن أسد ، ويقال أسد بن ساردة بن تزييد بن جشم بن الخزرج ، وكان في بني سلة شهد بدرآ ، والمشاهد كلها ومات بعمواس ، عام الطاعون بالشام ، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وإنما ادعته بنو سلة أنه كان أخا سهل بن محمد بن الجند بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان ابن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلة لأمه . سبعة نفر .

قال ابن هشام : أوس : ابن عباد بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى ابن سعد .

قال ابن إسحاق : ومن بني عوف بن الخزرج ، ثم من بني سالم بن عوف بن عمرو بن الخزرج : عبادة ابن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف ، نقيب ، شهد بدرآ والمشاهد كلها

قال ابن هشام : هو غنم بن عوف ، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج .
قال ابن إسحاق : والعباس بن عباد بن نضلة بن مالك بن بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف ، وكان ممن
خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فأقام معه بها فكان يقال له : مهاجرى أنصارى وقتل
يوم أحد شهيدا . وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمية بن أصرم بن عمرو بن عمار ، حليف لهم من بنى
غصينة من بلى . وعمرو بن الحارث بن لبد بن عمرو بن ثعلبة : أربعة نفر ، وهم القوافل .

ومن بنى سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج ، وهم بنو الحبلى - قال ابن هشام : الحبلى : سالم بن غنم بن عوف
ولم يسم : الحبلى - لعظم بطنه : رفاع بن عمرو بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم ، شهد بدرآ ،
وهو أبو الوليد .

قال ابن هشام : ويقال : رفاع : ابن مالك ، ومالك : ابن الوليد بن عبد الله بن مالك بن جشم بن مالك
ابن سالم .

قال ابن إسحاق : وعقبة بن وهب بن كلفة بن الجعد بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عدى بن جشم بن
عوف بن بهثة بن عبد الله بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ، حليف لهم ، شهد بدرآ ، وكان ممن خرج إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا من المدينة إلى مكة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى .

قال ابن هشام : رجلان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن أبى خزيمة
ابن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب ، والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوزان بن عبد ود
ابن زيد بن ثعلبة بن جشم بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب ، شهد بدرآ وأحدآ ، وقتل يوم بدر معونة أميرأ لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى كان يقال له : أعنق ليموت . رجلان .

قال ابن إسحاق : لجميع من شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان منهم ، برعمون
أنهما فد بايعتا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصفح النساء ، إنما كان يأخذ عليهن ، فإذا أقررن ، قال :
أذهبن فقد بايعتكن .

ومن بنى مازن بن النجار : نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن ، وهى
أم عمار ، كانت شهدت الحرب مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وشهدت معها أختها . وزوجها زيد بن
عاصم بن كعب ، وابناها : حبيب بن زيد ، وعبد الله بن زيد ، وابنها حبيب الذى أخذه مسيلة الكذاب الحنفى ،
صاحب النمامة ، فجعل يقول له : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فيقول : نعم ، فيقول : أفأشهد أنى رسول الله ؟
فيقول : لا أسمع ، فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات فى يده ، لا يزيد على ذلك ، وإذا ذكر له رسول الله صلى
الله عليه وسلم آمن به وصلى عليه ، وإذا ذكر له مسيلة قال لا أسمع - فخرجت إلى النمامة مع المسلمين ، فباشرت
الحرب بنفسها . حتى قتل الله مسيلة ، ورجعت وبها اثنا عشر جرحا ، من بين طعنه وضربة .

قال ابن إسحاق : حدثنى هذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حبان ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صمعة .
ومن بنى سلة : أم منيع ، واسمها : أسماء بنت عمرو بن عدى بن نابت بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلة .

نزول الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في القتال

بسم الله الرحمن الرحيم . قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق الملقب : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يوفن له في الحرب ولم تحمل له الدماء إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى ، والصنفح عن الجاهل وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوسهم من بلادهم ، فهم من بين مفتون في دينه ، ومن بين معذب في أديهم ، وبين هارب في البلاد فراراً منهم ، منهم من بأرض الحبشة ، ومنهم من بالمدينة ، وفي كل وجه ؛ فلما عنت قريش على الله عز وجل ، وردوا عليه ما أرادهم به من السكرامة ، وكذبوا نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه ، واعتصم بدينه ، أذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال والانتصار من ظلمهم وبغى عليهم ، فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب ، وإحلاله له الدماء والقتال ، لمن بغى عليهم ، فيما بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، قول الله تبارك وتعالى وأذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أنه يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، والله عاقبة الأمور ، أي أتى إنما أحلت لهم القتال لأنهم ظلموا ، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس ، إلا أن يعبدوا الله ، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، يعني النبي - صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين ، ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه : وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة : أي : حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ، ويكون الدين لله ، أي حتى يعبد الله لا يعبد منه غيره .

الأذن لمسلمي مكة بالهجرة إلى المدينة : قال ابن إسحاق : فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم في الحرب وبأبائه هذا الحق من الانتصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه ، وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من المسلمين ، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، وللحق بإخوانهم من الأنصار ، وقال : إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً بها . فخرجوا أرسالا ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة ، والهجرة إلى المدينة .

فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من بني مخزوم . أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، واسمه : عبد الله ، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة ، وكان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من أرض الحبشة فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجراً .

قال ابن إسحاق : فحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة ، عن جدته أم سلمة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه ، وحل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري ، ثم خرج بي يقودني بعيره ، فلما رآته رجال بني المخيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم قاموا إليه ، فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها ، رأيت صاحبك هذه ؟ علام تترك تسير بها في البلاد ؟ قالت : ففزعوا خطام البعير من يده ، فأخذوني منه . قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد ، رهط أبي سلمة .

فقالوا : لا والله ، لا نترك ابننا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحسين بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة . قالت : ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني . قالت : فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالابطح ، فما أزال أبكي ، حتى أمسى سنة أو قريبا منها حتى مر بي رجل من بني عمي ، أحد بني المغيرة ، قرأني ما بي فرحمي فقال لبني المغيرة : ألا تخرجون هذه المسكينة ، فرقم بينها وبين زوجها وبين ولدها ! قالت : فقالوا لي : الحق بزواجك إن شئت . قالت : ورد بنو عبد الأسد إلى عند ذلك ابني . قالت : فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعت في حجرى ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة . قالت : وما معي أحد من خلق الله . قالت : فقلت : أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي ، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، أخا بني عبد الدار فقال لي : إلى أين يا بنت أبي أمية ؟ قالت : فقلت : أريد زوجي بالمدينة . قال : أو مامعك أحد ؟ قالت : فقلت : لا والله ، إلا الله وبني هذا . قال : والله مالك من مترك ، فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معي يهوى بي ، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط ، أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ، ثم استأخر عني ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري ، ثم قيده في الشجرة ، ثم تنحى إلى شجرة ، فاضطجع تحتها ، فاذا دنا الروح ، قام إلى بعيري فقدمه فرحله ، ثم استأخر عني ، وقال : اركبي . فاذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه ، فقاده ، حتى ينزل بي . فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء ، قال : زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلا - فادخلها على بركة الله ، ثم انصرف راجعا إلى مكة .

قال : فكانت تقول والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحبنا قط . كان أكرم من عثمان بن طلحة .

قال ابن إسحاق : ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة ، حليف بني عدى بن كعب معه امرأته ليل بنت أبي حشمة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عدى بن كعب . ثم عبد الله بن جحش بن رثاب ابن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه ، حليف بني أمية بن عبد شمس ، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جحش ، وهو أبو أحمد . وكان أبو أحمد رجلا ضريرا البصر ، وكان يطوف مكة ، أعلاها وأسفلها ، بغير قائد ، وكان شاعرا ، وكانت عنده الفرعة بنت أبي سفيان بن حرب . وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم فطلعت دار بني جحش هجرة ، فر بها عتبة بن ربيعة . والعباس بن عبد المطلب ، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة ، وهى دار أبان بن عثمان اليوم التي بالردم ، وهم مصعدون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عقبة بن ربيعة تخفق أبوابها يبابا ليس فيها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء ، ثم قال :

وكل دار وإن طالت سلامتها يوما ستدركها النكباء والحبوب

قال ابن هشام : وهذا البيت لأبي دؤاد الإيادي في قصيدة له . والحبوب : التوجع .

قال ابن إسحاق : ثم قال عتبة : أصبحت : دار بني جحش خلاء من أهلها ! فقال أبو جهل : وما تيكي عليه من قل بن قل .

قال ابن هشام القل : الواحد . قال لبدي بن ربيعة :

كل بني حرة مصيرهم قل وإن أكثر من العدد

قال ابن إسحاق : ثم قال : هذا عمل ابن أخى هذا ، فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا وقطع بيننا فكان منزل أبى سلمة بن عبد الأسد ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن جحش ، وأخيه أبى أحمد بن جحش ، على مبشر بن عبد المنذر ابن زبير بقاء ، فى بنى عمرو بن عوف ، ثم قدم المهاجرون لإرسالا ، وكان بنو غنم بن دودان أهل لإسلام ، قد أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرة رجالهم ونسائهم : عبد الله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد بن جحش ، وعكاشة بن محسن ، وشجاع ، وعقبة ، أبنا وهب ، وأربد بن حميرة .

قال ابن هشام : ويقال ابن حميرة .

قال ابن إسحاق : ومنقذ بن نباته ، وسعيد بن رقيش ، وحرز بن نضلة ، ويزيد بن رقيش ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن محسن ، ومالك بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، وثقف بن عمرو ، وربيعه بن أكرم ، والزبير بن عبيد وتمام بن عبيدة ، وسخيرة بن عبيدة ، ومحمد بن جحش .

ومن نسائهم : زينب بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجذامة بنت جندل ، وأم قيس بنت محسن ، وأم حبيب بنت ثمامة ، وآمنة بنت رقيش ، وسخيرة بنت تميم ، وحنمة بنت جحش .
وقال أبو أحمد بن جحش بن رئاب ، وهو يذكر هجرة بنى أسد ابن خزيمه من قومه إلى الله تعالى وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما جاءهم فى ذلك حين دعوا إلى الهجرة :

ولو حلفت بين الصفا أم أحمد
لنحن الآلى كنا بها ، ثم لم نزل
بها خيمت غنم ابن دودان وابتنت
إلى الله تغدو بين مشى وواحد
ومرونها بالله برت يمينها
بمكة حتى عاد غثا سمينا
وما إن غدت غنم وخف قطينها
ودين رسول الله بالحق دينها

وقال أبو أحمد بن جحش أيضا :

لما رأتنى أم أحمد غاديا
تقول : فأما كنت لا بد فاعلا
فقلت لها : بل يثرب اليوم وجهنا
إلى الله وجهى والرسول ومن يقيم
فكم قد تركنا من حميم مناصح
ترى أن وترأ نأينا عن بلادنا
دعوت بنى غنم لحقن دماهم
أجابوا بحمد الله لما دعاهم
وكنا وأصحابا لنا فارقوا الهدى
كفوجين : أما منهدا ففوق
طغوا وتمذوا كذبة وأزلهم
ورعنا إلى قول النبي محمد
نمت بأرحام لآلهم قريبة
فأى ابن أخت بعدنا يأمئكم
ستعلم يوما أيننا إذ تزايلوا
بذمة من أخشى بغيب وأرهب
فيمم بنا ألبدان ولتنا يثرب
وما يشاء الرحمن فالعبد يركب
إلى الله يوما وجهه لا يخيب
وناصحة تبكى بدمع وتندب
ونحن نرى أن الرغائب نطلب
وللحق لما لاح للناس ما حجب
إلى الحق داع والنجاح فأوعبوا
أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
على الحق مهدى ، وفوج معذب
عن الحق لإبليس نخابوا وخيوا
فطاب ولالة الحق منا وطيبوا
ولا قرب بالأرحام إذ لا نقرب
وأية صهر بعد صهرى ترقب
وزيل أمر الناس للحق أصوب

قال ابن هشام : قوله « ولتأثر ب » ، وقوله « إذ لا تقرب » ، عن غير ابن إسحاق قال ابن هشام : يريد بقوله : « إذ ، إذا ، كقول الله عز وجل : « إذ الظالمون موقوفون عند ربهم » ، قال أبو النجم العجلي :
ثم جزاه الله عنا إذ جرى جنات عدن في العلالى والبالا

اسلام عمرو بن الجموح وصنمه

فصل في اسلام عمرو بن الجموح : وذكر صنمه الذي كان يعبد ، واسمه مناة ، وزنه فعله من منيت الدم وغيره إذا صببته ، لأن الدماء كانت تمنى عنده تقربا إليه ، ومنه سميت الأصنام الدمي ، وفي الحديث : لا والدمى لا أرى بما تقول بأسا ، وكذلك مناة الطاغية التي كانوا يهلون إليها بقديد والحظ من هذا المطلاع ما في قوله تعالى « ومناة الثالثة الأخرى » ، من الفائدة جعلها ثلاثة للات والعزى ، وأخرى بالإضافة إلى مناة التي كان يعبد ها عمرو بن الجموح وذيره من قومه ، فهما منانان ، وإحداهما عن الأخرى بالإضافة إلى صاحبها .

الآن فتشاك عن سوء الغبن

وقوله :

الغبن في الرأى يقال غبن رأيه كما يقال سفه نفسه ، فنصبوا ، لأن المعنى : خسر نفسه ، وأوبقها وأفسد رأيه ونحو هذا .

وقوله إلهام مستدن ، من السدانة ، وهى خدمة البيت وتعظيمه .

وقوله ديان الدين : الدين جمع دينه ، وهى العادة ، ويقال لها دين أيضا ، وقال ابن الطبرية ، واسمه يزيد :

أرى سبعة يسعون للوصل كلهم له عند ليلى دينة يستدينها
فألقيت سهمي بينهم حين أوخشوا فما صار لى فى القسم إلا ثمينها

ويجوز أن يكون أراد بالدين : الأديان أى هو ديان أهل الأديان ، وليكن جمعها على الدين ، لأنها ملل ونخل ، كما قالوا فى جمع : الحرة : حرائر ، لانهن فى معنى الكرائم والعقائل ، وكذلك مرائر الشجر : وإن كانت الواحدة مرة ، وليكنها فى معنى فميلة : لأنها عـبرة فى الذوق ، وشديدة على الأكل ، وكرهية إليه .

تسمية بعض من شاهد العقبة : فصل : وذكر ابن إسحاق تسمية من حضر العقبة ، وذكر أنسابهم إلا أبا الهيثم بن التيهان ، وقد ذكرنا اسمه واسم أبيه ، وما قيل فى نسبه فى ذكر العقبة الأولى .

وذكر قطبة بن عامر ، والقطبة فيما ذكر أبو حنيفة واحدة القطب ، وهى شوكة مدرجة فيها ثلاث شويكات ، وهى تشبه حسك السعدان ، وقد بان بنعت أبى حنيفة له أنه الذى نسميه ببلادنا حمص الأمير . والقطبة : طرف النصل .

وذكر ذكوان بن عبد قيس ، ونسبه إلى عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن راحة بن غضب بن جشم ، والغضب فى اللغة : الشديد الحرارة ، وجشم معدول عن جاشم ، وهو من جشمت الأمر كما عدلوا عمر عن عامر وقد أملىنا جزءا فى أمرار ما ينصرف ، ومالا ينصرف شرحنا فيه فائدة العدل عن فاعل إلى فعل ، وما حقيقة العدل والمقصود به ، ولم لم يعدل عن أسماء الأجناس ، ولم لم يكن من الصفات إلا فى مثل عامر

وزافر وقائم ، ولم يكن في مالك وصالح وسالم ، ولم خص فعل هذا البناء بالعدل لآليه ، وهل عدل إلى بناء غيره أم لا ولم منع الخفض والتنوين إذا كان معدولا إلى هذا البناء ، فمن اشتاق إلى معرفة هذه الاسرار فلينظرها هنالك ، فإن ابن جني قد حام في كتاب الخصائص على بعضها ، فما ورد ، وصاحبا فما فتح .

وذكر في بني بياضة عمرو بن ودقة بذال معجمة . وقال ابن هشام : ودقة بدال مهملة : وهو الأصح ، والودقة : الروضة الناعمة سميت بذلك ، لأنها تقطر ماء من نعمتها ، والاداف الذكر وأصله : وداف سمي بذلك الموضع قطر الماء والمنى منه ، ويقال للروضة الناعمة : الدفري ، وعمرو بن ودقة هذا هو البياضي الذي روى عنه مالك في كتاب الصلاة ، ولم يسمه ، وفي الانصار بنو النجار ، وهم تيم الله بن ثعلبة ، سمي النجار فيما ذكروا لأنه نجر وجه رجل بقدوم وقيل : كان نجاراً ، وثعلبة في العرب كثير في الرجال ، وقيل ما يسمون بثعلب ، وإن كان ذلك هو القياس كما يسمون بنمر وسبع وذئب ، ولسكن الثعلب اسم مشترك ، إذ يقال ثعلب الريح ، وثعلب الخوض ، وهو مخرج الماء منه ، وفي الحديث حتى قام أو لبابة يسد ثعلب مربده بردائه ، فكأنهم عدلوا عن التسمية بثعلب لهذا الاشتراك ، مع أن الثعلبة أحق لأدراصها وأغير على أجزائها من الثعلب .

وذكر قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابنى سلة من سيدكم ؟ فقالوا جد بن قيس على بخل فيه ، فقال : وأى داء أكبر من البخل ؟ بل سيدكم الأبيض الجعد : بشر بن البراء ، وروى عن الزهري وعامر الشعبي أنها قالا في هذا الحديث عن النبي عليه السلام : بل سيدكم عمرو بن الجموح ، وقال شاعر الانصار في ذلك :

وقال رسول الله ، والحق قوله لمن قال منا من تعدون سيدا

فقالوا له : جد بن قيس على التي نبخله فيها ، وما كان أسودا

فسود عمرو بن الجموح لجوده وحق لعمرو عندنا أن يسودا

فصل : وذكر خديج بن سلامة البلوي ، وهو : خديج بنخاء منقولة مفتوحة ودال مكسورة ، كذا ذكره الدارقطني وغيره ، وذكره الطبري ، وقال : شهد بدرا ، وقال يكنى أبا رشيد :

وذكر معاذ بن جبل ونسبه إلى أدى بن سعد بن علي أخى سلة ، وقد انفرض عقب أدى ، وآخر من مات منهم عبد الرحمن بن معاذ بن جبل ، وقد يقال في أدى أيضا : أذن في غير رواية ابن إسحاق وابن هشام .

وذكر أن معاذ بن جبل مات في طاعون عمواس ، هكذا تقييد في النسخة عمواس بسكون الميم ، وقال فيه البكري في كتاب المعجم من أسماء البقع : عمواس بفتح الميم والعين ، وهي قرية بالشام عرف الطاعون بها لأنه منها بدأ وقيل : إنما سمي : طاعون عمواس لأنه عم وآسى أى جعل بعض الناس أسوة بعض .

وذكر يزيد بن ثعلبة بن خزيمة بسكون الزاي كذا قال فيه ابن إسحاق وابن الكلبي ، وقال الطبري فيه خزيمة بتحريك الزاي ، وهو بلوى من بني عمار بفتح العين وتشديد الميم ، ولا يعرف عمار في العرب إلا هذا ، كما لا يعرف عمار بكمز العين إلا أنى بن عمار الذي يروى حديثا في المسح على الخفين ، وقد قيل فيه عمار بضم العين ، وأما سوى هذين فعمار بالضم ، غير أن الدارقطني ذكر عن محمد بن حبيب عن ابن الكلبي في نسب قضاعة : قال مدرك بن عبد الله القمقام بن عمار بن زويد بن مالك . وفي النساء عمار بنت نافع ، وهي أم محمد ابن عبد الله بن عبد الرزاق ، وفي الانصار خزيمة سوى هذا المذكور بفتح الزاي كثير .

وذكر بنى الحبل والنسب إليه حبل بضم الحاء والباء قاله سيويه على غير قياس النسب ، وتوهم بعض ألف في العربية أن سيويه قال فيه : حبل بفتح الباء لما ذكره مع جذمى في النسب إلى جذيمة ولم يذكره سيويه معه ، لأنه على وزنه ، ولكن لأنه شاذ مثله في القياس الذى ذكرناه عن سيويه من تقييده بالضم ، ذكره أبو علي الفاي في البارع ، وقال هكذا تقييد في النسخ الصحيحة من سيويه ، وحسبك من هذا أن جميع المحدثين يقولون : أبو عبد الرحمن الحبل بضمين ، لا يختلفون في ذلك ، فدل هذا كله على غلط من نسب إلى سيويه أنه بفتح الباء .

هجرة أم سلمة وعثمان بن أبي طلحة : فصل : وذكر هجرة أم سلمة وصحبة عثمان بن طلحة لها ، ومرومئذ على كفره ، وإنما أسلم عثمان في هدنة الحديبية ، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد ، وقتل يوم أحد لإخوته مسافع ، وكلاب والحارث ، وأبوهم وعمه عثمان بن أبي طلحة قتل أيضا يوم أحد كافراً ويده كان مفاتيح الكعبة ودفنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفتح إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، وإلى ابن عمه شيبة بن أبي عثمان بن أبي طلحة وهو جد بنى شيبة حجة الكعبة ، واسم أبي طلحة جدهم : عبد الله بن عبد العزيز وقتل عثمان رحمه الله شهيداً بأجنادين في أول خلافة عمر .

هجرة بنى جحش : وذكر هجرة بنى جحش ، وهم : عبد الله وأبو أحمد واسمه : عبد ، وقد كان أخوه عبيد الله أسلم ثم تنصر بأرض الحبشة ، وزينب بنت جحش أم المؤمنين التي كانت عند زيد بن حارثة ونزلت فيه ، فلما قضى زيد منها وطراً زوجها كها ، وأم حبيب بنت جحش التي كانت تستحاض ، وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف وحممة بنت جحش التي كانت تحت مصعب بن عمير ، وكانت تستحاض أيضاً ، وقد روى أن زينب استحيضت .

أيضا ، ووقع في الموطأ أن زينب بنت جحش التي كانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، وكانت تستحاض ولم تك قط زينب عند عبد الرحمن بن عوف ، ولا قاله أحد ، والغلط لا يسلم بشر منه ، وإنما كانت تحت عبد الرحمن أختها أم حبيب ، ويقال فيها أم حبيبة ، غير أن شيخنا أبا عبد الله محمد بن نجاشي أخبرني أن أم حبيب كان اسمها : زينب فهما زينبان غلبت على إحداهما الكنية ، فعلى هذا لا يكون في حديث الموطأ وهم ولا غلط والله أعلم . وكان اسم زينب بنت جحش : برة فسمها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زينب ، وكذلك زينب بنت أم سلمة ربيته عليه السلام ، كان اسمها برة ، فسمها زينب كأنه كره أن تذكر المرأة نفسها بهذا الاسم ، وكان اسم جحش بن رباب : برة بضم الباء ، فقالت زينب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله لو غيرت اسم أبي ، فإن البرة صغيرة ، فقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : لو أبوت مسلما لسميته باسم من أسمائنا أهل البيت ، ولكنني سميت جحش والجحش أكبر من البرة . وذكر هذا الحديث مستنداً في كتاب المؤلف والمختاف أبو الحسن الدار قطنى .

الشعر الذى تمثل به أبو سفيان : فصل : ذكر البيت الذى تمثل به أبو سفيان حين مر بدار بنى جحش فغنوا بأبوابها ، وهو قوله :

وكل بيت وإمان طالت سلامته يوما ستدركه النكباء والمحوب
كل امرئ بقاء الموت مرتين كأنه غرض للوت منصوب

والشعر لأبي دؤاد الإيادى واسمه : حنظلة بن شرقى ، وقيل جارية بن الحجاج دار بنى جحش ، وأنها عند دار أبان بن عثمان بالردم ؛ والردم حفر ردم بالقتلى في الجاهلية ، فسمى : الردم ؛ وذلك في حرب كانت بين

بن جهم ، وبين بنى الحارث بن فهر ، وكانت الدبرة فيها على بنى الحارث ، ولذلك قال عددهم ، فهم أقل فريش عدداً .
وذكر ابن إسحاق شعر أبي أحمد بن جحش وفيه :

إلى الله وجهي والرسول ومن يقم إلى الله يوماً وجهه لا ينجب

هكذا يروى بكسر الباء على الإقواء ، ولو روى بالرفع لجاز على الضرورة ويكون تقديره : فلا ينجب
إختيار الفاء في مذهب أبي العباس ، وفي مذهب سيويه : يجوز أيضاً لا على إختيار التاء ، ولكن على تبة
التقديم للفعل على الشرط كما أنشدوا :

إنك إن بصرع أخوك تصرع

وهو مع إن أحسن ، لأن التقدير إنك تصرع إن بصرع أخوك . وأنشدوا أيضاً :

من يفعل الحسنات الله يشكره

على هذا التقدير ، وفي الشعر أيضاً :

ولا قرب بالأرحام إذ لا تقرب

وتأول ابن هشام إذ هنا بمعنى : إذا وهو خطأ من وجهين ، أحدهما : أن الفعل المضارع لا يحسن بعد إذا
مع حرف النفي ، وإنما يحسن بعد إذ كقوله سبحانه : « إذ يقول المنافقون ، ولو قلت : سأتيك إذا تقول كذا ،
كان قبيحاً إذا أخرتها ، أو قدمت الفعل لما في إذا من معنى الشرط ، وإنما يحسن هذا في حروف الشرط مع لفظ
الماضي ، يقول : سأتيك إن قام زيد ، ويقبح : سأتيك إن يقم زيد ، لأن حرف الشرط إذا أخر المضي ، وإذا ألقى
بفتح الفعل المعرب بعده ، غير أنه حسن في كيف نحو قوله سبحانه « ينطق كيف يشاء » ، ويسطه في التاء كيف
يشاء ، لسر بديع لعلنا نذكره إن وجدنا لشفرتنا محرراً ، ويحسن الفعل المستقبل مع إذا بعد القسم كقوله تعالى :
« والليل إذا يسرى » ، لانعدام معنى الشرط فيه ، فهذا وجه ، والوجه الثاني : أن إذ بمعنى إذا غير معروف في
الكلام ، ولا حكاية ثبت ، وما استشهد به من قول ربيعة ليس على ما ظن إنما معناه : ثم جزاء الله ربى إن جرى ،
أي من أجل أن نفعى وجرى هنى ، كما قال تعالى : « يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ، ففاعلى جرى : مضارع جازى
على الرجل المدوح ، وإذ بمعنى أن المفتوحة كذا قال سيويه في سواد الكتاب ، وشهد له قوله سبحانه : « بعد
إذا أنتم مسلمون » ، وعليه يعمل قوله سبحانه « ولن ينفعكم اليوم إذ ظنتم » ، وغفل النسوى عما في الكتاب من هذا ،
وجعل الفعل المستقبل الذى بعد ان عاملاً في الظرف الماضى ، فصار بمنزلة من يقول : سأتيك اليوم أمس ، وهذا
مراء من القول ، وغفلة عما في كتاب سيويه ، وليت شعري ما يقول في قوله سبحانه : « وإذا لم يهتدوا به
فيقولون : هذا إلفك قديم » ، فإن جوز وقوع المستقبل في الظرف الماضى على أصله الفاسد . فكيف يعمل ما بعد
الفاء فيما قبلها لاسيما مع السين ، وهو قبيح أن تقول : غدا سأتيك ، فكيف إن قلت : غدا سأتيك . فكيف إن
زدت على هذا وقلت : أمس فسأتيك ، وإذ على أصله بمنزلة أمس ، فهذا فضائح لاضطاء عليها .

فإن قال قائل : فكيف الوجه في قوله سبحانه « ولو ترى إذ وقفوا » ، وكذلك : « ولو ترى إذ نهضوا »
ناكسوا رؤوسهم ، أليس هذا كما قال ابن هشام بمعنى إذا التي تعطى الاستقبال ؟ .

فيل له : وكيف تكون بمعنى إذا ، وإذا لا يقع بعدها الابتداء والخبر . وقد قال سبعة : « إذ نهضوا »

ناكسور وسهم ، وإنما التقدير : ولو ترى ندمهم وحزنهم في ذلك اليوم بعد وقوفهم على النار ، فإذا ظرف ماض على أصله ، ولكن بالإضافة إلى حزنهم وندامتهم ، فالحزن والندامة واقعان بعد المعاينة والتوقيف ، فقد صار وقت التوقيف ماضياً بالإضافة إلى ما بعده ، والذي بعده هو مفعول ترى ، وهذا نحو ما يتوهم في قوله سبحانه : وفانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها ، فيتوهم أن إذا هاهنا بمعنى إذ ، لأنه حديث قد مضى ، وليس كما يتوهم ، بل هي على بابها ، والفعل بعدها مستقبل بالإضافة إلى الانطلاق ، لأنه بعده ، والانطلاق قبله ، ولولا حتى ، ماجاز أن يقال إلا انطلقا إذ ركبا ، ولكن معنى الغاية في حتى دل على أن الركوب كان بعد الانطلاق وإذا كان بعده ، فهو مستقبل بالإضافة إليه ، وكذلك مسألتنا الحزن ، وسوء الحال الذي هو مفعول لترى ، وإن كان غير مذكور في اللفظ ، فهو بعد وقت الوقوف ، فوق الوقوف ماض بالإضافة إليه ، وإذ لم يكن بد من حذف ، فكذلك نقدر حذفاً في قوله تعالى : « ولألم يهتدوا به » ونحوه لأنها وإن كانت بمعنى أن ، فلا بد لها من تعلق ، كأنه قال : جزيت بهذا من أجل أن ظلمتم ، أو من أجل أن لم يهتدوا به ضلوا .

جدامة - من نساء بني جحش : وذكر في نساء بني جحش : جدامة بنت جندل ، وأحسبه أراد جدامة بنت وهب بن محصن ، وهي المذكورة في حديث الرضاع في الموطأ ، وقال فيها خنف بن هشام البزار : جدامة بالذال المنقوطة هكذا ذكر عنه مسلم بن الحجاج والمعروف : جدامة بالذال ، وقد يقال فيها جدامة بالتشديد ، والجدامة قصب الزرع ، وأملى علينا أبو بكر الحافظ ، وكتبت عنه بخط يدي قال المبارك بن عبد الجبار عن أبي إسحاق البرمكي عن محمد بن زكريا بن حبويه عن أبي عمر الزاهد المطرز قال : الجدامة : بتشديد الدال طرف السعفة وبه سميت المرأة ، وكانت جدامة بنت وهب تحت أنيس بن قتادة الأنصاري وأما جدامة بنت جندل ، فلا تعرف في آل جحش الأسديين ، ولا في غيرهم ، ولعله وهم وقع في الكتاب ، وأنها بنت وهب بن محصن بنت أخي عكاشة بن محصن ، كما قدمنا والله أعلم .

ثقف بن عمرو : وذكر في بني أسد ثقف بن عمرو ، ويقال فيه : ثفاف شهد هو وأخوه مدلاج بدرًا وقتل يوم أحد شهيداً وقال موسى بن عقبة قتل يوم خيبر قتله أسير اليهودي

أم حبيب بنت ثمامة : وذكر فيهم أم حبيب بنت ثمامة ، وهي مما أغفله أبو عمرو في كتابه ، وأغفل أيضاً ذكر ثمام بن عبيدة ، وهو ممن ذكره ابن إسحاق في هذه الجملة المذكورين من بني أسد .

أربد بن جميرة : وذكر ابن إسحاق في هذه الجملة أربد بن جميرة الأسدي بالجيم ، وقاله ابن هشام : حميرة بالحاء ، ورواه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق بخلاف ما رواه البكائي وابن هشام ، فقال فيه ابن حمير بتشديد الياء ، كأنه تصغير حمار .

عمر بن فضلة : وذكر فيهم عمر بن فضلة ، ولم يرفع نسبه ، وهو ابن فضلة بن عبد الله بن مرة بن غنم بن دودان بن أسد قتل في غزوة ذي قرد شهيداً ، وكان قد شهد بدرًا ، وكان يعرف بالآخرم ، ويلقب : فبيرة ، وقال فيه موسى بن عقبة عمر بن وهب ، ولم يقل ابن فضلة .

يزيد بن رقيش : وذكر ابن إسحاق أيضاً يزيد بن رقيش ، وبعضهم يقول فيه : أربد ولا يصح ، وهو ابن رثاب بن يعمر بن كبير بن غنم بن دودان وذكر فيهم ربيعة بن أكم ، ولم ينسبه وهو ابن سنبرة بن عمرو بن نفير بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد يكنى : أبا يزيد ، وكان قصيراً دحساً قتل يوم خيبر بالنظاة قتله الحارث اليهودي .

هجرة عمر عياش

قال ابن إسحاق : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبي ربيعة المخزومي حتى قدما المدينة . فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن أبيه عمر بن الخطاب ، قال . اتعدت ، لما أردنا الهجرة إلى المدينة ، أنا وعياش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاصي بن وائل السهمي التناضب من أضاة بنى غفار ، فوق سرف ، وقلنا : أينما لم يصبح عندهما فقد حبس فليمض صاحباه . قال : فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب ، وحبس عنا هشام ، وفتن فافتن .

فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقاء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة ، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما ، حتى قدما علينا المدينة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فكلماه وقالوا : إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك : ففرق لهما ، فقلت له : يا عياش ، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك القمل لا متشطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت : قال : أبر قسم أمي ، ولي هنالك مال فأخذه . قال : فقلت : والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالا ، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما . قال : فأبى على إلا أن يخرج معهما ، فلما أبى إلا ذلك ، قال : قلت له : أما إذ قد فعلت ما فعلت ، فخذ ناقتي هذه ، فإنها ناقة نجبية ذلول فالزم ظهرها ، فإن رابك من القوم ريب ، فانج عليها . فخرج عليها معهما ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، قال له أبو جهل : يا ابن أخي ، والله لقد استغلظت بعيري هذا ، أفلا تعقبني على ناقتك هذه ؟ قال : بلى : قال : فأناخ ، وأناخا ليتحول عليها ، فلما استووا بالأرض عدوا عليه ، فأوثقاه وربطاه ، ثم دخلا به مكة ، وفتناه فافتن .

قال ابن إسحاق : فحدثني به بعض آل عياش بن أبي ربيعة : أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهاراً موثقاً ، ثم قالوا : يا أهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهاكم ، كما فعلنا بسفيهننا هذا .

كتاب عمر إلى هشام بن العاصي : قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن عمر في حديثه ، قال : فكنا نقول : ما الله بقابل من افتن صرفاً ولا عدلاً ولا توبة ، قوم عرفوا الله ، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم ! قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم . فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أنزل الله تعالى فيهم ، وفي قولنا وقولهم لأنفسنا : قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم . وأنبيوا إلى ربكم وأسلوا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون .

قال عمر بن الخطاب . فكتبته بيدي في صحيفة ، وبعثت بها إلى هشام بن العاصي قال : فقال هشام بن العاصي : فلما أتتني جعلت أقرؤها بذى طوى ، أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها ، حتى قلت اللهم فهمنيها . قال : فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا ، وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا . قال : فرجعت إلى بعيري ، فجلست عليه ، فالحقت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بالمدينة .

أمر الوليد بن الوليد مع عياش وهشام : قال ابن هشام : فحدثني من أثق به : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ، وهو بالمدينة : من لى بعباس بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاصي ؟ فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أنا لك يا رسول الله بهما ، فخرج إلى مكة ، فقدمها مستخفياً ، فلقى امرأة تحمل طعاماً ، فقال لها : أين تريدان يا أمة الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين - تعنيهما - فتبعها حتى عرف موضعهما ، وكانا محبوسين في بيت لاسقف له ، فلما أمسى تسور عليهما ، ثم أخذ مروة - فوضعهما تحت قيديهما ، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه : ذو المروة . لذلك ، ثم حملهما على بعيره ، وساق بهما ، فمثر قدميت أصبعه ، فقال :

هل أنت إلا أصبع دमित وفي سبيل الله ما لقيت

ثم قدم بهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة .

منازل المهاجرين بالمدينة

قال ابن إسحاق : وزل عمر بن الخطاب حين قدم المدينة ، ومن لحق به من أهله وقومه ، وأخوه زيد بن الخطاب ، وعمرو وعبد الله ابنا سراقه بن المعتمر وخنيس بن حذافة السهمي - وكان صهره على ابنته حفصة بنت عمر ، فخلف عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده - وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، ووافد بن عبد الله التميمي ، حليف لهم ، وخولى بن أبي خولى ، ومالك بن أبي خولى حليقان لهم .

قال ابن هشام : أبو خولى من بنى عجل بن لجم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

قال ابن إسحاق : وبنو البكير أربعتهم : إياس بن البكير ، وعافل ابن البكير ، وعامر بن البكير ، وخالد ابن البكير ، وحلفاؤهم من بنى سعد بن ليث ، على رفاعه بن المنذر بن زهير ، في بنى عمرو بن عوف بقاء ، وقد كان منزل عياش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة .

ثم تابع المهاجرون ، فنزل طلحة بن عبيد الله بن عثمان ، وصهيب بن سنان على خبيب بن إساف أخى بلحارث ابن الخزرج بالسنع . قال ابن هشام : ويقال : يساف فيما أخبرني عنه ابن إسحاق . ويقال : بل نزل طلحة بن عبيد الله على أسعد بن زرارة ، أخى بنى النجار .

قال ابن هشام : وذكر لى عن أبي عثمان النهدي ، أنه قال : بلغني أن صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكا حقيراً ، فكثير مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك ، فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلي ؟ قالوا نعم . قال : فإني جعلت لكم مالى . قال : فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ربيع صهيب ربيع صهيب .

قال ابن إسحاق : ونزل حمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو مرثد كنان بن حصن .

قال ابن هشام : ويقال ، ابن حصين - وابنه مرثد الغنويان ، حليفا حمزة بن عبد المطلب ، وأنسة ، وأبو كبشة ، موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على كلثوم بن هدم ، أخى بنى عمرو بن عوف بقاء . ويقال : بل نزلوا على سعد بن خيثمة ، ويقال . بل نزل حمزة بن عبد المطلب على أسعد بن زرارة ، أخى بنى النجار . كل ذلك يقال .

ونزل عبيدة بن الحارث بن المطلب ، وأخوه الطفيل بن الحارث ، والحسين بن الحارث ، ومسطح بن أثامه بن عباد بن المطلب ، وسويط بن سعد بن حرملة ، أخو بنى عبد الدار ، وطايب بن عمير ، أخو بنى

عبد بن قصي ، وخباب مولى عتبة بن غزوان ، على عبد الله بن سالم ، أخى بلعجلان بقاء .
ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أخى بلعارت بن الحزرج ، في دار بلعارت بن الحزرج .

ونزل الزبير بن العوام ، وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى ، على منذر بن محمد بن غنم بن أحيحة بن الجلاح بالعصبة ، دار بنى جمحجي .

ونزل مصعب بن عمير بن هاشم ، أخو بتي عبد امدار على سعد بن معاذ بن النعمان . أخى بنى عبد الأشهل ، في دار بنى عبد الأشهل .

ونزل أبو حذيفة بن حذيفة بن ربيعة ، وسالم مولى أبي حذيفة .

قال ابن هشام : سالم مولى أبي عتبة سائبة ، لثيثة (أوتية) بنت يعار بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، سبيته فاقطع إلى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة فتباه ، فقيل : سالم مولى أبي حذيفة ويقال : كانت ثميثة بنت يعار تحت أبي حذيفة بن عتبة فأعتقت سالما سائبة . قيل : سالم مولى أبي حذيفة .

قال ابن إسحاق : ونزل عتبة بن غزوان بن جابر على عباد بن بشر بن وقش أخى بنى عبد الأشهل في دار عبد الأشهل .

ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر ، أخى حسان بن ثابت في دار بنى النجار . فذلك كان حسان يحب عثمان ويبكيه حين قتل .

وكان يقال : نزل الاعزاب من المهاجرين على سعد بن خيصة ، وذلك أنه كان عزبا ، فانه أعلم أى ذلك كان .

هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينظر أن يؤذن له في الهجرة ، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن ، إلا على بن أبي طالب ، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق رضى الله عنهما ، وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا ، فيطمع أبو بكر أن يكونه .

قريش تتشاور في أمره عليه السلام : قال ابن إسحاق : ولما رأيت قريش أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد صارت له شبيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم منة ، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنهم قد أجمع لحربهم . فاجتمعوا له في دار الندوة - وهى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لا تقضى أمراً إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . حين خافوه .

قال ابن إسحاق ، فحدثني من لأتهم من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبي نجيح . عن مجاهد بن جبر أنى الحجاج ، وغيره من لأتهم ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : لما أجمعوا لذلك ، وانعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غدوا في اليوم الذى انعدوا له ، وكان ذلك اليوم

يسمى يوم الرحمة ، فاعترضهم لإبليس في هيئة شيخ جليل ، عليه بقة ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفا على بابها ، قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له ، فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا ، قالوا : أجل ، فأدخل ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشرف قريش ، من بني عبد شمس : عتبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب . ومن بني نوفل بن عبد مناف : طعيمة بن عدي ، وجبير بن مطعم ، والحارث بن عامر بن نوفل : ومن بني عبد الدار بن قصي : النضر بن الحارث بن كعدة . ومن بني أسد بن عبد العزى : أبو البختری بن هشام ، وزمعة بن الأسود بن المطالب ، وحكيم بن حزام . ومن بني مخزوم : أبو جهل بن هشام . ومن بني سهم : نبيه ومنبه ابنا الحجاج ، ومن بني جمح : أمية بن خلف ، ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا ، قال : فتشاوروا ثم قال قائل منهم : احبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ، زهيراً والناطقة ، ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم ، فقال الشيخ النجدي لا والله ، ما هذا لكم برأى . والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلا وشكوا أن يثبوا عليكم ، فيزعه من أيديكم ، ثم يثبوا عليكم ، ثم يثبوا عليكم ، حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى ، فانظروا في غيره ، فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فإذا أخرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ، ولا حيث وقع . إذا غاب عنا وفرغنا منه ، فأصلحنا أمرنا والفتنا كما كانت . فقال الشيخ النجدي : لا والله ، ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم ، حتى يبطأكم بهم في بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، دبروا فيه رأيا غير هذا . قال : فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه ، فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه ، فندرج منه . فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل ، فعقلناه لهم . قال : فقال الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي الذي لا رأى غيره ، فتفرق القوم على ذلك وهم يجمعون له .

استخلافه ، لعلي : فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا تبث هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبث عليه . قال : فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابهم يصدونه متى ينام فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلي بن أبي طالب : نم على فراشي وتسج ببردى هذا الحضرمي الأخضر ، فتم فيه ، فإنه لن يخلص إليك شيء تسكره منهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك إذا نام .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرطبي قال : لما اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل بن هشام فقال لهم على بابهم : إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتوه على أمره ، كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنات كجنان الأردن ، وإن لم تنفعلوا كان له فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها .

قال : وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حفنة من تراب في يده ، ثم قال أنا أقول ذلك ، أنت أحدهم . وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه ، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم ، وهو يتلو هؤلاء الآيات من : يس هـ والقرآن الحكيم هـ إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم . تنزيل العزيز الرحيم ، . . . وإلى قوله : « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » ، حتى فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ، فأتاهم آت بمن لم يكن معهم ، فقال : ما تنتظرون هاهنا ؟ قالوا : محمدا ، قال : خيبتكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا ؛ وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ قال : فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون ، فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فيقولون والله إن هذا لمحمد نائما ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام على - رضى الله عنه - عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا .

ما نزل في تربص المشركين بالنبى : قال ابن إسحاق : وكان لما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك اليوم ، وما كانوا أجمعوا له : « وإذ يكره بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » ، وقول الله عز وجل : « أم يقولون شاعر تتربص به ريب المنون . قل تربصوا فإني معكم من المتربصين » .

قال ابن هشام : المنون : الموت . وريب المنون : ما يريب ويعرض منها . قال أبو ذؤيب الهذلي :

أمن المنون وربها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

وهذا البيت في قصيدة له :

قال ابن إسحاق : وأذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك في الهجرة .

أبو بكر يطمع في الصحابة : قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلا ذا مال ، فكان حين استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل ، لعل الله يجد لك صاحبا ، قد طمع بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما يعنى نفسه ، حين قال له ذلك ، فابتاع راحلتين فاحتسبهما في داره ، يعلفهما لإعدادا لذلك .

حديث الهجرة إلى المدينة : قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : كان لا يخطيء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبى بكر أحد طرفي النهار ، إما بكرة ، وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، في الهجرة ، والخروج من مكة من بين ظهري قومه ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة ، في ساعة كان لا يأتي فيها . قالت : فلما رآه أبو بكر ، قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث . قالت : فلما دخل ، تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبى بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عني من عندك : فقال : يا رسول الله إنما هما ابنتاي ، وما ذاك ؟ فذاك أبى وأمى ! فقال : إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة . قالت : فقال أبو بكر ، الصعبة يا رسول الله ، قال الصعبة . قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكي

يوشد ، ثم قال : يانبي الله ، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا فاستأجرا عبد الله بن أرقط - رجلا من بنى الدليل بن بكر ، وكانت أمه امرأة من بنى سهم بن عمرو ، وكان مشركا - يدلهما على الطريق ، فدفعما إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما ليعادهما .

قال ابن إسحاق : ولم يعلم فيما بلغنى ، بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد . حين خرج ، إلا على بن أبى طالب ، وأبو بكر الصديق وآل أبى بكر . أما على فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة ، حتى يؤدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع ، التى كانت عنده للناس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم .

في الغار : قال ابن إسحاق : فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج ، أتى أبا بكر بن أبى قحافة ، فخرجا من خوذة لآبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عمدا إلى غار بشور - جبل بأسفل مكة - فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبى بكر أن يتسمع لما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة مولاة أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يرعيها عليهما ، يأتيهما إذا أمسى فى الغار ، وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ، أن الحسن بن أبى الحسن البصرى قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا ، فدخل أبو بكر رضى الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس الغار ، لينظر أفيه سبع أو حية ، يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

من قام بشأن الرسول فى الغار : قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثا ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائه ناقة ، لمن يرده عليهم . وكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش نهاره معهم ، يسمع ما يأترون به ، وما يقولون فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر . وكان عامر بن فهيرة ، مولى أبى بكر رضى الله عنه ، يرعى فى رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا عبد الله بن أبى بكر غدا من عندهما إلى مكة ، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعنى عليه ، حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس أتاها صاحبهما الذى استأجراه ببيعيريهما وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما بسفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عصاما فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة ، فإذا ليس لها عصام ، فتحل نطاقيها فتجمله عصاما ، ثم هلقتها به .

سبب تسمية أسماء بذات النطاقين : فكان يقال لأسماء بنت أبى بكر : ذات النطاق ، لذلك .

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين ، وتفسيره : أنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقيها باثنين ، فعلمت السفرة بواحد ، وانتظمت بالآخر .

راحلة الرسول : قال ابن إسحاق : فلما قرب أبو بكر ، رضى الله عنه ، الراحلتين إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، قدم له أفضلهما ، ثم قال : اركب ، فذاك أبي وأمي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاني لا أركب بغيرك ليس لي ، قال : فبني لك يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، قال : لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ، قال : قد أخذتها به ، قال : هي لك يا رسول الله . فركبا وانطلقا . وأردف أبو بكر الصديق رضي الله عنه عامر بن فهيرة موله خلفه ، ليخدمهما في الطريق .

أبو جهل يضرب أسماء : قال ابن إسحاق : حدثت أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه ، أتانا نفر من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت : لا أدري والله أين أبي . قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشا خبيثاً ، فلطم خدي لطمة طرح منها قرطى .

الجنى الذي تغنى بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم : قالت : ثم انصرفوا . فكئنا ثلاث ليال ، وما ندرى أين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة ، يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليتبعونه ، يسمعون صوته وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيق حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم تروحا فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدهما للؤمنين بمرصد

نسب أم معبد : قال ابن هشام : أم معبد بنت كعب ، امرأة من بني كعب ، من خزاعة وقوله « حلا خيمتي » و « هما نزلا بالبر ثم تروحا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن وجهه إلى المدينة وكانوا أربعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، وعبد الله بن أرقط دليلهما .

قال ابن هشام : ويقال : عبد الله بن أريقط .

موقف آل أبي بكر بعد الهجرة : قال ابن إسحاق : فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه عباداً حدثه عن جدته أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله ، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه . قالت : فدخل علينا جدي أبو قحافة ، وقد ذهب بصره ، فقال : والله لاني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه . قالت : قلت : كلا يا أبت ! إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً . قالت : فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ، ضع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه ، فقال : لا بأس ، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا بلاغ لكم ، ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك .

سراقة بن مالك : قال ابن إسحاق وحدثني الزهري أن عبد الرحمن بن مالك بن جهم حدثه ، عن أبيه ،

عن عمه سراقة بن مالك بن جعشم ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجراً إلى المدينة ، جعلت قريش فيه مائة ناقه لمن رده عليهم . قال : فبينما أنا جالس في نادى قومي إذ أقبل رجل منا ، حتى وقف علينا ، فقال : والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا على آنفأ ، إني لأراهم محمداً وأصحابه ، قال : فأومأت إليه بعيني أن اسكت ثم قلت قليلاً ، إنما هم بنو فلان ، يبتغون ضالة لهم ، قال : لهـ : ثم سكت . قال ثم مكثت ثم قلت فدخلت بيتي ، ثم أمرت بفرسى ، فقيد لي إلى بطن الوادي ، وأمرت بسلاحى ، فأخرج لي من دبر حجرتي ، ثم أخذت قداحى التى أستقسم بها ، ثم انطلقت ، فلبست لامتى ثم أخرجت قداحى ، فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذى أكرهه ولا يضره ، قال : وكنت أرجو أن أكرهه على قريش ، فأخذ المائة الناقه . قال : فركبت على أثره ، فبينما فرسى يشتد بى عثر بى ، فسقطت عنه . قال : فقلت : ما هذا ؟ قال ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذى أكرهه ولا يضره ، قال : فأبيت إلا أن أتبعه . قال : فركبت فى أثره ، فبينما فرسى يشتد بى عثر بى ، فسقطت عنه . قال : فقلت : ما هذا ؟ قال : ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذى أكرهه ولا يضره ، قال : فأبيت إلا أن أتبعه ، فركبت فى أثره . فلما بدا لي القوم ورأيتهم ، عثر بى فرسى ، فذهبت يده فى الأرض ، وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبعهم ما دخان كالإعصار . قال : فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع منى ، وأنه ظاهر . قال : فنسألت القوم : فقلت : أنا سراقة بن جعشم : انظرونى أكلمكم ، فوالله لا أريكم ، ولا يأتكم من شئ تكرهونه ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : قل له : وما تبتغى منا ؟ قال فقال ذلك أبو بكر ، قال : قلت : تسكتب لى كتاباً يكون آية بينى وبينك . قال : اكتب له يا أبا بكر .

فكتب لى كتاباً فى عظم ، أو فى رقعة ، أو فى خزفة ، ثم ألقاه إلى ، فأخذته ، فجعلته فى كنانتي ، ثم رجعت ، فسكت فلم أذكر شيئاً مما كان حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرغ من حنين والطائف ، خرجت ومعى الكتاب لألقاه ، فلقيته بالجرانة . قال : فدخلت فى كتبية من خيل الأنصار : قال : فجعلوا يقرعونى بالرماح ويقولون : إلهك إلهك ، ماذا تريد ؟ قال : فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته والله لكأنى أنظر إلى سافه فى غرزه كأنها جمارة . قال : فرفعت يدي بالكتاب ، ثم قلت : يا رسول الله ، هذا كتابك لى ، أنا سراقة بن جعشم ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم وفاء وبر ، أدنه . قال : فدنوت منه ، فأسألت . ثم تذكرت شيئاً أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره ، إلا أنى قلت : يا رسول الله ، الضالة من الإبل تعشى حياضى ، وقد ملأتهما لإبلى ، هل لى من أجر فى أن أسقيها ؟ قال : نعم ، فى كل ذات كبد حرى أجر . قال : ثم رجعت إلى قومي ، فسقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتى . قال ابن هشام : عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جعشم .

هجرة عمر وعياش : ذكر فيها تواعدهم التناضب بكسر الضاد ، كأنه جمع تنضب وهو ضرب من الشجر ، تألفه الجرباء . قال الشاعر :

إنى أتبع له حرباء تنضبة لا يرسل الساق إلا بمسكا سافا

ويقال لثمره الممتع وهو فنععل أدغمت النون فى الميم وظاهر قول سيبيويه : أنه فعلل وأنه مما لحقته الزيادة بالتضعيف ، والقول الأول يقويه أن مثله الهندلج ، وهو نبت وتتخذ من هذا الشجر القسي كما تتخذ من النبع والشوط والشریان والسرائ والاشكل ، ودخان التنضب ، ذكره أبو حنيفة فى النبات .

وقال الجعدي :

كان الغبار الذي غادرت ضحيا دواخن من تنضب

شبه الغبار بدخان التنضب لبياضه . وقال آخر :

وهل أشهدن خيلا كان غبارها بأسفل عاكس دواخن تنضب

وأضائة بنى غفار على عشرة أميال من مكة ، والأضائة الغدير ، كأنها مقلوب من وضائة على وزن فعلة ، واشتقاقه من الوضائة بالمد وهي النظافة ، لأن الماء ينظف ، وجمع الأضائة أضاء وقال النابغة :

علين بكديون وأبطن كرة وهن إضاء صافيات الغلائل

وهذا الجمع يحتمل أن يكون غير مقلوب ، فتكون الهمزة بدلا من الواو المكسورة في وضاء ، وقياس الواو المكسورة تقتضي الهمز على أصل الاشتقاق ، ويكون الواحد مقلوبا لأن الواو المفتوحة لا تهمز ، مع أن لام الفعل غير همزة ، وقد يجوز أن يكون الجمع محمولا على الواحد فيكون مقلوبا مثله ، ويقال أضاءه بالمد ، وقد يجمع أضائة على إضئين ، قاله أبو حنيفة وأنشد :

محافر كآسرية الإضئينا

الآسرية : جمع سري ، وهو الجدول ، ويقال له أيضا : السعيد .

قل يا عبادي الذين أسرفوا : فصل : وذكر نزول الآية : قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، الآية في المستضعفين بمكة ، وقول هشام بن العاص ، فمناجأتني وأنا بذى طوى . طوى : مقصور موضع بأسفل مكة ، ذكر أن آدم لما أهبط إلى الهند ، ومشى إلى مكة ، وجعل الملائكة ، تنتظره بذى طوى ، وأنهم قالوا له : يا آدم مازلنا ننتظرك هاهنا منذ ألفى سنة ، وروى أن آدم كان إذا أتى البيت خلع نعليه بذى طوى ، وأما ذو طواء بالمد ، فوضع آخر بين مكة والطائف هكذا ذكره البكري ، وأما طوى بضم الطاء والقصر المذكور في التنزيل ، فهو بالشام اسم للوادي المقدس ، وقد قيل : ليس باسم له ، وإنما هو من صفة التقديس ، أى : المقدس مرتين .

نزول طلحة وصهيب على خبيب بن إساف : فصل : وذكر نزول طلحة وصهيب على خبيب بن إساف ويقال فيه يساف بياء مفتوحة في غير رواية الكتاب ، وهو إساف بن عتبة ، ولم يكن حين نزول المهاجرين عليه مسلما في قول الواقدي بل تأخر إسلامه ، حتى خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بدر ، قال خبيب : فخرجت معه أنا ورجل من قومي ، وقتلنا له : نكره أن يشهد قومنا مشهداً لأنشهدده معهم ، فقال : أسلمتما ؟ فقلنا : لا ، فقال : ارجعا ، فإننا لا نستعين بمشرك .

وخبيب هو الذي خلف على بنت خارجة بعد أبي بكر الصديق ، واسمها : حبيبة ، وهي التي يقول فيها أبو بكر عند وفاته : ذو بطن بنت خارجة أراها جارية وهي : بنت خارجة بن أبي زهير ، والجارية : أم كلثوم بنت أبي بكر ، مات خبيب في خلافة عثمان ، وهو جد خبيب بن عبد الرحمن ، الذي يروى عنه مالك في موطنه .

أنسة وأبو كبشة : وذكر أنسة وأبا كبشة في الذين نزلوا على كلثوم بن الهدم ، فأما أنسة مولى رسول الله -

صلى الله عليه وسلم ، فهو من مولدى السراة ، ويكنى : أبا مسروح ، وقيل : أبا مشرح شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومات فى خلافة أبى بكر ، وأبو كبشة اسمه : سليم يقال إنه من فارس ، ويقال : من مولدى أرض دوس ، شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومات فى خلافة عمر فى اليوم الذى ولد فيه عروة بن الزبير ، وأما الذى كانت كفار قريش تذكره وتنسب النبى عليه السلام إليه ، وتقول : قال ابن أبى كبشة وفعل ابن أبى كبشة ففيل فيه أقوال : قيل : لأنها كنية أبيه لأموهب بن عبد مناف ، وقيل : كنية أبيه من الرضاة الحارث بن عبد العزى ، وقيل : لأن سلبى أخت عبد المطلب كان يكنى أبوها أبا كبشة وهو عمرو بن لبيد ، وأشهر من هذه الأقوال كلها عند الناس أنهم شبهوه برجل كان يعبد الشعرى وحده دون العرب ، فنسبوه إليه لخروجه عن دين قومه .

وذكر الدارقطنى اسم أبى كبشة هذا فى المؤلف والمختلف ، فقال : اسمه وجز بن غالب ، وهو خزاعى ، وهو من بنى غبشان .

نزولهم بقاء : وذكر نزولهم بقاء ، وهو مسكن بنى عمرو بن عوف وهو على فرسخ من المدينة ، وهو يمد ويقصر ويؤنث ويذكر ، ويصرف ولا يصرف ، وأنشد أبو حاتم فى صرفه :

ولا بغينكم قبا وعوارضا ولا قبلن الخيل لابة ضرغد

وكذلك أنشده قاسم بن ثابت فى الدلائل قبا بضم القاف الباء وهو عند أهل العربية تصحيف منهما جميعاً ، وإنما هو كما أنشده سيبويه : قناً وعوارضاً ، لأن قناً جبل عند عوارض يقال له ، ولجبل آخر معه قنوان وبينها وبين قباء مسافات وبلاد ، فلا يصح أن يقرن قباء الذى عند المدينة مع عوارض وقنوين ، وكذا قال البكرى فى معجم ما استعجم وأنشد :

كانها لما بدا عوارض والليل بين قنوين رابض

وقباء : مأخوذ من القبو ، وهو الضم والجمع قاله أبو حنيفة ، وقال : القوايى هن اللوانى يجمعن العصفير واحدتهن : قايبة . قال : وأهل العربية بسمون الضمة من الحركات قبواً ، وأما أفولهم : لا والذى أخرج قوباً من قايبة يعنون : الفرخ من البيضة فن قال فيه : قايبة بتقديم الباء ، فهو القبو الذى يقدم ، ومن قال فيه : قايبة ، فهو من لفظ القوب لأنها تتقوب عنه ، أى تتقشر قال السكيت يصف النساء :

لهن وللمشيب ومن علاه من الأمثال قايبة وقوب

وفى حديث عمر : فكانت قايبة قوب عامها ، يعنى : العمرة فى أشهر الحج ، وقد ذكر أن قباء اسم برى عرفت القرية بها .

سالم مولى أبى حذيفة : فصل : وذكر سالم مولى أبى حذيفة الذى كان أبو حذيفة قد تبناه كما تبني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زيدا ، وكان سائبة أى : لاولاء عليه لأحد ، وذكر المرأة التى أعتقته سائبة ، وهى ثيثة بنت يعار ، وقد قيل فى اسمها بثينة ذكره أبو عمر ، وذكر عن الزهرى أنه كان يقول فيها : بنت تعار وقال ابن شيبه فى المعارف : اسمها سلبى ويقل فى اسمها أيضاً : عمرة ، وقد أبطل التسييب فى العتق كثير من العلماء ، وجعلوا الولاء لكل من أعتق أخذاً بحديث النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك وجعله على العموم ، ولما روى أيضاً عن مسعود أنه قال : لا سائبة فى الإسلام ، ورأى مالك ميراث السائبة لجماعة المسلمين ، ولم ير ولأه من سيده ، فكان

للتسبب والعق عند حكان مختلفان ، وسالم هذا هو الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلة بنت سهيل أن ترضعه ليحرم عليها ، فأرضعته وهو ذو لحية .

فإن قيل : كيف جاز له أن ينظر إلى ثديها ، فقد روى في ذلك أنها حلبت له في مسعط وشرب اللبن ، ذكر ذلك محمد بن حبيب .

قريش تتشاور في أمر النبي : ذكر فيه تمثل إبليس - حين أتاهم - في صورة شيخ جليل وانتسابه إلى أهل نجد . قوله في صورة شيخ جليل يقول : جل الرجل وجلت المرأة إذا أسنت ، قال الشاعر :

وما حظها أن قيل عزت وجلت

ويقال منه : جللت يارجل بفتح اللام ، وقياسه جللت لأن اسم الفاعل منه : جليل ، ولكن تركوا الضم في المضاعف كله استتقالاته مع التضعيف إلا في لبنت ، فأنت لبيب ، حكاه سيبويه بالضم على الأصل .

ولما قال لهم : إني من أهل نجد فما ذكر بعض أهل السيرة ، لأنهم قالوا : لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد ، فلذلك تمثل لهم في صورة شيخ نجدى ، وقد ذكرنا في خبر بذيان الكعبة أنه تمثل في صورة شيخ نجدى أيضاً ، حين حكموا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أمر الركن : من يرفعه ، فصاح الشيخ النجدى : يامعشر قريش : أقدر ضيقت أن يليه هذه الغلام دون أشرافكم وذوى أسنانكم ، فإن صح هذا الخبر فلبعض آخر تمثل بنجدى ، وذلك أن نجاداً منها بطلع قرن الشيطان ، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قيل له : وفي نجدنا يارسول الله ؟ قال : هنالك الزلازل والفتن ، ومنها يطلع قرن الشيطان ، فلم يبارك عليها ، كما برك على اليمن والشام وغيرها ، وحديثه الآخر أنه نظر إلى المشرق ، فقال : إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان ، وفي حديث ابن عمر ، أنه حين قال هذا الكلام ، ووقف عند باب عائشة ، ونظر إلى المشرق فقال ، وفي وقوفه عند باب عائشة ناظراً إلى المشرق يحذر من الفتن ، وفكر في خروجها إلى المشرق عند وقوع الفتنة فهم من الإشارة واختم إلى هذا قوله عليه السلام حين ذكر نزول الفتن : أيقظوا صواحب الحجر . والله أعلم .

وذكر تشاورهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن بعضهم أشار بأن يحبس في بيت ، وبعضهم بإخراجه عليه السلام من بين أظهرهم ونفيه ، ولم يسم قائل هذا القول ، وقال ابن سلام ، الذي أشار بحبسه هو أبو البحتري ابن هشام ، والذي أشار بإخراجه ونفيه هو أبو الاسود ربيعة بن عمرو ، أحد بني عامر بن لؤى ، وقول أبي جهل نسيئاً وسيطاً ، هو من السطة في العشيرة ، وقد تقدم في باب تزويجه خديجة معنى الوسيط ، وأين يكون مدحا .

وأما قوله على بابه يتطلعون ، فيرون عليها وعليه برذر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظنون له إياه . فلم يزالوا قياماً حتى أصبحوا ، فذكر بعض أهل التفسير السبب المانع لهم من التقم عليه في الدار مع قصر الجدار ، وأنهم إنما جاءوا لقتله ، فذكر في الخبر أنهم هموا بالولوج عليه ، فصاحت امرأة من الدار ، فقال بعضهم لبعض : والله إنها للسببة في العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم ، وهتكنا ستر حرمتنا ، فهذا هو الذي أفاهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه ، ثم طمست أبصارهم عنه حين خرج ، وفي قراءة الآيات الأولى من سورة : يس من الفقه التذكرة بقراءة الخائفين لها اقتداء به عليه السلام ، فقد روى الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذكره فضل يس أنها إن قرأها خائف أمن ، أو جائع شبع أو عار كسى ، أو عاطش سقى حتى ذكر خلافاً كثيرة .

وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله في ذلك ، وشرح ابن هشام ريب المنون ، وأنشد قول أبي ذؤيب :

أمن المنون وريبه تتفجع

والمنون يذكر ويؤث ، فمن جعلها عبارة عن المنية أو حوادث الدهر أنت ، ومن جعلها عبارة عن الدهر ذكر ، وريب المنون ما يريبك من تغير الأحوال فيه ، سميت المنون لنزعها ممن الأشياء أى : قواها ، وقيل : بل سميت ممنونا لقطعها دون الآمال من قولهم : حبل منين أى : مقطوع ، وفي التنزيل قوله تعالى « فلهم أجر غير ممنون ، أى غير مقطوع .

الأذن للنبي بالهجرة : ذكر فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتى بيت أبي بكر في الظهيرة : قالت عائشة : وفي البيت أنا وأختي أسماء فقال أخوج من معك ، فقاو أبو بكر : إنما هما بنتاي يارسول الله . وقال في جامع البخارى : إنما هم أهلك يا رسول الله ، وذلك أن عائشة قد كان أبوها أنكحها منه قبل ذلك ، وكذلك روى عن أمها أم رومان بنت عامر بن عويمر ، ويقال في اسم أبيها : رومان بفتح الراء أيضاً ، فقال ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام في حديث طويل ثابت اختصرته : إن أبا بكر حين هاجر مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم خلف بناته بمكة ، فلما قدموا المدينة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم - زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه ، وأرسل أبو بكر عبد الله بن أريقط ، وأرسل معهم خمسمائة درهم ، فاشترى بها ظفراً بقديد ، ثم قدموا مكة فخرجوا بسودة بنت زمعة ، وبفاطمة وأم كلثوم . قالت عائشة : وخرجت أمى معهم ومع طاحنة بن عبيد الله مصطحبين ، فلما كنا بقديد نفر البعير الذى كنت عليه أنا وأمى : أم رومان في مخفة ، فجملت أمى تنادى : وابنيته واعروساه !! وفي رواية يونس عن ابن إسحاق ، وفيه قالت عائشة : فسمعت قائلاً يقول -- ولا أرى أحداً - ألى خطامه ، فألقىته من يدى ، فقام البعير يستدير به : كأن إنساناً تحته يسكه ، حتى هبط البعير من الثنية ، فسلم الله ، فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو بينى المسجد وأبياتاه ، فنزلت مع أبي بكر ، ونزلت سودة بنت زمعة في بيتها ، فقال أبو بكر : ألا تبني بأهلك يارسول الله ، فقال لولا الصداق ، قالت : فدفع إليه ثنتى عشرة أوقية : ونشأ ، والنش : عشرون درهماً ذكر الحديث . ورواه ابن أبي الزناد عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة .

راحلة ، صلى الله عليه وسلم : وفي حديث ابن إسحاق أن أبا بكر كان قد أعد راحلتين ، فقدم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة ، وهى أفضلهما ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاني لا أركب بعيراً ليس لى فقال أبو بكر : هو لك يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثن ، فقال أبو بكر : بالثن يارسول الله فركبها ، فسئل بعض أهل العلم . لم لم يقبلها إلا بالثن ، وقد أنفق أبو بكر عليه من ماله ما هو أكثر من هذا فقبل ، وقد قال عليه السلام : ليس من أحد أمن على فى أهل ومال من أبى بكر ، وقد دفع إليه حين بنى بعائشة ثنى عشرة أوقية ونشأ ، فلم ياب من ذلك فقال المستشول إنما ذلك لتكون هجرته إلى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام فى استكمال فضل الهجرة والجهاد على أتم أحوالها ، وهو قول حسن حدثنى بهذا بعض أصحابنا عن الفقيه الزاهد أبى الحسن بن اللوان رحمه الله .

وذكر ابن إسحاق فى غير رواية ابن هشام : أن الناقة التى ابتاعها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أبى بكر يومئذ هى : ناقة النبي تسمى بالجذعاء ، وهى غير العضباء التى جاء فيها الحديث حين ذكر رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - ناقة صالح ، وأنها تحشر معه يوم القيامة ، فقال له رجل : وأنت يومئذ على العصابة يا رسول الله ، فقال : لا . ابنتى فاطمة تحشر على العصابة ، وأحشر أنا على البراق ، ويحشر هذا على ناقة من نوق الجنة وأشار إلى بلال .

وذكر أذانه في الموقف في حديث طويل يرويه عبد الحميد بن كيسان عن سويد بن عمير ، وعبد الحميد مجهول عندهم . وفي مسند البزار عن أنس قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على العصابة ، وليست بالجدعاء ، فهذا من قول أنس : إنها غير الجدعاء ، وهو الصحيح ، لأنها غنمت ، وأخذ صاحبها العقيل بالمدينة ، فقال : بم أخذتني يا محمد ، وأخذت سابقة الحاج ، يعنى : العصابة ، فقال : أخذتك بحريرة حلفائك .

بكاء أبى بكر من الفرح : وذكر ابن إسحاق في قول عائشة - رضى الله عنها - ما كنت أرى أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى من الفرح . قالت ذلك لصفى سنها ، وأنها لم تكن علمت بذلك قبل ، وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى ، فأخذته استحسنانا له ، فقال الطائي يصف السحاب :

دم إذا وكفت في روضة طففت عيون أزهارها تبكى من الفرح
وقال أبو الطيب ، وزاد على هذا المعنى :

فلا تنكرن لها صرعة فن فرح النفس ما يقتل
وقال بعض المحدثين :

ورد الكتاب من الحبيب بأنه سيزورنى فاستعبرت أجفانى
غلب السرور على حقى لانه من فرط ما قد سرنى أبكائى
يا عين صار الدمع عندك عادة تبكين فى فرح وفى أحزان

مقارنة بين مكة والمدينة : فصل : ومن قوله عليه السلام حين خرج من مكة ، ووقف على الحزورة ونظر إلى البيت ، فقال : والله إنك لأحب أرض الله لى ، وإنك لأحب أرض الله لى الله ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت . يرويه ازهرى عن أبى سلية عن عبد الله بن عدى بن الحراء يرفعه ، وبعضهم يقول فيه : عن ازهرى عن أبى سلية عن أبى هريرة ، وهو من أصح ما يحتج به فى تفضيل مكة على المدينة ، وكذلك حديث عبد الله بن الزبير مرفوعا : إن صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة ألف صلاة فيما سواه فإذا كانت الأعمال تبعاً للصلاة ، فكل حسنة تعمل فى الحرام ، ففى بمائة ألف حسنة ، وقد جاء هذا منصوحاً من طريق ابن عباس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : من حج ماشياً كتب له بكل خطوة سبع مائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل : وما حسنات الحرم ؟ قال : الحسنة فيه بمائة ألف حسنة أسنده البزار .

حديث الغار : وهو غار فى جبل ثور ، وهو الجبل الذى ذكره فى تحریم المدينة ، وأنها حرام ما بين غير إلى ثور ، وهو وهم فى الحديث ، لأن ثوراً من جبال مكة ، وإنما لفظ الحديث عند أكثرهم ما بين غير إلى كذا ، كان المحدث قد نسى اسم المكان ، فكفى عنه بكذا .

وذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل فيما شرح من الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخله وأبو بكر

معه أنبت الله على بابه الرامة : قال قاسم : وهى شجرة معروفة ، فجذبت عن الغار أعين الكفار .

وقال أبو حنيفة : الرامة : من أغلاك الشجر ، وتكون مثل قامة الإنسان ، ولها خيطان ، وزهر أبيض تحشى به الحنّاد ، فيكون كالريش لحفته ولينه ، لأنه كالقطن وأنشد :

ترى ودك الشريف على لحام كمثل الرامة لبده الصقيع

وفى مسند البزار : أن الله تعالى أمر العنكبوت فانسجت على وجه الغار ، وأرسل حمامتين وحشيتين ، فوقعتا على وجه الغار ، وأن ذلك مما صد المشركين عنه ، وأن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين ، وروى أن أبا بكر -رضى الله عنه- حين دخله وتقدم إلى دخوله -قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم- ليقبه بنفسه ، رأى فيه جحراً فألقمه عقبه ، لئلا يخرج منه ما يؤذى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفى الصحيح عن أنس : قال : قال أبو بكر -رضى الله عنه- لرسول الله صلى الله عليه وسلم - وهما فى الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدمه لرآنا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ظنك باثنين ، الله ثالثهما ، وروى أيضاً أنهم لما عمى عليهم الأثر جاءوا بالقافة ، فجعلوا يقفون الأثر ، حتى انتهوا إلى باب الغار ، وقد أنبت الله عليه ما ذكرنا فى الحديث قبل هذا ، فعند ما رأى أبو بكر رضى الله عنه القافة اشتد حزنه على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقال : إن قتلت فإنما ، أنا رجل واحد ، وإن قتلت أنت هلكت الأمة ، فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحزن إن الله معنا ، ألا ترى كيف قال : لا تحزن ، ولم يقل لا تخف ؟ ! لأن حزنه على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شغله عن خوفه على نفسه ، ولأنه أيضاً رأى ما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم من النصب ، وكونه فى ضيقة الغار مع فرقة الأهل ، ووحشة الغربة ، وكان أرق الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشفقهم عليه ، فحزن لذلك ، وقد روى أنه قال ، نظرت إلى قدمى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى الغار ، وقد تقطرتا دماً ، فاستبكيك وعلمت أنه عليه السلام لم يكن تعود الحفاء والجفوة ، وأما الخوف فقد كان عنده من اليقين بوعده الله بالنصر لنبه : ما يسكن خوفه ، وقول الله تعالى : « فأنزل الله سكينته عليه » قال أكثر أهل التفسير : يريد على أبى بكر ، وأما الرسول فقد كانت السكينة عليه ، وقوله : « وأيده بجنود لم تروها » الهاء فى أيده راجعة على النبى ، والجنود : الملائكة أنزلهم عليه فى الغار ، فبشروه بالنصر على أعدائه ، فأيده ذلك ، وقواه على الصبر ، قيل أيده بجنود لم تروها ، يعنى يوم بدر وحنين وغيرهما من مشاهدته ، وقد قيل : الهاء راجعة على النبى عليه السلام فى الموضوعين جميعاً وأبو بكر تبع له ، فدخل فى حكم السكينة بالمعنى ، وكان فى مصحف حفصة . فأنزل الله سكينته عليهما ، وقيل : إن حزن أبى بكر كان عند ما رأى بعض الكفار يبول عند الغار ، فأشفق أن يكونوا قد رأوها ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : لا تحزن فإنهم لو رأونا لم يستقبلونا بفروجه عند البول ولا تشاغلوا بشئ عن أخذنا والله أعلم .

الرد على الرافضة فيما بهتوا به أبابكر : فصل : وزعمت الرافضة أن فى قوله عليه السلام لأبى بكر لا تحزن غضاً من أبى بكر وذماً له ، فإن حزنه ذلك : إن كان طاعة فالرسول عليه السلام لا ينهى عن الطاعة ، فلم يبق إلا أنه معصية ، فيقال لهم على جهة الجدل : قد قال الله لمحمد عليه السلام : « فلا يحزنك قولهم » ، وقال : « ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر » ، وقال لموسى : « خذها ولا تخف » ، وقالت الملائكة للوط : لا تخف ، ولا تحزن ، فإن زعمتم أن الانبياء حين قيل لهم هذا كانوا فى حال معصية ، فقد كفرتم ، ونقضتم أصلكم فى وجوب المعصية للإمام المعصوم فى زعمكم فإن الانبياء هم الأئمة المعصومون باجماع

ولإنما قوله : لا تحزن ، وقول الله لمحمد : لا يحزنك ، وقوله لالنبياؤه مثل هذا تسكين لجأشهم وتبشير لهم وتأنيس على جهة النهي الذي زعموا ، وإن كان كما قال سبحانه : « تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا » . وهذا القول إنما يقال لهم عند المعاينة ، وليس إذ ذاك أمر بطاعة ولا نهى عن معصية .

ووجه آخر من التحقيق ، وهو أن النهي عن الفعل لا يقضى كون المنهى فيه ، فقد نهى الله نبيه عن أشياء ، ونهى عباده المؤمنين ، فلم يقتض ذلك أنهم كانوا فاعلين لتلك الأشياء في حال النهي ، لأن فعل النهي فعل مستقبل ، فكذلك قوله : لا يكره : لا تحزن ، لو كان الحزن كما زعموا لم يكن فيه على أبي بكر - رضي الله عنه - ما ادعوا من الغرض ، وأما ما ذكرناه نحن من حزنه على النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن كان طاعة ، فلم ينه عنه الرسول عليه السلام إلا رفقاً به وتبشيراً له لا كراهية لعمله ، وإذا نظرت المعاني بعين الإنصاف لا بعين الشهوة والتعصب للذهاب لاحت الحقائق ، وانضحت الطرائق والله الموفق للصواب .

معية الله مع رسوله وصاحبه : وانتبه أيها العبد المأمور بتدبر كتاب الله تعالى لقوله : « إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » . كيف كان معهما بالمعنى ، وباللفظ ، أما المعنى فكان معهما بالنصر والإرفاد والهداية والإرشاد ، وأما اللفظ فإن أمم الله تعالى كان يذكر إذا ذكر رسوله ، وإذا دعى فقيلاً : يا رسول الله ، أو فعل رسول الله ، ثم كان لصاحبه كذلك يقال : يا خليفة رسول الله ، وفعل خليفة رسول الله ، فكان يذكر معهما ، بالرسالة وبالخلافة ، ثم ارتفع ذلك فلم يكن لأحد من الخلفاء ولا يكون .

حديث سراقه : هو سراقه بن مالك بن جعشم الكناني ثم المدلجي أحد بني مدلج بن مرة بن تميم بن عبد مناة ابن كنانة . وقد ذكر ابن إسحاق حديثه حين بذلت قريش مائة ناقة لمن رد عليهم محمداً عليه السلام ، وأن سراقه استقسم بالآزالام ، فخرج السهم الذي يكره ، وهو الذي كان فيه مكتوباً لا تضره إلى آخر القصة ، وأن قوائم فرسه حين قرب من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ساخت في الأرض ، وتبعها عثمان ، وهو : الدخان وجمعه : عواثن . وذكر غير ابن إسحاق أن أبا جهل لأمه حين رجع بلا شيء ، فقال وكان شاعراً :

أبا حـكم والله لو كنت شاهداً لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه
علت ولم تشكك بأن محمدأ رسول ببرهان فن ذا يقاومه ؟
عليك بكف القوم عنه ، فإننى أرى أمره يوماً ستبدو معالـه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم بأن جميع الناس طرا يسالـه

وقد قدمنا في هذا الكتاب عند ذكر كسرى ما فعله عمر بن الخطاب حين أتى بتاج كسرى ، وسواريه ومنطقته ، وأنه دعا بسراقه ، وكان أرب الذراعين ، فحلاه حلية كسرى ، وقال له : ارفع يدك ، وقل : الحمد لله الذي سلب هذا كسرى الملك الذي كان يزعم أنه رب الناس وكساها أعرابيا من بني مدلج . فقال ذلك سراقه ، ولإنما فعلها عمر لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان قد بشر بها سراقه حين أسلم ، وأخبره أن الله سيفتح عليه بلاد فارس ، ويغنمه ملك كسرى ، فاستبعد ذلك سراقه في نفسه ، وقال : أكسرى ملك الملوك ؟ ! فأخبره النبي - صلى الله عليه وسلم - أن حليته ستجعل عليه تحقيقاً للوعد ، وإن كان أعرابيا بوالا على عقبه ، ولكن الله يعز بالإسلام أهله ، ويسبغ على محمد وأمتة نعمته وفضله .

وفي السير من رواية يونس شعر لابي بكر رضى الله عنه في قصة الغار :

قال النبي - ولم يزل يوقرنى -
لا تخش شيئا ، فإن الله ثالثنا
ولنما كيد من تخشى بواذره
والله مهلكهم طرا بما كسبوا
وأنت مرتحل عنهم وتاركهم
وهاجر أرضهم حتى يكون لنا
حق إذا الليل وارتنا جوانبه
سار الاريقط يهدينا وأينقه
يعسفن عرض الثنايا بعد أطولها
حتى إذا قلت : قد أنجذن عارضها
يردى به مشرف الإفطار معتزم
فقال : كرو فقلت : إن كرتنا
أن يخسف الأرض بالاحوى وفارسه
فهيل لما رأى أرساغ مقربه
فقال : هل لكم أن تطلقوا فرسى
وأصرف الحى عنكم إن أنيتهم
فادعوا الذى هو عنكم كف عورتنا
فقالا قولا رسول الله مبتهلا
فنبهه سالما من شر دعوتنا
فأظهر الله إذ يدعو حوافره

ونحن فى سدف من ظلمة الغار
وقد توكل لى منه بإظهار
كيد الشياطين كادته لكفار
وجاعل المنتهى منهم إلى النار
إما غدوا وإما مدج سارى
قوم عليهم ذوو عز وأنصار
وسد من دون من تخشى بأستار
ينعبن بالقرم نعبا تحت أكوار
وكل سهب رفاق اللرب موار
من مدالج فارس فى منصب وار
كالسيد ذى اللبدة المستأسد الضارى
من دونها لك نصر الخالق البارى
فانظر لى أربع فى الأرض غوار
قد سخن فى الأرض لم يخفر بمخفر
وتأخذوا موثقى فى نصح أسرار
وأن أعور منهم عين عوار
يطلق جوادى وأنتم خير أبرار
يا رب إن كان منه غير إخبار
ومره مطلقا من كلم آثار
وفاز فارسه من هول أخطار

حديث أم معبد

وذكر عن أسماء بنت أبى بكر حين خفى عليها ، وعلى من معها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يدروا أين توجه ، حتى أتى رجل من الجن يسمعون صوته ، ولا يرونه ، فر على مكة والناس يتبعونه وهو يذهب هذه الآيات :

جزى الله رب الناس خير جزائه
هما نزلا بالبر ثم ترحلا
ليبن بنى كعب مقام فئاتهم
فيالقصى ما زوى الله عنكم
سلوا أختكم عن شاتها ولانائها
دعاها بشاة خائل فتخلبت
فغادرها رهنا لديها بحالب

رفيقين حلا خيمقى أم معبد
فأفلح من أمسى رفيق محمد
ومقعدا للبؤمين بمرصد
به من فعال لا يجازى وسودد
فانكم إن تسألوا الشاة تشهد
له بصريح ضرة الشاة مزبد
يردها فى مصدر ثم مورد

ويروى أن حسان بن ثابت لما بلغه شعر الجنى ، وما هتف به في مكة قال يحميه :

| | |
|------------------------------|---------------------------------|
| لقد خاب قوم غاب عنهم نبيلهم | وقد سر من يسرى إليهم ويغتدى |
| ترحل عن قوم فضلت عقولهم | وحل على قوم بنسور مجدد |
| هداهم به بعد الضلالة ربه | وأرشدهم من يتبع الحق يرشد |
| وهل يستوى ضلال قوم تسفوها | عمائتهم هاد بها كل مهتد |
| لقد نزلت منه إلى أهل يثرب | ركاب هدى حلت عليهم بأسعد |
| نبي يرى ما لا يرى الناس حوله | ويتلو كتاب الله في كل مشهد |
| وإن قال في يوم مقالة غائب | فتصديقه في اليوم أو في ضحى الغد |
| ليهن أبا بكر سعادة جده | بصحبه من يسعد الله يسعد |

وزاد يونس في روايته أن قريشا لما سمعت الهاتف من الجن أرسلوا إلى أم معبد ، وهى بخيمتها ، فقالوا : هل مر بك محمد الذى من حليته كذا ، فقالت : لا أدري ما تقولون ، وإنما ضافنى حالب الشاة الحائل ، وكانوا أربعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة مولى أنى بكر ، وقد تقدم التعريف به وطرف من ذكر فضائله فى هجرة الحبشة ، والرابع عبد الله بن أريقط الليثى ولم يكن إذ ذاك مسلماً ، ولا وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك ، وجاء فى حديث أنهم استأجروه ، وكان هادياً خريتا ، والخريت : الماهر بالطريق الذى يهتدى بمثل خرت الإبرة ، ويقال له : الخوتع أيضاً قال الراجز :

يضل فيها الخوتع المشهر

أم معبد وزوجها : وأما أم معبد التى مر بخيمتها ، فاسمها : عاتكة بنت خالد لإحدى بنى كعب من خزاعة وهى أخت حبيش بن خالد وله صحبة ورواية ، ويقال له الأشعر ، وأخوها : حبيش بن خالد سيأتى ذكره والخلاف فى اسمه وخالد الأشعر أبوهما ، هو : ابن خنيف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن كعب ابن عمرو وهو أبو خزاعة .

وزوجها أبو معبد يقال إن له رواية أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - توفى فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرف اسمه ، وكان منزل أم معبد بقديد ، وقد روى حديثها بألفاظ مختلفة متقاربة المعانى وقد روى ابن قتيبة فى غريب الحديث ، وتقصى شرح ألفاظه ، وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأم معبد : وكان القوم مرملين مستنئين . فطالبوا لبناً أولحما يشترونه ، فلم يجدوا عندها شيئاً ، فنظر إلى شاة فى كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم ، فسأها : هل بها من لبن ؟ فقالت : أجهد من ذلك ، فقال أتأذنين لى أن أحلبها فقالت بأى أنت وأمى ، إن رأيت بها حلباً فاحلبها ، فدعا بالشاة ، فاعتقلها ، ومسح ضرعها ، فتفاجت ودرت واجترت ودعا بإناء يربض الرهط أى : يشبع الجماعة حتى يربضوا ، فحلب فيه حتى مائه ، وسقى القوم حتى رووا ثم حلب فيه مرة أخرى علا بعد نهل ، ثم غادره عندها وذهبوا ، فجاء أبو معبد ، وكان غائباً فلما رأى اللبن قال ما هذا يا أم معبد أنى لك هذا والشاء عازب حبال ، ولا حلوبة بالبيت ؟ ! فقالت : لا والله ، إلا أنه مربنا رجل مبارك ، فقال صفه يا أم معبد فوصفته بما ذكر القتبى وغيره الحديث ، وبما ذكره القتبى فشرى حتى أراضوا جعله القتبى من استراض الوادى : إذا استنقع ومن الروضة وهى بقية الماء فى الحوض وأنشد :

وروضة سقيت فيها نضوى

طريق الرسول (ص) في هجرته: قال ابن إسحاق: فلما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط، سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل، حتى عارض الطريق أسفل من عسفان، ثم سلك بهما على أسفل أمج، ثم استجاز بهما، حتى عارض بهما الطريق، بعد أن أجاز قديدا، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك، فسلكت بهما الخرار ثم سلك بهما ثنية المرة، ثم سلك بهما لفقاً.

قال ابن هشام: ويقال لفتا. قال معقل بن خويلد الهذلي:

نزيماً محلباً من أهل لفت لحى بين أثلة والنحام

قال ابن إسحاق: ثم أجاز بهما مدلجة لقف ثم استبطن بهما مدلجة مجاج - ويقال: مجاج، فيما قال ابن هشام - ثم سلك بهما مرجع مجاج، ثم تبطن بهما مرجع من ذى القنوين - قال ابن هشام: ويقال: القنوين - ثم بطن ذى كشر، ثم أخذ بهما على الحداجد، ثم سلك بهما ذا السالم، من بطن أعداء مدلجة تعهن، ثم على العباييد قال ابن هشام: ويقال: العباييد، ويقال: العشانة يريد: العباييد.

قال ابن إسحاق: ثم أجاز بهما الفاجة، ويقال: الفاجة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن هشام: ثم هبط بهما العرج، وقد أبطأ عابهما بعض ظهرهم، فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أسلم، يقال له: أوس بن حجر، على جمل له - يقال له: ابن الرداء - إلى المدينة، وبعث معه غلاماً له يقال له: مسعود بن هنيذة، ثم خرج بهما دليلهما من العرج، فسلكت بهما ثنية الغائر، عن يمين ركوبة - ويقال: ثنية الغائر، فيما قال ابن هشام - حتى هبط بهما بطن رثم، ثم قدم بهما قباء، على بنى عمرو بن عوف لاثنى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين، حين اشتد الضحاء، وكادت الشمس تعتدل.

قباء: قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة، قال: حدثني رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، وتوكلنا قدومه، كنا نخرج إذا صلبنا الصبح، إلى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فإذا لم نجد ظلاً دخلنا وذلك في أيام حارة. حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، جالسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظل

ورواه الهروي حتى آرضوا على وزن آمنوا، أى ضربوا بأنفسهم إلى الأرض من الرى، وفي حديث آخر أن آل أبي معبد كانوا يؤرخون بذلك اليوم ويسموناه: يوم الرجل المبارك، يقولون فعلنا كيت وكيت قبل أن يأتينا الرجل المبارك، أو بعد ما جاء الرجل المبارك، ثم لأنها أتت المدينة بعد ذلك بما شاء الله، ومعها ابن صغير قد بلغ السعى فر بالمدينة على مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يكلم الناس على المنبر فانطلق إلى أمه يشتد، فقال لها يا أمّاء إني رأيت اليوم الرجل المبارك، فقالت له: يا بني ويحك هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

وبما يسأل عنه في هذا الحديث أن يقال: هل استمرت تلك البركة في شاة أم معبد بعد ذلك اليوم، أم عادت إلى حالها؟ وفي الخبر عن هشام بن حبيب الكعبي، أنا رأيت تلك الشاة وإنما لتأدم أم معبد وجميع صرما، أى: أهل ذلك الماء، وفي الحديث أيضاً من الغريب في وصف الشاة: قال ما كان فيها بصرة وهى النقط من اللبن تبصر بالعين.

دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أول من رآه رجل من اليهود ، وقد رأى ما كنا نضنع ، وأنا ننظر قدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علينا ، فصرخ بأعلى صوته : يا بني قيلة ، هذا جدكم قد جاء . قال : فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في ظل نخلة ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه في مثل سنه ، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل ذلك ، وركبه الناس وما يعرفونه من أبي بكر ، حتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر فأظله بردائه ، فعرفناه عند ذلك .

قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكر - على كلثوم بن هدم ، أخى بنى عمرو ابن عوف ، ثم أحد بنى عبيد : ويقال بل نزل على سعد بن خيشمة . ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن هدم إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من منزل كلثوم بن هدم جلس للناس في بيت سعد بن خيشمة وذلك أنه كان عزبا لا أهل له ، وكان منزل العزاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين ، فمن هنالك يقال : نزل على سعد بن خيشمة وكان يقال لبنت سعد بن خيشمة : بيت العزاب . فالله أعلم أى ذلك كان ، كلا قد سمعنا .

ونزل أبو بكر الصديق رضى الله عنه على خبيب بن إيساف ، أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسنح . ويقول قائل : كان منزله على خارجة بن زبد بن أبي زهير ، أخى بنى الحارث بن الخزرج .

وأقام على بن أبى طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها ، حتى أذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل معه على كلثوم بن هدم . فكان على بن أبى طالب ، إنما كانت إقامته بقاء ليلة أو ليلتين يقول : كانت بقاء امرأة لازوج لها مسلبة . قال : فرأيت إنسانا يأتيها من جوف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيه شيئا معه فتأخذه . قال : فاستربت بشأنه ، فقلت لها : يا أمة الله ، من هذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كل ليلة ، فتخرجين إليه فيعطيك شيئا لأدري ماهو ، وأنت امرأة مسلبة لازوج لك ؟ قالت : هذا سهل بن حنيف بن واهب ، قد عرف أنى امرأة لأحد لي ، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ، ثم جاءني بها ، فقال : احتطبي بهذا ، فكان على رضى الله عنه يأتى ذلك من أمر سهل بن حنيف ، حتى هلك عنده بالعراق .

قال ابن إسحاق : وحدثني هذا ، من حديث على رضى الله عنه ، هند بن سعد بن سهل بن حنيف ، رضى الله عنه .

بناء مسجد قباء : قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقاء ، في بنى عمرو بن عوف ، يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده .

ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة . وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك ، فالله أعلم أى ذلك كان . فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة في بنى سالم بن عوف ، فصلاها في المسجد الذى في بطن الوادى ، وادى راثوناء ، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة .

فأتاه عتب بن مالك ، وعباس بن عباد بن فضلة في رجال من بنى سالم بن عوف ، فقالوا : يا رسول الله . أقم عندنا في العدد والمدة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة . لناقته : فخلوا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بنى بياضة ، تلقاه زياد بن لبيد ، وفروة بن عمرو ، في رجال من بنى بياضة . فقالوا : يا رسول الله :

هلم إلينا ، إلى العدد والعدة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها : فانطلقت ، حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة ، اعترضه سعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو ، في رجال من بنى ساعدة ، فقالوا : يا رسول الله ، هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها ، فانطلقت ، حتى إذا وازنت دار بنى الحارث بن الخزرج ، اعترضه سعد بن الربيع ، وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن رواحة ، في رجال من بنى الحارث ابن الخزرج فقالوا : يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ، قال : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها . . فانطلقت ، حتى إذا مرت بدار بنى عدى بن النجار ، وهم أخواله دنيا - أم عبد المطلب ، سلمى بنت عمرو ، في رجال من بنى عدى بن النجار ، فقالوا : يا رسول الله ، هلم إلى أخوالك ، إلى العدد والعدة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها ، فانطلقت .

م برك الناقة : حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجار ، بركت على باب مسجده صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ مر بد لغلامين يتيمين من بنى النجار ، ثم من بنى مالك بن النجار ، وهما في حجر معاذ بن عفراء ، سهل وسهيل ابني عمرو . فلما بركت - ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليها - لم ينزل ، وثبت فسارت غير بعيد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يثنىها به ، ثم التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة ، فبركت فيه ، ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرائنها ، فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله ، فوضعه في بيته ، ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأل عن المريد لمن هو ؟ فقال له معاذ ابن عفراء : هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو ، وهما يتيمان لي وسأرضيها منه ، فاتخذ مسجدا .

قال : فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى مسجدا ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين في العمل فيه المهاجرون والانصار ، ودأبوا فيه ، فقال قائل من المسلمين :

لذلك منا العمل المضلل

لئن قعدنا والنبي يعمل

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون :

اللهم ارحم الانصار والمهاجرة

لا عيش إلا عيش الآخرة

قال ابن هشام : هذا كلام وليس برجز .

قال ابن إسحاق : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والانصار .
عمار والفتنة الباغية : قال : فدخل عمار بن ياسر ، وقد أثقلوه بالبن ، فقال : يا رسول الله ، قتلوني ، يحملون على ما لا يحملون . قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض وفرته بيده ، وكان رجلا جمدا ، وهو يقول : ويح ابن سمية ، ليسوا بالذين يقتلونك ، إنما تقتلك الفتنة الباغية .

وارتجز على بن أبي طالب رضى الله عنه يومئذ :

يدأب فيه قائما وقاعدا

لا يستوى من يعمر المساجدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

قال ابن هشام : سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر ، عن هذا الرجز ، فقالوا : بلغنا أن علي بن أبي طالب ارتجز به ، فلا يدري : أهو قائله أم غيره .

قال ابن إسحاق : فأخذها عمار بن ياسر ، فجعل يرتجز بها .

قال ابن هشام : فلما أكثر ، ظن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما يعرض به ، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن ابن إسحاق ، وقد سمي ابن إسحاق الرجل .

قال ابن إسحاق : فقال : قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا بن سمية ، والله إني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك . قال : وفي يده عصا . قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ما لهم ولعمار ، يدعوهم إلى الجنة ، ويدعونه إلى النار ، إن عمارا جادة ما بين عيني وأنفي ، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يستبق فاجتنبوه . قال ابن هشام : وذكروا سفيان بن عيينة عن زكريا ، عن الشعبي ، قال : إن أول من بنى مسجداً عمار بن ياسر .

الرسول ينزل في بيت أبي أيوب : قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب ، حتى بنى له مسجده ومساكنه ، ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبي أيوب ، رحمة الله عليه ورضوانه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن مرثد بن عبد الله الزني ، عن أبي رهم السامعي ، قال : حدثني أبو أيوب ، قال : لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي ، نزل في السفن ، وأنا وأم أيوب في العلو ، فقلت له : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، إني لا أكره وأعظم أن أكون فوقك ، وتكون تحتي ، فأظهر أنت فيكون في العلو ، ونزل نحن فنكون في السفن ، فقال : يا أبا أيوب ، إن أرفق بنا وبين بعشانا ، أن نكون في سفن البيت . قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفله ، وكنا فوقه في المسكن ، فلقد انكسر حب لنا فيه ماء فقممت أنا وأم أيوب بقطينة لنا ، مالنا لحاف غيرها ، نشف بها الماء ، تخوفاً أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم - منه شيء فيؤذيه .

قال : وكنا نصنع له العشاء ، ثم نبعث به إليه ، فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده ، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة ، حتى بعشنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له بصلاً أو ثوماً ، فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أر ليده فيه أثر . قال : فخبثته فزعا ، فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي رددت عشاءك ! ولم أر فيه موضع يدك ، وكنت إذا رددته علينا ، تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك ، نبتغي بذلك البركة ، قال : إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجي ، فأما أنتم فكلوه . قال : فأكلناه ، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد .

قال ابن إسحاق : وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق بمكة منهم أحد ، إلا مفتون أو محبوس ، ولم يوعب أهل هجرة من مكة بأهلهم وأموالهم إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أهل دور مسمون : بنو مظهر من جمح ، وبنو جحش بن رئاب ، حلفاء بني أمية ، وبنو البكير ، من بني سعد بن ليث ، حلفاء بني عدى بن كعب . فإن دورهم غلقت بمكة هجرة ، ليس فيها ساكن .

أبو سفيان وبنو جحش . ولما خرج بنو جحش بن رئاب من دارهم ، عدا عليها أبو سفيان بن حرب فباعها

من عمرو بن علقمة ، أخى بنى عامر بن لؤى ، فلما بلغ بنى جمح ماصنع أبو سفيان بدارهم ، ذكر ذلك عبد الله ابن جمح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارا خيرا منها فى الجنة ؟ قال بلى : قال : فذلك لك . فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كلمه أبو أحمد فى دارهم ، فأبطا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الناس لآبى أحمد : يا أبا أحمد ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن ترجعوا فى شئ من أموالكم أصيب منكم فى الله عز وجل ، فأمسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لآبى سفيان :

| | | | | | | |
|------------|----------|--------|-------|---------|--------|---------|
| أبلغ | أبا | سفيان | عن | أمر | عواقبه | ندامه |
| دار | ابن | عمك | بعثها | تقاضى | بها | الغرامه |
| وحليفكم | بالله | رب | الناس | يجتهد | القسمه | |
| أذهب بها ، | أذهب بها | طوقتها | طوق | الحمامه | | |

انتشار الاسلام : قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إذ قدمها شهر ربيع الاول إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بنى له فيها مسجده ومسكنه واستجمع له لإسلام هذا الحى من الأنصار ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها إلا ما كان من خطمة وواقف ووائل وأمية وتلك أوس الله ، وهم حى من الأوس ، فانهم أقاموا على شركهم .

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم : وكانت أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن - نعوذ بالله أن نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل - أنه قام فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فقدموا لأنفسكم تعلن والله ليضعن أحدكم ، ثم ليذعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه ، وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلغك ، وآتيتك مالا وأفضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك ، فليظنن يميننا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يبق وجهه من النار ولو بشق من تمره فليفعل ، ومن لم يجد فبكاسة طيبة ، فإن بها تجزى الحسنه عشرة أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قال ابن إسحاق : ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس مرة أخرى ، فقال : إن الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى ، قد أفلح من زينته الله فى قلبه ، وأدخله فى الإسلام بعد الكفر واختارة على ماسواه من أحاديث الناس ، إنه أحسن الحديث وأبلغه ، أحبوا ، ما أحب الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم ، ولا تملوا كلام الله وذكره ، ولا تقس عنه قلوبكم فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى ، قد سماه الله خيرته من الأعمال ، ومصطفاه من العباد ، الصالح الحديث ، ومن كل ما أوتى الناس من الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، واتقوه حق تقاته . وأصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم ، وتحابوا بروح الله بينكم ، إن الله يفتض أن ينكت عهده ، والسلام عليكم .

الرسول يوادع اليهود : قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأفرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم ، وهم يقدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الاولى ، كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الاولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الاولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الاولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الاولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الاولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الاولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الاولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل .

قال ابن هشام : المفرح : المثقل بالدين والكثير العيال ، قال الشاعر :

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم ، أو ابتغى دسيسة ظلم ، أو لائم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جميعا ، ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة ، يحجر عليهم أديانهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ، وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والاسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ، وإن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن في دون مؤمن في قتال في سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم ، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ، وإن المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ، ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه ، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر محدثا ، ولا يؤويه ، وأنه من نصره أو آواه فإن لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين مادموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، والمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ إلا نفسه ، وأهل بيته ، وإن لليهود بنى النجار مثل ما لليهود بنى عوف ، وإن لليهود بنى الحارث مثل ما لليهود بنى عوف ، وإن لليهود بنى جشم مثل ما لليهود بنى عوف ، وإن لليهود بنى عوف ، وإن لليهود بنى ثعلبة مثل ما لليهود بنى عوف ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته ، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وإن لبنى الشطيبة مثل ما لليهود بنى عوف ، وإن البر دون الإثم ، وإن موالى ثعلبة كأنفسهم ، إن بطانة

يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنه لا ينحجز على ثار جرح ، وإنه من فتك فبنفسه فتك ، إلا من ظلم ، وإن الله على أبر هذا ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم . وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للظلم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فإن مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وإذا دعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه ، فإنهم يصلحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب في الدين ، على كل أناس حصصهم من جانبهم الذي قبلهم ، وإن يهود الأوس ، ومواليهم وأنفسهم ، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض ، من أهل هذه الصحيفة .

قال ابن هشام : ويقال : مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة .

قال ابن إسحاق : وإن البر دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا يحول هذه الكتاب دون ظلم وأثم ، وإنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم أو أثم ، وإن الله جار لمن بر واتقى ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن إسحاق : وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال - فيما بلغنا ، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل : تأخوا في الله أخوين أخوين ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب ، فقال : هذا أخي فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذي ليس له خضير ولا نظير من العباد ، وعلى بن أبي طالب رضى الله عنه أخوين ، وكان حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسدرسوله صلى الله عليه وسلم ، وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخوين ، وإليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت ، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين ، الطيار في الجنة ، ومعاذ بن جبل ، أخو بني سلمة ، أخوين .

قال ابن هشام : وكان جعفر بن أبي طالب يومئذ غائبا بأرض الحبشة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ابن أبي قحافة ، وخارجة بن زهير ، أخو بلحارث ابن الخزرج ، أخوين ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعتبان بن مالك ، أخو بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج أخوين ، وأبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله ، وسعد بن معاذ بن النعمان ، أخو بني عبد الأشهل ، أخوين . وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن الربيع ، أخو بلحارث بن الخزرج ، أخوين . والزبير بن العوام ، وسلامة بن سلامة بن وقش ، أخو بني عبد الأشهل ، أخوين . ويقال : بل الزبير وعبد الله بن مسعود ، حليف ، بني زهرة أخوين ، وعثمان بن عفان ، وأوس بن ثابت بن المنذر ، أخو بني النجار ، أخوين . وطلحة بن عبيد الله ، وكعب بن مالك ، أخو بني سلمة ، أخوين وسعيد بن زيد بن عمرو

ابن نفيل ، وأبي بن كعب ، أخو بني النجار : أخوين ، ومصعب بن عمير بن هاشم ، وأبو أيوب خالد بن زيد ، أخو بني النجار : أخوين ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعباد بن بشر بن وقش ، أخو بني عبد الأشهل : أخوين . وعمار بن ياسر ، حليف بني مخزوم . وحذيفة بن اليمان ، أخو بني عبد عبس . حليف بني عبد الأشهل . أخوين ويقال : ثابت بن قيس بن الشماس ، أخو بلحارث بن الخزرج ، خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمار بن ياسر : أخوين . وأبو ذر ، وهو برير بن جنادة الغفاري والمزدر بن عمرو ، المعنق لموت . أخو بني ساعدة بن كعب بن الخزرج . أخوين .

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من العلماء يقول : أبو ذر : جناب بن جنادة .

قال ابن إسحاق : وكان حاطب بن أبي بلتعة ، حليف بني أسد بن عبد العزى وعويم بن ساعدة ، أخو بني عمرو ابن عوف ، أخوين ، وسلمان الفارسي وأبو الدرداء ، عويم بن ثعلبة ، أخو بلحارث بن الخزرج ، أخوين . قال ابن هشام عويم بن عامر ، ويقال : عويم بن زيد .

قال ابن إسحاق : وبلال ، مولى أبي بكر رضى الله عنهما ، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو رويحة ، عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ، ثم أحد الفزح ، أخوين . فهؤلاء من سمى لنا ، ممن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى بينهم من أصحابه .

فلما دون عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج إلى الشام ، فأقام بها مجاهدا ، فقال عمر لبلال : إلى من تجمل ديوانك يا بلال ؟ قال : مع أبي رويحة ، لا أفارقه أبدا ، للأخوة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه وبينى ، فضم ديوان الحبشة إلى خثعم ، لمكان بلال منهم ، فهو في خثعم إلى هذا اليوم بالشام .

قال ابن إسحاق : وهلك في تلك الأشهر أبو أمامة ، أسعد بن زرارة ، والمسجد بينى ، أخذته الذبحة أو الشبهة .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بئس الميت أبو أمامة ، ليهود ومناقفو العرب يقولون : لو كان نبيا لم يمت صاحبه ، ولا أملك لنفسى ولا لصاحبى عن الله شيئا .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الانصاري : أنه لما مات أبو أمامة ، أسعد بن زرارة ، اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو أمامة نقيبهم ، فقالوا له : يا رسول الله إن هذا قد كان مناحيث قد علمت ، فاجعل منار جلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : أنتم أخوالى ، وأنا بما فيكم ، وأنا نقيبكم ، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخص بها بعضهم دون بعض . فكان من فضل بني النجار الذى يعدون على قومهم ، أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبهم .

طريق الرسول صلى الله عليه وسلم

وذكر أن دليلهما سلك بهما عسفان : قال المؤلف رضى الله عنه : وقد روى عن كثير أنه قال : سمى عسفان لتعسف السيول فيه ، وسئل عن الأبواء الذى فيه قبر آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم : لم سمى الأبواء ؟ فقال : لأن السيول تنبؤه أى تحمل به ، وعسفان فيأروى كان مسكن الجذماء ، ورأيت في بعض المسندات أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم مر بعسفان وبه الجذماء فأمرع المشى ولم ينظر إليهم ، وقال : إن كان شيء من العلل يمدى فهو هذا ، وهذا الحديث هو من روايتي ، لأنه في مستند الحارث بن أبي أسامة ، وقد تقدم اتصال سندی به ، وكنت رأيته قبل في مسند وكيع بن الجراح ، وليس لي فيه إسناد .

فصل : وذكر أن دليلهم سلك بهم أجراً ثم ثنية المرة ، كذا وجدته مخفف الراء مقيدا ، كأنه مسهل المهمة من المرأة .

وذكر لقفا بفتح اللام مقيدا في قول ابن إسحاق ، وفي رواية ابن هشام : لفتاً ، واستشهد ابن هشام بقول معقل الحدلي :

نزيماً محلباً من أهل لفت لحى بين أثلة فالنجم

وألفيت في حاشية الشيخ على هذا الموضع قال : لفت بكسر اللام ألفيته في شعر معقل هذا في أشعار هذيل في نسختي ، وهي نسخة صحيحة جداً ، وكذلك ألفاه من وثقته وكلفته أن ينظر فيه لي في شعر معقل هذا في أشعار هذيل مكسور اللام في نسخة أبي على القالي المقروءة على الزيادة ، ثم على الاحول ، ثم قرأتها على ابن دريد رحمه الله ، وفيها صريحاً محلباً ، وكذلك كان الضبط في هذا الكتاب قديماً حتى ضبطته بالفتح عن القاضي ، وعلى ما وقع في غيرها انتهى كلام أبي بحر . وقد ذكر أبو عبيد البكري : لفتاً ، فقيده بكسر اللام كما ذكر أبو بحر وأنشد قبله :

لعنك ماخشيت ، وقد بلغنا جبال الجوز من بلد تهام
صريحاً محلباً : البيت

وذكر الموضع التي سلك عليها . وذكر فيها مجاج بكسر الميم وجيمين ، وقال ابن هشام : ويقال فيها : مجاج بالفتح ، وقد ألفيت شاهداً لرواية ابن إسحاق في لقف ، وفيه ذكر مجاج بالحاء المهملة بعد الجيم ، وهو قول محمد ابن عروة بن الزبير :

لعن الله بطن لقف مسيلاً ومجاحاً وما أحب مجاحاً
لقيت ناقتي به ، وبلقف بلداً مجدباً وأرضاً شحاحاً

هكذا ذكر الزبير بن أبي بكر ، ولقف آخر غير لفت فيما قال البكري .

وذكر مرجح بتقديم الجيم على الحاء ، وذكر مدلجة تعين بكسر التاء والهاء ، والتاء فيه أصلية على قياس النحو فوزنه فعلل إلا أن يقوم دليل من اشتقاق على زيادة التاء أو تصح رواية من رواه تعين بضم التاء ، فإن صحت فالتاء زائدة ، كسرت أو ضمت وبتعين صخرة ، يقال لها : أم عقي عرفت بامرأة كانت تسكن هناك ، فربها للنبي صلى الله عليه وسلم واستسقاها فلم تسقه ، فدعا عليها فسمخت صخرة فهي تلك الصخرة فيما يذكر .

وذكر الجداجد بجيمين ودالين كأنها جمع جدجد ، وأحسبها آباراً في الحديث : أتينا على بئر جدجد قال أبو عبيد : الصواب : بئر جد أي قديمة ، وقال الهروي عن اليزيدي : وقد يقال : بئر جدجد قال : وهو كما يقال في السككم وفي الرف رفرف .

وذكر العبايد كأنه جمع عباد ، وقال ابن هشام : هي العبايب ، كأنها جمع : عباب من عبيت الماء عبا ، فكأنها - والله أعلم - مياه تعب عابا أو تعب عبا .

وذكر الفاجة بفاء وجيم ، وقال ابن هشام : هي : القاحة بالقاف والحاء .

أوس بن حجر : وذكر قدومهم على أوس بن حجر ، وهو أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمي ، وبعضهم يقول فيه : ابن حجر ، وهو قول الدارقطني ، والمعروف ، بن حجر بضم الحاء ، وقد تقدم في المبعث ذكر من اسمه حجر في أنساب قريش ومن يسمى حجرا من غيرهم بسكون الجيم ، ومن يسمى الحجر بكسر الحاء ، فانظره هنالك عند ذكر خديجة وأما ، ولا يختلف في أوس بن حجر أنه بفتححتين .

وذكر أن أوسا حمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على جمل له ، يقال له : ابن الرداء ، وفي رواية يونس ابن بكير عن ابن إسحق يقال له : الرдах ، وفي الخطابي أنه قال لغلame مسعود وهو مسعود بن هنيذة : اسلك بهم المخارق بالقاف ، قال : والصحيح المخارم ، يعني : مخارم الطريق ، وفي النسوي أن مسعودا هذا قال : فكنت آخذ بهم لإخفاء الطريق . وفقه هذا أهم كانوا خائفين ، فلذلك كان يأخذ بهم لإخفاء الطريق ومخارقه ، وذكر النسوي في حديث مسعود هذا : أن أبا بكر قال له : أنت أبا تميم فقل له يحملني على بعير ويبعث إلينا بزاد ، ودليل يدلنا في هذا أن أوسا كان يكنى أبا تميم ، وأن مسعودا هذا قد روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحفظ عنه حديثا في الخمس وحديثا في صلاة الإمام بالواحد والاثنين ذكره النسوي في هذا الحديث ، غير أنه قال في مسعود هذا : غلام فروة الأسلمي . وقال أبو عمر قد قيل في أوس هذا إن اسمه تميم ، ويكنى أبا أوس فالله أعلم

وروى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لمسعود حين انصرف إلى سيده مرسيك أن يسم الإبل في أعناقها قيد الفرس ، فلم تزل تلك سمتهم في إبلهم ، وقد ذكرنا في شرح قصيدة أبي طالب عند قوله : موسمة الأعضاد أسماء السمات كالعراض والخباط والهلل ، وذكرنا قيد الفرس ، وأنه سمة في أعناقها ، وقول الراجز :

كوم على أعناقها قيد الفرس تنجو إذا الليل تداني والتبس

تأريخ قدوم الرسول إلى المدينة : كان قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الإثنين لاثنتي عشرة من ربيع الأول ، وفي شهر أيلول من شهر العجم ، وقال غير ابن إسحاق قدمها ثمان خلون من ربيع الأول ، وقال ابن الكلبي : خرج من الغار يوم الإثنين أول يوم من ربيع الأول ، ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة منه ، وكانت بيعة العقبة أوسط أيام التشريق .

كلثوم بن الهدم : فصل : وذكر ابن إسحاق نزول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على كلثوم بن الهدم وكلثوم هذا كنيته أبو قيس ، وهو كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو ابن عوف بن مالك بن الأوس ، وكان شيخا كبيرا مات بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم - المدينة بيسير ، هو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم مات بعده أسعد بن زرارة بأيام وسعد بن خيشمة ، وأنه كان يقال لبيته : بيت العزاب هكذا روى - وصوابه : الأعزب ، لانه جمع عزب ، يقال رجل عزب ، وامرأة عزب ، وقد قيل : امرأة عزبة بالناء .

مسجد قباء : فصل : وذكر تأسيس مسجد قباء ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسسه لبنى عمرو بن عوف ثم انتقل إلى المدينة ، وذكر ابن أبي خيثمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسسه ، كان هو أول من وضع حجراً في قبلته ، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى حجر أبي بكر ، ثم أخذ الناس في البناء . في الخطابي عن الشموس بنت النعمان قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجد قباء يأتي بالحجر قد صهره إلى بطنه ، فيضعه فيأتى الرجل يريد أن يقله فلا يستطيع حتى يأمره أن يدعه ويأخذ غيره . يقال : صهره وأصهره إذا ألصقه بالشيء ، ومنه اشتقاق الصهر في القرابة ، وهذا المسجد أول مسجد بنى في الإسلام ، ولما نزلت فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، فهو على هذا المسجد الذي أسس على التقوى ، وإن كان قد روى أبو سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال : هو مسجدى هذا وفي رواية أخرى قال : وفي رواية أخرى قال : وفي الآخر خير كثير ، وقد قال لبنى عمرو بن عوف حين نزلت المسجد أسس على التقوى ، ما الظهور الذي أثنى الله به عليكم ؟ فذكروا له الاستنجاء بالماء بعد الاستنجار بالحجر ، فقال : هو ذا كم فليكموه ، وليس بين الحديث تعارض كلاهما أسس على التقوى ، غير أن قوله سبحانه : من أول يوم يقتضى مسجد قباء لأن تأسيسه كان في أول يوم من حلول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دار معجزته والبلد الذي هو مهاجرة .

التأنيخ العربي : وفي قوله سبحانه : من أول يوم . وقد علم أنه ليس أول الأيام كلها ، ولا أضافه إلى شيء في اللفظ الظاهر فيه من الفقه صحة ما اتفق عليه الصحابة مع عمر حين شاورهم في التاريخ ، فاتفق رأيهم أن يكون التاريخ من عام الهجرة لأنه الوقت الذي عز فيه الإسلام ، والذي أمر فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأسس المساجد . وعبد الله آمننا كما يحب ، فوافق رأيهم هذا ظاهر التنزيل ، وفهمنا الآن بفعلهم أن قوله سبحانه من أول يوم أن ذلك اليوم هو أول أيام التاريخ الذي يؤرخ به الآن ، فإن كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا هذا من الآية ، فهو الظن بأفهامهم ، فهم أعلم الناس بكتاب الله وتأويله ، وأفهمهم بما في القرآن من إشارات وإفصاح ، وإن كان ذلك منهم عن رأي واجتهاد ، فقد علم ذلك منهم قبل أن يكونوا وأشار إلى صحته قبل أن يفعل ، إذ لا يغل قول القائل فعلته أول يوم إلا بإضافة إلى عام أو شهر معلوم ، أو تاريخ معلوم ، وليس هاهنا إضافة في المعنى إلا إلى هذا التاريخ المعلوم لعدم القرآن الدالة على غيره من قرينة لفظه . أو قرينة حال فتدبره ففهم معتبر لمن اذكر وعلم لمن رأى بعين فؤاده واستبصر والحمد لله .

من ودخولها على الزمان وغيره : وليس يحتاج في قوله من أول يوم إلى إضمار كما قررره بعض النحاة : من تأسيس أول يوم ، فراراً من دخول من على الزمان ، ولو لم يظن بالتأسيس لكان معناه من وقت تأسيس أول يوم فإضماره للتأسيس لا يفيد شيئاً ، ومن تدخل على الزمان ، وغيره ، ففي التنزيل : من قبل ومن بعد ، والقبل والبعد زمان ، وفي الحديث : ما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تطلع الشمس إلى أن تغرب ، وفي شعر النابغة :

تورثن من أزمان يوم حليلة إلى اليوم قد جربن كل التجارب

وبين من الداخلة على الزمان ، وبين منذ فرق بديع قد بديعة في شرح آية الوصية .

تحللت وورثت والحجران فصل : وذكر لقاف . كل قبيلة من الأنصار له يقرأون : هلم إلينا يا رسول الله إلى

لعدد والعدة فيقول : خلوا سبيلها فإنها مأمورة حتى بركت بموضع مسجده ، وقال تملحلت ورزمت وألفت بجرانها
أي : بمنقها ، وفسره ابن قتيبة على تملح على أي : لزم مكانه : ولم يبرح ، وأشد :

أناس إذا قيل انفروا قد أنيتهم أقاموا على أنفالمهم وتلححوا

قال : وأما تملحلت بتقديم الحاء على اللام فعناه : زال عن موضعه ، وهذا الذي قاله قولي من جهة الاشتقاق
بأن التملح يشبه أن يكون من لححت عينه إذا التفتت ، وهو ابن عمي لحا

وأما التملحلت : فاشتقاقه من الحل والانحلال بين ، لانه انفكك شيء من شيء ، ولكن الرواية في سيرة ابن
إسحاق : تملحلت بتقديم الحاء على اللام ، وهو خلاف المعنى إلا أن يكون مقولاً من تملحلت ، فيكون معناه :
لصقت بموضعها ، وأقامت على المعنى الذي فسرته ابن قتيبة في تملحلت

وأما قوله : ورزمت الناقه رزوماً إذا أقامت من الكلال ، ونوق رزى ، وأما أرزمت بالالف ، فعناه :
رغت ، ورجعت في رغاها ، ويقال منه : أرزم الرعد ، وأرزمت الريح قاله صاحب العين ، وفي غير هذه السيرة
أنا لما ألفت بجرانها في دار بني النجار جعل رجل من بني سلة ، وهو جبار بن صخر بنخسها رجاء أن تقوم فتعرك
في دار بني سلة فلم تفعل .

المربد وقوله كان المسجد مربداً . المربد والجربن والمسطح وهو بالفارسية : مشطاح والجوخار والبيدر
والأندر لغات بمعنى واحد للموضع الذي يحمل فيه الزرع والتمر للتيسر ، وأشد أبو حنيفة في المسطح .

تري الاممير المحزو فيه كأنه من الحر في نحر الظهيرة مسطح

قال : والمحزو من : حزوت الشيء : إذا أظهرته والمسطح هو بالفارسية : مشطاح ، وأما المسطح الذي هو
عود الحباء فغريبة .

وذكر أن ذلك المربد كان لسمل وسهيل ابني عمرو يقيمين في حجر معاذ بن عفراء ولم يعرفهما بأكثر من
هذا ، وقال موسى بن عقبة : كانا يقيمين في حجر أسعد بن زرارة وهما ابنا رافع بن عمرو بن أبي عمرو بن عبد
ابن ثعلبة بن مالك بن النجار شهد سهيل منهما بدزا ، والمشهد كلها ، ومات في خلافة عمر ولم يشهد سهل بدراً ،
رشهد غيرهما ومات قبل أخيه سهيل .

بنيان المسجد : فصل : وذكر بنيان المسجد إلى آخر القصة : وفي الصحيح أنه قال : يا بني النجار ثامنوني
بما نطقكم حين أراد أن يتخذ مسجداً ، وقد ترجم البخاري على هذه المسألة لفقه ، وهو أن البائع أولى بتسمية النحن
الذي يطلبه ، قال أنس : وكان في موضع المسجد نخل وخرب ومقابر مشركين ، فأمر بالقبور فنبشت وبأخرب
فسويت ، وبالنخل فقطعت .

ويروى في هذا الحديث نخل وحرث مكان قوله : وخرب ، وروى عن قتادة بنت عبد الرحمن الإصارية
قالت : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - حين بنى المسجد يؤمه جبريل إلى الكعبة ويقم له القبلة .

وذكر فيه قول الرجل لعمار : قد سمعت ما تقول يا بن سمية . قال ابن هشام : وقد سمي ابن إسحاق الرجل .
وكره ابن هشام أن يسميه كي لا يذكر أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - بمكرهه . فلا ينبغي إذا
البحث على اسمه .

سمية : وسمية : أم عمار وقد تقدم التعريف بها في الهجره الأولى ونهبنا على غلط ابن قتيبة فيها فإنه جعلها وسمية أم زياد واحدة وسمية أم زياد كانت للحارث بن كعدة المتطبب ، والأولى : مولاة لبني مخزوم وهي سمية بنت خباط كما تقدم ، وكان أهدى سمية إلى الحرث رجل من ملوك اليمن : يقال له أبو جبر ، وذلك أنه عالج له من داء كان به فبرئ ، فوهبها له ، وكانت قبل أبي جبر للملك من ملوك الفرس وقد عليه أبو جبر ، فأهداها إليه الملك ذكره ابن قتيبة وفي جامع معمر بن راشد أن عمارا كان ينقل من بنيان المسجد لبنتين ، لبنة عنه ، ولبنة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والناس ينقلون لبنة واحدة ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - للناس أجر ولك ، أجران ، وآخر زادك من الدنيا شربة ابن : وتقتلك الفئمة الباغية فلما قتل يوم صفين دخل عمرو على معاوية فرعا ، فقال : قتل عمار ، فقال معاوية ، فإذا ؟ فقال عمرو : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : يقتله الفئمة الباغية ، فقال معاوية دحضت في بولك أنحن قتلناه ؟ إنما قتله من أخرجه ؟ ! .

عمار أول من بنى مسجدا : وذكر ابن إسحاق في هذا الموضع الحديث الوارد في عمار ، وهو : أول من بنى لله مسجدا عمار بن ياسر ، يقال : كيف أضاف إلى عمار بنيان المسجد ، وقد بناه معه الناس ؟ فيقول إنما عنى بهذا الحديث مسجد قباء ، لأن عماراً هو الذي أشار على النبي - صلى الله عليه وسلم - ببنيانه ، وهو جمع الحجارة له ، فلما أسسه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استتم بنيانه عمار .

أطوار بناء المسجد : كذلك ذكر ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عنه : وبني مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسقف بالجريد وجعلت قبلته من اللبن ، ويقال : بل من حجارة منضودة بعضها على بعض ، وجعلت عمده من جذوع النخل ، فنخرت في خلافة عمر فجردها ، فلما كان عثمان بناه بالحجارة المنقوشة بالقصة وسقفه بالساج ، وجعل قبلته من الحجارة ، فلما كانت أيام بني العباس بناه محمد بن أبي جعفر المتسمى بالممدى ، ووسعه وزاد فيه ، وذلك في سنة ستين ومائة ، ثم زاد فيه المأمون بن الرشيد في سنة ثنتين ومائتين : وأتقن بنيانه ، ونقش فيه : هذا ما أمر به عبد الله المأمون - في كلام كثير كرهت الإطالة بذكره ، ثم لم يبلغنا أن أحداً غير منه شيئا ، ولا أحدث فيه عملا .

بيوته ، صلى الله عليه وسلم : وأما بيوته عليه السلام فكانت تسعة ، بعضها من جويد مطين بالطين وسقفها جريد ، وبعضها من حجارة مرضومة ، بعضها فوق بعض ، مسقفة بالجريد أيضاً . وقال الحسن بن أبي الحسن : كنت أدخل بيوت النبي عليه السلام ، وأنا غلام مراهم ، فأناال السقف بيدي ، وكانت حجره - عليه السلام - أكسية من شعر مربوطة في خشب عرعر وفي تاريخ البخاري أن بابيه - عليه السلام - كان يقرع بالآظافر ، أى لآحلق له ، ولما توفي أزواجه عليه السلام خلطت البيوت والحجر بالمسجد ، وذلك في زمن عبد الملك ، فلما ورد كتابه بذلك ضج أهل المدينة بالبكاء ، كيوم وفاته عليه السلام ، وكان سريره خشبات مشدودة بالليف ، بيعت زمن بني أمية ، فاشترها رجل بأربعة آلاف درهم قاله ابن قتيبة . وهذا يدل على أن بيوته عليه السلام إذا أضيفت إليه ، فهي إضافة ملك ، كقوله تعالى : « لا تدخلوا بيوت النبي » وإذا أضيفت إلى أزواجه كقوله : « وقرن في بيوتكن » فليست بإضافة ملك ، وذلك أن ما كان ملكا له عليه السلام ، فليس بموروث عنه .

حب أم أيوب : فصل : وذكر حديث أم أيوب ، وقولها : انكسر حب لنا . الحب : جرة كبيرة ، جمعه حبية مثل حجر وحجرة وكأنه أخذ لفظه من حباب الماء أو من حبية ، وحبابه بالآلف : ترافعه قال الشاعر :
كان صلا جهيزة حين تمشي حباب الماء يتبع الحبابا

والحبيب بغير ألف نفاخات بيض صغار تكون على وجه الشراب قاله ابن ثابت .

الثوم : وذكر قوله عليه السلام لام أيوب - حين رد عليها الثريد من أجل الثوم : أنا رجل أناجي ، وروى غيره حديث أم أيوب ، وقال فيه : إن الملائكة تتأذى بما يتأذى به الإنس . وروى أن خصيف بن الحارث قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت يا رسول الله : الحديث الذي ترويه عنك أم أيوب أن الملائكة تتأذى بما يتأذى به الإنس أصحيح هو ؟ قال : نعم .

منزل أبي أيوب : ومنزل أبي أيوب الذي نزل فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - تصير بعده إلى أفطح مولى أبي أيوب ، فاشتره منه بعد ما خرب ، وتثلث حيطانه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار بعد حيلة احتالها عليه المغيرة ذكرها الزبير ، ثم أصلح المغيرة ما وهى منه ، وتصديق به على أهل بيت من فقراء المدينة ، فكان بعد ذلك ابن أفطح يقول للمغيرة : خدعتي ، فيقول له المغيرة : لا أفطح من ندم . هذا معنى ما ذكره الزبير بن أبي بكر .

أحمد بن جحش وأبو سفيان : وذكر قول أبي أحمد بن جحش لأبي سفيان :
دار ابن عمك بعثا تقضى بها عنك الغرامه
اذهب بها اذهب بها طوقها طوق الحمامه

أبو أحمد هذا اسمه عبد ، وقيل : ثمامة ، والاول أصح ، وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان ، وبهذا السبب تطرق أبو سفيان إلى بيع دار بني جحش إذ كانت بنته فيهم . مات أبو أحمد بعد أخته زينب أم المؤمنين في خلافة عمر .

وقوله لأبي سفيان طوقها طوق الحمامة منتزع من قول النبي - صلى الله عليه وسلم - « من غصب شبراً من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين » وقال طوق الحمامة ، لأن طوقها لا يفارقها ، ولا تلقية عن نفسها أبداً ، كما يفعل من لبس طوقاً من الآدميين ، ففي هذا البيت من السمانه وحلاوة الإشارة وملاحة الاستعارة ما لا مزيد عليه ، وفي قوله : طوق الحمامة رد على من تأول قوله عليه السلام : طوقه من سبع أرضين أنه من الطاقه ، لا من الطوق في العنق ، وقاله الخطابي في أحد قوليه ، مع أن البخاري قد رواه ، فقال في بعض روايته له : خسف به إلى سبع أرضين ، وفي مسند ابن أبي شيبة : من غصب شبراً من أرض جاء به إسطاماً في عنقه ، وإسطام كالحلق من الحديد ، وسطام السيف . حده .

خطبه صلى الله عليه وسلم : وذكر خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفيها يقول الله عز وجل لعبده : ألم أوتك مالا وأفضل عليك ، فإذا قدمت ؟ وفي غير هذا الكتاب زيادة ، وهي : ألم أوتك مالا ، وجعلتك تربع وتدسح ؟ وفسره ابن الأنباري ، فقال : هو مثل ، وأصله : أن الرئيس من العرب كان يربع قومه أى : يأخذ المرباع إذا غزا ، ويدسح : أى يعطى ويدفع من المال لمن شاء ، ومنه قولهم : فلان ضخم الدسيعة .

الحب في خطبته (ص) : وذكر خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الثانية ، وفيها : أحبوا الله من كل قلوبكم ، يريد أن يستغرق حب الله جميع أجزاء القلب ، فيكون ذكره وعمله خارجاً من قلبه خالصاً لله ، وإضافة الحب إلى الله تعالى من عبده مجاز حسن لأن حقيقة المحبة : إرادة يقارنها استدعاء للمحبيب إما بالطبع ، وإما

بالشرح ، وقد كشفنا معناها بغاية البيان في شرح قوله عليه السلام : إن الله تعالى جميل يحب الجمال ونبيينها هنالك على تقصير أبي المعالي رحمه الله في شرح المحبة في كتاب الإرادة من كتاب الشامل فلتنظر هنالك .

شرح الخطبة : وقوله عليه السلام : لا تملاوا كلام الله وذكره ، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى . الهاء في قوله : فإنه لا يجوز أن تكون عائدة على كلام الله سبحانه ، ولكنها ضمير الأمر والحديث ، فكأنه قال : إن الحديث من كل ما يخلق الله يختار ، فالأعمال إذاً كلها من خلق الله قد اختار منها ما شاء قال سبحانه : وخلق ما يشاء ويختار ، وقوله : قد سماه خيرته من الأعمال ، يعنى : الذكر ، وتلاوة القرآن ، لقوله سبحانه : ويختار ، فقد اختاره من الأعمال .

وقوله : والمصطفى من عباده ، أى : وسمى المصطفى من عباده بقوله : الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ، ويجوز أن يكون معناه المصطفى من عباده أى : العمل الذى اصطفاه منهم واختاره من أعمالهم ، فلا تكون من على هذا للتبعيض ، إنما تكون لابتداء الغاية ، لأنه عمل استخرجه منهم بتوقيفه لإياهم . والتأويل الأول أقرب ماخذاً والله أعلم بما أراد رسوله .

وقوله في أول الخطبة إن الحمد لله أحمد هكذا برفع الدال من قوله : الحمد لله وجدته مقيداً مصححاً عليه ، وإعرابه ليس على الحكاية ، ولكن على إضمار الأمر كأنه قال : إن الأمر الذى أذكره ، وحذف الهاء العائدة على الأمر كي لا يقدم شيئاً فى اللفظ من الأسماء على قوله : الحمد لله ، وليس تقديم إن فى اللفظ من باب تقديم الأسماء ، لأنها حرف مؤكد لما بعده مع ما فى اللفظ من التحرى للفظ القرآن والتيمن به ، والله أعلم .

أما فى الخطبة : وكانت خطبته فى تلك الأيام على جذع ، فلما صنع له المنبر من طرفاء الغابة ، وصنعه له عبد لامرأة من الانصار اسمه باقوم ، خار الجذع خوار الناقة الخلوج ، حتى نزل عليه السلام فالتزمه ، وقال : لولم ألتزمه ما زال يخور إلى يوم القيامة ، ثم دفنه ، وإنما دفنه ، لأنه قد صار حكمه حكم المؤمن لحبه وحنينه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا ينظر إلى قوله تعالى : كشجرة طيبة ، وإلى قوله عليه السلام فى النخلة : مثلها كمثل المؤمن ، وحديث خوار الجذع وحنينه منقول نقل التواتر لسكثرة من شاهد خواره من الخلق وكلمهم نقل ذلك ، أو سمعه من غيره فلم ينكره .

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينه وبين اليهود

شرط لهم فيه وشرط عليهم ، وأمنهم فيه على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، وكانت أرض يثرب لهم قبل نزول الانصار بها ، فلما كان سيل العرم ، وتفرقت سببا نزلت الاوس والخزرج بأمر طريفة الكاهنة ، وأمر عمران ابن عامر ، فإنه كان كاهناً أيضاً وبما سيجعت به لكل قبيلة من سببا ، فسجعت لبنى حارثة بن ثعلبة . وهم الاوس والخزرج أن ينزلوا يثرب ذات النخل فنزلوها على يهود وحالفوهم وأقاموا معهم ، فكانت الدار واحدة .

أصل اليهود متى دخلوا يثرب : والسبب فى كون اليهود بالمدينة ، وهى وسط أرض العرب مع أن اليهود أصلهم من أرض كنعان أن بنى إسرائيل كانت تغير عليهم العماليق من أرض الحجاز ، وكانت منازلهم يثرب والجحفة إلى مكة ، فشكت بنو إسرائيل ذلك إلى موسى ، فوجه إليهم جيشاً ، وأمرهم أن يقتلوه ، ولا يبقوا منهم أحداً ، ففعلوا وتركوا منهم ابن ملك لهم كان غلاماً حسناً ، فرقوا له ، ويقال للملك : الأرقم بن أبى الأرقم فيما ذكره الزبير ثم

رجعوا إلى الشام وموسى قدماء ، فقالت بنو إسرائيل لهم : قد عصيتم وخالفتم ، فلا تؤويكم ، فقالوا نرجع إلى البلاد التي غلبنا عليها فنكون بها ، فرجعوا إلى يثرب ، فاستوطنوها وتناسلوا بها إلى أن نزلت عليهم الأوش والخزرج بعد سيل العرم . هذا معنى ما ذكره أبو الفرج الأصمباني في كتابه الكبير المعروف : بكتاب الأغاني ، وإن كان الزبير قد ذكره أيضاً في أخبار المدينة ، ولا أحسب هذا صحيحاً لبعده عن موسى عليه السلام ، والذي قال غيره إن طائفة من بني إسرائيل لحقت بأرض الحجاز حين دوح بخت نصر البابلي في بلادهم . وجاس خلال ديارهم ، حينئذ لحق من لحق منهم بالحجاز كقريظة والنضير ، وسكنوا خيبر والمدينة ، وهذا معنى ما ذكر الطبري والله أعلم

اسم يثرب : وأما يثرب فاسم رجل نزل بها أول من العماليق فعرفت باسمه ، وهو يثرب بن قاي بن عييل ابن مهليل بن عوص بن عملاق بن لاوذ بن لرم ، وفي بعض هذه الاسماء اختلاف وبنو عييل هم الذين سكنوا الجحفة فأجحف بهم السيول وبذلك سميت الجحفة ، فلما احتلها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كره لها هذا الاسم أعنى : يثرب لما فيه من لفظ التشريب ، وسماها طيبة والمدينة .

فإن قلت : وكيف كره اسماً ذكرها الله في القرآن به ، وهو المقتدى بكتاب الله ، وأهل أن لا يعدل عن تسمية الله ؟ قلنا ان الله - سبحانه - إنما ذكرها بهذا الاسم حاكياً عن المنافقين ، إذ قالت طائفة منهم : يا أهل يثرب لا مقام لكم ، فنبههم بما حكى عنهم أنهم قد رغبوا عن اسم سماها الله به ورسوله ، وأبوا إلا ما كانوا عليه في جاهليتهم ، والله سبحانه قد سماها : المدينة ، فقال غير حاك عن أحد : ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ، وفي الخبر عن كعب الأجباز قال : إنا نجد في التوراة يقول الله المدينة ياطابة ياطيبة يامسكينة لا تقبلي الكنوز أرفع اجاجيرك على أجاجير القرى ، وقد روى هذا الحديث عن علي بن أبي طالب يرفعه ، وروى أيضاً أن لها في التوراة أحد عشر اسماً : المدينة واطابة وطيبة والمسكينة والجابرة والمحبة والمجوبة والقاصمة والمجبورة والعذراء والمرحومة ، وروى في معنى قوله : « وقل رب أدخلني مدخل صدق ، وأخرجني من مخرج صدق » مكة ود سلطاناً نصيراً ، الانصار .

معنى على رباعتهم : وفي الكتاب : بنو فلان على رباعتهم . هذا رواه أبو عبيد عن ابن بكير عن عقيل بن خالد عن الزهري ورواه عن عبد الله بن صالح بهذا الاسناد ، فقال : رباعتهم . الألف بعد الباء ، ثم قال أبو عبيد يقال : فلان على رباعة قومه إذا كان نقيهم ووافدهم .

قال المؤلف : وكسر الراء فيه القياس على هذا المعنى ، لأنها ولاية ، وإن جعل الرباعة مصدرأ فالقياس فتح الراء أي على شأهم وعادتهم من أحكام الديات والدماء يتعاقلون معاقلم الأولى : جمع : معقلة ومعقلة من العقل وهو الديبة .

شرح كلمات الكتاب : وقال في الكتاب : وألا يترك مفرح ، وفسره ابن هشام كما فسرهُ أبو عبيد أنه الذي أثقله الدين ، وأنشد البيت الذي أنشده أبو عبيد :

إذا أنت لم تبرح تودى أمانة وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

أي : أثقلتك يجوز أن يكون من أفعال السلب ، أي سلبتك الفرح كما قيل : اقتسط الرجل إذا عدل ، أي : أزال القسط ، وهو الاهوجاج ، ويجوز أن تكون الفاء مبدلة من باء ، فيكون من البرح وهو الشدة ،

تقول : لقيت من فلان برحاً أى : شدة ، وذكر أبو عبيد رواية أخرى مفرج بالجيم ، وذكر فى معناه أقوالاً ، منها أنه الذى لادىوان له ، ومنها : أنه القتل بين القريتين لا يدري من قتله ، ومنها أنه فى معنى المقرح بالحاء أى : الذى لا شيء له ، وقد أثقله الدين ، أو نحو هذا فيقضى عنه من بيت المال .

وفيه : ولا يوتغ إلا نفسه ، أى : لا يوبقى ، ويهلك إلا نفسه ، يقال وتغ الرجل ، وأوتغه غيره ، قاله أبو عبيد . ومعنى قوله يوتغ هو من البواء ، أى : المساواة ، ومنه قول مهمل حين قتل ابناً للهارث بن عباد :
بؤبشسع نعل كليب .

وقوله : إن البر دون الإثم ، أى : إن البر والوفاء ينبغى أن يكون حاجزاً عن الإثم .

وقوله : وإن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره ، إن الله وحزبه المؤمنين على الرضى به ، وقال أبو عبيد فى كتاب الأموال : إنما كتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية ، وإذا كان الإسلام ضعيفاً . قال : وكان لليهود إذ ذاك نصيب فى المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين ، كما شرط عليهم فى هذا الكتاب النفقة معهم فى الحروب .

المؤاخاة بين الصحابة : أخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه حين نزلوا المدينة ، ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض ، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل ، وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » ، أعنى فى الميراث ، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال : « إنما المؤمنون إخوة » ، يعنى فى التواد وشمول الدعوة . وذكر مؤاخاته بين أبي ذر والسندر بن عمرو ، وقد ذكرنا إنكار الواقدي لذلك فى آخر حديث بيعة العقبة .

نسب أبي الدرداء : فصل : وذكر مؤاخاة سلمان وأبي الدرداء ، وأبو الدرداء اسمه عويم بن عامر ، وقيل عويم بن زيد بن ثعلبة ، وقيل : عويم بن مالك بن ثعلبة بن عمرو بن قيس بن أمية من بلهارث بن الخزرج ، أمه : تحبة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة ، وامرأته : أم الدرداء ، اسمها : خيرة بنت أبي حدرد ، وأم الدرداء الصغرى ، اسمها : جمانة ، مات أبو الدرداء بدمشق سنة استئدين وثلاثين ، وقيل سنة أربع وثلاثين .

نسب الفزغ : فصل : وذكر مؤاخاة أبي رويحة وبلال ، وصماه : عبد الله بن عبد الرحمن ، وقال : هو أحد الفزغ ، لم يبينه بأكثر من هذا ، عند أهل النسب ، هو ابن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل ، وأفتل هو خثعم . وقد تقدم فى أول الكتاب : لم سمي خثعم وهو ابن أنمار ، وقد تقدم خلاف النسابة فيما بعد أنمار .

والفزغ هذا بفتح الزاى ، وأما الفزغ بسكونها ، فهو الفزغ بن عبد الله بن ربيعة ، وكذلك الفزغ فى خزاعة ، وفى كلب هما ساكنان أيضاً قاله ابن حبيب ، وقال الدارقطني : الفزغ بفتح الزاى : رجل يروى عن ابن عمر .

وذكر آخر فى الرواة أيضاً بفتح الزاى يروى حديثاً فى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لأبي رويحة الخثعمي لواء عام الفتح ، وأمره أن ينادى : من دخل تحت لواء أبي رويحة ، فهو آمن .

المؤاخاة بين حاطب بن أبي بلتعة وعويم بن ساعدة : فصل : وذكر مؤاخاة حاطب بن أبي بلتعة وعويم ابن ساعدة ، وقال فى حاطب : حليف بن أسد ، وقال غيره : كان عبداً لعبيد الله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبد العزى

وقيل : كان من مذحج والاشهر : أنه من اخم بن عدى ، واسم أبي بلتعة عمرو بن أشد بن معاذ . والبلتعة من قولهم تبتلع الرجل إذا تطرف ، قاله أبو عبيد في الغريب المصنف .

دينه ، وسره بما جمع إليه من المهاجرين والانصار من أهل ولايته ، قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس ، أخو بني عدي بن النجار .

قال ابن هشام : أبو قيس صرمة بن أبي أنس بن صرمة بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار . قال ابن إسحاق : وكان رجلا قد ترهب في الجاهلية ، وليس المسوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة وتطهر من الخائض من النساء ، وهم بالنصرانية ، ثم أمسك عنها ، ودخل بيتا له ، فاتخذ مسجدا لا تداخله عليه فيه طامث ولا جنب ، وقال : أعبد رب إبراهيم ، حين فارق الأوثان وكرهها ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأسلم وحسن إسلامه ، وهو شيخ كبير ، وكان قوالا بالحق معظما لله عز وجل في جاهليته ، يقول أشعارا في ذلك حسانا - وهو الذي يقول :

يقول أبو قيس وأصبح غاديا :
فأوصيكم بالله والبر والتقوى
ولأن قومكم سادوا فلا تحسدنهم
ولأن نزلت لإحدى الدواهي قومكم
ولأن ناب غرم فادح فارفقوهم
ولأن أنتم أمعرتم فتعففوا

ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا
وأعراضكم والبر بالله أول
ولأن كنتم أهل الرياسة فاعدلوا
فأنفسمكم دون العشيرة فاجعلوا
وما حملوكم في الملمات فاحملوا
ولأن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا

قال ابن هشام : ويروى :

ولأن ناب أمر فادح فارفقوهم

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس صرمة أيضا :

سبحوا الله شرق كل صباح
عالم السر والبيان لدينا
وله الطير تستريد وتأوى
وله الوحش بالفلاة تراها
وله هودت يهود ودانت
وله شمس النصرى وقاموا
وله الراهب الحبيس تراه
يابني الأرحام لا تقطعوها
واتقوا الله في ضعاف اليتامى
واعلموا أن لليتيم ولها
ثم مال اليتيم لا تأكلوه
يابني ، التخوم لا تخزلوها
يابني الأيام لا تأمنوها

طلعت شمسه وكل هلال
ليس ما قال ربنا بضلال
في وكور من آمناات الجبال
في حقاف وفي ظلال الرمال
كل دين إذا ذكرت عضال
كل عيد لرهم واحتفال
رهن بوس وكان ناعم بال
وصلوها قصيرة من طوال
ربما يستحل غير الحلال
علما يهتدى بغير السؤال
لأن مال اليتيم يراعاه والى
لأن خزل التخوم ذو عقال
واحذروا مكرها ومر الليالي

واعلموا أن مرها لنفاد الخلق ما كان من جديد وبالي
واجمعوا أمركم على البر والتقوى وترك الحنا وأخذ الحلال

وقال أبو قيس صرمة أيضا ، يذكر ما أكرمهم الله تبارك وتعالى به من اسلام ، وما خصهم الله به من نزول
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم :

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| ثوى فى قریش بضع عشرة حجة | يذكر لو يلقى صديقا مواليا |
| ويعرض فى أهل المواسم نفسه | فلم ير من يؤوى ولم ير داعيا |
| فلما أتانا أظهر الله دينه | فأصبح مسرورا بطيبة راضيا |
| والقى صديقا واطمأنت به النوى | وكان له عوننا من الله باديا |
| يقص لنا ما قال نوح لقومه | وما قال موسى إذ أجاب المناديا |
| فأصبح لا يخشى من الناس واحدا | قريبا ولا يخشى من الناس نائيا |
| بذلنا له الأموال من حل مالنا | وأنفسنا عند الوغى والتأسيا |
| ونعلم أن الله لا شيء غيره | ونعلم أن الله أفضل هاديا |
| نعادى الذى عادى من الناس كلم | جميعا وإن كان الحبيب المصافيا |
| أقول إذا أدعوك فى كل بيعة : | تباركت قد أكرت لاسمك داعيا |
| أقول إذا جاوزت أرضا مخوفة | حنانك لا تظهر على الأعاديا |
| فطأ معرضا إن الختوف كثيرة | ولأنك لا تبقى لنفسك باقيا |
| فوالله ما يدري الفتى كيف يتقى | إذا هو لم يجعل له الله واقيا |
| ولا تحفل النخل المعيمة ربها | إذا أصبحت ريا وأصبح ثاويا |

قال ابن هشام : البيت الذى أوله :

فطأ معرضا إن الختوف كثيرة

والبيت الذى يليه :

فوالله ما يدري الفتى كيف يتقى

لأفنون التغلبى ، وهو صريم بن معشر ، فى أبيات له

عداوة اليهود : قال ابن إسحاق : ونصبت عند ذلك أحبار يهود - لرسول الله صلى الله عليه وسلم - العداوة
بغيا وحسدا وضغنا ، لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم ، وانضاف إليهم رجال من الأوس
والخزرج ، ممن كان على جاهليته فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث ، إلا أن
الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه ، فظهروا بالإسلام ، واتخذوه جنة من القتل وناقضوا فى السر ،
وكان هواهم مع يهود ، لتكذيبهم النبي - صلى الله عليه وسلم - ووجودهم الإسلام . وكانت أحبار يهودهم الذين
يسألون - رسول الله صلى الله عليه وسلم - ويتعتنونه ، ويأتونه باللبس ، ليلبسوا الحق بالباطل ، فكان

القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه ، إلا قليلا من المسائل في الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها .

منهم : حبي بن أخطب ، وأخواه أبو ياسر بن أخطب ، وجدى بن أخطب ، وسلال بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وسلام بن أبي الحقيق ، وأبو رافع الأعور ، وهو الذى قتله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير - والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وعمرو بن جحاش ، وكعب بن الأشرف ، وهو من طيء ، ثم أحد بنى نبهان ، وأمه من بنى النضير ، والحجاج بن عمرو ، حليف كعب بن الأشرف ، وكردم بن قيس ، حليف كعب بن الأشرف ، فهؤلاء من بنى النضير .

ومن بنى ثعلبة ابن الفطيون : عبد الله بن سوريا الأعور ، ولم يكن بالحجاز في زمانه أحد أعلم بالتوراة منه وابن صلوبا ، ومخيريق ، وكان حبرهم ، أسلم :

ومن بنى قينقاع : زيد بن اللصيت - ويقال : ابن اللصيت - فيقال ابن هشام وسعد بن حنيف ، ومحمود بن سيحان وعزيز بن أبي عزيز ، وعبد الله بن صيف . قال ابن هشام : ويقال . ابن صيف .

قال ابن إسحاق . وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفنحاص ، وأشيع ، ونعمان بن أضا ، وبحرى بن عمرو ، وشأس بن عدى ، وشأس بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونعمان بن عمرو ، وسكين بن أبي سكين ، وعدى بن زيد ، ونعمان بن أبي أوفى ، أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، ومالك بن صيف : قال ابن هشام : ويقال : ابن صيف .

قال ابن إسحاق : وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبي رافع ، وخالد وأزار بن أبي أزار . قال ابن هشام ويقال : أزر بن أزر .

قال ابن إسحاق : ورافع بن حارثة ، ورافع بن حريمة ورافع بن خارجة ، ومالك بن عوف ، ورفاعة بن زيد ابن التابوب ، وعبد الله بن سلام بن الحارث ، وكان حبرهم وأعلمهم ، وكان اسمه الحصين ، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم - عبد الله . فهؤلاء من بنى قينقاع .

ومن بنى قريظة : الزبير بن باطا بن وهب ، وعزال بن شمويل ، وكعب بن أسد ، وهو صاحب عقد بنى قريظة الذى نقض عام الأحزاب ؛ وشمويل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سكيننة والنحام بن زيد ، وقردم بن كعب ، ووهب بن زيد ، ونافع بن أبي نافع ، وأبو نافع ؛ وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف وكردم بن زيد وأسامة بن حبيب ، ورافع بن رميلة ، وجبل بن أبي قشير ، ووهب بن يهوذا ، فهؤلاء من بنى قريظة .

ومن يهود بنى رزيق : لبيد بن أعصم ، وهو الذى أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه .

ومن يهود بنى حارثة : كنانة بن سوريا .

ومن يهود بنى عمرو بن عوف : قردم بن عمرو .

ومن يهود بنى النجار : سلسلة بن برهام .

فهؤلاء . أحبار اليهود ، أهل الشرور والعداوة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحاب المسألة ، والنصب لأمر الإسلام الشرور ليطفئوه ، إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومخيريق .

إسلام عبد الله بن سلام

قال ابن اسحاق : وكان من حديث عبد الله بن سلام ، كما حدثني بعض أهله عنه . وعن إسلامه حين أسلم ، وكان حبراً عالماً ، قال : لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكل له ، فكنت مسروراً لذلك ، صامتا عليه ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما نزل بقاء ، في بني عمرو بن عوف ؟ أقبل رجل حتى أخبر بقدمه ، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها ، وعمتي خالدة ابنة الحارث تحتي جالسة ، فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت ، فقالت لي عمتي ، حين سمعت تكبيرى : خليك الله ، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادمًا مازدت ، قال : فقلت لها : أى عمه ، هو والله أخو موسى ابن عمران ، وعلى دينه ، بعث بما بعث به . قال : فقالت : أى بن أخى ، أهو النبي الذي كنا نخبّر أنه يبعث مع نفس الساعة ؟ قال : فقلت لها : نعم . قال : فقالت : فذاك إذا . قال : ثم خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت ، ثم رجعت إلى أهل بيتي ، فأمرتهم فأسلموا .

قال : وكنت إسلامي من يهود ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له : يا رسول الله ، إن يهود قوم بهت وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك ، وتغيبني عنهم ، ثم تسألهم عني ، حتى يخبروك كيف أنا فيهم ، قبل أن يعلوا بإسلامي ، فإنهم إن علوا به بهتوني وعابوني ، قال : فأدخلني رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض بيوته ، ودخلوا عليه ، فكلموه وسألوه ، ثم قال لهم : أى رجل الحصين بن سلام فيكم ؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا ، وحبرنا وعالمنا . قال : فلما فرغوا من قولهم ، خرجت عليهم ، فقلت لهم : يا معشر يهود ، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته ، فإني أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأؤمن به وأصدق به وأعرفه ، فقالوا : كذبت ثم وقعوا بي ، قال : فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت ، أهل غدر وكذب وفجور ؟ قال : فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي ، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث ، فحسن إسلامها .

من حديث مخيريق : قال ابن اسحاق : وكان من حديث مخيريق ، وكان حبراً عالماً ، وكان رجلاً غنياً كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ، وما يجد في عليه ، وغلب عليه لائف دينه ، فلم يزل على ذلك ، حتى إذا كان يوم أحد وكان يوم السبت ، قال : يا معشر يهود ، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق . قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال : لاسبت لكم . ثم أخذ سلاحه ، فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، وعهد إلى من وراءه من قومه : إن قتلت هذا اليوم ، فأموالي لمحمد - صلى الله عليه وسلم - يصنع فيها ما أراه الله . فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل . فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - يقول : مخيريق خير يهود ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله ، فعامة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها .

حديث صفية : قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم قال : حدثت عن صفية بنت حيي بن أخطب أنها قالت : كنت أحب ولد أبي إليه ، وإلى عمي أبي ياسر ، لم ألقها قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه . قالت : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، ونزل بقاء ، في بني عمرو بن عوف ، غدا عليه أبي ، حيي بن أخطب ، وعمي : أبو ياسر بن أخطب ، مغلسين . قالت : فلم يرجعا حتى كانا مع غروب

الشمس . قالت : فأتيا كالين كسلانين سافطين يمشيان الهويني . قالت : فمششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفت إلى واحد منها ، مع ما بهما من الغم . قالت : وسمعت عمي أبا بامر ، وهو يقول لأبي : حي بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله ؛ قال : أتعرفه : وتثبته ؟ قال نعم ، قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت .

المنافقون بالمدينة . قال ابن إسحاق : وكان من انضاف إلى يهود ، من سمى لنا من المنافقين من الأوس والخزرج ، والله أعلم من الأوس ، ثم من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ثم من بني لؤذان بن عمرو بن عوف : زوى بن الحارث .

ومن بني حبيب بن عمرو بن عوف : جلاس بن سويد بن الصامت ، وأخوه الحارث بن سويد .

وجلاس الذي قال - وكان من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك - لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحر . فرفع ذلك من قوله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - عمير بن سعد ، أحدهم ، وكان في حجر جلاس ، خلف جلاس على أمه بعد أبيه ، فقال له عمير بن سعد : والله يا جلاس ، إنك لأحب الناس إلى ، وأحسنهم عندي يدأ وأعزم على أن يصيبه شيء يكرهه ، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضححك ، ولئن صمت عليها ليهلكن ديني ، وإلا أحدهما أيسر على من الأخرى . ثم مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر له ما قال جلاس ، فخلف جلاس بالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد كذب على عمير ، وما قلت ما قال عمير ابن سعد . فأنزل الله عز وجل فيه : يخلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ، وهموا بما لم ينالوا ، وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ، فإن يتوبوا يك خيرا لهم ، وإن يتولوا يعدبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة ، وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير .

قال ابن هشام : الأليم : الموضع . قال ذو الرمة يصف لبلا :

وترفع من صدور شمر دلات يصك وجوها وهج أليم

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : فرغموا أنه تاب فحسن توبته ، حتى عرف منه الخير والإسلام .

وأخوه الحارث بن سويد ، الذي قتل المجذر بن ذياد البلوي ، وقيس بن زيد ، أحد بني ضبيعة ، يوم أحد . خرج مع المسلمين ، وكان منافقا ، فلما التقى الناس عدا عليهما ، فقتلتهما ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المجذر بن ذياد قتل سويد بن صامت في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج فلما كان يوم أحد طلب الحارث بن سويد غرة المجذر بن ذياد ، ليقتله بأبيه ، فقتله وحده ، وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : والدليل على أنه لم يقتل قيس بن زيد ، أن ابن إسحاق لم يذكره في قتلى أحد .

قال ابن إسحاق : قتل سويد بن صامت معاذ بن عفراء غيلة ، في غير حرب ، رماه بسهم فقتله قبل يوم بعث .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكره - قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، ففاته - فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه جلاس يطلب التوبة ، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تبارك وتعالى فيه - فيما بلغني عن ابن عباس - : كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق ، وجاءهم البينات ، والله لا يهدي القوم الظالمين . إلى آخر القصة .

ومن بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : بجاد بن عثمان بن عامر .

ومن بنى لوزان بن عمرو بن عوف : نبتل بن الحارث ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى : من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث ، وكان رجلاً جسيماً أدلم ، ثائر شعر الرأس أحمر العينين ، أسفع الخدين ، وكان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث إليه فيسمع منه ، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين ، وهو الذى قال : إنما محمد أذن ، من حدثه شيئاً صدقه . فأنزل الله عز وجل فيه : « ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون : هو أذن ، قل أذن خير لكم ، يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم ، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم » .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض رجال بلعجلان أنه حدث : أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : إنه يجلس إليك رجل أدلم ثائر شعر الرأس ، أسفع الخدين أحمر العينين ، كأنهما قدران من صفر ، كبده أغلظ من كبدة الحمار ، ينقل حديثك إلى المنافقين ، فأحذره وكانت تلك صفة نبتل بن الحارث ، فيما يذكر .

ومن بنى ضبيعة : أبو حبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، الخ القصة . ومعتب الذى قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ما هنا . فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله : « وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ما هنا ، إلى آخر القصة وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يمدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط . فأنزل الله عز وجل فيه : « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ، والحارث ابن حاطب » .

قال ابن هشام : معتب بن قشير ، وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهم من بنى أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم ، وقد نسب ابن إسحاق ثعلبة والحارث في بنى أمية بن زيد في أسماء أهل بدر .

قال ابن إسحاق : وعباد بن حنيفة ، أخو سهل بن حنيف ، وبحجز ، وهم ممن كان بنى مسجد الضرار ، وعمرو ابن خزام ، وعبد الله بن نبتل .

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : جارية بن عامر بن العطف ، وابناه : زيد ومجمع ، ابنا جارية ، وهم ممن اتخذ مسجد الضرار . وكان بمجمع غلاماً حدثاً قد جمع من القرآن أكثره ، وكان يصلى بهم فيه ، ثم إنه لما أخرج المسجد ، وذهب رجال من بنى عمرو بن عوف ، كانوا يصلون ببنى عمرو بن عوف في مسجدهم ، وكان زمان عمر ابن الخطاب ، كلهم في مجمع ليصلى بهم ، فقال : لا ، أو ليس بإمام المنافقين في مسجد الضرار ؟ فقال لعمر : يا أمير المؤمنين ، والله الذى لا إله إلا هو ، ما علمت بشيء من أمرهم ، ولكنى كنت غلاماً قارئاً للقرآن ، وكانوا لا قرآن معهم ، فقدموني أصلى بهم ، وما أرى أمرهم ، إلا على أحسن ما ذكروا . فزعموا أن عمر تركه فصلى بقومه .

ومن بنى أمية بن زيد بن مالك : وديعة بن ثابت ، وهو ممن بنى مسجد الضرار ، وهو الذى قال : إنما كنا نخوض ونلعب . فأنزل الله تبارك وتعالى : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم مستهزون ، ... إلى آخر القصة » .

ومن بنى عبيد بن زيد بن مالك : خذام بن خالد ، وهو الذى أخرج مسجد الضرار من داره ، وبشر ورافع ابنا زيد .

ومن بنى النبيت - قال ابن هشام : النبيت : عمرو بن مالك بن الاوس - قال ابن إسحاق : ثم من بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس : مربع بن قيطى ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز فى حائطه ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامد إلى أحد : لا أحل لك يا محمد ، إن كنت نبياً ، أن تمر فى حائطى ، وأخذ فى يده حفنة من تراب ، ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بهذا التراب غيرك لميتك به ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعوه ، فهذا الاعمى ، أعمى القلب ، أعمى البصيرة ، فضربه سعد بن زيد ، أخو بنى عبد الأشهل بالقوس فشججه ، وأخوه أوس بن قيطى ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق : يا رسول الله ، إن بيوتنا عورة ، فأذن لنا فارجع إلينا . فأنزل الله تعالى فيه « يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً » .

قال ابن هشام : عورة ، أى معورة للعدو وضائعة ، وجمعها : عورات قال النابغة الذبياني :
متى تلقهم لا تلق للبيت عورة ولا الجار محروماً ولا الامر ضائعاً

وهذا البيت فى أبيات له ، والعورة - أيضاً - : عورة الرجل ، وهى حرمة . والعورة - أيضاً - السوء .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ظفر ، واسم ظفر : كعب بن الحارث بن الخزرج حاطب بن أمية بن رافع ، وكان شيخاً جسيماً قد عسا فى جاهليته وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بنى ظفر .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه اجتمع إليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو بالموت فجعلوا يقولون أبشر يا بن حاطب بالجنة . قال فتنجم نفاقه حينئذ ، فجعل يقول أبوه أجل جنة من حرمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه .

قال ابن إسحاق : وبشير بن أبيرق ، وهو أبو طعمة ، سارق الدرعين ، الذى أنزل الله تعالى فيه : « ولا تجادل عن الذين يخفون أنفسهم ، إن الله لا يحب من كان خواناً أثمياً » ، وقرمان : حليف لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : إنه لمن أهل النار . فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً حتى قتل بضعة نفر من المشركين ، فأثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بنى ظفر ، فقال له رجال من المسلمين : أبشر يا قرمان ، فقد أبليت اليوم ، وقد أصابك ما ترى فى الله : قال : بماذا أبشر . فوالله ما قالت إلا حمية عن قومي ، فلما اشتدت به جراحاته وأذته أخذ سهماً من كنانته ، فقطع به رواهس يده ، فقتل نفسه .

قال ابن إسحاق : ولم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم ، إلا أن الضحاك بن ثابت ، أحد بنى كعب ، رهط - سعد بن زيد ، قد كان يتهم بالنفاق وحب يهود .

قال حسان بن ثابت :

من مبلغ الضحاك أن عروقه أعيت على الإسلام أن تتمجدوا

أتحب يهدان الحجاز ودينهم
كبد الحمار ، ولا تحب محمداً
دينا لعمري لا يوافق ديننا
ما استن آل في الفضاء وخودا

وكان جلاس بن سويد بن صامت قبل توبته - فيما بلغني - ومعتب بن قشير ، ورافع بن زيد ، وبشر ، وكانوا يدعون بالإسلام ، فدعاهم رجال من المسلمين في خصوصية كانت بينهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم إلى السكنان ، حكام أهل الجاهلية ، فأنزل الله عز وجل فيهم : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك تريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ، .. إلى آخر القصة .

ومن الخزرج ، ثم من بني النجار : رافع بن وديعة ، ومزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو ابن سهل .

ومن بني جشم بن الخزرج ، ثم من بني سلبة : الجد من قيس ، وهو الذي يقول : يا محمد ، ائذن لي ، ولا تفتني فأنزل الله تعالى فيه : « ومنهم من يقول ائذن لي ، ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا ، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ، .. إلى آخر القصة .

ومن بني عوف بن الخزرج : عبد الله بن أبي بن سلول ، وكان رأس المنافقين واليه يجتمعون ، وهو الذي قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل في غزوة بني المصطلق . وفي قوله ذلك ، نزلت سورة المنافقين بأسرها . وفيه وفي وديعة - رجل من بني عوف - ومالك بن أبي قوفل ، وسويد ، وداعس ، وهم من رهط عبد الله بن أبي بن سلول ، وعبد الله بن أبي بن سلول . فقولوا : النفس من قومه الذين كانوا يبدسون إلى بني النضير حين حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن اثبتوا ، فوالله لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنكم . فأنزل الله تعالى فيهم : « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون ، » ثم القصة من السورة حتى انتهى إلى قوله « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين » .

قال ابن اسحاق : وكان ممن تعوذ بالإسلام ، ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق ، من أجبار يهود . من بني قينقاع : أسعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، ونعمان بن أوفى بن عمرو ، وعثمان بن أوفى . وزيد ابن اللصيت ، الذي قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسوق بني قينقاع ، وهو الذي قال ، حين ضلت ناقته رسول الله صلى الله عليه وسلم : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءه الخبر بما قال عدو الله في رحله ، ودل الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ناقته ؟ « إن قاتلاً قال : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ، ولا يدري أين ناقته ؟ وإنى والله ما أعلم إلا ما علمني الله ، وقد داني الله عليها ، فهي في هذا الشعب ، قد حبستها شجرة بزمامها ، فذهب رجال من المسلمين ، فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكما وصف ، ورافع بن حريمة ، وهو الذي قال له الرسول صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - حين مات : قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبت عليه الريح ، وهو قافل من غزوة بني المصطلق ، فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوا

فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار . فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وجد رفاعه بن زيد بن التابوت مات ذلك اليوم الذي هبت فيه الريح وسلسلة بن برهام . وكنانة بن سوريا .

طرد المنافقين من المسجد : وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ، ويستهنئون بدينهم ، فاجتمع يوماً في المسجد منهم ناس فرأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم ، خافضى أصواتهم ، قد لصق بعضهم ببعض ، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً ، فقام أبو أيوب ، خالد بن زيد بن كليب ، إلى عمرو بن قيس ، أحد بني غنم بن مالك بن النجار . كان صاحب آلهم في الجاهلية فأخذ برجله فسحبه ، حتى أخرجه من المسجد ، وهو يقول : أخرجني يا أبا أيوب من مريد بني ثعلبة ، ثم أقبل أبو أيوب أيضاً إلى رافع بن وديعة ، أحد بني النجار فلبيه بردائه ثم نثره نثراً شديداً ، ولطم وجهه ثم أخرجه من المسجد ، وأبو أيوب يقول له : أف لك منافقاً خبيثاً : أدراجك يا منافق من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : أى ارجع من الطريق التي جئت منها . قال الشاعر :

فولى وأدبر أدراجه وقد باء بالظلم من كان ثم

وقام عماره بن حزم إلى زيد بن عمرو ، وكان رجلاً طويلاً للحية ، فأخذ بلحيته ففاده بها قوداً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه فلدمه بهما في صدره لدمة خر منها . قال : يقول : خدشتني يا عماره ، قال : أبعدك الله يا منافق ، فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك ، فلا تقر بن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : اللدم : الضرب ببطن السكف . قال تميم بن أبي بن مقبل :

وللفؤاد وجيب تحت أبهره لدم الوليد وراء الغيب بالحجر

قال ابن هشام : الغيب : ما انخفض من الأرض . والابهر : عرق القلب .

قال ابن إسحاق : وقام أبو محمد ، رجل من بني النجار ، كان بدرياً ، وأبو محمد مسعود بن أوس ابن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار إلى قيس بن عمرو بن سهل ، وكان قيس غلاماً شاباً وكان لا يعلم في المنافقين شاب غيره ، فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه من المسجد .

وقام رجل من بنى خندرة بن الخزرج ، رهط أبي سعيد الخدري ، يقال له : عبد الله بن الحارث ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراج المنافقين من المسجد إلى رجل يقال له : الحارث بن عمرو ، وكان ذابحاً ، فأخذ بجذعته فسحبه بها سحباً عنيفاً ، على ما مر به من الأرض ، حتى أخرجه من المسجد . قال : يقول المنافق : لقد أغلظت يا بن الحارث ، فقال له ، إنك أهل لذلك ، أى عدو الله لما أنزل الله فيك ، فلا تقر بن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنك نجس .

وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زوى بن الحارث ، فأخرجه من المسجد لإخراجاً عنيفاً ، وأقف منه ، وقال : غلب عليك الشيطان وأمره

فهؤلاء من حضر المسجد يومئذ من المنافقين ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراجهم .

ما نزل في اليهود والمنافقين : ففى هؤلاء من أحبار يهود ، والمنافقين من الأوس والخزرج ، نزل صدر سورة البقرة إلى المائة منها - فيما بلغت - والله أعلم .
يقول الله سبحانه وبحمده : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه » ، أى لا شك فيه .
قال ابن هشام : قال ساعدة بن جؤية الهذلى .

فقالوا عهدنا القوم قد حصروا به فلا ريب أن قد كان ثم لحيم
وهذا البيت فى قصيدة له ، والريب أيضاً : الريبة . قال خالد بن زهير الهذلى :
كأننى أريبه بريب

قال ابن هشام : ومنهم من يرويه :

كأننى أربته بريب

وهذا البيت فى أبيات له . وهو ابن أخى أبى ذؤيب الهذلى .

« هدى للمتقين » أى الذين يحذرون من الله عقوبته فى ترك ما يعرفون من الهدى ، ويرجون رحمته بالتصديق بما جاءهم منه : « الذين يؤمنون بالغيب وقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون » ، أى يقيمون الصلاة بفرضها ، ويؤتون الزكاة احتساباً لها : « والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك » ، أى يصدقونك بما جئت به من الله عز وجل ، وما جاء به من قبلك من المرسلين ، لا يفرقون بينهم ، ولا يجحدون ما جاءهم به من ربهم . « وبالأخرة هم يوقنون » أى بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، أى هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان من قبلك ، وبما جاءك من ربك « أو لك على هدى من ربهم » ، أى على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم « وأولئك هم المفلحون » أى الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا . « وإن الذين كفروا » ، أى بما أنزل إليك وإن قالوا إنا قد آمننا بما جاءنا من قبلك « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » أى أنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاءك عندهم ، بما جاءهم به غيرك ، فكيف يستمعون منك إنذاراً أو تحذيراً ، وقد كفروا بما عندهم من عليك . « وختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » ، أى عن الهدى أن يصيبوه أبداً ، يعنى بما كذبوك به من الحق الذى جاءك من ربك حتى يؤمنوا به وإن آمنوا بكل ما كان قبلك ، ولهم بما هم عليه من خلافك عذاب عظيم .

فهذا فى الأحبار من يهود ، فيما كذبوا به من الحق بعد معرفته .

« ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » ، يعنى المنافقين من الأوس والخزرج ، ومن كان على أمرهم . « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض » ، أى شك « فزادهم الله مرضاً » ، أى شكاً « ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون . وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون » ، أى إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب يقول الله تعالى « ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ، قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء

واسكن لايعلمون ، وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم من يهود الذين يأمرهم بالكذب بالحق وخلاف ما جاء به الرسول قالوا إنا معكم ، أى أنا على مثل ما أنتم عليه « إنما نحن مستهزون » : أى إنما نستهزئ بالقوم ، ونلعب بهم . يقول الله عز وجل : « الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون » .

تفسير ابن هشام لبعض غريب الألفاظ : قال ابن هشام يعمهون : يحارون . تقول العرب : رجل عمه وعامه : أى حيران . قال ربيعة بن العجاج يصف بلدا :

أعمى الهدى بالجاهلين العمه

وهذا البيت فى أرجوزة له . فالعمه : جمع عامه : وأما عمه ، فجمعه : عمهون : والمرأة : عمه وعمهات .
« أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » : أى الكفر بالإيمان « فأربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » .
قال ابن إسحاق : ثم ضرب لهم مثلا ، فقال تعالى « كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون » أى لا يبصرون الحق ويقولون به حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر اطفأوه بكفرهم به ونفاقهم فيه ، فتركهم الله فى ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى ، ولا يستقيمون على حق : « صم بكم عمى فهم لا يرجعون » أى لا يرجعون إلى الهدى ، صم بكم عمى عن الخير ، لا يرجعون إلى خير ولا يصيدون نجاة ما كانوا على ما هم عليه « أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين » .

قال ابن هشام : الصيب : المطر ، وهو من صاب يصب ، مثل قولهم : السيد ، من ساد يسود ، والميت من مات يموت وجمعه : صيائب . قال علقمة بن عبدة ، أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مائة بن تميم :

كانهم صانت عليهم سحابة صواعقها لطيرهن ديب

وفيهما :

فلا تعدلى بينى وبين مغمر سقتك ووايا المزن حيث تصوب

وهذان البيتان فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : أى هم من ظلمة ما هم فيه من الكفر والحذر من القتل من الذى هم عليه من الخلاف والتخوف لكم ، على مثل ما وصف ، من الذى هو فى ظلمة الصيب ، يجعل أصابعه فى أذنيه من الصواعق حذر الموت . يقول : والله منزل ذلك بهم من النعمة ، أى هو محيط بالكافرين « يكاد البرق يخطف أبصارهم » : أى لشدة ضوء الحق « كلاً أضاء لهم مشوا فيه ، وإذا أظلم عليهم قاموا » ، أى يعرفون الحق ويتسكّمون به ، فهم من قولهم به على استقامة ؛ فإذا ارتكسوا منه فى الكفر قاموا متحيرين . « ولو شاء الله لذهب بسمهم وأبصارهم ، أى لما تركوا من الحق بعد معرفته « إن الله على كل شئ قدير » .

ثم قال : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم » للفريقين جميعاً ، من الكفار والمنافقين ، أى وحدوا ربكم « الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » الذى جعل لكم الأرض فراشاً ، والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقاً لكم ، فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون .

قال ابن هشام : الأنداد : الأمثال : واحدهم ند ، قال لبيد بن ربيعة :

أحمد الله فلا ند له بيديه الخير ما شاء فعل

وهذا البيت في قصيدة له :

قال ابن إسحاق : أى لا تشركوا بالله غيره من الابداد التى لا تنفع ولا تضر ، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذى يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه . « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ، أى فى شك مما جاءكم به ، « فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ، أى من استطعتم من اعوانكم على ما أنتم عليه . « إن كنتم صادقين ، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ، فقد تبين لكم الحق » فأتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ، أى لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر .

ثم رغبهم وحذرهم نقض الميثاق الذى أخذ عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم إذا جاءهم وذكر لهم بدء خلقهم حين خلقهم ، وشأن أبيهم آدم عليه السلام وأمره ، وكيف صنع به حين خالف عن طاعته ، ثم قال : « يا بني إسرائيل ، للاخبار من يهود » اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، أى بلائى عندكم وعند آبائكم ، لما كان نجاها به من فرعون وقومه « وأوفوا بعهدى ، الذى أخذت فى أعناقكم لنبي أحمد إذا جاءكم « أوف بعهدكم ، أنجز لكم ما وعدتكم على تصديقه واتباعه بوضع ما كان عليكم من الآصار والأغلال التى كانت فى أعناقكم بذنوبكم التى كانت من أحداثكم « وإياى فارهبون ، أى أن أنزل بكم ما أنزل بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات التى قد عرفتم ، من المسخ وغيره « وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ، ولا تكونوا أول كافر به ، وعندكم من العلم فيه ما ليس عند غيركم « وإياى فاتقون * ولا تلبسوا الحق بالباطل ، وتكتموا الحق به ، وعندكم من العلم فيه ما ليس عندكم من المعرفة برسولى وبما جاء به « وأنتم تعلمون فيما تعملون وأنتم تكتمون ، أى لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى وبما جاء به « وأنتم تكتمون ، أى أنتم تكتمون من الكتب التى بأيديكم « أنأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ، أى أنتم تنسون الناس عن الكفر بما عندكم من التوبة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم ، أى وأنتم تكفرون بما فيها من عهدى إليكم فى تصديق رسولى وتنقضون ميثاقى ، وتجحدون ما تعملون من كتابى .

ثم عدد عليهم أحداثهم ، فذكر لهم العجل وما صنعوا فيه ، وتوبته عليهم . وإقالته إياهم ، ثم قولهم : « أرنا الله جهرة ، .

قال ابن هشام : جهرة ، أى ظاهراً لنا لا شئ يستره عنا . قال أبو الأخرز الحناني ، واسمه قتيبة :

يجهر أجواف المياه السدم

وهذا البيت فى أرجوزة له .

يجهر : يقول : يظهر الماء ويكشف عنه ، ما يستره من الرمل وغيره .

قال ابن إسحاق : وأخذ الصاحقة إياهم عند ذلك لغرتهم ، ثم إحياء إياهم بعد موتهم ، وتظليله عليهم الغمام ، وإنزاله عليهم المن والسلوى ، وقوله لهم : « ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة » ، أى قولوا ما أمركم به أحط به ذنوبكم عنكم ، وتبديلهم ذلك من قوله استهزاء بأمره ، وإقالته إياهم ذلك بعد هزتهم .

قال ابن هشام : المن : شيء كان يسقط في السحر على شجرهم ، فيجتفونه حلواً مثل العسل ، فيشربونه وياً كلونه . قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

لو أطعموا المن والسلوى مكانهم ما أبصر الناس طعماً فيهم نجماً

وهذا البيت في قصيدة له . والسلوى : طير ، واحدها : سلواة ، ويقال : إنها الصباني ، ويقال للعسل أيضاً : السلوى . وقال خالد بن زهير الهذلي :

وقاسمها بالله حقاً لأنتم ألد من السلوى إذا ما نشورها

وهذا البيت في قصيدة له . وحطة : أى حط عنا ذنوبنا .

قال ابن إسحاق : وكان من تبديلهم ذلك ، كما حدثني صالح بن كيسان عن صالح مولى التوءمة بفت أمية بن خلف ، عن أبي هريرة ومن لا أتهم ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : دخلوا الباب الذي أمروا أن يدخلوا منه سجداً يزحفون ، وهم يقولون حنط في شعير .

قال ابن هشام : ويروى : حنطة في شعيرة .

قال ابن إسحاق : واستسقاء موسى لقومه ، وأمره لإياه أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت لهم منه اثنتا عشرة عينا : لكل سبط عين يشربون منها ، قد علم كل سبط عينه التي منها يشرب ، وقولهم لموسى عليه السلام : « لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وقومها ، » .

قال ابن هشام : القوم : الحنطة . قال أمية بن الصلت الثقفي :

فوق شيزى مثل الجوابى عليها قطع كالوذيل في نقي قوم

قال ابن هشام : الوذيل ، قطع الفضة والقوم : القمح ، واحده : قومه . وهذا البيت في قصيدة له .

« وعدسها وبصلها ، قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير » اهبطوا مصرأ فإن لكم ما سألتم . »

قال ابن إسحاق : فلم يفعلوا . ورفع الطور فوقهم ليأخذوا ما أوتوا ؛ والمسح الذي كان فيهم ، إذ جعلهم قردة بأحداثهم ، والبقرة التي أراهم الله عز وجل بها العبرة في القتل الذي اختلفوا فيه ، حتى بين الله لهم أمره ، بعد التردد على موسى عليه السلام في صفة البقرة ، وقسوة قلوبهم بعد ذلك حتى كانت كالحجارة أو أشد قسوة . ثم قال تعالى : « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله ، أى وإن من الحجارة لآلين من قلوبكم عما تدعون إله من الحق » وما الله بغافل عما تعملون .

ثم قال لمحمد عليه الصلاة والسلام ولئن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما علقوه وهم يعلمون ، وليس قوله يسمعون التوراة ، أن كلهم قد سمعها ، ولكنه فريق منهم ، أى خاصة .

قال ابن إسحاق ، فيما بلغني عن بعض أهل العلم : قالوا للموسى : يا موسى ، قد حيل بيننا وبين رؤية الله ، فأسمنا

كلامه حين يكلمك ، فطلب ذلك موسى عليه السلام من ربه ، فقال له : نعم ، مرهم فليطم وا ، أو ليظهروا ثيابهم ، وليصوموا ، ففعلوا . ثم خرج بهم حتى أتى بهم الطور ، فلما غشيم الغمام أمرهم موسى فوقعوا سجداً ، وكلمه ربه ، فسمعوا كلامه تبارك وتعالى ، يأمرهم وينهاهم ، حتى عقلوا عنه ماسمعوا ، ثم انصرف بهم إلى بنى إسرائيل ، فلما جاءهم حرف فريق منهم ما أمرهم به ، وقالوا ، حين قال موسى لبنى إسرائيل : ان الله قد أمركم بكذا وكذا ، قال ذلك الفريق الذى ذكر الله عز وجل إنما قال كذا وكذا ، خلافا لما قال الله لهم ، فهم الذين عنى الله عز وجل .
لرسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى : د وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، أى بصاحبكم رسول الله ، ولكنه اليكم خاصة . د وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا : لاتحدثوا العرب بهذا ، فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم ، فكان فيهم . فأنزل الله عز وجل فيهم : د وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتاح الله عليكم ليحاوكم به عند ربكم أفلا تعقلون ، أى تقرون بأنه نبي ، وقد عرفتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه ، وهو يخبركم أنه النبي الذى كنا فننظر ونجد في كتابنا ، اجمدوه ولا تقروا لهم به يقول الله عز وجل : د أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى .

قال ابن هشام ، عن أبي عبيدة : إلا أمانى : إلا قراءة ، لأن الأمانى : الذى يقرأ ولا يكتب . يقول : لا يعلمون الكتاب إلا أنهم يقرءونه .

قال ابن هشام : عن أبي عبيدة ويونس أنهما تأولا ذلك عن العرب في قول الله عز وجل ، حدثني أبو عبيدة بذلك .

قال ابن هشام : وحدثني يونس بن حبيب النحوى وأبو عبيدة : أن العرب تقول : تمنى ، فى معنى قرأ . وفى كتاب الله تبارك وتعالى :

وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته . قال : وأنشدني أبو عبيدة النحوى :

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخره وفى حمام المقادر

وأنشدني أيضا :

تمنى كتاب الله فى الليل خاليا تمنى داود الزبور على رسل

وواحدة الأمانى : أمنية . والأمانى أيضا : أن يتمنى الرجل المال أو غيره .

قال ابن اسحاق : د وإن هم إلا يظنون ، أى لا يعلمون الكتاب ولا يدرون مافيه ، وهم يححدون نبوتك بالظن . د وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ، قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون .

قال ابن اسحاق : وحدثني مولى يزيد بن ثابت عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تقول : انما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وانما يعذب الله الناس فى النار بكل الف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا فى النار من أيام الآخرة ، وانما هى سبعة أيام ثم ينقطع العذاب فأنزل الله من فى ذلك قولهم : د وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة . قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله

عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته ، أى من عمل بمثل أعمالكم ، وكفر بمثل ما كفرتم به ، يحبط كفره بما له عند الله من حسنة . فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، أى خلد أبداً . والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون : أى من آمن بما كفرتم به ، وعمل بما تركتم من دينه ، فلهم الجنة خالدين فيها ، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً ، لا انقطاع له .

قال ابن إسحاق : ثم قال عز وجل يؤنبهم : د وإذا أخذنا ميثاق بنى إسرائيل ، أى ميثاقكم د لا تعبدون إلا الله ، وبالوالدين إحسانا ، وذى القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسنا ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون ، أى تركتم ذلك كله ليس بالتنقص ، د وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم .

قال ابن هشام : تسفكون : تصبون ، تقول العرب : سفك دمه ، أى صبه ، وسفك الزق ، أى هراقه ، قال الشاعر :

وكننا إذا ما الضيف حل بأرضنا سفكنا دماء البدن فى تربة الحال

قال ابن هشام : يعنى د بالحال : الطين الذى يخالطه الرمل ، وهو الذى تقول له العرب : السهلة ، وقد جاء فى الحديث : أن جبريل لما قال فرعون : د آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل ، أخذ من حال البحر د وحماته ، فضرب به وجه فرعون .

قال ابن إسحاق د ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقرتم وأنتم تشهدون ، على أن هذا حق من ميثاق عليكم د ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ، تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ، أى أهل الشرك ، حتى يسفكوا دماءهم معهم ، ويخرجوهم من ديارهم معهم د وإن يأتوكم أسارى قتادوهم ، وقد عرفتم أن ذلك عليكم فى دينكم د وهو محرم عليكم ، : فى كتابكم د لإخراجهم ، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، ، أى أفتادونهم مؤمنين بذلك ، وتخرجونهم كفارا بذلك د فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون د أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فلا يخفف عنهم العذاب ، ولا هم ينصرون ، فأنهم الله عز وجل بذلك من فعلهم ، وقد حرم عليهم فى التوراة سفك دمائهم ، وافترض عليهم فيها فداء أسراهم .

فكانوا فريقين ، منهم بنو قينقاع ولقهم ، حلفاء الخزرج ، والنضير وقريظة ولقهم ، حلفاء الأوس . فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت النضير وقريظة مع الأوس يظهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه ، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم ، والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان ، لا يعرفون الجنة ولا نارا ، ولا بعثا ولا قيامة ، ولا كتابا ، ولا حللا ولا حراما ، فإذا وضعت الحرب أوزارها اقتدوا أسراهم تصديقا لما فى التوراة ، وأخذ به بعضهم من بعض ، يفتدى بنو قينقاع من كان من أسراهم فى أيدي الأوس وتفتدى النضير وقريظة ما فى أيدي الخزرج منهم ويطلقون ما أصابوا من الدماء ، وقتل من قتلوا منهم فيما بينهم ، مظاهرة لأهل الشرك عليهم ، يقول الله تعالى لهم حين أنبهم بذلك : د أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، ، أى تقاديه بحكم التوراة وتقتله وفى حكم التوراة أن لا تفعل ، تقتله وتخرجه من داره وتظاهر عليه من يشرك بالله ، ويعبد الأوثان من دونه ،

ابتغاء عرض الدنيا ، ففي ذلك من فعلهم مع الأوس - فيما بلغني - نزلت هذه القصة .

ثم قال تعالى : « ولقد آتينا موسى الكتاب وقيمنا من بعده بالرسول ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات ، أي الآيات التي وضعت على يديه ، من إحياء الموتى ، وخلقه من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وإبراء الأسقام ، والخبر بكثير من الغيوب بما يدخرون في بيوتهم ، وما رد عليهم من التوراة مع الإنجيل ، الذي أحدث الله إليه . ثم ذكر كفرهم بذلك كله ، فقال : « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون » ، ثم قال تعالى : « وقالوا قلوبنا غلف » : في أكنة . يقول الله عز وجل : « بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون » . ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » .

قال ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه ، قال : قالوا : فينا والله وفيهم نزلت هذه القصة ، كنا قد علوناهم ظهراً في الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب فكانوا يقولون لنا : إن نبياً يبعث الآن نتبعه قد أظلم زمانه ، نقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم من قريش فاتبعناه كفروا به . يقول الله : « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » بثبنا اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، أي أن جعله في غيرهم : « فباءوا بغضب على غضب ، وللكافرين عذاب مهين » .

قال ابن هشام : فباءوا بغضب : أي اعترفوا به واحتملوه . قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حبل يسرتها قبيلها

قال ابن هشام : يسرتها : أجلستها للولادة ، وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : فالغضب على الغضب لغضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة ، وهي معهم ، وغضب بكفرهم بهذا النبي صلى الله عليه وسلم الذي أحدث الله إليهم .

ثم أنهم برفع الطور عليهم ، واتخاذهم العجل لها دون ربهم ، يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس ، فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » ، أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب عند الله ، فأبوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول الله جل ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام : « ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم » ، أي بعلمهم بما عندهم من العلم بك ، والكفر بذلك ، فيقال : لو تمنوه يوم قال ذلك لهم ما بقى على وجه الأرض يهودي إلا مات . ثم ذكر رغبتهم في الحياة الدنيا وطول العمر ، فقال تعالى : « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة » اليهود « ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر » أي ما هو بمنجيته من العذاب ، وذلك أن المشرك لا يرجو بعثاً بعد الموت ، فهو يحب طول الحياة ، وأن اليهودي قد عرف ماله في الآخرة من الخزي بما ضيع بما عنده من العلم ثم قال الله تعالى : « قل من كان عدواً للجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله » .

سؤال اليهود الرسول ، وإجابة لهم قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين المسكي عن شهر بن حوشب الأشعري : أن نقرأ من أحبار يهود جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن أربع نسألك عنهن ، فإن فعلت ذلك تبعتناك وصدقناك وآمنا بك ، قال : فقال لهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقنني ؟ قالوا : نعم ، قال : فاسألوا عما بدا
لكم ، قالوا فأخبرنا كيف يشبه الولد أمه ، وإنما النطفة من الرجل ؟ قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة ، ونطفة المرأة صفراء رقيقة ،
فأيتهما علت صاحبتهما كان لها الشبه ؟ قالوا : اللهم نعم . قالوا : فأخبرنا كيف نومك ؟ فقال : أنشدكم بالله وبأيامه
عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أن نوم الذي تزعمون أني لست به تمام عينه وقلبه يقظان ؟ فقالوا : اللهم نعم ،
قال : فكذلك نومي ، تمام عيني وقلبي يقظان . قالوا : فأخبرنا عما حرم لإسرائيل على نفسه ؟ قال : أنشدكم بالله
وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها ، وأنه اشتكى
شكوى ، فعافاه الله منها ، فحرم على نفسه أحب الطعام والشراب إليه شكر الله ، فحرم على نفسه لحوم الإبل
وألبانها ؟ قالوا : اللهم نعم . قالوا : فأخبرنا عن الروح ؟ قال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل
تعلمونه جبريل ، وهو الذي يأتيني ؟ قالوا : اللهم نعم : ولكنه يا محمد لنا عدو ، وهو ملك ، إنما يأتي بالشدّة
وبسفك الدماء ، ولولا ذلك لا تبعناك ، قال : فأنزل الله عز وجل فيهم : **وَقُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ . . .** إلى قوله تعالى **وَأَوْكَلْنَا مُوسَى إِسْمَاعِيلَ**
مِنْهُمْ ، بل أكثرهم لا يؤمنون . ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا
الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، أي السحر
وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر .

اليهود ينكرون نبوة داود عليه السلام ورد الله عليهم : قال ابن إسحاق : وذلك أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم - فيما بلغني - لما ذكر سليمان بن داود في المرسلين ، قال بعض أحبارهم ، ألا تعجبون من محمد ،
يزعم أن سليمان بن داود كان نبيا ، والله ما كان إلا ساحراً : فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله : **وَمَا كَفَرَ**
سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ، أي باتباعهم السحر وعلمهم به . وما أنزل على الملوكين يابل هاروت
وماروت وما يعلمان من أحد .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض من لا أتهم عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقول : الذي حرم
إسرائيل على نفسه زائدتا السكبد والكليتان والشحم ، إلا ما كان على الظهر ، فإن ذلك كان يقرب للقربان ،
فتأكله النار .

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر : قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود
خيبر ، فيما حدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صاحب موسى وأخيه ، والمصدق لما جاء
به موسى : ألا إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة ، ولأنكم لتجدون ذلك في كتابكم : **وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**
وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيماهم في
وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ
فأستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة
وأجراً عظيماً .

ولما أنشدكم بالله . وأنشدكم بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى ، وأنشدكم بالذي أبيض البحر لآبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله ، إلا أخبرتموني : هل تجدون فيما أنزله الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم . قد تبين الرشد من الغي ، فأدعوكم إلى الله وإلى نبيه .

قال ابن هشام : شطؤه : فراخه ، وواحدته : شطأة . تقول العرب : قد أشطأ الزرع إذا أخرج فراخه . وآزره : عاونه ، فصار الذي قبله مثل الامهات . قال امرؤ القيس بن حجر الكندي :

بمحنية قد آزر الضال نبتها بحر جيوش غائمين وخيب

وهذا البيت في قصيدة له . وقال حميد بن مالك الارقط ، أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة :

زرعا وقضبا مؤزر النبات

وهذا البيت في أرجوزة له . وسوقه غير مهموز جمع ساق ، لساق الشجرة .

ما نزل في أبي ياسر وأخيه : قال ابن إسحاق : وكان من نزل فيه القرآن ، بخاصة من الاحبار وكفار يهود ، الذي كانوا يسألونه ويتعنونه ليلبسوا الحق بالباطل - فيما ذكر لي عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله بن رثاب - أن أبا ياسر بن أخطب مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يتلو فاتحة البقرة : «الم ذلك الكتاب لا ريب فيه ، فأتى أخاه حيي بن أخطب في رجاله من يهود ، فقال : تعلموا والله ، لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل عليه ، «الم ذلك الكتاب ، فقالوا : أنت سمعته؟ فقال : نعم ، فشى حيي بن أخطب في أولئك الثفر من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له يا محمد ، ألم يذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل إليك : «الم ذلك الكتاب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى ، قالوا : أجاءك بها جبريل من عند الله؟ فقال : نعم ، قالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ، مانع له بين لبي منهم مامدة ملكه ، وما أكل أمته غيرك ، فقال حيي بن أخطب ، وأقبل على من معه ، فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة ، أفقدخولون في دين إنما مدة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، هل مع هذا غيره؟ قال : نعم ، قال ماذا؟ قال : «المص ، قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد سبعون ، فهذه إحدى وستون ومائة سنة ، هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال : نعم ، قال : «الر ، قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون والراء مائتان ، هل مع هذه غيره يا محمد؟ قال : نعم ، قال : «الم ، قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة ، ثم قال : لقد لبس علينا أمرك يا محمد ، حق ما ندرى أقليلاً أعطيت أم كثيراً؟ ثم قاموا عنه ، فقال أبو ياسر لأخيه حيي بن أخطب ولمن معه من الاحبار : ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لحمد ، إحدى وسبعون ، وإحدى وستون ومائة ، وإحدى وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبع مائة وأربع وثلاثون سنة ، فقالوا : لقد تشابه علينا أمره . فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : «منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وآخر متشابهات ، .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت من لا أتهم من أهل العلم يذكر : أن هؤلاء الآيات إنما أنزلن في أهل نجران ، حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن عيسى بن مريم عليه السلام .

قال ابن اسحاق : وقد حدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، أنه قد سمع : أن هؤلاء الآيات إنما أنزلت في نفر من يهود ، ولم يفسر ذلك لي ، فآله أعلم أي ذلك كان .

كفر اليهود به وما نزل في ذلك : قال ابن إسحاق : وكان فيما بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبثته ، فلما بعثه الله من الغرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر ابن البراء بن معرور ، أخو بني سلة : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث . وتصفونه لنا بصفته فقال سلام بن مشكم ، أحد بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كننا نذكره لكم ، فأنزل الله في ذلك : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » .

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن الصيف ، حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر لهم ما أخذ عليهم له من الميثاق ، وما عهد الله إليهم فيه : والله ما عهد إلينا في عهد عهد ، وما أخذ له علينا من ميثاق . فأنزل الله فيه :

« أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ، بل أكثرهم لا يؤمنون » .

وقال أبو صلوبا الفطيموني لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، ما جئتنا بشيء نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية فتنبئك لها . فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله : « ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون » .

وقال رافع بن حرملة ، وهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إئتينا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه ، ونجرب لنا أنهاراً تنبعك ونصدقك . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولها : « أم تريدون أن تسألوا رسوا . كما سئل موسى من قبل ، ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل » .

قال ابن هشام : سواء السبيل : وسط السبيل . قال حسان بن ثابت :

يا ويح أنصار النبي ورهطه
بعد المغيب في سواء المالحد

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وكان حي بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب ، من أشد يهود العرب حسداً ، إذ خصهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم ، وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا . فأنزل الله تعالى فيهما : « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم ، من بعد ما تبين لهم الحق ، فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ، إن الله على كل شيء قدير » .

تنازع اليهود والنصارى عند الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : ولما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أجبار يهود ، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رافع بن حرملة : ما أنتم على شيء ، وكفر بعيسى وبالإنجيل : فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم على شيء ، ووجد نبوة موسى وكفر بالتوراة ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ، وهم يتلون الكتاب ، كذلك قال الذين لا يعلمون » .

مثل قولهم ، فأنه يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ، ، أى كل يتلو فى كتابه تصديق ما كفر به ، أى يكفر اليهود بعيسى ، وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام ، وفى الإنجيل ما جاء به عيسى عليه السلام ، من تصديق موسى عليه السلام ، وما جاء به من التوراة من عند الله ، وكل يكفر بما فى يد صاحبه .

قال ابن إسحاق : وقال رافع بن حريملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن كنت رسولا من الله كما تقول ، فقل لله فليكننا حتى نسمع كلامه ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله : « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله ، أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم ، قد بينا الآيات لقوم يوقنون . »

وقال عبد الله بن صوريا الأعور الفطيونى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الهدى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تهدي ، وقالت النصارى مثل ذلك فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول عبد الله بن صوريا وما قالت النصارى : « وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ، قل بل ملة لإبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ، » ثم القصة إلى قول الله تعالى : « تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون . »

ما قاله اليهود عند صرف القبلة إلى الكعبة : قال ابن إسحاق : ولما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ، وصرفت فى رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعه بن قيس ، وقردم بن عمرو ، وكعب بن الأشرف ، ورافع بن أبى رافع . والحجاج بن عمرو ، حليف كعب بن الأشرف ، والربيع بن الربيع بن أبى الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، فقالوا : يا محمد ، ما وراك عن قبلك التى كنت عليها ، وأنت تزعم أنك على ملة لإبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك ، وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه فأنزل الله تعالى فيهم : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، قل الله المشرق والمغرب ، يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً . وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول بمن ينقلب على عقبيه ، أى ابتلاء واختباراً . وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ، أى من الفتن : أى الذين ثبت الله . وما كان الله ليضيع إيمانكم ، أى إيمانكم بالقبلة الأولى ، وتصديقكم نبيكم ، واتباعكم لإياه إلى القبلة الآخرة ، وطاعتكم نبيكم فيها : أى ليعطينكم أجرهما جميعاً « إن الله بالناس لرءوف رحيم ، »

ثم قال تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلندولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره . »

قال ابن هشام : شطره : نحوه وقصده ، قال عمرو بن أحرر الباهلى - وباهلة بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان - يصف ناقة له :

تعدو بنا شطر جمع وهى عافدة
قد كارب العقد من لإيفادها الحقبا
وهذا البيت فى قصيدة له .

وقال قيس بن خويلد الهذلي يصف ناقته .

إن النعوس بها داء مخامرها فشطرها نظر العينين محسور

وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن هشام : والنعوس : ناقته ، وكان بها داء فنظر إليها نظر حسير ، من قوله : وهو حسير .
 وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ، وما الله بغافل عما يعملون . ولئن أنبت الذين أوتوا
 الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبالتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم
 من بعد ما جاءك من العلم ، لئن لك لاذأ لمن الظالمين .

قال ابن اسحاق : إلى قوله تعالى : « وإنه للحق من ربك » ، فلا تكونون من الممتريين .

كتمانهم ما في التوراة : وسأل معاذ بن جبل : أخو بني سلة ، وسعد بن معاذ ، أخو بني عبد الأشهل وخارجة
 ابن زيد ، أخو بلحارث بن الخزرج ، نفرأ من أجبار يهود عن بعض ما في التوراة ، فكتموهم لإياه ، وأبوا أن
 يخبروهم عنه : فأنزل الله تعالى فيهم : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في
 الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » .

جوابهم للنبي عليه السلام حين دعاهم إلى الإسلام قال : ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود من
 أهل الكتاب إلى الإسلام ورغبهم فيه ، وحذرهم عذاب الله ونقمته ، فقال له رافع بن خارجة ، ومالك بن عوف :
 بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلم وخيرأ منا . فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما
 « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً
 ولا يهتدون » .

جمعهم في سوق بني قينقاع : ولما أصاب الله عز وجل قريشاً يوم بدر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يهود في سوق بني قينقاع ، حين قدم المدينة ، فقال : يا معشر يهود ، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب به
 قريشاً ، فقالوا له : يا محمد ، لا يفرنك من نفسك أنك قتلت نفرأ من قريش ، كانوا أغماراً لا يعرفون القتال
 أنك والله لو قاتلنا لعرفت أننا نحن الناس ، وأنت لم تلق مثلنا ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم « قل للذين
 كفروا سئلتنا لعرفت أننا نحن الناس ، وأنت لم تلق مثلنا » . قد كانت لكم آية في فتنتين التقتا ، فئة تقاتل في سبيل الله ،
 وأخرى كافرة ، يرونهم مثليهم رأي العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار .

دخول صلى الله عليه وسلم بيت المدراس . قال : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على
 جماعة من يهود ، فدعاهم إلى الله ، فقال له النعمان بن عمرو ، والحارث بن زيد : على أي دين أنت يا محمد ؟ قاله
 على ملة إبراهيم ودينه ، قالوا : فإن إبراهيم كان يهودياً ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهل إلى التوراة
 فمى بيننا وبينكم ، فأبىا عليه ، فأنزل الله تعالى فيهما : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى
 كتاب الله ليحكم بينهم ، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون . ذلك بأنهم قالوا : لمن تمسنا النار إلا أياماً
 معدودات ، وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون » .

تنازع اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام : وقال أجبار يهود ونصارى نجران ، حين اجتمعوا عند
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنزعوا ، فقالت الأجبار : ما كان لإبراهيم إلا يهودياً ، وقالت النصارى من

أهل نجران : ما كان إبراهيم إلا نصرانيا . فأنزل الله عز وجل فيهم : « يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون . ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين . إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه ، وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين . »

ما نزل في إيمانهم غدوة والكفر عشية : وقال عبد الله بن صيف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة . ونكفر به عشية ، حتى نلبس عليهم دينهم لعلمهم يصنعون كما نصنع ، ويرجعون عن دينه ، فأنزل الله تعالى فيهم : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمونه الحق وأنتم تعلمون . وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون . ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، قل إن الهدى هدى الله أن يوتي أحداً مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم ، قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم . »

ما نزل في قول أبي رافع «أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى» وقال أبو رافع القرظي ، حين اجتمعت الأحرار من يهود ، والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الإسلام : أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم؟ وقال رجل من أهل نجران نصراني ، يقال له : الرئيس ، أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعوننا؟ أو كما قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره ، فما بذلك بعثني الله . ولا أمرني ، أو كما قال : فأنزل الله تعالى في ذلك من قولها : « ما كان لبشر أن يوتي الله الكتاب والحكم والنبوة ، ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب ، وبما كنتم تدرسون . . . » إلى قوله تعالى : « بعد إذ أنتم مسلمون . »

قال ابن هشام : الربانيون : العلماء الفقهاء السادة ، واحدهم : رباني :

قال الشاعر :

لو كنت مرتهاً في القوس افتنني منها الكلام ورباني أحرار

قال ابن هشام : القوس : صومعة الراهب . وأفتنني ، لغه نعيم . وفتنني ، لغه قيس .

قال جرير :

لا وصل إذ صرمت هند ولو وقفت لاستزلتني وذا المسحين في القوس

أي صومعة الراهب . والرباني : مشتق من الرب ، وهو السيد . وفي كتاب الله : « فيسقي ربه خمرآة » ، أي سيده .

قال ابن إسحاق : « ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون . »

ما نزل في أخذ الميثاق عليهم : قال ابن إسحاق : ثم ذكر ما أخذ الله عليهم ، وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه إذ هو جاءهم ، وإقرارهم ، فقال : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري؟ قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » ، إلى آخر القصة .

سعيهم في الوقعة بين الأنصار : قال ابن إسحاق : ومرو شاس بن قيس ، وكان شيخاً قد عسا ، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ، على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج . في مجلس قد جمعهم ، يتحدثون فيه ، فغاضه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم ، وصلاص ذات بينهم على الاسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال : قد اجتمع ملا بني قبيلة بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار . فأمر فتى شاباً من يهود كان معهم ، فقال : أعمد إليهم ، فاجلس معهم ، ثم أذكر يوم بعثت وما كان قبله وأنشدهم ما كانوا يقولوا فيه من الاشعار .

يوم بعث : وكان يوم بعث يوماً اقتتل فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج ، وكان على الأوس يومئذ حضير بن سمالك الأشيلي ، أبو أسيد بن حضير ، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي ، فقتلا جميعاً .

قال ابن هشام : قال أبو قيس بن الأسلت :

على أن قد لجعت بذى حفاظ فعاودنى له حزن رصين
فأما تقتلوه فإن عمراً أعض برأسه غضب سنين

وهذان البيتان في قصيدة له . وحديث يوم بعث أطول مما ذكرت ، وإنما منعت من استقصائه ما ذكرت من القطع .

قال ابن هشام : سنين . مسنون ، من سنه ، إذا شحذه .

قال ابن إسحاق : ففعل . فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى توائب رجلان من الحيين على الركب ، أوس بن قيطي ، أحد بني حارثة بن الحارث ، من الأوس ، وجبار بن صخر ، أحد بني سلبة من الخزرج ، فتقالوا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رددناها الآن جذعة ، فغضب الفريقان جميعاً ، وقالوا : قد فعلنا ، موعداً الظاهرة — والظاهرة : الحرة — السلاح السلاح . فخرجوا إليها ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم ، فقال : يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بين قلوبكم ، فعرف القوم أنها نزع من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس . فأنزل الله تعالى في شاس بن قيس وما صنع : د قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله ، والله شهيد على ما تعملون . قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً ، وأنتم شهداء ، وما الله بغافل عما تعملون .

وأنزل الله في أوس بن قيطي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شاس من أمر الجاهلية : د يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون .

ما نزل في قولهم : ما اتبع محمد إلا شرارنا : قال ابن إسحاق : ولما أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعية ، وأسد بن عبيد ، ومن أسلم من يهود معهم ، فأمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام ، ورسخوا فيه ، قالت أجبار يهود ، أهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا اتبعه إلا شرارنا ، ولو كانوا من أختيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره . فأزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ليسوا سواء ، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون .

قال ابن هشام : آناء الليل : ساعات الليل ، وواحدا : لاني قال المتنخل الهذلي ، واسمه مالك بن عويمر ، يرى أثيلة ابنه :

حلو ومر كعطف القدح شيمته في كل لاني قضاء الليل يفتعل

وهذا البيت في قصيدة له . وقال لبيد بن ربيعة يصف حمار وحش :

يطرب آناء النهار كأنه غوى سقاه في التجار نديم

وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال : لاني مقصور فيما أخبرني يونس .

« يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الخيرات ، وأولئك من الصالحين . »

ما نزل في نهى المسلمين عن مباينة اليهود : قال ابن إسحاق : وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود ، لما كان بينهم من الجوار والحلف ، فأزل الله تعالى فيهم ينههم عن مباينتهم .

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ، لا يألونكم خبالا ودوا ما عتقم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون . » هاتم أولاء تحبونكم ، ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله . ، أي تؤمنون بكتابكم ، وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم كنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم « وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم إلا نامل من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم ، إلى آخر القصة . »

دخول أبي بكر بيت المدراس : ودخل أبو بكر الصديق بيت المدراس على يهود فوجد منهم ناسا كثيرا قد اجتمعوا إلى رجل منهم ، يقال له فنحاص ، وكان من علمائهم وأجبارهم ، ومعه حبر من أجبارهم ، يقال له : أشيع : فقال أبو بكر لفنحاص : ويحك يا فنحاص ! اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمدا لرسول الله ، قد جاءكم بالحق من عند ، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والانجيل ، فقال فنحاص لأبي بكر : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقر ، وما نتضرع إليه كما يتضرع النبا ، وأنا عنه لا غنى ، وما هو عنا بغنى ، ولو كان عنا غنيا ما استقرضنا أهوالنا ، كما يزعم صاحبكم ، ينهكم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا . قال فغضب أبو بكر ، فغضب وجه فنحاص ضربا شديدا ، وقال : والذي نفسى بيده ، لولا العهد الذي بيننا وبينكم ، لضربت رأسك ، أي عدو الله قال : فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أنظر ما صنع بي صاحبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، إن عدو الله قال قولا عظيما ،

لأنه زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء ، غلبا قال ذلك غضبت لله بما قال ، وضربت وجهه : فجحد ذلك فنحاصه ، وقال : ما قلت ذلك ، فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردا عليه ، وتصديقا لأبي بكر : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ، سنكتب ما قالوا ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، ونقول ذوقوا عذاب الحريق » .

ونزل في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وما بلغه في ذلك من الغضب : « ولستم ممن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا . وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من حزم الأمور » .

ثم قال فيما قال فنحاص والاحبار معه من يهود : « وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، فنبدوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمنا قليلا ، فبئس ما يشترون . لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ، ويحبون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم ، يعني فنحاص ، وأشيع وأشباههما من الاحبار ، الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ، ويحبون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا ، أن يقول الناس : علماء ، وليسوا بأهل علم ، لم يحملوهم على هدى ولا حق ، ويحبون أن يقول الناس قد فعلوا » .

أمر اليهود المؤمنين بالبخل : قال ابن إسحاق : وكان كردم بن قيس ، حليف كعب بن الأشرف ، وأسامة ابن حبيب ، ونافع بن أبي نافع ، وبحري بن عمرو ، وحبي بن أخطب ، ورفاعة بن التابوت ، يأتون رجلا من الانصار كانوا يخاطبونهم ، ينتصحوهم لهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون لهم : لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر في ذهابها ، ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون علام يكون ، فأنزل الله فيهم : « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ، أى من التوراة ، التي فيها تصديق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم » وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ، والذين ينفقون أموالهم رياء الناس ، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ... إلى قوله : « وكان الله بهم علما » .

جحد اليهود للحق : قال ابن إسحاق : وكان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود ، إذا كلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم لوى لسانه ، وقال : أرعنا سمعك يا محمد ، حتى نفهمك ، ثم طعن في الإسلام وعابه ، فأنزل الله فيه : « ألم تر إلى الذين أوتوا الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن يضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم ، وكفى بالله وليا ، وكفى بالله نصيرا . من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم ، وطعنا في الدين ، ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا ، لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا » .

وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار يهود ، منهم : عبد الله بن صوريا الأعور ، وكعب ابن أسد ، فقال لهم : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلوا ، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحق ، قالوا : ما نعرف ذلك يا محمد : فجحدوا ما عرفوا ، وأصروا على الكفر ، فأنزل الله تعالى فيهم : « يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فردمنا على أديبارها ، أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا » .

قال ابن هشام : نطمس : نمسحها فمسحوها ، فلا يرى فيها عين ولا أنف ولا فم ، ولا شيء مما يرى في الوجه ، وكذلك « فطمسنا أعينهم » ، المطموس العين : الذي ليس بين جفنيه شق ، ويقال طمست الكتاب والآثر ، فلا يرى

منه شيء : قال الاخطل ، واسمه الغوث بن هبيرة بن الصلت التغلبي ، يصف لإبلا كأنها ما ذكر :
وتكليفناها كل طامسة الصوى شطون ترى حرباءها يتملئ
وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن هشام : واحدة الصوى : صوة . والصوى : الاعلام التي يستدل بها على الطرق والمياه .

قال ابن هشام : يقول : مسحت فاستوت بالأرض ، فليس فيها شيء نائق
من حزبوا الأحزاب : قال ابن إسحاق : وكان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وخطفان وبنى قريظة حبي
ابن أخطب ، وسلام بن أبي الحقيق ، أبو رافع ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وأبو عمار ووحوش بن عامر
وهوذة بن قيس . فأما ووحوش ، وأبو عمار ، وهوذة ، فمن بنى وائل ، وكان سائرهم من بنى النضير فلما قدموا
على قريش قالوا : هؤلاء أجبار يهود وأهل العلم بالكتاب الأول ، فسألهم : دينكم خير أم دين محمد ؟ فسألهم
فقالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه وعن اتبعه . فأنزل الله تعالى فيهم : وألم تر إلى الذين أتوا
نصيياً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت .

قال ابن هشام : الجبت ما عبد من دون الله تبارك وتعالى . والطاغوت : كل ما أضل عن الحق . وجمع الجبت :
جبتوت ، وجمع الطاغوت : طاوغيت .

قال ابن هشام : وبلغنا عن ابن أبي نجيح أنه قال : الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان .
ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً .

قال ابن إسحاق : إلى قوله تعالى : أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل إبراهيم
الكتاب والحكمة ، وآتيناهم ما لم يكسبوا .

إنكار اليهود للتنزيل : قال ابن إسحاق : وقال سكين وعدى بن زيد : يا محمد ، ما نعلم أن الله أنزل
على بشر من شيء بعد موسى . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما : إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح
والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس
وهارون وسليمان ، وآتيناهم داود زبوراً . ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل . ورسلاً لم نقصصهم عليك ،
وكلم الله موسى تكليماً . رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيماً .
ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ، فقال لهم : أما والله إنكم لتعلمون أني رسول من الله
إليكم ، قالوا : ما نعلمه ، وما نشهد عليه ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : لكن الله يشهد بما أنزل إليك
أنزله بعبله والملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهِيداً .

اتفاقهم على طرح الصخرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
بنى النضير يستعينهم في دية العامريين الذين قتل عمرو بن أمية الضمري . فلما خلا بعضهم ببعض قالوا : لن نجدوا
محمدأ أقرب منه الآن ، فمن رجل يظهر على هذا البيت ، فيطرح عليه صخرة فبريحنا منه ؟ فقال عمرو بن جحاش
ابن كعب : أنا ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فانصرف عنهم . فأنزل الله تعالى فيه ، وفيما أراد

هو وقومه : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

ادعائهم أنهم أحباء الله : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعان بن أضاء ، وبحري بن عمرو ، وشاس بن عدى ، فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الله ، وحذرهم نعمته ، فقالوا : ما نخوفنا يا محمد ، نحن والله أبناء الله وأحبائه . كقول النصارى . فأنزل الله تعالى فيهم : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبائه : قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر من خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، والله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير » .

انكارهم نزول كتاب بعد موسى : قال ابن إسحاق : ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود إلى الإسلام ورغبهم فيه ، وحذرهم غير الله وعقوبته ، فأبوا عليه ، وكفروا بما جاءهم به ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وسعد بن عباد وعقبة بن وهب : يا معشر يهود : اتقوا الله ، فوالله انكم لتعلمون أنه رسول الله ، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته ، فقال رافع بن حريثة . ووهب بن يهوذا : ما قلنا لكم هذا قط ، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولها : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله عل كل شيء قدير » .

ثم فص عليهم خبر موسى وما أتى منهم ، وانتقاضهم عليه ، وما ردوا عليه من أمر الله حتى تاهوا في الأرض أربعين سنة عقوبة .

رجوعهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم في حكم الرجم : قال ابن إسحاق : وحدثني ابن شهاب الزهري أنه سمع رجلاً من مزينة من أهل العلم ، يحدث سعيد بن المسيب ، أن أبا هريرة حدثهم : أن أحبار يهود اجتمعوا في بيت المدراس حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد زنى رجل منهم بعد احصائه بامرأة من يهود قد أحصنت ، فقالوا : ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد ، فسلوه كيف الحكم فيهما : وولوه الحكم عليهما ، فان عمل فيهما بعمالكم من التجبية - والتجبية : الجلد بجمل من ليف مطلى بقار ، ثم تسود وجوههما ، ثم يحملان على حمارين ، وتجعل وجوههما من قبل أدبار الحمارين - فاتبعوه ، فانما هو ملك ، وصدقه ، وان هو حكم فيهما بالرجم فإنه نبي ، فاحذروه على ما في أيديكم أن يسلبكموه . فاتوه ، فقالوا : يا محمد ، هذا رجل قد زنى بعد احصائه بامرأة قد أحصنت ، فاحكم فيهما ، فقد وليناك الحكم فيهما ، فثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أحبارهم في بيت المدراس فقال : يا معشر يهود أخرجوا إلى علماءكم ، فأخرج له عبد الله بن سوريا .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض بني قريظة : أنهم قد أخرجوا إليه يومئذ مع ابن سوريا ، أبا ياسر ابن أخطب ، ووهب بن يهوذا ، فقالوا هؤلاء علماءنا . فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حصل أمرهم ، إلى أن قالوا لعبد الله بن سوريا : هذا من أعلم من بقي بالتوراة .

قال ابن هشام : من قوله : « وحدثني بعض بني قريظة - إلى أعلم من بقي بالتوراة » من قول ابن إسحاق ، وما بعده من الحديث الذي قبله .

غفلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان غلاماً شاباً من أحدثهم سنناً فأظف به رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة ، يقول له : يا بن صوريا ، أنشدك الله وأذكرك بأيامه عند بنى اسرائيل ، هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصائه بالرجم في التوراة ؟ قال اللهم نعم ، أما والله يا أبا القاسم انهم ليعرفون أنك لنبي مرسل ولكنهم يحسدونك . قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأمر بهما فرجما عند باب مسجده في بنى غنم ابن مالك بن النجار . ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا ، ووجد نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن اسحاق : فأنزل الله تعالى فيهم : « يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا : آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ، أى : الذين بعثوا منهم من بعثوا وتحلفوا ، وأمرهم بما أمرهم به من تحريف الحكم عن مواضعه . ثم قال : « يعرفون الكلام من بعد مواضعه ، يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه ، وإن لم تؤتوه ، أى الرجم فاحذروا ، إلى آخر القصة .

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن يزيد بن ركانة عن اسماعيل بن طلحة بن ابراهيم ، عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما ، فرجما بباب مسجده . فلما وجد اليهودى مس الحجارة قام الى صاحبته ، فجئنا عليها ، يقيها مس الحجارة ، حتى قتلا جميعاً . قال : وكان ذلك مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في تحقيق الزنا منهما .

قال ابن اسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر ، لما حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما ، دعاهم بالتوراة ، وجلس خبر منهم يتلوها ، وقد وضع يده على آية الرجم ، قال : فضرب عبد الله بن سلام يد الخبر ، ثم قال : هذه يابى الله آية الرجم ، يابى أن يتلوها عليك ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحكم يا معشر يهود ! ما دعاكم الى ترك حكم الله وهو بأيديكم ؟ قال : فقالوا : أما والله إنه قد كان فينا يعمل به ، حتى زنى رجل منا بعد إحصائه ، من بيوت الملوك وأهل الشرف ، فنعه الملك من الرجم ، ثم زنى رجل بعده ، فأراد أن يرحمه ، فقالوا : لا والله ، حتى ترجم فلاناً ، فلما قالوا له ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التجبية ، وأماوا ذكر الرجم والعمل به . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأننا أول من أحيى أمر الله وكتابه وعمل به ، ثم أمر بهما فرجما عند باب مسجده . قال عبد الله بن عمر : فكنت فيمن رجمهما .

ظلمهم في الدية : قال ابن اسحاق : وحدثني داود بن الحصين عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن الآيات من المائدة التي قال الله فيها : « فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً » وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ، إنما أنزلت في الدية بين بنى النضير وبين بنى قريظة ، وذلك أن قتلى بنى النضير ، وكان لهم شرف ، يؤدون الدية كاملة ، وأن بنى قريظة كانوا يؤدون نصف الدية ، فتحاكموا في ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق في ذلك ، فجعل الدية سواء .

قاو ابن اسحاق : فاقه أعلم أى ذلك كان .

رغبته في فتنه الرسول عليه السلام : قال ابن اسحاق : وقال كعب بن أسد ، وابن صلوبا ، وعبد الله ابن صوريا ، وشاس بن قيس ، بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد ، لعلنا نفنسه عن دينه ، فلما هو بشر ، فأتوه ،

فقالوا له : يا محمد ، إنك قد عرفت أنا أجبار يهود وأشرافهم وساداتهم ، وأنا إن اتبعناك اتبعتك يهود ، ولم يخالفونا ، وأن بيننا وبين بعض قومنا خصومة ، أفنحناكم إلیک فتتقضى لنا عليهم ، ونؤمن بك ونصدقك ، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم . فأنزل الله فيهم : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم » وأحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إلیک ، فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وإله كثير آمن الناس لفاسقون . أخكم الجاهلية يبعون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون .

انكارهم نبوة عيسى عليه السلام : قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر منهم : أبو ياسر بن أخطب ، ونافع بن أبي نافع ، وعازر بن أبي عازر ، وخالد ، وزيد ، ولزار بن أبي أزار ، وأشبع ، فسألوه ممن يؤمن به من الرسل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تؤمن بالله وما أنزل إلی إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لانفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » . فلما ذكر عيسى بن مريم جحدوا نبوته ، وقالوا : لانؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به . فأنزل الله تعالى فيهم : « قل ياهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمننا بالله وما أنزل إلینا وما أنزل من قبل ، وأن أكثرهم فاسقون » .

ادعاءهم أنهم على حق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة ، وسلام بن مشكم . ومالك ابن الصيف ، ورافع بن حريملة ، فقالوا : يا محمد ، ألسنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ، وتؤمن بما عندنا من التوراة ، وتشهد أنها من الله حق ؟ قال : بلى ، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها بما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها ، وكنتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس ، فبرئت من إحدائكم ، قالوا فانا نأخذ بما في أيدينا ، فانا على الهدى والحق ، ولا تؤمن بك ، ولا تتبعك ، فأنزل الله تعالى فيهم : « قل ياهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل ، وما أنزل إلیكم من ربكم ، وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إلیك من ربك طغياناً وكفراً ، فلا تأس على القوم الكافرين » .

إشراكهم بالله : قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم النحام بن زيد ، وقردم بن كعب ، وبحري بن عمرو ، فقالوا له : يا محمد ، أما تعلم مع الله إلها غيره ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله لا إله إلا هو ، بذلك بعثت ، وإلى ذلك أدعو . فأنزل الله فيهم وفي قواهم : « قل : أى شيء أكبر شهادة ، قل الله شهيد بيني وبينكم ، وأوحى إلى هذا القرآن لآنذرکم به ومن بلغ ، إنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ، قل لا أشهد ، قل إنما هو إله واحد ، وإننى برى عما تشركون ، الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون » .

نهي الله المؤمنين عن موادتهم : وكان رفاعه بن زيد بن النابوت ، وسويد بن الحارث قد أظهر الإسلام ووافقا فكان رجال من المسلمين يوادونهما . فأنزل الله تعالى فيهما : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين » ... إلى قوله : « وإذا جاءكم قالوا آمنا ، وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ، والله أعلم بما كانوا يكتمون » .

سؤالهم عن قيام الساعة : وقال جبل بن أبي قشير ، وشمویل بن زيد ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ، أخبرنا متى تقوم الساعة إن كنت نبيا كما تقول ؟ فأنزل الله تعالى فيهما : « يسألونك عن الساعة »

أيان مرساها ، قل إنما عليها عند ربى ، لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت فى السموات والأرض لا تاتىكم إلا بقتة ، يسألونك كأنك حفى عنها ، قل إنما عليها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

قال ابن هشام : أيان مرساها : متى مرساها . قال قيس بن الحدادية الخزاعى :

جئت وحفى السر بينى وبينها لأسألها أيان من سار راجع ؟

وهذا البيت فى قصيدة له : ومرساها : منتهىها ، وجمعه : مراس ، قال السكيت بن زيد الاسدى :
والمصيين باب ما أخطأ النا س ومرسى قواعد الإسلام

وهذا البيت فى قصيدة له ومرسى السفينة : حق تلتهى . وحفى عنها - على التقديم والتأخير - يقول :
يسألونك عنها كأنك حفى بهم فتخبرهم بما لاتخبرهم غيرهم . والحفى : البر المتعهد . وفى كتاب الله : إنه كان فى حفى . وجمعه : أحفيا وقال الأعشى بن قيس بن ثعلبة :

فان تسألنى حفى فيارب سائل حفى عن الأعشى به حيث أصعدا

وهذا البيت فى قصيدة له . والحفى أيضاً : المستحفى عن علم الشيء ، المبالغ فى طلبه .

ادعائهم أن عزيراً ابن الله : قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ، ونعمان ابن أوفى ابو انس ، ومحمود بن دحية ، وشاس بن قيس ، ومالك بن الصيف ، فقالوا له : كيف تتبعك وقد تركت قبلتنا ، وأنت لاتزعم أن عزيراً ابن الله فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم : وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله أنى يؤفكون ، الى آخر القصة .

قال ابن هشام : يضاهون : أى يشاكل قولهم قول الذين كفروا ، نحو أن تحدث بحديث ، فيحدث آخر بمثله ، فهو يضاهيك .

طلبهم كتاباً من السماء : قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سبيحان ، ونعمان ابن أضاء ، وبحرى بن عمرو ، وعزير بن أبى عزير ، وسلام بن مشكم ، فقالوا : أحق يا محمد أن هذا الذى جئت به لحق من عند الله ، فإننا لانراه متسقاً كما تنسق التوراة ؟ فقال : لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله . تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة ، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به ، فقالوا عند ذلك ، وهم جميع : فنحاص ، وعبد الله بن صوريا ، وابن صلوبا ، وكنانة بن الربيع ابن أبى الحقيق ، وأشيع ، وكعب بن أسد ، وشمویل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سكينه : يا محمد ، أما يهلك هذا إنس ولاجن ؟ قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله ، ولأنى لرسول الله ، تجدون ذلك مكتوباً عندكم فى التوراة ، فقالوا : يا محمد ، فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء ويقدر منه على ما أراد ، فأنزل علينا كتاباً من السماء نقرؤه ونعرفه ، ولا لاجئناك بمثل ما أتى به : فأنزل الله تعالى فيهم وفيما قالوا : قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

قال ابن هشام : الظهير : العون . ومنه قول العرب : تظاهروا عليه ، أى تعاونوا عليه . قال الشاعر :

ياسمى النبی أصبحت للدي - من قواما وللإمام ظهيراً

أى عوناً ، وجمعه : ظهراء .

سؤالهم له صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين : قال ابن إسحاق : وقال حي بن أخطب ، وكعب بن أسد ، وأبو رافع وأشيع ، وشمویل بن زيد ، لعبد الله بن سلام حين أسلم : ما تكون النبوة في العرب ولكن صاحبك ملك ثم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن ذى القرنين فقص عليهم ما جاءه من الله تعالى فيه ، بما كان قص على قريش ، وهم كانوا ممن أمر قريشا أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، حين بعثوا لئليهم النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط .

تهجمهم على ذات الله : قال ابن إسحاق : وحدثني عن سعيد بن جبیر أنه قال : أتى رهط من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، هذا الله خلق ، الخلق ، فمن خلق الله ؟ قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه ، ثم ساورهم غضبا لربه . قال : فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه ، فقال : خففص عليك يا محمد ، وجاءه من الله بجواب ماسألوه عنه : قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد . .

قال : فلما تلاها عليهم ، قالوا : فصف لنا يا محمد كيف خلقه ؟ كيف ذراعه ؟ كيف عضده ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الأول ، وساورهم . فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال له مثل ما قال له أول مرة ، وجاءه من الله تعالى بجواب ماسألوه . يقول الله تعالى : وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون . .

قال ابن إسحاق : وحدثني عتبة بن مسلم . مولى بني تميم ، عن أبي سلية بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يوشك الناس أن يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلهم : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا : قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد ، ثم ليتفل الرجل عن يساره ثلاثا ، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم . .

قال ابن هشام : الصمد : الذي يصمد إليه ، ويقرع إليه ، قالت هند بنت معبد بن نضلة تبكي عمرو بن مسعود ، وخالد بن نضلة ، عمهما الأسديين ، وهما اللذان قتل النعمان بن المنذر اللخمي ، وبني الغريين اللذين بالكوفة عليهما : ألا بكر الناعي بخيرى بنى أسد بعمر بن مسعود وبالسيد الصمد

بدء الأذان

ذكر حديث عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، هكذا ذكره ، وأكثر النسب يقولون : زيد بن عبد ربه ، وثعلبة أخو زيد ذكر حديثه عندما شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في الأذان ، فقال بعضهم : ناقوس كناقوس النصارى ، وقال بعضهم : بوق كبوق اليهود ، وفي غير السيرة أنهم ذكروا الشبور ، وهو البوق . قال الأصمعي للمفضل ، وقد نازعه في معنى بيت من الشعر ، فرفع المفضل صوته ، فقال الأصمعي لو نفخت في الشبور ما نفعك ، تكلم كلام النمل وأصعب ١١ .

وذكروا أيضاً القنق وهو القرن ، وقال بعضهم : هو تصحيف إنما هو القبع والقنق أولى بالصواب ، لأنه من أقنص صوته إذا رفعه ، وقال بعضهم : بل نوقد نارا ، ونرفعها ، فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة ، وقال بعضهم : بل نبعث رجلا ينادي بالصلاة ، فبينما هم في ذلك أرى عبد الله بن زيد الرؤيا التي ذكر ابن إسحاق ، فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأمره أن يلقيها على بلال ، قال : يا رسول الله أنا رأيتها ، وأنا كنت

أحبها لنفسى ، فقال : ليؤذن بلاك ، ولتقم أنت ، ففى هذا من الفقه جواز أن يؤذن الرجل ويقيم غيره وهو معارض لحديث زياد بن عبد الله الصدقى حين قال له النبى - صلى الله عليه وسلم : من أذن فهو أحق أن يقيم ، فى حديث طويل إلا أنه يدور على عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقى وهو ضعيف ، والاول أصح منه . قال أبو داود : وتزعم الانصار أن عبد الله بن زيد حين رأى النداء كان مريضا ، ولولا ذلك لأمره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالآذان ، وقد تكلمت العلماء فى الحكمة التى خصت الآذان بأن رآه رجل من المسلمين فى نومه ، ولم يكن عن وحى من الله لنبىه كسائر العبادات والأحكام الشرعية ، وفى قول النبى - صلى الله عليه وسلم - له : إنها رؤيا حق ، ثم بنى حكم الآذان عليها ، وهل كان ذلك عن وحى من الله له ، أم لا ؟ وليس فى الحديث دليل على أن قوله ذلك كان عن وحى ، وتكلموا : لم لم يؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل أذن فط مرة من عمره دهره أم لا ؟

فأما الحكمة فى تخصيص الآذان برؤيا رجل من المسلمين ولم يكن عن وحى فلأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أريه ليلة الإسراء ، وأسمعه مشاهدة فوق سبع سموات ، وهذا أقوى من الوحى ، فلما تأخر فرض الآذان إلى المدينة ، وأرادوا لإعلام الناس بوقت الصلاة تلبث الوحى حتى رأى عبد الله الرؤيا ، فوافقت ما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلذلك قال : إنها رؤيا حق إن شاء الله ، وعلم حينئذ أن مراد الحق بما رآه فى السماء ، أن يكون سنة فى الأرض ، وقوى ذلك عنده موافقة رؤيا عمر الأنصارى مع أن السكينة تنطق على لسان عمر وافترض الحكمة الإلهية أن يكون الآذان على لسان غير النبى صلى الله عليه وسلم من المؤمنين ، لما فيه من التنويه من الله لعبده ، والرفع لذكره ، فلأن يكون ذلك على غير لسانه أنوه به وأخف لشأنه ، وهذا معنى بين فإن الله سبحانه يقول : « ورفعنا لك ذكرك » فن رفع ذكره أن أشاد به على لسان غيره ، فإن قيل : ومن روى أنه أرى النداء من فوق سبع سموات ، قلنا : هو فى مسند أبي بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزار .

حدثنا أبو بكر محمد بن طاهر الإشبيلي سماعا وإجازة عن أبي على الغساني عن أبي عمر النمرى بإسناده إلى البزار : قال البزار : نا محمد بن عثمان بن مخلد ، نا أبي عن زياد بن المنذر ، عن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جده ، عن على بن أبي طالب - رضى الله عنه - قال : لما أراد الله أن يعلم رسوله الآذان أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم بدابة يقال لها البراق ، فذهب يركبها ، فاستصعبت ، فقال لها جبريل : اسكنى فوالله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد - صلى الله عليه وسلم - قال : فركبها حتى انتهى إلى الحجاب الذى إلى الرحمن - تبارك وتعالى - قال : فبينما هو كذلك ، اذ خرج ملك من الحجاب ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا جبريل من هذا ؟ فقال الذى بعثك بالحق إنى لأفرب الخلق مكانا ، وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه ، فقال ؟ الملك : الله أكبر ، الله أكبر قال فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر ، ثم قال الملك أشهد أن لا إله إلا الله ، قال : فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا الله لا إله إلا أنا ، قال : فقال الملك : أشهد أن محمدا رسول الله . قال : فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أرسلت محمدا ، قال الملك حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، ثم قال الملك : الله أكبر الله أكبر ، قال : فقيل من وراء الحجاب : صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر ، ثم قال : لا إله إلا الله ، قال : فقيل من وراء الحجاب : صدق عبدى أنا لا إله إلا أنا ، قال : ثم أخذ الملك بيد محمد - صلى الله عليه وسلم - فقدمه فأم أهل السماء ، فيهم آدم ونوح ، قال أبو جعفر محمد بن على : يومئذ أكل الله لمحمد - صلى الله عليه وسلم - الشرف على أهل السموات والأرض .

قال المؤلف: وأخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحاً لما يعضده ويشأ كله من أحاديث الإسراء فبمجموعها يحصل أن معاني الصلاة كلها وأكثرها ، قد جمعها ذلك الحديث ، أعني الإسراء ، لأن الله - سبحانه - رفع الصلاة التي هي مناجاة عن أن تفرض في الأرض ، لكن بالحضرة المقدسة المطهرة ، وعند الكعبة العليا ، وهي البيت المعمور ، وقد ذكرنا طرفاً من هذا الغرض ، ونبدأ من هذا المقصد في شرح حديث الإسراء وينضاف إليها في هذا الحديث ذكر الأذان الذي تضمنه حديث البزار مع ما روى أيضاً أنه مر وهو على البراق بملائكة قيام ، وملائكة ركوع ، وملائكة سجود وملائكة جلوس ، والكل يصلون لله ، فجمعت له هذه الأحوال في صلاته ، وحين مثل بالمقام الأعلى ، ودنا فتدلى ألهم أن يقول : التحيات لله إلى قوله . الصلوات لله ، فقالت الملائكة : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فقالت الملائكة أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فجمع ذلك له في تشهده .

وانظر بقلبك كيف شرع له عليه السلام ولائته أن يقولوا تسع مرات في اليوم واللييلة في تسع جلسات في الصلوات الخمس بعد ذكر التحيات : السلام علينا ، وعلى عباد الله الصالحين ، فيحيون ويحيون تحية من عند الله مباركة طيبة ، ومن قوله : السلام علينا كما قيل لهم ، فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله ، ومن ثم قال : الطيبات المباركات ، كما في رواية ابن عباس في التشهد انظر إلى هذا كله كيف حيا وحي تسع مرات ، حيثه ملائكة كل سماء ، وحياهم ، ثم ملائكة الكرسي ، ثم ملائكة العرش ، فهذه تسع ، فجعل التشهد في الصلوات على عدد تلك المرات التي سلم فيها وسلم عليه ، وكلها تحيات لله ، أي : من عند الله مباركة طيبة ، هذا إلى نكت ذكرناها في شرح سبحان الله وبحمده ، فإذا جمعت بعض ما ذكرناه إلى بعض عرفت جملة من أسرار الصلاة وفوائدها الجليلة دون الخفية ، وأما بقية أسرارها وما تضمنته أحاديث الإسراء من أنوارها ، وما في الأذان من لطائف المعاني والحكم ، وقول : لا إله إلا الله في آخره ، وأشهد أن لا إله إلا الله في أوله ، وما تحت هذا كله من الحكم الإلهية التي تملأ الصدور هيبة وتنور القلوب بنور المحبة ، وكذلك ما تضمنته الصلاة في شفعا وتترها والتكبير في أركانها ، ورفع اليدين في افتتاحها ، وتخصيص البقعة المسكونة بالتوجه إليها ، مع فوائد الوضوء من الأحداث لها ، فإن في ذلك كله من فوائد الحكمة ، ولطائف المعرفة ما يزيد في تلج الصدور ، ويكحل عين البصيرة بالضياء والنور ، ونعوذ بالله أن نزع في ذلك بمنزعة فلسفي أو مقالة بدعي ، أو رأى مجرد من دليل شرعي ، ولكن بتلويحات من الشريعة ، وإشارات من الكتاب والسنة يعضد بعضها بعضاً ، وينادي بعضها بتصديق بعض : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » ، لكن أضربنا في هذا الكتاب عن بث هذه الأسرار ، فإن ذلك يخرج عن الغرض المقصود ، ويشغل عما صمدنا إليه في أول الكتاب ، ووعدنا به الناظر فيه من شرح لغات وأنساب وآداب ، والله المستعان .

وقد عرفت رؤيا عبد الله بن زيد وكيفيتها برواية ابن إسحاق وغيره ، ولم تعرف كيفية رؤيا عمر حين أرى النداء ، وقد قال : قد رأيت مثل الذي رأى ؛ لكن في مسند الحارث بيان لها . روى الحارث في مسنده أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : أول من أذن بالصلاة جبريل أذن بها في سماء الدنيا فسمعه عمر وبلال فسبق عمر بلالاً إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم فأخبره بها ، فقال عليه السلام لبلال : سبقك بها عمر ، وذكر باقي الحديث أن عمر سمع ذلك في اليقظة ، وكذلك رؤيا عبد الله بن زيد في الأذان رآها ، وهو بين النائم واليقظان . قال : ولو شئت لقلت : كنت يقظانا .

فصل : وأما قول السائل : هل أذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم بنفسه قط ، فقد روى الترمذى من طريق يدور على عمر بن الرماح يرفعه إلى أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أذن في سفر ، وصلى بأصحابه وهم على رواحلهم ، السماء من فوقهم والبلية من أسفلهم ، فنزع بعض الناس بهذا الحديث إلى أنه أذن بنفسه ، وأسند الدارقطني بإسناد الترمذى إلا أنه لم يذكر عمر بن رماح ، ووافقه فيما بعده من إسناد ومتن ، لكنه قال فيه : فقام المؤذن ، فأذن ، ولم يقل : أذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمتصل يقضى على المجمل المحتمل ، والله أعلم .

حديث صرمة بن أبي أنس

واسم أبي أنس : قيس بن صرمة بن مالك بن عدى بن عمرو بن غنم بن عدى بن النجار الانصارى ، وهو الذى أنزل الله فيه ، وفي عمر رضى الله عنهما : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » الى قوله « وعفا عنكم » فهذه في عمر ، ثم قال « وكلوا واشربوا » الى آخر الآية ، فهذه في صرمة بن أبي أنس ، وذلك أن اتيان للنساء ليلا في رمضان كان محرما عليهم في أول الإسلام بعد النوم ، وكذلك الأكل والشرب كان محرما عليهم بعد النوم فأما عمر ، فأراد امرأته ذات ليلة ، فقالت له : لاني قد نمت ، فقال : كذبت ثم وقع عليها ، وأما صرمة فإنه عمل في حائظه وهو صائم ، فجاء الليل وقد جهده الكلال فغلبته عينه قبل أن يفطر ، فجاءته امرأته بطعام كانت قد صنعت له ، فوجدته قد نام ، فقالت له : الخيبة لك حرم عليك الطعام والشراب فبات صائما ، وأصبح إلى حائظه يعمل فيه ، فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو طليح قد جهده العطش مع ما به من الجوع والنصب ، فسأله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره بقصته فرق له عليه السلام ، ودمعت عيناه ، فأنزل الله تعالى الرخصة ، وجاء الفرج . بدأ بقصة عمر لفضله ، فقال : « فالآن باشروهن » ثم بصرمة فقال : « وكلوا واشربوا » قال بعض أشياخ الصوفية : هذه العناية من الله أخطأ عمر خطيئة فرحت الأمة بسببها .

شرح شعره : وذكر من شعر صرمة :

فأوصيكم بالله والبر والتقى وأعرضكم والبر بالله أول

برفع البر على الابتداء ، وأول خبره ، وقد يحتمل في الظاهر أن يكون ظرفا في موضع الخبر ، ولكن لا يجوز ذلك في هذه الظروف المبينة على الضم أن تكون خبر المبتدأ ، لا تقول : الصلاة ، قبل إلا أن تقول : قبل كذا ، ولا الخروج بعد إلا أن تقول : بعد كذا ، وذلك لسر دقيق قد حوم عليهما ابن جنى فلم يصب المفصل ، والذى منع من ذلك أن هذه الغايات إنما تعمل فيها الأفعال الملفوظ بها لأنها غايات لأفعال متقدمة ، فإذا لم تأت بفعل يعمل فيها ، لم تكن غاية لشيء مذكور ، وصار العامل فيها معنويا ، وهو : الاستقرار ، وهى مضافة في المعنى إلى شيء ، والشيء المضاف إليه معنوى ، لا لفظى ، فلا يدل العامل المعنوى على معنوى آخر ، إنما يدل عليه الظاهر اللفظى ، فتأمل ، فالضمة في أول على هذا حركة إعراب ، لا حركة بناء ، ولو قال : ابدأ بالبر أول لكانت حركة بناء ، لكن من رواه : والبر بالله أول بخفض الراء من البر فأول حينئذ ظرف مبنى على الضم يعمل فيه : أوصيكم .

وفيه : وإن أتم أمرتم فتعففوا ، الإمرار : الفقر .

ومن شعره :

صبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمس كل هلال

الشرق : طلوع الشمس : وهو من أسمائها أيضا ، وكذلك الشرق بفتح الراء وكل هلال بالنصب على الظرف ،
أى : وقت كل هلال ، ولو قلت فى مثل هذا : وكل قر على الظرف ، لم يجز ، لأن الهلال قد أجرى مجرى المصادر
فى قولهم : الليلة الهلال ، فلذلك صح أن يكون ظرفاً لأن المصادر قد تكون ظرفاً لمعان وأمرار ليس هذا موضعاً
لذكرها ، ولو خفضت وكل هلال عطفاً على صباح ، لم يجز لأن الشرق لا يضاف إلى الهلال كما يضاف إلى الصباح .
وفيه :

وله شمس النصارى

يعنى دين الشمامسة ، وهم الرهبان لأنهم يشتمسون أنفسهم ، يريدون تعذيب النفوس بذلك فى زعمهم .
وفيه :

يا بنى الأرحام لا تقطعوها

بنصب الأرحام ، وهو أجود من الرفع فى هذا الموضع للنهى .
وقوله :

وصلوها قصيرة من طوال

وقد أملينا فيها فى غير هذا الكتاب ما نعيده ههنا بحول الله ، وأملينا أيضا فى معنى الرحم واشتقاق الام
لإضافة الرحم إليها ، ووضعها فيه عند خلق آدم وحواء ، وكون الام أعظم حظا فى البر من الآب ، مع أنها فى
الميراث دونه أسراراً بديعة ، ومما فى لطيفة أودعناها كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية ، فلتنظر هنالك .

وأما قوله : قصيرة من طوال ، فيحتمل تأويلين أحدهما : أن يريد : صلوا قصرها من طولكم ، أى : كونوا
أنتم طوالا بالصلة والبر إن قصرت هى ، وفى الحديث : أسرعكن لحوقا بنى : أطولكن يد أراد الطول بالصدقة
والبر ، فكانت تلك صفة زينب بنت جحش ، والتأويل الآخر : أن يريد مدحا لقومه بأن أرحامهم قصيرة النسب ،
ولكنها من قوم طوال كما قال :

أحب من النسوان كل طويلة لها نسب فى الصالحين قصير

وقال الطائي :

أنتم بنو النسب القصير وطولكم باد على الكبرياء والأشراف

والنسب القصير : أن يقول : أنا ابن فلان فيعرف ، وتلك : صفة الأشراف ، ومن ليس بشريف لا يعرف
حتى يأتى بنسبة طويلة يبلغ بها رأس القبيلة . وقد قال رؤبة : قال لى النسابة : من أنت انتسب ، فقلت : رؤبة
ابن العجاج ، فقال : قصرت وعرفت . وقوله :

إن خزل التخوم ذو عقال

التخوم : جمع : تخومة ، ومن قال : تخم فى الواحد ، قال فى الجمع تخوم بضم التاء ، وأراد بها الأرف وهى
الحدود ، وقال أبو حنيفة : التخوم والتخوم : حدود البلاد والقرى ، ولم يذكر فى حدود الاحقال الأرف .
والعقال . ما يمنع الرجل من المشى ، ويعقلها يريد أن الظلم يخلف صاحبه ويعقله عن السباق ، ويحبسه فى مضائق الاحتقاق .
وذكر قصيدته الياثية ، وقال فيها : فطأ معرضاً . البيت ، قال ابن هشام : هو لافنون التغلبى ، واسمه صريم

ابن معشر . قال المؤلف وسمى أفنوناً في قول ابن دريد لببت قاله فيه :
منيتنا الود يا أفنون مطنونا

أو نحو هذا اللفظ . والأفنون : الغصن الناعم ، والأفنون أيضاً المعجوز الفانية ، وأفنون هو الذي يقول :

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| لو أننى كنت من عاد ومن لرم | غذى بهم ولقمان وذى جدن |
| لما وقوا بأخيهم من مهولة | أخا السكون ولا جاروا عن السنن |
| أنى جزوا عامراً سوءى بفعلهم | أم كيف يحزوننى السوءى من الحسن |
| أم كيف ينفع ما تعطى العلوق به | رئمان ألف إذا ما ضن بالان |

وقول ابن هشام في البيتين : فطأ معرضاً والذي بعده أنها لأفنون التغلبي مذكور عند أهل الاخبار ، ولها سبب ذكروا أن أفنوناً خرج في ركب ، فرأوا بريرة تعرف : بالإلهة وكان السكاهن قبل ذلك قد حدثه أنه يموت بها ، فر في ذلك الركب ، فلما أشرفوا عليها وأعلم باسمها ، كره المرور بها ، وأبوا أصحابه إلا أن يمروا بها ، وقالوا له : لا تنزل عندها ، ولكن نجوزها سعيماً ، فلما دنا منها بركت به فاقته على حية ، فنزل لينظر فنهشته الحية ، فأت فقبره هنالك ، وقيل في حديثه : إنه مر بها ليلاً ، فلم يعرف بها حتى ربض البعير الذي كان عليه . وعلم أنه عند الإلهة لجزع ، فقيل له : لا بأس هليك ، فقال فلم ربض البعير ، فأرسلها مثلاً . ذكره يعقوب ، وعندما أحس بالموت قال هذين البيتين اللذين ذكر ابن إسحاق وبعدهما :

كفى حزناً أن يرحل الركب غدوة وأترك في جنب الإلهة ثاوياً

تسميه اليهود الذين نزل فيهم القرآن

ذكر فيهم جدى بن أخطب . بالجيم ، وهو أخو حي بن أخطب ، وأما حدى بالحاء ، فذكره الدارقطني في نسب عتيبة بن الحارث بن شهاب بن حدى التميمي فارس العرب .
وذكر عزيز بن أبي عزيز وأقيت بخط الحافظ أبي بحر في هذا الموضع يقول عزيز بن أبي عزيز ، بزيين قيدناه في الجزء قبل .

وذكر ثعلبة بن الفطيمون والفطيمون كلمة عبرانية ، وهي عبارة عن كل من ولي أمر اليهود ، وملسكهم ، كما أن النجاشي عبارة عن كل من ملك الحبشة ، وخافان ملك الترك ، وقد تقدم من هذا الباب جملة .

وذكر فيهم عبد الله بن صوريا الأعور ، وكان أعلمهم بالتوراة ، ذكر النقاش أنه اسلم لما تحقق من صفات محمد - صلى الله عليه وسلم - في التوراة وأنه هو وليس في سيرة ابن إسحاق ذكر لإسلامه .

يهود المدينة : فصل : وقوله : ومن يهود بنى زريق ، ومن يهود بنى حارثة . وذكر قبائل من الانصار ، ولما اليهود بنو إسرائيل ، وجملة من كان منهم بالمدينة وخيبر إنعام بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع غير أن في الأوس والخزرج من قد تهود ، وكان من نسايتهم من تنذر إذا ولدت إن عاش ولدها أن تهوده ، لأن اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب ، وفي هؤلاء الأبناء الذين تهودوا نزلت لا إكراه في الدين ، أراد آبائهم إكراههم على الإسلام في أحد الأقوال .

ليبيد يسحر الرسول صلى الله عليه وسلم : وأما ليبيد بن الأعصم ، الذى ذكره من يهود بنى زريق ، وقال : هو الذى أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه يعنى من الأخذة ، وهى ضرب من السحر . فى الخبر أن القاسم بن محمد بن الحنفية ، وكان مؤخذاً عن مسجد النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يستطيع أن يدخله ، وكان ليبيد هذا قد سحر رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وجعل سحره فى مشط ومشاطة ، وروى : مشاقة بالقاف ، وهى مشاقة الكتان ، وجف طلعة ذكر ، هى لحال النخل ، وهو ذكاه . والجف : غلاف للطلعة ، ويكون لغيرها ، ويقال للجف القيقاء وتصنع منه آنية يقال لها : الثلاثل قاله أبو حنيفة ودفنه فى بشر ذى أروان : وأكثر أهل الحديث يقولون : ذروان تحت راعوفة البشر ، وهى صخرة فى أسفله يقف عليها المائى ، وهذا الحديث مشهور عند الناس ، ثابت عند أهل الحديث ، غير أنى لم أجد فى الكتب المشهورة : كم لبث - رسول الله صلى الله عليه وسلم - بذلك السحر ، حتى شفى منه ، ثم وقعت على البيان فى جامع معمر بن راشد روى معمر عن الزهرى ، قال : سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة يخیل إليه أنه يفعل الفعل ، وهو لا يفعله وقد طعن المتعزلة فى الحديث وطوائف من أهل البدع ، وقالوا لا يجوز على الأنبياء أن يسحروا ، ولو جاز أن يسحروا ، لجاز أن يحنوا ، ونزع بعضهم بقوله عز وجل : « والله يعصمك من الناس » ، والحديث ثابت خرجه أهل الصحيح ، ولا مطعن فيه من جهة النقل ، ولا من جهة العقل ، لأن العصمة إنما وجبت لهم فى عقولهم وأديانهم ، وأما أبدانهم ، فإنهم يتلون فيها ، ويخلص إليهم بالجراحة والضرب والسموم والقتل ، والأخذة التى أخذها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من هذا الفن ، إنما كانت فى بعض جوارحه دون بعض .

وأما قوله سبحانه : « والله يعصمك من الناس » فإنه قد روى أنه كان يحرس فى الغزو ، حتى نزلت هذه الآية ، فأمر حراسه أن ينصرفوا عنه ، وقال : لا حاجة لى بكم ، فقد عصمنى الله من الناس ، أو كما قال .

ما يؤخذ من الثقة فى حديث السحر : وأما ما فيه من الفقه ، فإن عائشة قالت له : هلا تنشرت ، فقال : أما أنا فقد شفى الله ، وأكره أن أثير على الناس شراً ، وهو حديث مشكل فى ظاهره ، وإنما جاء الإشكال فيه من قبل الرواة ، فإنهم جعلوا جوابين لكلامين كلاماً واحداً ، وذلك أن عائشة قالت له أيضاً : هلا استخرجته ، أى : هلا استخرجت السحر من الجف والمشاطة ، حتى ينظر إليه ، فلذلك قال : وأكره أن أثير على الناس شراً ، قال ابن بطلال : كره أن يخرج ، فيتعلم منه بعض الناس ، فذلك هو الشر الذى كرهه .

قال المؤلف : ويجوز أن يكون الشر غير هذا ، وذلك أن الساحر كان من بنى زريق ، فلو أظهر سحره للناس ، وأراهم إياه لأوشك أن يريد طائفة من المسلمين قتله ، ويتعصب له آخرون من عشيرته فيشور شركائهم فى حديث الإفك من الشر ما سيأتى بيانه .

وقول عائشة : هلا استخرجته هو فى حديثين رواهما البخارى جميعاً ، وأما جوابه لها فى حديث : هلا تنشرت : بقوله أما أنا فقد شفى الله ، وجوابه لها حين قالت : هلا استخرجته : بأن قال : أكره أن أثير على الناس شراً ، فلما جمع الراوى بين الجوابين فى حديث واحد استغلق الكلام ، وإذا نظرت الأحاديث متفرقة تبين ، وعلى هذا النحو شرح هذا الحديث ابن بطلال .

وأما الفقه الذى أشرنا إليه فهو لإباحة النشرة من قول عائشة : هلا تنشرت ، ولم ينكر عليها قولها .

وذكر البخارى عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن النشرة للذى يؤخذ عن أهله ، فقال : لا بأس لم ينه من

الصلاح ، إنما نهى عن الفساد ، ومن استطاع أن ينفع أخاه فليفعل . ومن الناس من كره النشرة على العموم ، ونزع بحديث خرجه أبو داود مرفوعاً . أن النشرة من عمل الشيطان ، وهذا - والله أعلم - في النشرة التي فيها الخواص والعزائم ، وما لا يفهم من الأسماء العجمية ، ولولا الإطالة المخرجة لنا عن غرضنا لقدرنا الرخصة بالآثار ، وهذا القدر كاف ، والله المستعان . وكانت عقد السحر إحدى عشرة عقدة ، فأُنزل الله تعالى المعوذتين لإحدى عشرة آية ، فأنحلت بكل آية عقدة ، قال تعالى : « ومن شر النفاثات في العقد » ، ولم يقل النفاثين ، وإنما كان الذي سحره رجلاً والجواب : أن الحديث قد رواه إسماعيل القاضي ، وزاد في روايته أن زنبب اليهودية أعانت ليبد بن الأعصم على ذلك السحر ، مع أن الأخذ في الغالب من عمل النساء وكيدهن .

إسلام عبد الله بن سلام

سلام هو بتخفيف اللام ، ولا يوجد من اسمه سلام بالتخفيف في المسلمين لأن السلام من أسماء الله ، فيقال عبد السلام ، ويقال سلام بالتشديد ، وهو كثير ، وإنما سلام بالتخفيف في اليهود ، وهو والد عبد الله بن سلام منهم .

ذكر فيه قول عمته خالدة أهو النبي الذي كنا نخبر أنه بيعت مع نفس الساعة ، وهذا الكلام في معنى قوله عليه السلام : « إنى لأجد نفس الساعة بين كتفي » ، وفي معنى قوله : « نذير لكم بين يدي عذاب شديد » ، ومن كان بين يدي طالبه ، فنفس الطالب بين كتفيه ، وكان النفس في هذا الحديث عبارة عن الفتنة المؤذنة بقيام الساعة ، وكان بدوها حين ولي أمته ظهره خارجاً من بين ظهرانيهم إلى الله تعالى ، ألا تراه يقول في حديث آخر : « وأنا أمان لأمي » ، فإذا ذهبت أمي أمي ما يوعدون ، فكانت بعده الفتنة ثم المخرج المتصل بيوم القيامة ، ونحو من هذا قوله عليه السلام : بعثت أنا والساعة كهاتين ، يعني السبابة والوسطى ، وهو حديث يرويه أنس بن مالك ، وابن بريده عن أبيه ، وجبير بن مطعم ، وجابر بن سمرة وأبو هريرة وسهل بن سعد كلهم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي حديث سهل سبقتها بما سبقت هذه هذه ، يعني : الوسطى والسبابة وفي بعض ألفاظ الحديث : « إن كادت لتسبقني » . ورواه أيضاً : أبو جبريرة فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين سبقتها كما سبقت هذه هذه في نفس من الساعة ، أو في نفس الساعة » ، خرجها الطبري بجميع أسانيدها ، وبعضها في الصحيحين ، وفي بعضها زيادة على بعض .

وخالدة بنت الحارث قد ذكر إسلامها ، وهي مما أغفل أبو عمر في كتاب الصحابة ، وقد استدر كناها عليه في جملة الاستدرا كات التي ألحقناها بكتابه .

وذكر حديث مخيريق ، وقال فيه : مخيريق خير يهود ، ومخيريق مسلم ، ولا يجوز أن يقال في مسلم : هو خير النصارى ، ولا خير اليهود ، لأن أفعل من كذا إذا أضيف فهو بعض ما أضيف إليه . فإن قيل : وكيف جاز هذا ؟ قلنا : لأنه قال خير يهود ؛ ولم يقل خير اليهود ، ويهود اسم علم كشود ، يقال : لأنهم نسبوا إلى يهود بن يعقوب ، ثم عربت الدال دالا ، فإذا قلت : اليهود بالالف واللام ، احتمل وجبين النسب والدين الذي هو اليهودية ، أما النسب فعلى حد قولهم التيم في التيمين . وأما الدين فعلى حد قولك : النصارى والمجوس أعني : أنها صفة ، لا أنها نسب إلى أب . وفي القرآن لفظ ثالث ، لا يتصور فيه إلا معنى واحد ، وهو الدين دون النسب ، وهو قوله سبحانه : « وقالوا : كونوا هوداً أو نصارى » . يحذف الياء ، ولم يقل : كونوا يهوداً لأنه أراد اليهود ، وهو التدين بدينهم ، ولو قال : كونوا يهوداً بالتدين ، لجاز أيضاً على أحد الوجهين المتقدمين ، ولو قيل

لقوم من العرب : كونوا يهود بغير تنوين ، لكان محالا ، لأن تبديل النسب حقيقة محال ، وقد قيل في هود : جمع هائد ، وهو في معنى ما قلناه ، فلتعرف الفرق بين قولك هوداً بغير ياء ، ويهود بالياء والتنوين ، ويهود بغير تنوين ، فانها تفرقة حسنة صحيحة والله أعلم . ولم يسلم من أحبار يهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اثنتان . وقد جاء في الحديث : لو اتبعني عشرة من اليهود لم يبق في الأرض يهودي إلا اتبعني . رواه أبو هريرة . وسمع كعب الاحبار أبا هريرة يحدث ، فقال له : إنما الحديث : اثنا عشر من اليهود ، ومصداق ذلك في القرآن « وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ، فسكت أبو هريرة . قال ابن سيرين : أبو هريرة أضدق من كعب . قال يحيى بن سلام كلاهما : صدق ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أراد : لو اتبعني عشرة من اليهود بعد هذين اللذين قد أسلما .

ذكر بعض المنافقين : فصل : وذكر نبتلا من المنافقين ، قال : وكان أدلم ، والادلل الاسود الطويل من كل شيء . وقيل لجماعة النمل : ديلم ، لسوادهم - من كتاب العين .

وذكر الحارث بن سويد ، وقتله للجندر بن زياد - واسم الجندر : عبد الله ، والجندر : الغليظ الخلق . وذكر أن الله تعالى أنزل في الحارث بن سويد وارتداده : « كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم ، فقيل : إن هذه الآية مقصورة على سبها مخصوصة بمن سبق في علم الله أنه لا يهديه من كفره ، ولا يتوب عليه من ظله ، وإلا فالتوبة مفروضة ، وقد تاب قوم بعد ارتدادهم ، فقبلت توبتهم . وقيل ليس فيها نفي لقبول التوبة ، فانه قال : كيف يهدى الله ، ولم يقل لا يهدى الله ، على أنه قد قال في آخرها : « والله لا يهدى القوم الظالمين » ، وذلك يرجع إلى الخصوص ، كما قدمنا أو إلى معنى الهداية في الظلمة التي عند الصراط بالنور التام يوم القيامة ، فان ذلك منتف عن مات غير تائب من كفره وظله . والله أعلم .

ذكر حديث بشير بن أبيرق سارق الدرعين

وذكر أن الله أنزل فيه : « ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ، وكان من قصة الدرعين ، وقصة بشير أن بنى أبيرق ، وهم ثلاثة بشير ومبشر وبشر نقبوا مشربة أو نقبها بشير وحده على ما قال ابن إسحاق ، وكانت المشربة لرفاعة بن زيد ، وسرقوا أدراعا له ، وطعاماً فعر على ذلك ، فجاء ابن أخيه قتادة بن النعمان يشكو بهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاء أسيد بن عروة بن أبيرق إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إن هؤلاء عمدوا إلى أهل بيت هم أهل صلاح ودين ، فأبنوهم بالسرقه ، ورموهم بها من غير بينة ، وجعل يجادل عنهم حتى غضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قتادة ورفاعة ، فأنزل الله تعالى : « ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم » ، وأنزل الله عز وجل : « ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً ، وكان البريء الذي رموه بالسرقه ليبد بن سهل : قالوا : ما سرقناه ، وإنما سرقه ليبد بن سهل ، فبرأه الله ، فلما أنزل الله تعالى فيهم ما أنزل ، هرب ابن أبيرق السارق إلى مكة ، ونزل على سلافة بنت سعد بن شهيد ، فقال فيها حسان بن ثابت بيتاً ، يعرض فيه بها ، فقالت : إنما أهديت لي شعر حسان ، وأخذت رحله ، فطرحته خارج المنزل ، وقالت : حلقت وسلقت وخرقت إن بت في منزلي ليلة سوداء ، فهرب إلى خير ، ثم إنه نقب بيتاً ذات ليلة ، فسقط الحائط عليه فأت . ذكر هذا الحديث بكثير من ألفاظه الترمذي ، وذكره السكشي والطبري بألفاظ مختلفة ، وذكر قصة موته يحيى بن سلام في تفسيره ووقع اسمه في أكثر التفاسير : طعمة بن أبيرق وفي كتب الحديث : بشير بن أبيرق ، وقال

ابن اسحاق في رواية يونس بن بكير عنه : بشير أبو طعمة إذا أسأله ، وإنما هو أبو طعمة ، كما ذكر ابن إسحاق في هذه الرواية والله أعلم . وفي رواية يونس أيضاً أن الحائط الذي سقط عليه كان بالطائف لا بخيبر ، كما قال ابن سلام ، وأن أهل الطائف قالوا حيثئذ : ما فارق محمد آمن أصحابه من فيه خير . والآيات التي روى بها حسان المرأة ، وهي من بني عمرو بن عوف ، وقد تقدم اسمها :

وما سارق الدرعين إذ كنت ذا كراً بذى كرم من الرجال أو أدعه
وقد أنزلته بنت سعد فأصبحت ينازعها جارستها وتنازعه
ظننتم بأن يخفي الذي قد صنعتم وفيكم نبي عنده الوحي واضعه

وقع هذا البيت في كتاب سيديوه . وذكر الشعر والخبر بطوله ابن إسحاق في رواية يونس عنه .
فصل : وأنشد ابن هشام :

لدم الوليد وراء الغيب بالحجر

والبيت لقيم بن أبي بن مقبل ، والدم : الضرب ، والغيب : العائر من الأرض .

إخراج المنافقين من المسجد : وذكر ابن إسحاق في باب إخراج المنافقين من المسجد أبا محمد ، وقال : هو رجل من بني النجار ، ولم يعرفه بأكثر من هذا ، وهو : أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد ابن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، يعد في الشاميين ، وهو الذي زعم أن الوتر واجب ، فقال عبادة : كذب أبو محمد ، وهو معدود في البدرين عند الواقدي وطائفة ، ولم يذكره ابن إسحاق فيهم .

ما أنزل الله في المنافقين : فضل : وذكر ما أنزل الله في المنافقين والاحبار ومن يهود من صدر سورة البقرة ، واستشهد ابن هشام على الريب بمعنى الريبة بقول خالد بن زهير ابن أخت أبي ذؤيب : خويلد بن خالد . والرجز الذي استشهد به بيت منه :

يا قوم مالي وأبا ذؤيب كنت إذا أتيت من غيب
يشم عطفي ويمس ثوبي كأنني أربته بريب

وكان أبو ذؤيب قد اتهمه بامرأته ، فإذ ذلك ، قال هذا .

وذكر ابن إسحاق . والذين يقيمون الصلاة ، وأغفل التلاوة : وإنما هو الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، وكذلك وجدته منها عليه في حاشية الشيخ : وفي الإيمان بالغيب أقوال ، منها أن الغيب ههنا ما بعد الموت من أمور الآخرة ، ومنها : أن الغيب : القدر ، ومنها قول من قال : إن الغيب القلب ، أي يؤمنون بقلوبهم ، وقيل : يؤمنون بالغيب ، أي بالله عز وجل ، وأحسن ما في هذه الأقوال قول الربيع بن أنس ، أي : يؤمنون بظاهر الغيب ، أي : ليسوا كالمنافقين الذين يؤمنون إذا لقوا الذين آمنوا ويكفرون إذا غابوا عنهم ، ويدل على صحة هذا التأويل : بسياقة الكلام ، مع قوله عز وجل : يخشون ربهم بالغيب ، فلا يحتمل قوله : يخشون ربهم بالغيب إلا تأويلاً واحداً ، فإليه يرد ما اختلف فيه : وقوله سبحانه : لا ريب فيه ، وقد ارتاب فيه كثير من الناس ، قيل : هو على الخصوص في المؤمنين ، أي لا ريب فيه عندهم . قال المؤلف : رضى الله عنه : وهذا ضعيف لأن التبرئة تعطى العموم ، وأصح منه : أن الكلام ماهره الخبر ، ومعناه : أي : لا ترتابوا ، وهذا النهي

أى : لا تترابوا ، وهذا النهى عام لا يخص ، وأدق من هذا أن يكون خبراً مجصاً عن القرآن ، أى : ليس فيه ما يريب ، تقول : رابى منك كذا وكذا ، إذا رأيت ما تنكر ، وليس فى القرآن ما تنكره العقول . وإن كان مصدراً فقد يعبر به عن الشيء الذى يريب ، كما يعبر بالضيف عن الضائف ، وبالطيف عن الخيال الطائف ، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى : « ليوم لا ريب فيه » ، فهذا خبر ، لأن النهى لا يكون فى موضع الصفة .

وقوله : لا ريب فيه فى موضع الصفة ليوم ، والحياة بعد الموت ليس فيه ما يريبك ، لأن من قدر على البدء ، فهو على الإعادة أقدر ، وليس الريب بمعنى الشك على الإطلاق ، لأنك تقول : رابى منك رائب ، ولا تقول شكى ، بل تقول : ارتبت كما تقول شككت ، فالارتباب : قرب من الشك .

وذكر قول الله سبحانه « فى قلوبهم مرض » ، وأصل المرض : الضعف وفقر الأعضاء وهو هنا ضعف اليقين وفقر القلب عن كد النظر ، وعطف : فزادهم الله ، وإن كان الفعل لا يعطف على الاسم ولا على مثل هذه الجملة ، لو قلت فى الدار زيد ، فأعطيته درهما لم يحز . ولكن لما كان فى معنى قوله : فى قلوبهم مرض كعنى مرضت قلوبهم ، صح عطف الفعل عليه

وذكر قوله سبحانه : يا بنى إسرائيل : ووه فى التلاوة فقال : يا أهل الكتاب ، كما وهم فى أول السورة وبنو إسرائيل : هم بنو يعقوب ، وكان يسمى : إسرائيل ، أى سرى الله لكن لم يذكروا فى القراءة إلا أضيفوا إلى إسرائيل ، ولم يسموا فيه : بنو يعقوب ، ومتى ذكر إبراهيم وإسحاق ويعقوب لم يسم إسرائيل ، وذلك لحكمة فرقانية ، وهو أن القوم لما خوطبوا بعبادة الله وذكروا بدين أسلافهم موعظة لهم ، وتنبيهاً من غفلتهم سمو بالاسم الذى فيه تذكرة بالله ، فإن إسرائيل اسم مضاف إلى الله تعالى فى التأويل . ألا ترى : كيف نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين دعا إلى الإسلام قوما ، يقال لهم : بنو عبد الله ، فقال لهم : يا بنى عبد الله ، لأن الله قد حسن اسم أبيكم يحرضهم بذلك على ما يقتضيه اسمهم من العبودية لله ، فكذلك قوله سبحانه : يا بنى إسرائيل إنما ورد فى معرض التذكرة لهم بدين أبيهم ، وعبوديته لله ، فكان ذكرهم بهذا الاسم أليق بمقام التذكرة والتحريض من أن يقول لهم : يا بنى يعقوب ، ولما ذكر موهبته لإبراهيم وتبشيره بإسحاق ، ثم يعقوب كان لفظ يعقوب أولى بذلك المقام ، لأنها موهبة بعقب أخرى ، وبشرى عقب بها بشرى وإن كان اسم يعقوب عبرانياً ، ولكن لفظه موافق للعربى فى العقب والتعقيب ، فانظر مشاكلة الاسمين للبقامين ، فإنه من باب النظر فى إعجاز القرآن وبلاغة ألفاظه وتنزيل الكلام فى منازل اللاتقة به .

حديث أبى ياسر بن أخطب وأخيه حبي : فصل : وذكر ابن إسحاق حديث أبى ياسر بن أخطب وأخيه حبي بن أخطب حين ممعا المص ونحوها من الحروف ، وأنهم أخذوا تأويلها من حروف أبجد إلى قوله : لعله قد جمع لمحمد وأمه هذا كله : قال المؤلف : وهذا القول من أحبار يهود ، وما تأولوه من معانى هذه الحروف محتمل حتى الآن أن يكون من بعض ما دلت عليه هذه الحروف المقطعة ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذبهم فيما قالوا من ذلك ، ولا صدقهم . وقال فى حديث آخر : لا تصدقوا أهل الكتاب ، ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وبرسوله ، وإذا كان فى حد الاحتمال وحسب أن يفحص عنه فى الشريعة هل يشير إلى صحته كتاب أو سنة ، فوجدنا فى التنزيل « وان يوماً عند ربك كآلف سنة مما تعدون » ، ووجدنا فى حديث زهلى الخزاعى حين قص على رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - رؤيا ، وقال فيها : رأيته يا رسول الله على منبر له سبع درجات ، وإلى جنبه نافذة عجفاء ، كأنك تبعثها ، ففسر النبي صلى الله عليه وسلم النافذة بقيام الساعة التي أنذر بها وقال في المنبر : ودرجاته الدنيا : سبعة آلاف سنة بعثت في آخرها ألفا ، والحديث وإن كان ضعيف الإسناد ، فقد روى موقوفا على ابن عباس من طرق صحاح ، أنه قال : الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة ، وبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في آخر يوم منها . وقد مضت منه سنون أو قال : مثون ، وصحح أبو جعفر الطبري هذا الأصل ، وعضده بآثار وذكرك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم - بعثت أنا والساعة كهاتين ، وإنما سبقتها بما سبقت هذه هذه ، يعني : الوسطى والسبابة ، وأورد هذا الحديث من طرق كثيرة صححها وأورد منها قوله عليه السلام : لن يعجز الله أن يؤخر هذه الأمة نصف يوم ، يعني : خمسمائة عام ، وقد خرج ، هذا الحديث الأخير أبو داود أيضاً والطبري وهذا في معنى ما قبله يشهد له ويبينه فإن الوسطى تزيد على السبابة بنصف سبع أصبع ، كما أن نصف يوم من سبعة نصف سبع . قال المؤلف : وقد مضت الخمسمائة من وفاته إلى اليوم بنيف عليها ، وليس في قوله : لن يعجز الله أن يؤخر هذه الأمة نصف يوم ما ينفي الزيادة على النصف ، ولا في قوله : بعثت أنا والساعة كهاتين ما يقطع به على صحة تأويله ، فقد قيل في تأويله غير هذا ، وهو أن ليس بينه وبين الساعة نبى غيره ، ولا شرع غير شرعه مع التقريب لحيثها ، كما قال سبحانه : « اقتربت الساعة وانشق القمر » وأتى أمر الله فلا تستعجلوه ، ولكن اذقلنا : لأنه - عليه السلام - بعث في الألف الآخر بعد ماضت منه سنون ، ونظرنا بعد إلى الحروف المقطعة في أوائل السور ، وجدناها أربعة عشر حرفاً يجمعها : قولك

الم يسطع نص حق كره

ثم نأخذ العدد على حساب أبي جاد ، فنجد : ق مائة : و : ر مائتين ، و : س ثلاثمائة ، فهذه ستمائة ، و : ع سبعين ، و : ص ستين ، فهذه سبعمائة وثلاثون ، و : ن خمسين ، و : ك عشرين ، فهذه ثمانمائة ، و : م أربعين ، و : ل ثلاثين ، فهذه ثمانمائة وسبعون ، و : ي عشرة ، و : ط تسعة ، و : ا واحد ، فهذه ثمانمائة وتسعون ، و : ح ثمانية ، و : ه خمسة ، فهذه تسعمائة وثلاثين ، ولم يسم الله سبحانه في أوائل السور إلا هذه الحروف ، فليس يبعد أن يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوائدها الإشارة إلى هذا العدد من الستين لما قدمناه في حديث الألف السابع الذي بعث فيه عليه السلام ، غير أن الحساب محتمل أن يكون من مبعثه ، أو من وفاته ، أو من هجرته ، وكل قريب بعضه من بعض ، فقد جاء أشراطها ، ولكن لا تأتكم إلا بغتة ، وقد روى أن المتوكل العباسي سأل جعفر بن عبد الواحد القاضي ، وهو عباسي أيضاً : عما بقي من الدنيا ، فحدثه بحديث يرفعه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : إن أحسنت أمي ، فبقاؤها يوم من أيام الآخرة ، وذلك ألف سنة ، وإن أسأمت ، فنصف يوم ، ففي هذا الحديث تتميم للحديث المتقدم وبيان له ؛ إذ قد انقضت الخمسمائة ، والأمة باقية والحمد لله .

معاني الحروف التي في أوائل السور : فصل : ولهذه الحروف في أوائل السور معان جمة وفوائد لطيفة ، وما كان الله تعالى لينزل في الكتاب ما لا فائدة فيه ، ولا ليخاطب نبيه وذوى الألباب من صحبه بما لا يفهمون ، وقد أنزله بيانا للناس ، وشفاء لما في الصدور ، ففي تخصيصه هذه الحروف الأربعة عشر بالذكر دون غيرها حكمة بل حكم ، وفي إنزالها مقطعة على هيئة التهجي فوائد علمية وفقهية ، وفي تخصيصه إياها بأوائل السور ، وفي أن كانت في بعض السور ، دون بعض فوائد أيضاً ، وفي اقتران الألف باللام ، وتقديمها عليها معان وفوائد ، وفي إرداف

الآلاف واللام بالميم تارة ، وبالراء أخرى ، ولا توجد الآلاف ، واللام في أوائل السور ، إلا هكذا مع تكررها ثلاث عشرة مرة فوائده أيضاً ، وفي إنزال الكاف قبل الهاء والهاء ، قبل الياء ثم العين ثم الصاد من كيمص معان أكثرها تنبه عليها آيات من الكتاب ، وتبين المراد بها لمن تدبرها . والتدبر والتذكر واجب على أولى الألباب ، والخوض في إيراد هذه المعاني ، والقصد لإيضاح ملاح لي عند الفكر والنظر فيها ، مع إيراد الشواهد على ذلك من كتاب وأثر وعربية ونظر يخرجنا عن مقصود الكتاب وينأى بنا عن موضوعه والمراد به ، ويقتضى لإفراد جزء أشرح ما أمكن من ذلك ، ولعله أن يكون ، إن ساعد القدر ، والله المستعان ، وهو ولي التوفيق ، لاشريك له .

تحويل القبة : فصل : وذكر تحويل القبة ، وما قالته جماعة يهود حين قالوا : يا محمد ما وراك عن قبلتك ، وهم السفهاء من الناس ، فهم نزلت هذه الآية . وقال : سيقول بلفظ الاستقبال لتقدم العلم القديم بأنهم سيقولون ذلك أى : لم آمركم بتحويلها إلا وقد علمت أن سيقولون ما قالوه ، وقد ذكرنا في حديث الهجرة ، قصة البراء بن معرور فوائده في معنى تحويل القبة ، فلتنظر هنالك وأنشد في تفسير الشطر بيت ابن أحرر :

تعدو بنا شطر جمع وهى عاقدة قد قارب العقد من إيفادها الحقا

وألفيت في حاشية الشيخ على هذا البيت ما هذا نصه . قال من إيفادها من إشرافها ، كذا قال محمد بن عبد الله البرقي وقال كارب موضع قارب ، ووقع في شعر ابن أحرر :

تعدو بنا عرض جمع وهى موقدة قد قارب الغرض من إيفادها الحقا

تعدو : من العدو بنا وبرحلى : يعنى غلامه . عرض جمع : يعنى مكة ، وعرض أحب إلى وعرض : كثرة الناس ، عن الأصمعي ، وموقدة . أى : مشرفة أوفد : إذا أشرف ، وروى غيره : وهى عاقدة ، يريد عنقها لاويتها والغرض : البطان وهو حزام الرجل . من إيفادها ، أى إشرافها ، وقد اقتادت : نصبت عنقها وعصرت بذنبها وتخامصت ببطنها فقرب كل واحد من الغرض والحقب من صاحبه بذلك . هنا انتهى ما كتبه الشيخ على هذا البيت وأوردته وقبل البيت :

أنشأت أسأله عن حال رفقة فقال : حى فإن الركب قد نصبا

ما أنزل الله في بنى قينقاع فصل : وذكر ما أنزل الله سبحانه في بنى قينقاع ، وقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم لو حاربنا ، لعلمت أنا نحن الناس : دقل : للذين كفروا يستغلبون ، إلى قوله : ترونهم مثليهم رأى العين ، فن قرأه : يرونهم بالياء ، فمعنا أن الكفار يرون المؤمنين مثليهم ، وإن كانوا أقل منهم لما كثروهم بالملائكة . فإن قيل : وكيف وهو يقول في آية أخرى : د يقللكم في أعينهم ،

قيل : وكان هذا قبل القتال عندما حزر الكفار المؤمنين ، فرأوهم قليلا ، فتجاسروا عليهم ثم أمدهم الله بالملائكة فرأوهم كثيراً فاهزموا ، وقيل : ان الهاء فى يرونهم عائدة على الكفار ، وإن المؤمنين رأوهم مثليهم ، وكانوا ثلاثة أمثالهم ، فقللهم فى عيون المؤمنين ، وأما من قرأها بالياء ، فيجوز أن يكون الخطاب لليهود ، أى ترون المشركين يوم بدر مثلى المؤمنين ، وذلك أنهم كانوا ألقأ ، فاختذل عنهم الأخنس بن شريق بنى زهرة ، فصاروا سبعة مائة أو نحوها ويجوز أن يكون الخطاب للمشركين ، أى : ترون أيها المشركون المؤمنين مثليهم ، حين أمدهم الله بالملائكة فيعود الكلام إلى المعنى الاول الذى قدمناه فى قراءة من قرأ بالياء . وفى الآية تخليط عن الفراء أضربنا عن ذكره ، وجل ما ذكرناه آنفاً مذكور فى التفاسير بألفاظ مختلفة .

وذكر ابن هشام في الربانيين أنهم العلماء الفقهاء السادة وفي البخاري عن بعض أهل العلم قال : الربانيون الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره، وقيل نسبوا إلى علم الرب والفقهاء فيما أنزل وزيدت فيه الألف والنون لتفخيم الاسم، وأنشد ابن هشام :

لو كنت مرتهاً في القوس أفتنى منها الكلام ورباني أحبار

وقال : القوس : الصومعة ، ومن كلام العرب : أنا بالقوس وأنت بالقرقوس ، فكيف نجتمع ؟ وقال في أفتنى : هي لغة تميم ، وفرق سيديويه بين فتنته وأفتنته ، وجعله من قول الخليل ، قال أفتنته : صيرته مفتتناً أو نحو هذا ، وفتنته ، جعلت فيه فتنة ، كما تقول : كحلته جعلت في عينيه كحلاً ، ومأل هذا الفرق إلى أن فتنته صرفته ، فجاء على وزنه ، لأن المفتون مضروف عن حق ، وأفتنته بمعنى أضلته وأغويته ، فجاء على وزن ماهو في معناه ، وأما فتنت الحديد في النار ، فعلى وزن فعلت ، لا غير ؛ لأنها في معنى : خبرتها ، وبلوتها ونحو ذلك .

تفسير آناء الليل : فصل وذكر ابن هشام في تفسير آناء الليل ، قال : واحد الآناء إني ، واستشهد عليه بقول الهذلي ، ثم أغرب بما حدثه به يونس ، فقال : ويقال إني فيما حدثني يونس بن حبيب ، وهذا الذي قاله آخراً هو لغة القرآن ، قال الله تعالى : « غير ناظرين إناه » .

بعض الآيات المنزلة في قصص الأحبار : فصل : وذكر بن إسحاق جملاً من الآيات المنزلة في قصص الأحبار ومسائلهم كلها واضحة ، والتكلم عليها يخرج عن غرض الكتاب إلى تفسير القرآن ، وفي جملتها قوله تعالى « أيان مرساها » وقال الفراء في أيان : هي كلمتان ، جعلت واحدة ، والأصل : أي آن ، والآن والآوان بمعنى واحد ، كما يقال : راح ورياح ، وأنشد :

نشاوى تساقوا بالرياح المفلقل

وقد ذكر الهروي في أيان وجهاً آخر ، قال يجوز أن يكون أصله : أيوان فاندغمت الياء في الواو مثل قيام . وذكر آية التيه وحبس بنى إسرائيل فيه أربعين سنة عقوبة من الله تعالى لمخالفتهم أمره حين فرعوا من الجبارين لعظم أجسامهم ، وقال لهم رجلان وهما يوشع بن نون من سبط يوسف ، وكالب بن يوفيا من سبط يامين « ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون » فلما عصوهما دعا عليهم موسى ، فتأهوا ، أى تحيروا ، وكانوا سبائة ألف مقاتل ، فتأهوا في ستة فراسخ من الأرض ، يمشون النهار كله ، ثم يمسون حيث أصبحوا ، ويصبحون حيث أمسوا . وفي تلك السنين أنزل عليهم المن والسلوى ، لأنهم شغلوا عن المعاش بالتيه في الأرض ، وأبقيت عليهم ثيابهم لا تتخلق ، ولا تتسخ ، وتطول مع الصغير ، إذا طال ، وفيها استسقى لهم موسى ، فأمر أن يأخذ حجراً من الطور ، فيضربه بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وفيها ظلل عليهم الغمام لأنهم كانوا في البرية فظللوا من الشمس ، وذلك أن موسى كان ندم حين دعا عليهم لما رأى من جهدهم وحيرتهم في التيه ، فكان يدعو الله لهم في هذه الأمور ؛ لئلا يهلكوا في التيه جوعاً أو عطشاً ، فلما أمسى عليهم قال الله له : « لا تأس على القوم الفاسقين » أى : الذين فسقوا أى : الذين خرجوا عن أمرى . ومات في أيام التيه جميع كبارهم إلا يوشع وكالب فما دخل الأرض على الجبارين إلا خلوهم وأبناؤهم ، وقيل إن موسى مات في تلك السنين أيضاً ولم يشهد الفتح مع يوشع ، وقيل : بل كان مع يوشع حين افتتحها .

المرجومة من اليهود : فصل : وذكر المرجومة من اليهود ، وأن صاحبها الذي رجم معها حنا عليها بنفسه ليقبها الحجارة . حنا بالحاء تقيد في إحدى الروايتين عن أبي الوليد ، وكذلك في الموطأ من رواية يحيى ، فجعل يحيى عليها ، وفي الرواية الأخرى عن أبي الوليد : جنأ بالجيم والهمز ، وعلى هذه الرواية فسر أبو عبيد ، والجناء : الانحناء ، قال الشاعر عوف بن محم :

وبدلتني بالشطاط الجنأ وكنت كالصعدة تحت السنان

وفي حنوه عليها من الفقه : أنهما لم يكونا في حفرتين ، كما ذهب إليه كثير من الفقهاء في سنة الرجم ، وكذلك روى عن علي رحمه الله ، أنه حفر لشراحة بنت مالك الهمدانية حين رجمها . وأما الأحاديث فأكثرها على ترك الحفر للرجوم ، واسم هذه المرجومة : بسرة فيما ذكر بعض أهل العلم ، وفي قصتهما أنزل الله : « وكيف يحكونك وعندهم التوراة » الآية إلى قوله : « يحكم بها النبيون الذين أسلموا » ، يعني محمداً ، ومن حكم بالرجم قبله ، لأنه حكم بالرجم لأولئك اليهود الذين تحاكموا إليه ، والربانيون . يعني : عبد الله بن سلام وابن صوري من الأجبار بما است حفظوا من كتاب الله ، لأنهم حفظوا أن الرجم في التوراة ، لكنهم بدلوا وغيروا ، وكانوا عليه شهداء ؛ لأنهم شهدوا بذلك على اليهود إلى قوله : « ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فحكم بالرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا يبين لك أن الرجم في القرآن ، وعلى هذا فسر مالك فيما بلغني ، ولذلك قال عليه السلام للرجلين : لا حكم بينكما بكتاب الله ، فحكم بالرجم ، كما في الكتاب المنزل على موسى وعلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد قيل في معنى الحديث أقوال غير هذا ، والصحيح ما ذكرنا .

واستشهد ابن هشام في تفسير الجهرة بقول أبي الأخرز الحناني ، واسمه : قتيبة ، وحنان هو ابن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم ، فقال :

يجهر أفواه المياه السدم

يقال : ماء سدام إذا غطاه الرمل ، وجمعه : سدم ، وجمعه على سدم غريب ، ويقال أيضا سدام وأسدام ونحو من قوله يجهر قول عائشة رضي الله عنها في أبيها . واجتبر لهم عين الرواء ، وأنشد في تفسير القوم وأنه البر :

فوق شيزي مثل الجوابي عليها قطع كالوذيل في نقى قوم

الشيزي : خشب أسود تصنع منه الجفان ، والوذيل : جمع وذيلة وهي السديكة من الفضة . قال الشاعر : وتربك وجها كالوذيل لمة لا ريان ممتلئ ولا جهم

ومنه قول عمرو بن العاص لمعاوية : أما والله لقد ألفيت أمرك ، وهو أشد انفضاحاً من حق السكحول . كذاك رواه الهروي ، وقال ابن قتيبة : السكحول ، فما زلت أرمه بوذائله ، وأصله ، بوصائله حتى تركته على مثل فلانة المدر . حق السكحول : بيت العنكبوت ، وكما قاله الهروي ، قاله أبو عمر الزاهد في كتاب الياقوت ، كما وقع في غريب الحديث للقتبي قاله أبو عبد الله بن القزاز في الكتاب الكبير ، قال : السكحول : العنكبوت ، وقيل في السكحول إنه ثدي العجوز ، وفي العين : الوذيلة : المرأة ، وقيل في القوم : لأنه الثوم ، واختاره ابن قتيبة ، واحتج بأنه في مصحف عبد الله بن مسعود : وثومها ، ولا حجة في هذا لما ذكره أبو حنيفة في النبات : أن الثوم ، هو البر ، وأنه يقال بالفاء وبالثاء ، ومن الشاهد على القوم وأنه البر قول أبي أحيدة بن الجلاح ، وقيل هو لابي محجن الثقفي :

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا سكن المدينة عن زراعة فوم
وأنشد في بعض ما فسر بيت الاخطل ، قال : وهو الغوث بن هبيرة بن الصلت ، يكنى أبا مالك ، والمعروف :
غياث بن الغوث بن هبيرة بن الصلت ، وسمى : الاخطل لقوله :
لعمرك لأننى وابنى جميل وأمهما لإستار لتسم
كل أربعة : إستار قيل : إن كعب بن جميل قال له فى خبر جرى بينهما ، والاخطل يومئذ غلام يقرزم ،
أى : كما يبتدى يقول :

قبج ذاك الوجه غب الجمه

فقال الاخطل ، ولم يكن

وفعل كعب بن جميل أمه

فقال جميل ، إنك لاخطل

تم بحمد الله الجزء الثانى

ويليه الجزء الثالث

إنشاء الله

الفهارس

أولاً : فهرست كتاب السيرة النبوية لابن هشام

الموجود فوق الجدول

الجزء الثانى

| صفحة | الموضوع | صفحة | الموضوع |
|------|---|------|---|
| ٣٣ | أشد ما أودى به الرسول | ٣ | مبادأة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه |
| ٣٤ | إسلام حمزة رضى الله عنه | | معنى : اصدع بما تؤمر |
| | سبب إسلامه | | خروج الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه |
| ٣٥ | عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول | | للصلاة فى الشعب |
| | رأى عتبة | | عداوة قومه ومساندة أبا طالب له |
| | قريش تفتن المسلمين | | وفد قريش يعاتب أبا طالب |
| ٣٦ | زعماء قريش تفاوض الرسول | ٤ | الرسول صلى الله عليه وسلم يستمر فى دعوته |
| ٣٨ | أبو جهل يتوعد الرسول | | رجوعهم إلى أبى طالب مرة ثانية |
| | النضر بن الحارث ينصح قريشا | | ما دار بين الرسول وأبى طالب |
| ٣٩ | أذى النضر للرسول | ٥ | قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبى طالب |
| | قريش ترسل رسولين إلى المدينة ليسألا أحبار | | شعر أبى طالب فى المطعم ومن خذله |
| | اليهود فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم | ٩ | قريش تظهر عداوتها للمسلمين |
| | قريش تسأل أسئلة والرسول يجيب | | شعر أبى طالب فى مدح قومه لنصرته |
| ٤٠ | الرد على قريش فيما سألوه | | الوليد بن المغيرة كيد للرسول وموقفه من القرآن |
| ٤١ | أهل الكهف | ١١ | شعر أبى طالب فى معاداة خصومه |
| ٤٣ | ذو القرنين | ١٣ | الرسول يستسقى لأهل المدينة ويود حياة أبى |
| | أمر الروح | | طالب |
| | ما أوتيت من العلم لإلا ليللا | ١٦ | معانى الاسماء التى فى قصيدة أبى طالب |
| ٤٤ | تفسير الجبال وبعث الموتى | ١٧ | انتشار ذكر الرسول (ص) خارج مكة |
| | خذ لنفسك | ١٧ | نسب ابن الاسلت |
| | القرآن يرد على ابن أبى أمية | | شعر بن الاسلت |
| ٤٥ | القرآن ينهى أن رجلا من الائمة يعمله | ١٨ | حرب حاطب |
| | ما نزل فى أبى جهل | ٢٠ | شعر حكيم بن أمية فى نهى قومه عن عداوة الرسول |
| | ما ذكره القرآن فى شأن ما عرضوه عليه من | | ذكر ما لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم |
| ٤٦ | الاموال | | من قومه |
| | قريش تمتنع من الإيمان حسداً | ٣٣ | سفهاء قريش يأذونه |
| ٤٧ | استهزاء أبى جهل بالرسول | | |

| صفحة | الموضوع | صفحة | الموضوع |
|------|---|------|---|
| ٧٥ | ما قيل من الشعر في هجرة الحبشة | ٤٧ | ولا تجهر بصلاتك |
| ٨٦ | إرسال قريش تطلب مهاجري الحبشة | | ابن مسعود يجهر بالقرآن وما أصابه |
| | شعر أبي طالب للنجاشي | ٦٦ | أشراف قريش يستمعون إلى قراءة عليه السلام |
| ٧٨ | حديث أم سلمة عن الهجرة | | الأخنس يستفهم عما سمعه |
| | ما دار بين المهاجرين والنجاشي | | تعنت قريش عند سماعهم القرآن |
| ٨٨ | رأى المهاجرين في عيسى | ٦٧ | عدوان المشركين على المستضعفين من المسلمين |
| | فرح المهاجرين بانتصار النجاشي | | ما لقيه بلال من المشركين |
| ٨٩ | قصة تملك النجاشي على الحبشة | ٦٨ | من أعتقهم أبو بكر |
| | قتل أبيه وتملك عمه | | ما دار بين أبي بكر وأبيه |
| | الحبشة تبيع النجاشي | | آل يامر وتعذيبهم |
| | إسلام النجاشي والصلاة عليه وخروج الحبشة | ٦٩ | فتنة قريش للمسلمين |
| ٩٠ | عليه | | هشام يرفض تسليم الوليد إلى قريش |
| ٩٥ | إسلام عمر واعتزاز المسلمين به | | الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة |
| | حديث أم عبد الله بنت أبي حنيفة عن عمر | | مهاجرو الهجرة الأولى |
| | سبب إسلام عمر | | المهاجرون من بني هاشم |
| ٩٧ | ما رواه عطاء ومجاهد في إسلام عمر | | المهاجرون من بني أمية |
| | ثباب عمر في إسلامه | ٧١ | المهاجرون من بني أسد بن خزيمه |
| ١٠١ | خبر الصحيفة | | المهاجرون من بني عبد شمس |
| | اتنهار قريش بالرسول | | المهاجرون من بني نوفل |
| ١٠٢ | موقف أبي لهب من الرسول | | المهاجرون من بني أسد بن عبد العزى |
| | تهمك أبي لهب بالرسول | | المهاجرون من بني عبد وعبد الدار بن قصي |
| | شعر أبي طالب في ذلك | ٧٢ | المهاجرون من بني زهرة |
| ١٠٣ | أبو جهل يحكم الحصار على المسلمين | | المهاجرون من بني هذيل |
| | ما لقي الرسول عليه السلام من قومه | | المهاجرون من بني بهراء |
| | ما نزل من القرآن في أبي لهب وامراته | | المهاجرون من بني تميم |
| ١٠٤ | أم جميل امرأة أبي لهب | | المهاجرون من بني مخزوم |
| | إيذاء أمية بن خلف للرسول | ٧٣ | خبر الشمس |
| ١٠٥ | إيذاء العاص للرسول | | المهاجرون من حلفاء بني مخزوم |
| | إيذاء أبي جهل | | المهاجرون من حلفاء بني جمح |
| | إيذاء النضر | | المهاجرون من حلفاء بني سهم |
| ١٠٦ | ابن الزبير وما قيل فيه | ٧٤ | المهاجرون من بني عدى |
| ١٠٧ | الأخنس وما أنزل فيه | | المهاجرون من بني عامر |
| | الوليد وما أنزل فيه | | المهاجرون من بني الحارث |
| | ما أنزل في أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط | ٧٥ | عدم المهاجرين إلى الحبشة |
| | سورة (الكافرون) وسبب نزولها | | |

| الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع |
|--------|---|--------|---|
| ١٠٨ | أبو جهل وما نزل فيه | ١٠٨ | أبو جهل وما نزل فيه |
| ١١٨ | تفسير لفظ المهمل | ١١٨ | تفسير لفظ المهمل |
| ١٢١ | ابن أم مكتوم والوليد وسورة عبس | ١٢١ | ابن أم مكتوم والوليد وسورة عبس |
| ١٢٢ | العائدون من أرض الحبشة | ١٢٢ | العائدون من أرض الحبشة |
| ١٣٠ | أبو سلة في جوار أبي طالب | ١٣٠ | أبو سلة في جوار أبي طالب |
| ١٣١ | أبو بكر يرد جوار ابن الدغنة | ١٣١ | أبو بكر يرد جوار ابن الدغنة |
| ١٣٢ | نقض الصحيفة | ١٣٢ | نقض الصحيفة |
| ١٣٣ | إسلام الطفيل بن عمرو | ١٣٣ | إسلام الطفيل بن عمرو |
| ١٣٤ | إسلام والد الطفيل وزوجته | ١٣٤ | إسلام والد الطفيل وزوجته |
| ١٣٥ | قصة أعشى بن قيس | ١٣٥ | قصة أعشى بن قيس |
| ١٤٠ | نهاية الأعشى | ١٤٠ | نهاية الأعشى |
| ١٤١ | ذلة أبي جهل | ١٤١ | ذلة أبي جهل |
| ١٤٢ | أبو جهل والأراشي | ١٤٢ | أبو جهل والأراشي |
| ١٤٣ | ركانة ومصارعة | ١٤٣ | ركانة ومصارعة |
| ١٤٤ | قدوم وفد النصارى من الحبشة | ١٤٤ | قدوم وفد النصارى من الحبشة |
| ١٤٥ | سبب نزول سورة الكوثر | ١٤٥ | سبب نزول سورة الكوثر |
| ١٤٦ | معنى الكوثر | ١٤٦ | معنى الكوثر |
| ١٤٧ | لولا أنزل عليه ملك | ١٤٧ | لولا أنزل عليه ملك |
| ١٤٨ | ولقد استهزى برسلك من قبلك | ١٤٨ | ولقد استهزى برسلك من قبلك |
| ١٤٩ | الإسراء والمعراج | ١٤٩ | الإسراء والمعراج |
| ١٥٠ | رواية ابن مسعود | ١٥٠ | رواية ابن مسعود |
| ١٥١ | حديث الحسن | ١٥١ | حديث الحسن |
| ١٥٢ | حديث قتادة | ١٥٢ | حديث قتادة |
| ١٥٣ | الإسراء رؤيا | ١٥٣ | الإسراء رؤيا |
| ١٥٤ | الصفات التي وصف بها بعض الرسل | ١٥٤ | الصفات التي وصف بها بعض الرسل |
| ١٥٥ | حديث أم هانئ عن الإسراء | ١٥٥ | حديث أم هانئ عن الإسراء |
| ١٥٦ | قصة المعراج | ١٥٦ | قصة المعراج |
| ١٥٧ | عود إلى حديث الخدرى | ١٥٧ | عود إلى حديث الخدرى |
| ١٥٨ | المستمزون وكفاية أمرهم | ١٥٨ | المستمزون وكفاية أمرهم |
| ١٥٩ | وصاة الوليد لأولاده | ١٥٩ | وصاة الوليد لأولاده |
| ١٦٠ | ثورة بني عبد مناف لمقتل أبي أزيهر | ١٦٠ | ثورة بني عبد مناف لمقتل أبي أزيهر |
| ١٦١ | تحريم الربا | ١٦١ | تحريم الربا |
| ١٦٢ | دوس تحاول الثار لأبي أزيهر | ١٦٢ | دوس تحاول الثار لأبي أزيهر |
| ١٦٣ | أمن غيلان وأم جميل | ١٦٣ | أمن غيلان وأم جميل |
| ١٦٤ | من كان يؤذى الرسول | ١٦٤ | من كان يؤذى الرسول |
| ١٦٥ | ما عاناه الرسول بوفاة أبي طالب وخديجة | ١٦٥ | ما عاناه الرسول بوفاة أبي طالب وخديجة |
| ١٦٦ | المشركون يطلبون العهد قبل وفاة أبي طالب | ١٦٦ | المشركون يطلبون العهد قبل وفاة أبي طالب |
| ١٦٧ | رجاء الرسول في إسلام أبي طالب | ١٦٧ | رجاء الرسول في إسلام أبي طالب |
| ١٦٨ | ما نزل فيمن طلبوا العهد | ١٦٨ | ما نزل فيمن طلبوا العهد |
| ١٦٩ | الرسول يسعى إلى الطائف وموقف ثقيف | ١٦٩ | الرسول يسعى إلى الطائف وموقف ثقيف |
| ١٧٠ | وفد جن نصيبين | ١٧٠ | وفد جن نصيبين |
| ١٧١ | الرسول يعرض نفسه على القبائل | ١٧١ | الرسول يعرض نفسه على القبائل |
| ١٧٢ | عرض نفسه في المواسم | ١٧٢ | عرض نفسه في المواسم |
| ١٧٣ | حديث سويد بن صامت | ١٧٣ | حديث سويد بن صامت |
| ١٧٤ | إسلام إياس وقصة أبي الحيسر | ١٧٤ | إسلام إياس وقصة أبي الحيسر |
| ١٧٥ | إسلام الأنصار | ١٧٥ | إسلام الأنصار |
| ١٧٦ | أسماء من اتقوا بالرسول من الخزرج | ١٧٦ | أسماء من اتقوا بالرسول من الخزرج |
| ١٧٧ | بيعة العقبة الأولى | ١٧٧ | بيعة العقبة الأولى |
| ١٧٨ | نص البيعة | ١٧٨ | نص البيعة |
| ١٧٩ | مبعث مصعب مع وفد العقبة | ١٧٩ | مبعث مصعب مع وفد العقبة |
| ١٨٠ | أول جمعة أقيمت بالمدينة | ١٨٠ | أول جمعة أقيمت بالمدينة |
| ١٨١ | إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير | ١٨١ | إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير |
| ١٨٢ | العقبة الثانية | ١٨٢ | العقبة الثانية |
| ١٨٣ | البراء بن معرور يصل إلى الكعبة | ١٨٣ | البراء بن معرور يصل إلى الكعبة |
| ١٨٤ | إسلام عبد الله بن عمرو | ١٨٤ | إسلام عبد الله بن عمرو |
| ١٨٥ | امراتان في البيعة | ١٨٥ | امراتان في البيعة |
| ١٨٦ | العباس والأنصار | ١٨٦ | العباس والأنصار |
| ١٨٧ | عهد الرسول على الأنصار | ١٨٧ | عهد الرسول على الأنصار |
| ١٨٨ | أسماء النقباء | ١٨٨ | أسماء النقباء |
| ١٨٩ | النقباء من الأوس | ١٨٩ | النقباء من الأوس |
| ١٩٠ | شعر كعب بن مالك فيهم | ١٩٠ | شعر كعب بن مالك فيهم |
| ١٩١ | ما قاله العباس بن عباد للخرزرج | ١٩١ | ما قاله العباس بن عباد للخرزرج |
| ١٩٢ | أول من ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة الثانية | ١٩٢ | أول من ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة الثانية |
| ١٩٣ | الشیطان يصرخ بعد بيعة العقبة | ١٩٣ | الشیطان يصرخ بعد بيعة العقبة |
| ١٩٤ | مجادلة قريش للأنصار | ١٩٤ | مجادلة قريش للأنصار |
| ١٩٥ | قريش تأمر سعد بن عباد | ١٩٥ | قريش تأمر سعد بن عباد |

| صفحة | الموضوع | صفحة | الموضوع |
|------|---|------|--------------------------------|
| ٢٤٠ | خطبه صلى الله عليه وسلم | ١٩٣ | خلاص سعد |
| | موادعة اليهود | ٢٠٥ | قصة صنم عمرو بن الجحوح |
| ٢٤٢ | المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار | | إسلام عمرو |
| ٢٥٣ | خبر الأذان | ٢٠٦ | شروط البيعة في العقبة الأخيرة |
| | رؤيا عبد الله بن زيد | | أسماء من شهد العقبة |
| | رؤيا عمر | ٢١١ | نزول الأمر للرسول بالجهاد |
| | أبو قيس بن أبي أنس | | الإذن بالهجرة إلى المدينة |
| ٢٥٥ | عداوة اليهود لعنهم الله | ٢١٩ | هجرة عمر وعياش |
| ٢٥٧ | إسلام عبد الله بن سلام | | كتاب عمر إلى هشام |
| | من حديث بخيريق | ٢٢٠ | أمر الوليد مع عياش وهشام |
| | حديث صفية | | منازل المهاجرين بالمدينة |
| ٢٥٨ | المنافقون بالمدينة | ٢٢١ | هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم |
| ٢٦٢ | طرد المنافقين من المسجد | | قريش تتشاور في أمره |
| ٢٦٣ | ما نزل في اليهود والمنافقين | ٢٢٢ | استخلافه لعلی |
| ٢٦٤ | تفسير ابن هشام لبعض غريب الالفاظ | ٢٢٣ | أبو بكر يطمع في المصاحبة |
| ٢٦٩ | سؤال اليهود للرسول وإجابته | | حديث الهجرة إلى المدينة |
| ٢٧٠ | اليهود ينكرون نبوة داود والرد عليهم | ٢٢٤ | في الغار |
| | كتابه إلى يهود خيبر | | من قام بشأن الرسول في الغار |
| ٢٧١ | ما نزل في أبي ياسر وأخيه | | أسماء ذات النطاقين |
| ٢٧٢ | كفر اليهود وما نزل فيه | | رحلة الرسول |
| | تنازع اليهود والنصارى عنده صلى الله عليه وسلم | ٢٢٥ | أبو جهل يضرب أسماء |
| ٢٧٣ | ما قاله اليهود عند صرف القبلة إلى الكعبة | | الجنى الذى تغنى بمقدم الرسول |
| ٢٧٤ | كتائبهم ما فى التوراة | | نسب أم معبد |
| | جوابهم حينما دعوا إلى الإسلام | | آل أبى بكر بعد الهجرة |
| | جمعهم فى سوق بنى قينقاع | | سراقة بن مالك |
| | دخوله عليه الصلاة والسلام بيت المدراس | ٢٣٦ | طريق الرسول (ص) فى هجرته |
| | تنازع اليهود والنصارى فى إبراهيم عليه السلام | | قباء |
| ٢٧٥ | ما نزل فى إيمانهم غدوة والكفر عشية | ٢٣٧ | بناء مسجد قباء |
| | ما نزل فى قول أبى رافع | ٢٣٨ | مبرك الناقة |
| | ما نزل فى أخذ الميثاق عليهم | | عمار والفئة الباغية |
| ٢٧٦ | سعيهم فى الوقعة بين الأنصار | ٢٣٩ | الرسول ينزل فى بيت أبى أيوب |
| ٢٧٧ | ما نزل فى قولهم ما اتبع محمد إلا شرارنا | | أبو سفيان وبنو جحش |
| | نهى المسلمين عن مباينة اليهود | ٢٤٠ | انتشار الإسلام |
| | دخول أبى بكر بيت المدراس | | |

| الموضوع | صفحة | الموضوع | صفحة |
|--------------------------------------|------|------------------------------------|------|
| اليهود تأمر المؤمنين بالبخل | ٢٧٨ | رغبتهم في فتنته صلى الله عليه وسلم | |
| جحد اليهود للحق | | إنكارهم نبوة عيسى | ٢٨٢ |
| من حزبوا الأحزاب | ٢٧٩ | ادعاؤهم أنهم على الحق | |
| إنكار اليهود للتنزيل | | إشراكهم بالله | |
| اتفاقهم على طرح الصخرة عليه | | نهى المؤمنين عن موادتهم | |
| ادعاؤهم أنهم أحباء الله | ٢٨٠ | سؤالهم عن قيام الساعة | |
| إنكارهم نزول كتاب بعد موسى | | ادعاؤهم أن عزيراً ابن الله | ٢٨٣ |
| رجوعهم إلى ما حكم به الرسول في الرجم | | طلبهم كتاباً من السماء | |
| ظلمهم في الدية | ٢٨١ | سؤالهم عن ذى القرنين | ٢٨٤ |
| | | تهجمهم على ذات الله | |

ثانياً : فهرست الروض الأنف للسهيلى

الذى تحت الجدول

| الموضوع | صفحة | الموضوع | صفحة |
|--|------|---------------------------------------|------|
| مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه | ٥ | إسلام حمزة | ٤٩ |
| اصدع بما تؤمر | | الآيات التى طلبتها قريش | ٥٠ |
| معنى الحذب | ٧ | عبد الله بن أبى أمية | ٥١ |
| أبو البخترى واسمه | | أبو جهل وإلقاء الحجر | |
| لو وضعوا الشمس في يميني | ٨ | تفسير أرايت ولنسفعا | |
| الرأى والبداء | | النضر بن الحارث وأخبار الفرس | ٥٢ |
| عرض عمارة على أبى طالب | | سورة الكهف ترد على استفسارات اليهود | ٥٣ |
| شعر أبى طالب | ١٠ | افتتاح الرب سبحانه بحمد نفسه | |
| موقف الوليد من القرآن | ٢١ | شرح شعر ذى الرمة | ٥٤ |
| ذرنى ومن خلقت وحيدا | | معنى الرقيم | |
| شرح قصيدة أبى طالب | ٢٢ | إعراب : لنعلم أى الحزبين أحصى | |
| حديث الاستسقاء | ٢٨ | أحوال أهل الكهف في نومهم وفائدة قصتهم | ٥٥ |
| ابن الأسلت وقصيدته | ٢٩ | أهل الكهف | |
| حرب داحس والغبراء | ٣١ | واو الثمانية | ٥٦ |
| ما لقي الرسول من قومه | ٤٨ | إلا أن يشاء الله | |
| تلقينه بالمدثر | | ولبشوا في كهفهم | ٥٧ |
| تلقينه بالذير العريان | | الفرق بين السنة والعام | ٤٩ |
| تقديم المفعول على فعل الأمر | | قصة ذى القرنين | ٥٩ |
| الرئى في قول عتبة | | | |

| صفحة | الموضوع | صفحة | الموضوع |
|------|-------------------------------------|------|--|
| ١٠٠ | ما قاله عمر من الشعر حين أسلم | ٦٠ | التسمي بأسماء الانبياء |
| | الهيمنة - في حديث إسلام عمر | ٦١ | يسألونك عن الروح وما هو الروح |
| ١٠١ | معنى النهم وخلوا | ٦٢ | الروح والنفس والفرق بينهما |
| | جميل بن معمر الجمحي | ٦٤ | ابن هرمة ونسبه |
| ١٠٩ | حديث الصحيفة التي كتبها قريش | ٦٥ | بيت من زخرف |
| | تفسير سورة المسد | | أبو الأشد بن الجمحي |
| | تفسير ألفاظ ذكرت في شعر أبي طالب | | خزنة جهنم |
| ١١٠ | لا التي للتبرئة ومحل النصب بها | | الرجل الذي تزعم قريش أنه يعلبه |
| | عود إلى شرح شعر أبي طالب | ٧٦ | الحوادث التي وقعت بين الرسول وقريش |
| ١١١ | أم جميل وما نزل فيها | ٧٧ | الإكراه على الكفر وعلى المعصية |
| ١١٣ | الفرق بين الجيد والعنق | ٧٨ | سمية وآل ياسر وزنيرة وأم عيسى وبلال |
| ١١٤ | الفهر | ٧٩ | الهجرة إلى أرض الحبشة |
| | محمد وليس مذمما | | رؤيا خالد بن العاصي |
| ١١٥ | حديث خباب مع العاصي بن وائل | ٨٠ | أبو أحيحة وعمامته وأمة بنت خالد |
| | إثبات الذرائع أصل عند المالكية | | عبد شمس أو عبشمس |
| | النضر بن الحارث وشيء من أخبار الفرس | | هل هاجر عمار إلى الحبشة |
| ١١٦ | ابن الزبيري وعزير | ٨١ | استدراك على ابن إسحاق في مهاجرة الحبشة |
| | حصب جهنم | | ذكر لبعض المسائل اللغوية في شعر الهجرة |
| | ما نزل في الأخنس بن شريق | ٨٥ | من أنساب مهاجرة الحبشة - أم سلمة |
| ١١٧ | قل يا أيها الكافرون | ٨٦ | النجاحي والنور الذي على قبره |
| ١١٨ | شجرة الزقوم وأصلها عند العرب | ٩٠ | قريش تطلب مهاجرة الحبشة من النجاحي |
| | ابن أم مكتوم ونسب أمه | ٩١ | عمارة بن الوليد |
| ١٢٦ | عودة المهاجرين إلى الحبشة | | حديث أصحاب الهجرة مع النجاحي |
| | حول قول لبید | ٩٢ | العين هل هي صفة أو جارحة |
| ١٢٧ | حديث أبي بكر مع ابن الدغنة | ٩٣ | عيسى كلمة الله وروحه |
| | الشعب ونقض الصحيفة | | حديث عائشة عن النجاحي |
| ١٢٨ | شرح دالية أبي طالب | ٩٤ | ما يأخذ من الفقه في حديث هجرة الحبشة |
| ١٢٩ | قول حسان في مطعم وهشام بن عمرو | | كتاب النجاحي والصلاة عليه |
| ١٣٦ | حديث طفيل بن عمرو الدوسي | ٩٨ | إسلام عمر |
| | حديث ذى الكفين | | حديث خباب |
| | قصيدة الأعشى وحزة والشرف | | تطهير عمر ليس القرآن |
| ١٣٨ | حديث الأراشي | ٩٩ | المطهرون والمتطهرون |
| ١٣٩ | مصارعة ركانة | | أقوال أخرى في إسلام عمر |

| الموضوع | صفحة | الموضوع | صفحة |
|---|------|--------------------------------------|------|
| قدوم وفد النصارى من الحبشة | ١٣٩ | ما أنزل الله في الربا من سورة البقرة | ١٦٩ |
| عن غلام المسيعة وصهيب وأبي فكيمة | | وفاة أبي طالب ووصيته | ١٧٠ |
| الآبتر والكوتر | ١٤٤ | تفسير المثنى في سورة (ص) | ١٧١ |
| استشهاد ابن هشام على معنى الكوتر | ١٤٧ | تتابع المصائب بموت خديجة وأبي طالب | ١٧٢ |
| حديث المستهزئين | | خروج النبي عليه السلام إلى الطائف | ١٧٧ |
| شرح ما في حديث الإمراء | | وجه الله | ١٧٨ |
| أكان الإسراء يقظة أم مناما | ١٤٨ | عداس غلام ابني ربيعة | ١٧٩ |
| شماش البراق بالنبي عليه السلام | ١٥٠ | وفد جن نصيبين وما نزل فيهم | ١٨٠ |
| قول الملائكة في كل سماء من معك | ١٥١ | عرض نفسه عليه السلام على القبائل | |
| باب الحفظة والملك الذي عليه | | حديث سويد بن صامت وشعره | ١٨٢ |
| الأسودة التي على يمين آدم وشماله | | مجلة لقمان | ١٨٣ |
| حكم من أحكام الماء | ١٥٢ | قدوم أبي الحيسر أنس بن رافع | |
| بيت المقدس | | إسلام الأنصار | |
| على يصف النبي صلى الله عليه وسلم | ١٥٣ | هجرة مصعب بن عمير | ١٩٥ |
| مبحث في رؤية النبي ربه | ١٥٦ | بقيع الخضعات | ١٩٦ |
| لقاؤه عليه السلام للنبيين | ١٥٧ | أصل تسمية الجمعة بهذا الاسم | |
| البيت المعمور ودخول الملائكة فيه | ١٥٨ | معنى الجمعة وما أخذ منه | ١٩٨ |
| فرض الصلاة في الحضرة المقدسة | ١٥٩ | أيام الأسبوع وأسمائها وترتيبها | |
| فرض الصلوات خمسين | | إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير | ١٩٩ |
| من أوصاف الملائكة | ١٦٠ | هل يغتسل الكافر إذا أسلم | |
| جزاء أكلة الربا ووصف حالهم | | شرح شعر ابن الأسات | ٢٠٠ |
| نسب الولد لغير رشدة | ١٦١ | البراء بن معرور وصلاته إلى القبلة | |
| حكم الحاكم لا يحل حراما | | قبلة الرسول صلى الله عليه وسلم | |
| رفع لإدريس مكانا عليا | ١٦٢ | نسبية وأسماء في بيعة العقبة الثانية | ٢٠١ |
| ترحيب الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم | | البراء بن معرور | ٢٠٢ |
| موسى يطلب أن يكون من أمة محمد | | الدم الدم والهدم الهدم | |
| عصمة الله لنبيه عليه السلام | | النبقاء الاثنا عشر وشعر كعب فيهم | ٢٠٣ |
| شرح حديث المستهزئين | ١٦٧ | صراخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت | |
| حديث الوليد بن المغيرة ووصاته | ١٦٨ | يا أهل الجباب ومعى هذه الكلمة | |
| مقتل أبي أزيهر وموقف دوس | | تذكير فعيل وتأنيثها | ٢٠٤ |
| تفسير شعر عبد الله بن أبي أمية | | من معاني الطويل | |
| شرح شعر الجون | ١٦٩ | شرح بعض ألفاظ وردت في قصيدة حسان | |
| شرح شعر حسان بن ثابت | | إسلام عمرو بن الجوح وصنمه | ٢١٤ |

| صفحة | الموضوع | صفحة | الموضوع |
|------|---------------------------------------|------|------------------------------------|
| ٢٤٦ | تحلحلت ورزمت والجران | ٢١٤ | تسمية بعض من شاهد العقبة |
| ٢٤٧ | المربد | ٢١٦ | ذكر هجرة بني جحش |
| | بنيان المسجد | | هجرة أم سلة وعثمان بن أبي طلحة |
| ٢٤٨ | سمية أم عمار | | الشعر الذي تمثل به أبو سفيان |
| | عمار أول من بنى مسجدا | ٢١٨ | جذامة - من نساء بني جحش |
| | بيوته صلى الله عليه وسلم | | ثقف بن عمرو وأم حبيب بنت ثمامة |
| | انكسار حب أم أيوب | | أريد بن جميرة ومحرز بن فضلة |
| ٢٤٩ | الثوم | | يزيد بن رقيش |
| | منزل أبي أيوب ونزول الرسول فيه | ٢٢٦ | هجرة عمر وعياش وتواعدهم التناضب |
| | أحمد بن جحش وأبو سفيان | ٢٢٧ | قل يا عبادي الذين أسرفوا |
| | خطبه صلى الله عليه وسلم | | نزل طلحة وصهيب على خبيب بن إيساف |
| | الحب في خطبه صلى الله عليه وسلم | | ذكر أنسة وأبي كبشة |
| ٢٥٠ | شرح الخطبة ومكانها | ٢٢٨ | نزلها بقباء |
| | كتابه عليه السلام بينه وبين اليهود | | سالم مولى أبي حذيفة |
| | أصل اليهود ومتى دخلوا يثرب | ٢٣٠ | الإذن للنبي عليه السلام بالهجرة |
| ٢٥١ | يثرب اسم رجل نزل بها | | راحلته صلى الله عليه وسلم |
| | معنى على ربعاتهم | ٢٣١ | أبو بكر يبيك من الفرح |
| | شرح كلمات الكتاب | | مقارنة بين مكة والمدينة |
| ٢٥٢ | المؤاخاة بين الصحابة | | حديث غار ثور |
| | نسب أبي الدرداء ونسب الفرع | ٢٣٢ | الرد على الرافضة في بهتهم لأبي بكر |
| | المؤاخاة بين حاطب وعويم بن ساعدة | ٢٣٣ | معية الله مع رسوله وصاحبه |
| ٢٨٤ | بدء الأذان | | حديث سراقه بن مالك السكناني |
| ٢٨٧ | حديث صرمة بن أبي أنس | ٢٣٤ | حديث أم معبد |
| ٢٨٩ | تسمية اليهود الذين نزل فيهم القرآن | ٢٣٥ | نسب أم معبد وزوجها |
| | يهود المدينة | ٢٤٣ | طريق الرسول عليه السلام في هجرته |
| ٢٩٠ | ليديسحر الرسول عليه السلام | ٢٤٥ | أوس بن حجر |
| ٢٩١ | إسلام عبد الله بن سلام | | تاريخ قدوم الرسول إلى المدينة |
| ٢٩٢ | ذكر بعض المنافقين | | كثوم بن الهمد - أبو قيس |
| | ذكر حديث بشر بن أبي رقيق سارق الدرعين | ٢٤٦ | تأسيس مسجد قباء لبني عمرو |
| ٢٩٣ | إخراج المنافقين من المسجد | | التاريخ العربي من عام الهجرة |
| | ما أنزل الله في المنافقين والاحبار | | من ودخلوها على الزمان وغيره |

| صفحة | الموضوع | صفحة | الموضوع |
|------|-----------------------------------|------|----------------------------------|
| ٢٩٧ | تفسير آناء الليل | ٢٩٤ | أبو يامر بن أخطب وأخوه جبي |
| | بعض الآيات المنزلة في قصص الاحبار | ٢٩٥ | معاني الحروف التي في أوائل السور |
| ٢٩٨ | المرجومة من اليهود | ٢٩٦ | تحويل القبلة وما قاله اليهود |
| | | | ما أنزل الله في بني قينقاع |

تمت الفهرست

أودع هذا المصنّف
بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ٤٠٢٤٠ لسنة ١٩٧٢